

الحكمة والآداب

عند

الفرس والعرب

تأليف

السيد محمد باقر السبزواري

مدير قسم اللغة العربية والآداب

جامعة طهران

١٣٤٥ ش - ١٣٨٦ ق -

الطبعة

مكتبة المصنف

تلفظ ٥٦٥١٣

Princeton University Library



32101 074498831



Sabzavāri, Muhammad Bāgir

al-Hikmah wa-al-adab

الحِكْمَةُ وَالْأَدَبُ

عند

الْفُرسِ وَالْعَرَبِ

تأليف

السيد محمد باقر السبزواری

مدير قسم اللغة العربية إذ بها

بجامعة طهران

۱۳۴۵ ش - ۱۳۸۶ ق

کتابخانه صدوق

تهران - بازار - سرای اردو بیست

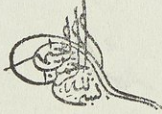
جنب مسجد سلطانی

تلفن ۵۶۵۱۳

چاپخانه حیدری

2274
7784
.346

v.1



رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً
مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

أربعة كلمات تمهيدية

الأولى كان القدماء من الحكماء يرون العناصر أربعة أما اليوم فقد بلغت قربة من مائة وكانوا يقولون كما أن المزاج لا يتحصل إلا بتكافؤ العناصر الأربعة واجتماعها على تأليف وانتظام كذلك نظام الحياة الدنيا التي هي وسيلة إلى الدار الآخرة لا يتحصل إلا بانتظام أحوال أربعة أصناف من الخلق تجري مجرى العناصر الأربعة . **الأول** ارباب العلم والمعارف الذين هم سبب قوام الدين والدنيا وهم كالماء في العناصر . **والثاني** أصحاب السيف وأهل البأس والشجاعة وهم بمنزلة النار في الطبائع . **والثالث** أهل المعاملة كالمتجّار والصنّاع الذين هم سبب معيشة النوع وهم بمثابة الهواء فيها . **والرابع** ارباب الزراعة والفلاحة الذين بهم يترتب الأقوات وهم كالارض فيها و كما أن زيادة بعض العناصر و خروجه عن حدّه المقرر يؤدّي إلى فساد المزاج كذلك الحال في هؤلاء الاصناف الأربعة إذا خرج عن حدّه فالاجزاء في العالم الكلي كالأعضاء في العالم الجزئي يخدم بعضها بعضا .

الناس للناس من بدو و حاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
ولا يخفى أن القرآن الشريف يذكرنا بالاخوة الانسانية و انهم من أصل واحد
فمن الضروري لدى كل مسلم أن الاسلام دين توحيد و اخوة و أن المسلمين جميعاً تجمعهم
قواعد الاسلام و يؤلف بينهم كتاب الله و سنة رسوله ﷺ فمن الممكن أن يتحرّر
المسلمون من قيود الاحقاد القديمة و يحسنوا معاملة الاخوة الدينية و التعارف و التعاون
بينهم ، و في مقدور كل منهم بعد ذلك أن يبيّن لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ
و الحق إن كان على الباطل ، فعند ما تصفو القلوب و يتوفّر حسن النية يصبح التفاهم
ميسوراً و النجاح مقدوراً ينبغي للمدارس و المكاتب و الجامعات أن تنهض بهذه المهمة
فان لم تقم بأدائها فالاحسن ان تزول . و من المعلوم أن لكل شيء مهمة في هذه الحياة
فاذا امتنع عن واجبه و مهمته يزول عن مرتبة حياته . فالفرس إذا عجز عن العدو السريع
عومل معاملة الحمير و السيف إذا فقد صرامته استعمل استعمال السكين ، و الانسان يمتاز

3-15-67
1948

بكماله في العقل ويكرم بالعلم ويشرف بالعمل الصالح لنفسه وللمجتمع فان فقدته نزل إلى مرتبة الحيوان «اولئك كالانعام بل هم اضل» وكذلك المعاهد الدينية إذا لم تقم بما عليها من الواجبات في جميع النواحي وجب ان تزول من الحياة و كان بقاؤها من العبث وهذه فلسفة الدين و سياسته و قدصرح المتكلمون في بيان النبوة المطلقة و وجوب بعثة الانبياء لمصالح الامور و سياسة الجمهور و قال سيدنا على امير المؤمنين عليه السلام في وصيته ، اوصيكما و جميع ولدى و اهلى و من بلغه كتابى بتقوى الله و نظم امركم . و السياسيون امثال ميكاولى دعوا من قبل إلى فصل الدين عن السياسة و تقسيم الاخلاق إلى شخصية و اجتماعية و قرروا أن الدين إذا كان لا بد منه - قضية شخصية لا ينبغي أن تتدخل في امور السياسة و الدولة . و ان الدولة عندهم أعز و أهم من كل شي و ان النصرانية انما موضوعها الحياة الأخرى و أن المتدينين و الصالحين لا يفيد وجودهم الدولة و أن كان يفيد الكنيسة ، لانهم يتقيدون باحكام الدين و لانهم لا يستطيعون أن يحدوا عن أحكام الدين و مبادئ الاخلاق إذا اقتضت المصلحة غير ذلك و أن رجال الدولة و الامراء تجب عليهم أن يتخلقوا بأخلاق الثعالب و لا يحتشموا من نقض العهود و الكذب و الخيانة و الغش و النفاق إذا كان في ذلك أدنى مصلحة للدولة إلى غير ذلك و نجحت هذه الدعوة و ساعدتها عوامل كثيرة من القومية و الوطنية التي خلفت الديانة القديمة . و احدث الابداء و المؤلفون و أصحاب اليراعة و القريحة و الذكاء ، خصوصاً في ثورة فرنسا و بعدها ، الثورة على الاخلاق القديمة و النظم الاجتماعية و زينوا للناس الاثم و نشروا دعوة الإباحة و اطلاق الطبايع من كل قيد و الفرد من كل مسؤولية و دعوا إلى الاتهام الحياة البهيمية و ارضاء الشهوات و انتهاب المسرات و استعجال الطيبات و الافراط في تقدير قيمة هذه الحيات و جحدوا كل شىء سوى اللذة العاجلة و النفع المادى المحسوس قال الله تعالى يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . فمما لا شك فيه أن دين اروبا اليوم الذى يملك عليها القلب و المشاعر و يحكم على الروح هو مادىة لا النصرانية ، كما يعلم ذلك كل من عرف النفسية الاروية و اتصل بالأروبيين عن كتب لا عن كتب و لم ينخدع بالمظاهر الدينية التي تزيد في ابهة الدولة

و التي يجد فيها الشعب ترويحاً للنفس وتنوُّعاً في التفریح وقد بيّنت في وضوح مشاهداتي في امريكا واروبا في كتابي عن امريكا ولا شك انه لا يزال في الغرب أفراد يشعرون ويفكرون على اسلوب ديني و يبذلون جهدهم في تطبيق عقايدهم بروح حضارتهم ولكنهم شوان .

الثانية ان كلمة الادب في صدر الاسلام كانت تطلق على التهذيب الخلقى والملكة النفسانية التي تصدر عنها الافعال الحسنة بسهولة من غير فكر ولا روية .

ثم كانت تطلق على العلم باللغة و الشعر و أيام العرب واتسع معنى الادب حتى قالوا ان الادب الأخذ من كل شيء بطرف وقد كان للفرس اثر كبير في الادب العرب بعد ما تثقف الابداء ثقافة فارسية و اخذوا بحظ وافر من نتاج عقول الفرس كما نحن اليوم نتثقف ثقافة انجليزية أو ألمانية أو فرنسية ثم نخرج أدبا جديداً بلغتنا الفارسية لا يسمى ادبا اروبياً ولكنه نتاجه و متأثر به كان كثير من العرب على هذا النحو حذقوا الفارسية والعربية و تثقفوا الثقافتين و اتجوا في الأدب العربي نتاجاً جديداً قال بعضهم وهل المعاني إلا في كتب الفرس و البلاغة . اللغة لنا والمعاني لهم هؤلاء الفرس الذين تعربوا و هؤلاء العرب الذين اخذوا بحظ من الثقافة الفارسية ملؤا الدنيا علماً و حكمة و شعراً و نثراً ان الأدب في كل عصر ظل الحياة الاجتماعية و كانت هذه الحياة ذات الوان متعددة أظهر لون فيها اللون الفارسي بل أن تكون الكتاب كطبقة ليس إلا تقليداً للنظام الفارسي و كان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر الثقافة لان معارفهم ودائرة اطلاعهم واسعة شاملة لانهم بحكم مناسبتهم يضطرون ان يعرفوا احوال الناس الاجتماعية و ان يعرفوا من اللغة و الادب و علوم الدين و الفلسفة و الجغرافيا و التاريخ طرفاً لان كثيراً من مواقفهم يحتاج إلى ذلك (١) .

وكان من اظهر عنايتهم بالبلاغة و الحكم التوقعات قد كان الفرس ككل الشعوب يرفعون إلى ولاة أمورهم أوراقاً تتضمن طلباً لشيء أو شكوى نسميهما نحن الان عريضة أو عرضحالة و كانت تسمى عند العرب قصصاً سميت كذلك مجازاً لان القصة اسم

للمحكي في الورقة فسميت الورقة نفسها قصة وقد تسمى رقاعاً لصغر حجمها تشبيهاً لها بركة الثوب .

كانت هذه القصص ترفع إلى الملك أو من يليه تبعاً لموضوعها وللمتظلم وقد جرت عادة الملوك والولاة ان يوقعوا على هذه القصص بعبارة بليغة و كلمة حكيمة يتخير لها أحسن اللفظ و أجود المعاني و تتناقل أثراً من الآثار القيّمة كالمثل الجيد وقد نقل إلى ادب العرب الشيء الكثير من توقيعات ملوك الفرس من ذلك ان رجلاً رفع إلى كسرى ابن قباد رقعة يخبره فيها ان جماعة من بطانته قد فسدت نيّاتهم و خبث ضمائرهم منهم فلان و فلان فوقع في أسفل كتابه انما أملك ظاهر الاجسام لانيّات واحكم بالعدل لا بالهوى و افحص عن الاعمال لاعن السرائر . و وقع أنوشيروان في قصة محبوس من ركب ما نهي عنه حيل بينه و بين ما يشتهي و مدح رجل من الخاصة كسرى بن قباد بمدح أطنب فيه وأسهب و ذهب كل مذهب وكان المدح في رقعة فوقع فيها كسرى إنّي للمدح مستصغر لعلمي باشياء قد مدحت وكانت بأن تذمّ محقوقة وقال ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة فقال المؤبذ الصمت المصيب ابلغ حكمة وقال مهذب تحصن الاسرار انفع رأى وقال بهادر لاشيء انفع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له و قال آخر الاحتراز من كل احد ازم رأى . وقال بزرجمهر لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضاء بالقضاء فقال أنوشيروان كل قد قال فاحسن ولا خلاص لاحد إلا التثبت للاختيار و الاعتقاد للخيرة^(١) و لما تحضر العرب و حرروا مظالمهم على رقاع بعد ان كانوا يشافهون بها امراءهم كان لهم توقيع وكان أكثر الكتاب و الوزراء إيرانيين فساروا فيها على سنن آبائهم وكثر ذلك حتى نشأوا فيما بعد ديواناً أسموه ديوان التوقيع .

المائة كل ما ابان عن عاطفة او خيال صلح أن يكون موضوعاً للادب و هو مادة الاديب يؤلف منها ادبه ولا بد من سمو الادراك و جودة التصوير ، لا بد من الصنعة او الفن كما لا

يعد الانسان مصوراً حتى يجيد التصوير ، كما لا يعد نجاراً كل من نجر خشبة اودق مسماراً كذلك ليس كل من عبّر عن عاطفة اديباً ولا كل من نظم الايات شاعراً ولا كل من ارتقى المنبر خطيباً حتى ياتي بكلام معجب و يكون في بيانه ادراك يرفعه عن العامية و الابتذال .

تمثل نفسك تقرأ نظرية رياضيه أو معادلة جبرية ثم تقرأ قصيدة لشاعر نابغة أو خطبة عظيمة انك لا تفرح ولا تحزن ولا تغضب ولا ترضى حين تسمع القصبة الهندسية أو الجبرية ولا تخاف ولا تأمن ولا تضحك ولا تبكي و لكنك حين تسمع الخطابة وتقرأ القصيدة لا تخلو نفسك من بعض هذه المعاني .

و إذا قال وزير الطب ان مرض كذا منتشر في كل بلد فهذا خبر عما هو كائن ولا يعبر عن عواطف الطبيب، وإذا قال الجغرافي في صفة ارض فيها اودية عميقة بين جبال عالية فقد ابان عن حقيقة رآها أو سمعها لم يصلها بالعاطفة فيبين اعجابه لها أو خوفه منها أو انقباضه لمرآها أو ما تخيّلها حين شاهدها .

و إذا قال كاتب في وصف هذه الارض تهولك بها اودية عميقة تظل عليها جبال شامخة عاتية يحلق الطرف دون ذراها . فقد أبان عن الحقيقة مشوبة بما شعره به من رهبة وما تخيّل من اطلال الجبال على الاودية و تحليق البصر دون قممها .

و كذلك يقول الجغرافي صحراء منبسطة مستوية طرقها متشابهة شديدة الحر لم

تغيّر عا طفته ولم يزد عليها خياله ، و يقول الشاعر في وصف هذه الصحراء :

و مجهل كالطراد السيف محتجز عن الادلاء مسجور الصايخيد

تمشى الرياح به حسرى مولية حيرى تلون باكناف الجلاميد

موقف المتن لا تمضى السبيل به إلا التخلل ريثا بعد تجهيد

وقد افاض على الصورة الطبيعية الوانا في شعوره و تخيّلها .

و انظر الفرق بين فلكي يتكلم عن الشمس طلوعها و غروبها و دورتها السنوية

و عن القمر و منازلها و النجوم و حركتها يصف الحقيقة كما هي على قدر ادراكه و بين

من يقول :

منع البقاء تقلب الشمس
و طلوعها صافية
و طلوعها حمراء صافية
تجرى على كبد السماء كما
تجرى حمام الموت بالنفس
اليوم لا أعلم مما يجيء به
ومضى بفضل قضائه أمس

الرابعة المعنى الواحد يختلف تأثيره في النفس جداً بسبب حسن الاداء وقبحه فربما يودى المضمون بعبارة أشهى من رؤية الحبيب مع غفلة الرقيب و يودى ذلك المضمون بعينه بعبارة اخرى اصعب من الهجرو امر من تجرع كسات الصبر يحكى عن بعض الخلفاء انه رأى في المنام ان اسنانه سقطت بأجمعها فقص رؤياه على بعض المعبرين فقال: يموت كل أقاربك و أهلك و تبقى وحدك فتشأم الخليفة من هذا التعبير و غضب و امر بقلع جميع أسنان المعبر و اراد قتله لولا شفاعة الشافعين ثم قص الخليفة رؤياه هذه على معبر آخر فقال المعبر البشر يا امير ... فان عمرك يكون اطول من اعمار ساير اقاربك فبهش الخليفة لكلامه و أخذ في تكريمه و انعامه و ألبسه خلعاً جليلاً و أجازه بجوايز جزيلة .
التعبير عن الخواطر النفسانية و تأثر النفس بمظاهر الكون و الطبيعة هو الغرض الاصلى من الادب ولا يرقى إلى الفن السامى إلا أن يكون ذلك التعبير عن المشاعر غرضه الوحيد منزهاً عن كل غرض خارجي فاذا خالطه شيء من الماديات هبط إلى مرتبة الصناعة ولم يقع في النفوس فالكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب و إذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان .

بلغ الادب العربى مرتبة الفن السامى في عصر الجاهلى حين كان اشراف القبائل يودعون الشعر حكمتهم و حالاتهم من الطرب و الحزن .

فلما قامت الدولة العربية تفهقر الادب و فقد قوة الصدق و سمو الصراحة و لمّا كان الكاتب و الشاعر يكتب و ينظم ليكسب و ينتظم أمره حتى ان بعض الشعراء من الشيعة كانوا يمتدحون الملوك الأموية و العباسية قال الامام محمد الباقر **عليه السلام** لكثير امتدحت عبدالملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى و انما قلت له يا شجاع و الشجاع حية يا اسد و الاسد كلب و يا غيث و الغيث موات فتبسّم أبو جعفر **عليه السلام** .

كان الانسان مديناً بالطبع - اي انه لم يخلق ليعيش في البراري كالوحوش بل ليجتمع مع أخيه الانسان ويعيشاً معاً في محيط واحد متساين متكافلين فيتألف منهما المجموع الذي نراه ، والفرد في هذا المجتمع كالعضو في الجسد عليه واجبات وكذلك له حقوق وهذا هو ما نسميه باداب الاجتماع وكما ان الجسد لا يصلح الاصلاح اعضائه كذلك المجتمع لا يبلغ رقيته إلا برقي أفراده .

و ان اهم هذه الاداب بل الاساس الذي تبنى عليه هو اعتبار الوقت ومعرفة المحافظة عليه إن كل عمل يحتاج إلى الوقت يقول الفرساوي : الوقت ذهب ولكن العرب يقول الوقت سيف قاطع ، فاذا عرف الانسان كيف يرتب اوقاته ويقسمها على اعماله وعرف كيف يستفيد من هذا القسم بلغ غاية النجاح في اشغاله ومعاملاته فيصير إذا ضرب ميعاداً يجد الوقت الكافي لإجازه وإذا ورده خطاب لا يتأخر في الرد عليه . قال امير المؤمنين عليه السلام كفى بالعلم شرفاً انه يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب إليه من ليس من أهله وكفى بالجهل خمولاً انه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه ، كل الناس يشكون من قلة ما لهم وليس من يشكو من ضعف عقله .

فالعلم كثير والوقت قصير فانه لو قضى الانسان جميع عمره في فن واحد لم يدرك قعره ولم يسبر غوره وقد نبهنا الله عز وجل على ذلك بقوله «الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب» وقال امير المؤمنين عليه السلام العلم كثير فخذوا من كل شىء أحسنه وقال الشاعر :

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولي ناظر العين

وقال بعض الحكماء في ذلك ان الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كانت ثمرتها يانعة . ويجب ان لا يخوض في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله بلغته ، قال الله تعالى «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أي لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماء و عملاً ويجب تقديم الأهم فالأهم وكثير من الناس نكلوا الوصول بتركهم الاصول و حق الطالب أن يكون قصده من كل علم يتحرأه لتبلغ به إلى ما فوقه حتى تبلغ النهاية و النهاية هي معرفة الله سبحانه فالعلوم كلها خدم لها و هي حرة فمعرفة أساسها .

الحكمة و الادب : يقولون ان عصرنا الحاضر هو عصر العلوم و لنا امتيازات لم تكن لاسلافنا فالعلم قد اطال الحياة و خفف الآلام و افنى الوبئة و زاد الارض خصباً و البحري هداية و أقام فوق الانهر الكبيرة بل الابحر الكثيرة جسوراً فخيمة بأشكال لم يحلم بها اجدادنا و ذلل الصاعقة و انزلها مخذولة و أنار الليل بسناء النهار بل أطال بصر الإنسان فصار يرى البعيد اقرب من جبل الوريد ، و العصور القديمة هي عصور الآداب فالامم القديمة كانت عظامية و زماننا هذا زمن عصامي بمقتضى رقي الذهن البشرى لان العقل العلمي ارقى من العقل الادبي .

نفس عصام سوّدت عصاماً . و علمته الكرك و الاقداما . و صيرته ملكاً هماما .
عصام كان حاجباً لنعمان بن منذر الذي حجب النابغة الذي انى عن عيادة النعمان
و قال النابغة في قصيدة :

فانى لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يعاصم

ويضرب المثل في نباهة الرجل من غير قديم وفي المثل أيضاً كن عصامياً لأعظامياً
مما يحكى عن الحجّاج انه دخل عليه رجل وصف عنده بالجهل و كانت له حاجة فقال الحجّاج في نفسه لاختبرنه ثم قال له حين دخل عليه أعصامياً أم عظامياً يريد أشرفت بنفسك أم بنسبك ، علوت بشخصك أم بحسبك ، فقال الرجل انى عصاميّ و عظاميّ فقال الحجّاج هذا أفضل الناس و قضى حاجته وزاده ومكث عنده مدّة ثم فاتشه فوجده أجهل الناس فقال له تصدقني و إلا قتلتك فقال له قل ما بدالك و أصدقك قال كيف أجبني بما أجبتم ما سألتك عما سألت قال له والله لأعلم أعصاميّ خير أم عظاميّ فخشيت أن أقول أحدهما فاخطى فقلت أقول كليهما فان ضررتني أحدهما فغني الآخر وكان الحجّاج ظنّ انه أراد أفتخر بنفسى لفضلي وبأبائى لشرفهم فقال الحجّاج «المقادير تصير العي خطيباً» فصارت مثلاً ولكن الدين الاسلامي قد جمع بين الادب والعلم والفلسفة كما جمع بين الزهد والشجاعة و بين التقوى والسياسة و التواضع والرياسة ولذا قيل سيّد القوم خادمهم و قال سيّدنا على أمير المؤمنين عليه السلام من أحسن الكفاية استحق الولاية . وهذا هو علم الاجتماع وأدب الاجتماع فانه لما كان الدين قبل كل شيء يصوغ

القلب الذي يستوعب اليقين والاخلاص ويتوجه إلى الله كما تتوجه الابرة المغناطيسية في البوصلة إلى قطبها الدائم فهي مهما اهتزت تستقر عنده .

وصلاح القلب يتطلب كذلك صلاحية الوسائل التي تبلغه اهدافه فالرجل المؤمن حقاً يجب أن ينبعث في مشاعره كلها عن قلب سليم حتى ينفذ التعاليم الجزئية في الشريعة بدقة وينفذ التعاليم الكلية يبصر سديد وادراك جيد وعمل القلب المدخول في الحياة هو عمل البوصلة الفاسدة في هداية الطريق أو القبله .

أدب الدنيا و الدين - ميزان الاسلام والمسلمين سيّدنا عليّ أمير المؤمنين الكمال قسمان علمي و عملي و الاول أفضل و أكمل لما تقرّر في محله من أنه أصل و لقوله عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة فهو عليه السلام المثل الكامل في الاسلام بلغ الغاية في الحكمتين ووصل إلى النهاية في الكمالين أمّا في الكمال العلمي بلغ إلى حدّ قال له النبي صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعليّ بابها - أي الطريق والمنهج الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يحصل إلا من جبهته عليه السلام وقوله عليه السلام قسمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطى عليّ عليه السلام تسعة والناس كلهم جزء واحد .

وللذوق الادبي أو الذوق الفني ملتقى بسيرته كملتقى الفكر والعاطفة فهو الحكيم الاديب له نهج في الأدب يحمله بلغاء العرب ويمدحه حتى من نصب ولا يعرف السبب يقول عباس عقاد في كتابه عبقرية الامام اتفق خصومه وأنصاره على بلاغته وعلمه وفطنته و أمّا في الكمال العملي أي العبادات البدنية العملية فقد أتى بها جميعها والعمل يدخل فيه العلم أيضاً فإنه عمل نفساني .

نعم كان ملاك الامر في اخلاق عليّ عليه السلام انه كان لا يتكلف إظهار شيء ، ولا يتكلف إخفاءه ، ولا يقبل التكلف حتى من مادحيه لقد افرط رجل في ثنائه فقال له « أنادون ما تقول وفوق ما في نفسك » .

و مما جئت بها نقلاً من احاديث النبوية في تفاسير بعض الآيات القرآنية و الأخبار الصحيحة في فضائل ايران والرجال الفارسية المأثورة من أئمتنا المعصومين عليهم السلام ولكن بقدر ان لاتجعلني من الشعوبية فإني مسلم قبل كل شيء ، ولا اکتف أنني .

ايراني و أفتخر بالاول و اباهي بالثاني و هذا أمر طبيعي لكل فرد في كل أمة تحتفظ بكرامتها و تحترس سمعتها .

بلاد بها نيظت علي تمانمي و أول أرض مس جلدی ترا بها

هنا رجال يحبون أن يتطهروا فأنني أفتخروا باهي بأنني من مملكة عارفة بشأن القرآن و الاسلام و علموا أن الدين كالعلم ليس له وطن بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء فأخذوا اللب اللباب من اولي الألباب فان لها معرفة بالبيت الرسول حملة القرآن سيما أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام الذي حبه دين و بغضه كفر .
عن عبادة قال كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبيطالب ^(١) فاذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا انه غير رشدة .

و عن جابر بن عبدالله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله بوروا أولادكم بحب علي بن أبي طالب فمن أحبه فاعلموا انه لرشدة و من ابغضه فاعلموا أنه لغيبة ^(٢) مملكة ايران و ان شئت قل مملكة علي بن أبيطالب مملكة فقهاء الاسلام و فلاسفة الاسلام و على ما قال ابن خلدون أكثر حملة العلم في الاسلام هم الايرانيون أصحاب صحاح الستة و كتب الاربعة فتلك عشرة كاملة قلت في مواضع هذا الكتاب لا اريد ان أقول كلمة يشم منها رائحة التفريق فالملوفون لهذه الكتب العشرة كلهم من ايران و قد نقلت في هذا مقاله الكاتب المصور و النقاش الشاعر في سيدنا علي عليه السلام مات ابن ابيطالب شهيد عظمته مات و في قلبه الشوق إلى ربه و لم يعرف العرب حقيقة مقامه و مقداره حتى قام بين جيرانهم الفرس اناس يدركون الفرق بين الجوهر و الحصى فلکم ايها الايرانيون و الفرس القدر المعلي و يكون لكم في خدمة الدين و المسلمين اليد الطولى ، أي مزينة من الله بها علي الاسلام و لم تكونوا لها من السابقين لاقتنائها .

(١) النهاية لابن الاثير .

(٢) في الصحاح يقال فلان لغيبة وهو نقيض قولك لرشدة و قال في النهاية يقال هذا ولد رشدة إذا كان لنكاح صحيح كما يقال في ضده ولد زنية ، لغيبة بفتح الغين المعجمة و كسرهما و تشديد المثناة من تحت مفتوحة و التاء أخيراً إذ اللفي خلاف الرشد و قوله لغير رشدة بفتح الراء و كسرهما قبل الشين المعجمة الساكنة ثم الدال المهملة المفتوحة و التاء أخيراً .

فيا ايها الفارسيون تذكروا اياديكم في العلم و انظروا إلى آثاركم في الاسلام
وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية . انتم بما سبق لكم
أحق الناس بالسعى في استرجاع ما كان لكم في فتوة الاسلام انتم أجدر المسلمين بوضع
اساس للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم و قوة عزائمكم أنظن هذا
الزمان أحسن وقت وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام اغتتموا الفرص فانها تمر مر السحاب
وقديماً قيل الوقت كثير بالتدبير وقصير بالتقصير .

فالأدب في العرب كان من مباحث الألفاظ وعند الفرس يطلق بجميع معنى الكلمة
فيشمل العلم و الحكمة كما قلنا و نقلنا عن صدر الاسلام و ملأ درجات فيما كتبت ما
يجب علمه على الناشئة و الطلبة و مزجت الملاء بالطين و العقل بالدين قال سيدنا أمير-
المؤمنين الأرواح تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة و قال الخليفة
الثاني علموهم وكفى والأدب اذا تجرد من الحكمة يكون اثمه أكبر من نفعه جعلت
الأدب سداً و الحكمة لحمته فهي الأولى و هو المحل الثاني .

و سميت هذا الكتاب بالحكمة و الأدب في الفرس و العرب و من الله المعونة و
التوفيق و إياه أستمد و به أستعين اهدنا الصراط المستقيم إنك جواد كريم ربنا اكشف
عنا العذاب إننا مؤمنون وقد وقع الفراغ من الطباعة في شهر ذي الحجة ١٣٨٤ .
لست خلون منه و ثلاث بقين من اسفند ١٣٣٥ .

محمد الباقر الحسيني السبزواري



فهرس الموضوعات و المباحث

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٩	درس في السياسة		مقدمه مؤلف
٦٥	مقالة بقلم ابن الطاوس	ج	اربعة كلمات تمهيدية
٦٧	وسائل الارتباط	ج	الاولى
٦٨	اللغات والإياعة	هـ	الثانية
٦٩	اثر الإياعة في الخطابة	و	الثالثة
٧٠	اثر الإياعة في الشعر	ح	الرابعة
٧١	دفاع وخطابة	١	خطبة من نهج البلاغة
٧٣	الحكم الشخصي	٣	اشعار في المناجات
٧٦	خطابة حربية	٥	الاسلام والتعليم العام
٧٨	الاسلام والتمدن	٨	طلب العلم فريضة
٧٦	تأثير المحيط في الأدب	١٠	تدوين العلم في الاسلام
٨٨	سقوط اندلس	١٥	خبر الصحيفة ونقضها
٩٠	دفاع والتجاء	٢٤	التربية والتعليم
٩٢	قال الشريف المرتضى	٢٧	تقدير العلم والعالم
٩٥	المحسن الكبير	٣٢	الانسان والاجتماع
٩٧	السعادة	٣٣	الفضل والفضيلة
١٠٠	الظلم في العدل	٣٨	من أحسن الكفاية
١٠٦	الحضارة	٣٩	حقوق الفرد والاجتماع

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٨	مكتبة قهنندز	١١٢	قصيدة لأبي الفتح البستي
٢١٠	إخبار العلماء	١١٤	الشخصية والعظمة
٢١١	ايران والعلم	١٢٠	باي ميزان وزن الحياة
٢١٣	ترجمة الأمثال الفارسية	١٣٠	طلاس (لست أدري)
٢٢٠	حملة العلم في الاسلام	١٣٤	الايمان والاعتماد
٢٢٣	شبه الجزيرة	١٣٩	الحرية طريقنا
٢٣٠	الرجل الكبير في الشرق	١٤٣	الأفانيّة وحب الذات
٢٣٨	الاسلام هو السلام	١٤٥	العقائد و الحقائق
٢٤١	لامية ابن الوردي	١٤٨	الاسلام و المسيحية
٢٤٣	الملوك و الممالك	١٥٦	الصحافة و الحرية
٢٥٦	ايات	١٥٩	المقالات الادبية
٢٦٢	الشعر و الكسب	١٦٣	الاسلام و الديمقراطية
٢٦٦	اطفال اليوم رجال الغد	١٦٦	رسول البابا و الغفران
٢٧٠	كتاب الغزالي جواباً	١٧٢	أشعة وظلمات
٢٧٣	عنوان البصري	١٧٥	الحكم و الامثال
٢٧٥	الجوانب القوية	١٧٥	بقدر الصعود
٢٧٩	شاعر الهند	١٧٩	اعرف نفسك
٢٨٢	المتنبى و مركب النقص	١٨٣	من لم يتخصص
٢٨٣	ابن اذينة	١٩١	فكاهة
٢٨٤	ابن بقيه الوزير	١٩٩	ماذا فعلوا
٢٨٥	ابن الانباري	١٩٩	قاعدة فرق تسد
٢٨٧	الاديب البيضاوري	٢٠٧	الابتسامه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٠٥	العصر الجاهلي	٢٩٠	عنتره و الجبل
٣٠٧	قصيدة زهير بن كعب	٢٩٢	ابو المطحجن
٣٠٨	بشر بن عوانة	٢٩٤	محمد بن صالح العلوي
٣١١	ختام	٢٩٥	الصداقه و الصديق
٣١٤	الجماهير كالأطفال	٣٠٤	سينية البحترى

تصحيح بعض الاغلاط المطبعية

الصفحة	السطر	الصحيح	الصفحة	السطر	الصحيح
١٥٦	١٨	العام	٣١	٩	الجمعتين
١٥٨	١	من	١١٤	٢٠	متقدتين
»	٦	و. زائد	١١٥	٢٢	وثيقة
»	١٤	يهيأوا	١٢٧	١١	نستطيع
١٥٩	٢	الى الدرّة	١٢٨	١٧	الشعثمين
٢١٩		في الهامش تقديم وتأخير	١٤٠	١٩	بلدة
		فالعدد الثاني للأول	١٤١	١٩	قال. زائد
		والأول للثاني	١٤٢	١٣	عوز
			١٤٢	٢١	ذو ضرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين، الظاهر
بعجائب تدبيره للناظرين، الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين، العالم بلا
اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد، المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير
الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار، ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه
نهار ليس ادراكه بالابصار، ولا علمه بالاخبار، واشهد انه عدل عدل، وحكم
فصل، بعث محمداً بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته، ومن طاعة
الشیطان الى طاعته، بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم ان جهلوه و
ليقروا به بعد ان جحدوه وليثبتوه بعد ان انكروه فتجلى سبحانه لهم في
كتابه من غير ان يكونوا راوه بما ارىهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، و
كيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنعقات، وانه سيأتي
عليكم من بعدى زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق، ولا اظهر من الباطل، ولا
اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من

الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ
 شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا اعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتَهُ وَتَنَاسَاهُ
 حَفِظْتَهُ فَالْكِتَابُ يَوْمُهُمْ وَأَهْلُهُ مِنْفِيَانِ طَرِيدَانِ وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقِ
 وَاحِدٍ لَا يُؤَوِّقِيهِمَا مَوْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَ أَفْيَرِهِمْ
 وَمَعَرِهِمْ وَلَيْسَ مَعَرِهِمْ، لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُؤَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ
 عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ أَمَامَهُمْ
 فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَهُ وَزَبْرَهُ وَمِنْ قَبْلِ مَا مَثَلُوا
 بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ، وَسَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةً
 السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ
 بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تَرُدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةَ وَتَرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةَ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةَ
 وَالنَّقْمَةَ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَابْصُرَ .

يا من يفكّ بذكره عقد التّوائب و الشّدائد
يا من إليه المَشْتَكِي و إليه امرُ الخلق عائد
يا حيُّ يا قيُّوم يا صمد تنزّه عن مضاد
أنت الرّقيب على العباد و أنت في الملكوت واحد
أنت المنزّه يا بديع الخلق عن ولد و والد
أنت العليم بما ابتليت به و أنت علىّ شاهد
إنّي دعوتك و الهموم جيوشها قلبي تطارد
فافرّج بحوك كرتبي يا من له حسن العوائد
فخفّى لطفك يستعان به على الزمن المعاند
أنت الميسّر و المسدّد و المسبّب و المساعد
سبّب لنا فرجا قريباً يا إلهي لا تباعد
كن راحمي فلقد ايست من الأقارب و الأبعد
ثمّ الصلوة على النبيّ و آله الغرّ الأماجد
عن أبي عبد الله عليه السلام قال يا مفضل لا يفلاح من لا يعقل ولا يعقل من لا يعلم و
سوف ينجب من يفهم و يظفر من يحلم و العلم جنة و الصدق عزّ و الجهل ذلّ و الفهم
مجد و الجود نجاح و حسن الخلق مجلبة للمودة و العالم بزمانه لا تهجم عليه اللّواسب
و الحزم مسائة الظن و بين المرء و الحكمة نعمة ، العالم و الجاهل شقيّ بينهما والله
وليّ من عرفه و عدوّ من تكلفه و العالم غفور و الجاهل ختور و إن شئت أن تكرم
فلن و إن شئت أن تهان فاخشن و من كرم اصله لأن قلبه و من خشن عنصره غلظ كبده
و من فرط تورط و من خاف العاقبة ثبتت عن التّوغل فيما لا يعلم و من هجم على أمر
بغير علم جدع أنف نفسه و من لم يعلم لم يفهم و من لم يفهم لم يسلم و من لم يسلم لم
يكرم و من لم يكرم يُهضم و من يُهضم كان ألوم و من كان كذلك كان احرى أن يندم ^(١) .

﴿ الاسلام والتعليم العام ﴾

إذا ارادت معظم امم الارض ان تدخل في دور التمدن والرقى يكفيها النظر في مستقبلها فقط و على العكس من ذلك الامّة الاسلاميه فانها مطالبة بان تمتد بنظرها إلى الماضي أيضاً فليس في الامم الاخرى في غابر ازمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . اما الامّة الاسلاميه فان اعوامها السالفة كلها عبرٌ وحسنات . رقي و نجاح .

و لما كانت الامّة الاسلاميه الحاضرة تمتاز على غيرها في هذا المبدء فلا بأس من ان نعيد نظرة إلى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم و انشاء المدارس .

بلاد الشريقية تعدُّ منبعاً للمعارف و مهداً للمدنية و هذا ما اعترف به كل من له امام ثقافي ثم انتقلت القراءة و الكتابة إلى ديار اليونان فظهرت فيها عدّة مجامع علمية كمدارس سقراط و افلاطون و ارسطو إلا ان هذه المدارس لم تكن على شكل مجامع العلمية اليوم بل كانت اشبه بمجالس المذاكره (سمنار) يختلف اليها الملوعون بالبحث و المناظرة واعني بذلك انها لم تكن عامّة للتدريس يهرع إليها كل طالب .

انتقلت المدينة اليونانية بعد ذلك إلى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك و علم الحقوق تقدماً عظيماً ولم تتنبه فيهم أيضاً فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار إلى أن قبض الله تعالى للعالم الانساني الامّة الاسلاميه التي اهتمت إلى هذه الفكرة لاوّل وهلة فاخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظّها من الانتشار و التوسع .

ومنشأ ذلك الاسلام نفسه لانه كما اتى بالتوحيد أتى بما يدعو إلى وجوب تعليم العام فلقد كان من مقتضى ذلك أن المسلمين بنواعند كل معبد تقام فيه الشعائر الاسلاميه كتاباً او مدرسة للتعليم العام مجاناً فاصبح التعليم العام المجاني من جملة الخيرات التي انتجتها المدينة الاسلاميه في العالم الانساني .

ثم لم تلبث هذه النعمة العظمى في أيدي المسلمين زمناً طويلاً حتى انتقلت منهم

إلى الامم الغربية و هناك نالت ما نالته من الحفاوة و الاجلال فتقدّمت تقدماً باهراً و انتشرت انتشاراً عظيماً فوا اسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا و يحسرتاه على ذلك الاهمال الذي افضى بنا إلى ضياع هذه النعمة من ايدينا بعد ان ورتناها عن آبائنا لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لا مزيد عليه فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها و لم نعمل على رشدها و انمائها بل المدارس و المعاهد العلمية التي هي تذاكر المتقدّمين لنا لم نسع في ترقيتها فبدل ان نعملها و نرفع اعلام مجدها السابق سعينا في تخريبها أو هدمها ان تلك المعاهد العلمية نشاء منها امثال ابن سينا و الفارابي و ابن رشد و الغزالي و محيي الدين و الفخر الرازي و الطوسي اصبحت منذ عدة قرون دوراً للعجز الضعفاء و مسكناً للمعطلين و لم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكاثر و الاهمال الذي اسبل ستار الغفلة علينا و حال دون تنبّهنا إلى حالة الامم الاخرى .

اما الآن فقد اقبل و لله الحمد - على الامة الاسلامية دور التيقظ فاخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلامية فاصبحنا نسمع صدى بعض الافراد و الحكومات للتفكير في شؤون التعليم و لكن لم يبلغ الخطة المطلوبة نحن معشر المسلمين منذ تسعة قرون قد تركنا لاروبا غنائم كثيرة و خزائن من المعارف و كنت ارى بعيني في سفرى بامير كلوارو باقبل تسع سنين كثيراً من كتبنا و كانت مصاحفنا في متاحفهم و لم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها الينا : و لكن قدحان الآن وقت الاعادة فعلياً ان نستردها منهم و ليست هذه الكلمات من بنات افكارى الخاصة بل قال مستر فانديك في بيروت حين افتتح الكلية الطبية هذه بضاعتكم قدردت اليكم وقال الدكتور ميسر الالماني قدردتها اليكم كما اخذنا منكم و عنكم .

فكما ان قوة النطق اساس لكل ما رقى الانسان إلى منزلة عظيمة في العالم فاستنباط فن الكتابة لم يكن اقل منها شأناً في رفعه إلى رتبة اسمى في مدار العقل لان الكتب عبارة عن تسجيل ما حصله الجيل الراحل من المعرفة لمنفعة الجيل التابع حتى انه مع توالى الاجيال اجتمعت لنا كنوز من الحكمة لا نعرف لها عدداً او ثمناً فهي لدينا الآن و لكل من يطلبها تركة و رثناها من سلف لم يورث شيئاً يضاهاها و

كان فن الكتابة في اول الامر عند المصريين القدماء على غاية ما يكون من البساطة لانه لم يتجاوز صورة الشيء لاسمه كصورة الرجل لاسم الرجل و صورة الاسد لكلمة الاسد ثم انتقلوا خطوة نحو الأبدية بأن جعلوا صورة الماء عبارة عن حرف الميم لانه اول حرف يتلفظ به . و اول عهد هذه الكتابة المعروفة بالهير و غلفية غامض ربما استقصى إلى اكثر من خمسة الاف سنة قبل التاريخ المسيحي و بعد ذلك أخذوا عنها ما يسهل كتابتها فافتضوها حتى صارت حروفا على نوعين أحدهما للكهننة و الاخر للعامة و بقي الامر كذلك إلى ما بعد المسيح . و أما الاشوريون المعاصرون للمصريين في القدم و التاريخ فكانت كتابتهم في اول الامر بتصوير الاشياء ثم نقلوها إلى الحروف المعروفة بالمسمارية التي اقدمها منقوش على ختم للملك سرغون قيل انه كان منذ ٣٧٥٤ ق م و كان المصريون ينقشون على الصخور ما ارادوه او يكتبون على قراطيس مصنوعة من ساق و هو البايروس الذي أخذ عنه الافرنج كلمة القرطاس بلغتهم و كانت كتابة الاشوريين غالباً على اللبن او الاجر الذي بقى منه إلى الان عدد لا يحصى مجموع في دور العاديات اى الاثار القديمة .

ولما بلغت اللغة منزلة الكتابة قامت المدارس لتعليمها و تدريس مبادئ العلم البسيطة ثم لما ارتقى شأن العمران و الفنون ارتقى شأن المدارس أيضاً حتى صار عدد الكليات منها في مصر اربع تربى فيها اولاد الملوك و الامراء والاغنياء و قيل موسى الذى تبنته امرأة فرعون وقصدها علماء اليونانين كأفلاطون و زنفون المؤرخ لينتفعوا بما كان تلقيه الكهننة من الدروس على الطلبة فقامت الصنایع و شادوا الاهرام الراسخة إلى الان كما كانت منذ الوف السنين و الهياكل العظيمة كهيكل رامون رافى الاقصر الذى قال فيه أحد كبار العلماء أنه لم يشد مثله أبداً شيء عظيم لعبادة الله والمدافن العجيبة التي تخترق بطون التلال إلى مسافة مآت من الأقدام و فيها من زخرفة التصوير و النقش ما يحير الالباب و يقف الانسان مندهشاً عندها من متانة البناء و جمال الصناعة و ما اقتضته من ارتفاع العلوم الدقيقة كالحساب و الهندسة والطبيعات و كان اكثر العلم و التعليم في تلك الاجيال القديمة الخالية محصور في الكهننة على طبقاتهم كما انحصر في

القرون الوسطى في خدمة الدين المسيحي .

و اما حروف الكتابة المصطلح عليها الآن فذهب بعض المحققين إلى أن أكثرها مأخوذ عن الفينقيين فحملوها في اسفارهم البحرية الى اماكن بعيدة فاذا صح ذلك حق لكثيرين منهم الافتخار فانهم من نسل قوم سادوا البحر و التجارة زمناً طويلاً قبل التاريخ المسيحي و مملكتهم الصغيرة لا تتجاوز الشطوط الواقعة بين طرطوس و ارواد شمالاً و سوريا جنوباً فكانت بيروت من مدنهم القليلة العدد العظيمة الشأن في فن الابحار و في الصنایع و التجارة و الغنى الذي لم يكن له مثل في ذلك الزمان و كما نشأ من قوة النطق في الانسان فن الكتابة الذي سجل علوم الأ و لى و الآخرين وادخرها و صانها من البلاء المشار إليه في المثل السائر كل علم ليس في القرطاس ضاع و قال النبي ﷺ قِيدُوا الْعِلْمَ قِيلَ وَمَا تَقْمِيدهُ قَالَ ﷺ قِيدُوهُ بِالْكِتَابَةِ . و قال الصادق عليه السلام للمفضل اكتب و بث علمك في اخوانك فان مت فأورث كتبك بنيك فانه سيأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم .

نعم نرى المسلمين اليوم تنبها بعض التنبيه في الاقطار الاسلامية عموماً و البلاد العربية خصوصاً و المملكة الإيرانية بالأخص ، و هب فضلاً و هم لانشاء الصحف و الجرايد التي لها اثر عظيم في الارشاد الى الخير و الصلاح و نسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية و علمية هذه علائم خير تقرر بها عين كل ناصح للانسانية و لكن لا يجوز لنا ان نتجزىء بهذه العلائم و نكتفى بمقدمات رجائية ثم نخلد الى ارض الدعة و الكسل فال مستقبل الحسن لمن يدأب و يعمل فان حالتنا ليست مكتومة على احد و لا يجوز لانفسنا التجاهل لان ذلك عين الخطاء بل هو جناية عظيمة على نفوسنا .

يحق لنا ان نجاهر في كل ناد و نسعى لتشخيص الداء حتى نصف له الدواء هل من رأى ان يكتم الانسان مرضه اذا لم يكن عدو نفسه فليست مغبة الكتمان إلا الهلاك لا تياسوا و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فاستعداد الامة الاسلامية للمدنية قد ثبت بحكم تاريخنا اللامع فالدين الاسلامي دين يخاطب العقل و يحث على العمل و ينيط نجاح الانسان بعمله و لكن سيرتنا تخالف هذه الاصول

الكريمة الدينية مخالفة ظاهرة وهذا ما حدّرنا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله الله في القرآن لا تنبذوه وراء ظهوركم ولا يسيبقنكم بالعمل به غيركم قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فالإسلام دين العقل والعلم دين الدليل والبرهان دين الفطرة والفكرة وبكلمة واحدة يأمرنا بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة .

ناهيك ديناً يدعونا للحياة ويقول الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ديناً جامعاً لسعادة الدنيا والآخرة والمادية والادبية ويخاطب الانسانية والبشرية لاشرقية ولاغربية لاغريية ولاعجمية يا ايها الناس إننا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله أتقاكم ديناً يكون اول ما يرى من كتبه العلمية العقل وفي كتبه العملية الطهارة ديناً يقول نبيه الاعظم

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة و يقول اطلبوا العلم من المهد الى اللحد و يقول اطلبوا العلم ولو بالصين

أعلم ان العلم عبارة عن حضور الصورة المجردة عن المواد والاجسام عندالعقل ولا شك ان أشرف الممكنت و اعلاها وأنورها هو الموجود الذي لا تعلق له بالأمر الجسمانية وقد تقرّر في علم النفس أن النفس في أول الفطرة أمر بالقوة في باب العقل والمعقول كاليولي التي لا صورة لها في ذاتها في باب الحسّ والمحسوس فاذا ادركت أو ايل العلوم والضروريات حصل لها استعداد ادراك النظريات و صارت عقلاً بملكة ثم إذا تكررت منه الأفكار والأظان فصارت باسراق النور العقلي على ذاتها من المبدء الأعلى عقلاً بالفعل وعاقلة ومعقولة فيصير وجودها وجوداً آخر عقلياً بعدما كان وجودها وجوداً حسياً حيوانياً فتكون أحدسكان عالم الجبروت بعد ما كان أحدسكان عالم الأدنى ، فأى فضيلة و كمال أشرف و أعلى من فضيلة العلم و كماله الذي يجعل الأموات احياء والظلمات أنواراً ولا يستوى الظل و الحرور ولا الظلمات والنور هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ، تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا

العلم درجات، وقال النبي ﷺ الأ نبياء قادة والعلماء سادة ومجالستهم عبادة وقال ﷺ يا علي نوم العالم أفضل من عبادة العابد ، يا علي ركعتان يصلِّيهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلِّيها العابد ، يا علي لا فقر أشد من الجهل ولا عبادة مثل التفكّر .

وقال سيّدنا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أيّها النّاس اعلّموا ان كمال الدّين طلب العلم والعمل به ألا وان طلب العلم أو جب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم و العلم مخزون عند أهله وقد ا مرتم بطلبه من أهله فاطلبوه من أهله ، و قال أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد .

وقال الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة جمع الله النّاس في صعيد واحد و وضعت الموازين فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرّجج مداد العلماء على دماء الشهداء . وقال ﷺ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن الثّلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له .

والذي يهمنّا تعيين العلم الذي وقع في قوله طلب العلم فريضة فاختلّفوا فيه اختلافاً وتحزّبوا فيه احزاباً حاصله ان كلّ فريق نزل الوجود على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام ان به يدرك التوحيد و يعلم ذات الله و صفاته و الفقهاء يقولون هو علم الفقه ان به يعرف العبادات والحلال والحرام و كيفة المعاملات وما يحرم منها وما يحلّ . وقال المفسرون والمحدّثون هو علم الكتاب والسنة ان بهما يتوصّل إلى العلوم كلّها وقالت المتصوّفة المراد به هو التّصوّف و علم السّلك والشهود .

قال صدر المتألّهين التحقيق في هذا المقام ان لفظ العلم كلفظ الوجود من الالفاظ المشكّكة وهو الذي له معنى واحد مشترك متفاوت الحصول كمالاً و نقصاً و شدةً و ضعفاً ولا شبهة في أنّه شيء يستكمل به الإنسان و يحتاج إليه معرفة نفسه و ربّه و أنبيائه و رسله و حججه و آياته و معرفة العمل بما يسعده و يقرّ به إلى الله و يخلصه من الشقاوة و البعد عن الله فكلّ ما حصل له شيء من العلم و جب عليه مرتبة اخرى فوقه ولا حد له يقف عنده ان مراتب القرب و منازل الوصول غير متناهية و لهذا قال اعلم الخلائق رب

زدني علماً ، فعلى هذا كان معنى الحديث ان طلب جنس العلم وطبيعته واجب على كل مسلم سواء كان المسلم جاهلاً أو عاملاً ناقصاً أو كاملاً اعنى بالنسبة إلى من دونه وإلا فلا حد لكمال العلم وهذا ما قاله الغزالي في الاحياء تقريباً ويدل على تحقيق قولهما اطلبوا العلم من المهدي إلى اللحد .

تدوين العلم في الاسلام :

إن الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على بعده عن اذهان كثير منّا لهذا العهد هو تصدي بعض الباحثين لتطريق الوهن و التجريح إلى العلوم التي وصلت اليها من اسلافنا في الصدر الاول كالحديث و آداب اللغة العربية و التاريخ فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني و الثالث و ان الاخبار التي تتلقى بالرواية مدة قرنين ثم تكتب بعد ذلك الامد الطويل قلما يوثق بسلامتها من التحريف و التبديل وذلك قياس لأخبار العرب على غيرها من الامم الاخرى التي لم تكتب صحيحة في حينها و انما كتبت بعد مرور زمن طويل او قصر عليها مشوهة بأفة التبديل و التحريف فسقط اعتبارها على ظنهم في التاريخ و هذا الزعم بالنسبة اليها مردود من وجهين الاول ما عرف من العرب من اتقان الحفظ و الرواية و كونهم مطبوعين على ذلك .

و الوجه الثاني ثبوت التدوين و كتابة الاخبار في الاسلام من اوائل القرن الاول اى من عهد صاحب الرسالة و ثبوت عناية المسلمين بالكتب و العلوم عن ابن مسعود جاء رجل الى فاطمة بنت رسول الله و قال علميني مما علمك ابوك رسول الله فقالت لجاريته هات تلك الجريدة فقالت ما رأيت جريدة فقد كنت البيت كلها فقالت و يلك اطلبها فانها تعدل عندي حسناً و حسيناً فذهبت و وجدت في المكتبة فجاءت بها مكتوب عليها قال محمد النبي ﷺ ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه و من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر فلا يؤذى جاره (١) .

بيان الوجه الاول ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الفطرة إن لم يشاهد

(١) كبريت الاحمر نقلا عن ج ٣ مستدرك الوسائل وفي الكافي مع تغيير يسير .

ان الانسان اذا فقد اداة من قواه العاقلة او مشاعره قويت فيه اداة اخرى فضعيف الذكرة يكون قوي التفكير بحكم الحاجة إلى استحضار صور المعلومات التي تغيب عن حفظه. وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك والعرب لما كانوا امة اُمّية قليلة العناية بالكتابة التي هي من ادوات الحضارة استعاضوا عنها لاستبقاء أخبارهم و تداولها بقوة الحفظ فمروا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملكة لا يحتاج صاحبها إلى تكلف عناء في حفظ ما يرد على سمعه من الأخبار والأشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف ، ولذلك كانت أخبار العرب و اشعارهم التي وصلت إلينا إلى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرأوية حتى قالوا ان الشعر ديوان العرب ثم قيّدوها بالكتب في العصر الأوّل وما بعده و كانوا عباقرة الادب ينشدون عدة قصائد على قافية واحدة لعدة شعراء بلغ الحفظ مبلغاً ان بابكر الخوارزمي جاء عندا لصاحب ابن عباد فقال للحاجب استأذن لي من صاحبك وقل للصاحب على الباب أحد الادباء فدخل الحاجب و أعلمه فقال صاحب قل له قد الزمت على نفسي أن لا يدخل علي من الادباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب و اعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا القدر من شعر الرّجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب و أعاد عليه ما قال فقال الصّاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له فدخل عليه فعرّفه و انبسط له و نقره من أخبار حماد الرّأوية من قوّة الحافظة ما لا تقدر بيانها اللفظة و كان عبدالله بن عباس يحفظ القصيدة الطويلة بسماعها مرة واحدة وها انا ذا أورد لك ايها القارى خبيراً من اخباره في الحفظ يستدعي اعجابك بذلك الرجل الجليل الذي كان يستوعب ذهنه من شرايع الاسلام و اخبار العرب و غيرهم ما لا تستوعبه مكتبة من المكتبات الضخام .

قال ابو الفرج الاصفهاني في الأغاني بينا ابن عباس في المسجد الحرام و عنده نافع ابن الازرق و ناس من الخوارج إذ أقبل عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين او ممصرين حتى دخل و جلس فاستنشه ابن عباس فانشده قصيدة .

أمن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال الله يا بن عباس انا ضرب اليك أكباد الإبل من اقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتثاقل و يأتيك مترف من مترفى قريش فينشدك .

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى و أما بالعشى فيخسر

فقال له ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى و أما بالعشى فيخصر

فقال ما اراك إلا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل و ان شئت انشدك القصيدة كلها . قال فأنى أشاء ، فانشده القصيدة حتى أتى على آخرها .

فانظروا إلى هذا الذكاء العظيم الذي اختص به اولئك القوم حتى لقد بلغ من ثقتهم بقوة الحفظ و الرواية ان كانوا لا يتقون بخبر مكتوب إلا إذا كان معرّزاً بالسند و الرواية .

ولما أخذ العلماء بتدوين الأخبار النبوية و اخبار الصحابة ثم تاريخ الخلفاء دونوا هذه الاخبار مدعومة بالرواية و لم يكتفوا بقيدها في الصحف مجردة عن الاسانيد خوف دخول التحريف او التصحيف عليها واطمئنا للرواية المعروفة بالسند المستوفية لشروط الصحة على المعروف عند المحدثين ولعل الذي ذهب إلى الظن بعدم تدوين الاخبار إلا بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد مادون قبل ذلك لفقدته لحسن التنسيق و الجمع و شروط الصحة عند المؤلفين لا سيما من جهة الترتيب و التخصيص الذي يروق اهل العصر الثاني و يناسب حالة الرقى في التمدن و الحضارة هذا بيان الوجه الاول و اما الوجه الثاني و هو ثبوت التدوين و كتابة الاخبار في الاسلام في اوائل القرن الاول فالادلة عليه كثيرة في ثنايا الكتب و تفاريق السطور و تشتتها لا يمنعنا ان نجتزء هنا بالقليل المقنع الذي وسعنا جمعه ولكن بعد ان اقدم بين يدي ذلك مقدمة قصيره و لا يغرنك قول ابن خلدون فسوف تتكلم فيه إذا قيل ان العرب امة امية فلها ثلاث معان احدها الامية بمعنى التي لا تقرأ و لا تكتب فإذا كان المراد عدم القراءة و الكتابة فليس على اطلاقه بل ربما اطلق هذا الوصف

على الاعراب اى عرب البادية فالحكم للاغلب الاعم لا للمتحضرة و سكان المدن و ارباب الدول البائدة والملل المتمدنة كسكان اليمن و مدن نجد و حجاز و العراق و الجزيرة و اطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة و مجد قبل الاسلام كالتبابعة و المناذرة و الحوادث الذين منهم ملوك تدمر في شرق سوريا الذين تنسب اليهم الزباء (زنوبيا) و زوجها اذينة (اوزينوس) كما تسميه الغريون و منهم ملوك آل غسان فهؤلاء الشعوب لا يجوز ان يطلق عليهم وصف الامية بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه و انما غموض تاريخهم و طموس آثارهم اضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلاً مما وقف عليه الباحثون من الآثار الكتابية للحميريين في اليمن و الكتابات النبطية في شمال الحجاز فالاعتبار اليوم بما سطر في كتاب الكون و ستر علينا و تتبع هذه الآثار يكشف الستار عن وجه الحقيقة و ما يقرء في بعض الزبر و ليس له بيئنة فلاعتداه به و حسبك شاهداً على ان الامية ليست مطلقة ولا يجوز ان تكون صفة العرب ما كان موجوداً من كتب اهل الحيرة الى اوائل القرن الثالث الهجرى على ما قال هشام بن محمد بن السائب الكلبى في كتاب الأ نساب و هو ، اني كنت استخرج أخبار العرب و انسابهم و انساب آل نصر بن ربيعة و مبالغ اعمار من ولي منهم لآل كسرى و تاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة .

اما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبل البعثة انها كانت موجودة يدل عليه كتابة المعلقات السبع التي كانت على الكعبة و الصحيفة التي تعاقدت فيها الشيوخ و صناديد قريش على رد الحقوق و انصاف المظلوم و هي اشبه بما نسميه اليوم باسم الحزب و قد كتب النبي اسمه الشريف و صار عضواً عاملاً مؤثراً فيهم كما قال **عليه السلام** بعد بعثته و زمان دعوته ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزد الاشدّة و قال **عليه السلام** لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لأجبت قال ابن هشام تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان لشرفه و سنه فكان حلفهم عنده بنوهاشم و بنو المطلب و اسد بن عبد العزى و زهرة بن كلاب و تيم بن مرة فتعاقدوا و تعاهدوا

على ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها و غيرهم ممن دخلها من ساير الناس إلا قاموا معه و كانوا علي من ظلمه حتي ترد عليه مظلّمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

سمى بذلك لانهم تحالفوا أن تردّ الفضول على اهلها وان لا يغزو و ظالم مظلوماً و كان قبل البعث بعشرين سنة و كان اكرم حلف و أشرفه و اول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب و كان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشترها منه العاصي بن وائل و كان ذا قدر بمكة و شرف فحبس عنه حقّه فاستعدى عليه الزبيدي الأجلاف ، عبد الدار و مخزوما و جمح و سهماً و عدى بن كعب فأبوا ان يعينوه على العاصي و زبروه فلما رأى الزبيدي الشرّ أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس و قريش في انديتهم حول الكعبة فصاح با على صوته .

يا آل فهر لمظلوم بضاعته	بمطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته	ياللرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته	ولا حرام ثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب و قال ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم و زهرة و تميم بن مرة في دار ابن جدعان و تعاقدوا و كان حلف الفضول و أنصفوا الزبيدي من العاصي .

و يذكرون في سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم ان جرهما في الزمن الاول قد سبقت قريشاً إلى مثل هذا الحلف فتحالف منهم ثلاثة احدهم الفضل بن فضالة و الثاني الفضل بن وداعة و الثالث فضيل بن الحارث وقيل بلهم الفضيل بن شراعة و الفضل بن وداعة و الفضل بن قضاة فلما اشبه حلف قريش هذا حلف هؤلاء الجرهميين سمي حلف الفضول .

و بهذه المناسبة نقل ابن هشام أنه كان بين الحسين بن علي بن ابيطالب عليه السلام و بين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . و الوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية - مناذعة في مال كان بينهما بذى امرورة فكان الوليد تحامل على الحسين عليه السلام في

حقه لسلطانه فقال له الحسين عليه السلام أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لا خذني سيفي ثم لا قومني في مسجد رسول الله ﷺ ثم لا دعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد . و انا احلف بالله لئن دعا به لاخذني سيفي ثم لا قومني معه حتى ينصف من حقه او نموت جميعاً قال فبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك و بلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد ابن عتبة أنصف الحسين ﷺ من حقه .

خبر الصحيفة و نقضها قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً اصابوا به اماناً و قراراً و ان النجاشي قد منع من لجاؤ إليه منهم و جعل الاسلام يفسو في القبائل اجتمعوا و ائتمروا بينهم ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه علي بنبي هاشم و بني عبد المطلب علي ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا و توافقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم . وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف قال ابن هشام ويقال النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله ﷺ فثقل بعض اصابعه قال ابن اسحاق فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبة و اجتمعوا إليه و خرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى إلى قريش فظاهرهم فلما اجتمعت على ذلك قريش و صنعوا ما صنعوا قال أبو طالب ﷺ .

لؤيًّا و خصًّا من لؤي بني كعب
 نبياً كموسى خط في أول الكتب
 ولا خير ممن خصه الله بالحب
 لكم كائن نحساً كراغية السقب
 و يصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
 او اصرنا بعد المودّة و القرب
 امر على من زاقه جلب الحرب

ألا أبلغا عني على ذات بيننا
 ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً
 و أن عليه في العباد محبة
 و إن الذي ألصقتم من كتابكم
 أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
 ولا تتبعوا أمر الوشاة و تقطعوا
 و تستجلبوا حرباً عواناً و ربما

فلسنا و ربّ البيت نسلماً احمداً
 و لما تبين منا و منكم سوائف
 بمعترك ضيق ترى كسر القنا
 كأنّ مجال الخيل في حجراته
 أليس أبونا هاشم شدّه أزره
 و لسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا
 ولكننا أهل الحفاظ و النهي
 لعزاء من عضّ الزمان ولا كرب
 و أيدٍ أترت بالقساسة الشهب
 به والنسور الطّخّم يعكفن كالشرب
 و معمعة الابطال معركة الحرب
 و أوصى بنيه بالطّعان و بالضرب
 ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب
 إذا طار أرواح الكمّاة من الرعب

و أقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتّى جهدوا لا يصل إليهم شيء الا سترأ
 مستخفياً به من أراد صلّتهم من قريش قال ابن اسحق و بنو هاشم و بنو المطّلب في منزلهم
 الَّذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصّحيفة التي كتبوها ، ثمّ أنّه قام في نقض تلك
 الصّحيفة التي تكاتب فيها قريش على بني هاشم و بني المطّلب نفر من قريش ولم يبل
 فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة وذلك أنّه كان ابن أخي نضيلة بن
 هاشم بن عبدمناف لأمّه فكان هشام لبني هاشم واصلوا و كان ذا شرف في قومه فكان فيما
 بلغني يأتي بالبعير و بنو هاشم و بنو المطّلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً حتّى إذا
 أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثمّ ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثمّ
 يأتي به قد أوقره بزاً أو برأً فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن اسحق ثمّ أنّه مشى إلى زهير بن أبي امية بن المغيرة و كانت امه عاتكة
 بنت عبد المطّلب فقال يا زهير أقدر رضيت ان تأكل الطعام و تلبس الثياب و تنكح النساء
 و اخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم أما
 إنّي أحلف بالله ان لو كانوا اخوال أبي الحكم بن هشام ثمّ دعوته إلى مثل مادعاك إليه
 منهم ما أجابك إليه أبداً قال و يحك يا هشام فما ذا اصنع ؟ انما أنا رجل واحد والله
 ان لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها حتّى أنقضها : قال قد وجدت رجلاً قال فمن
 هو قال : أنا ، قال له زهير أبغنا رجلاً ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له : يا مطعم
 أقدر رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف و أنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه

اما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا ، قال ويحك فماذا أصنع
 إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانياً قال من هو ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثاً ، قال
 قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبي امية . قال أبغنا رابعاً - فذهب إلى أبي
 البخري بن هشام فقال له نحواً ممّا قال للمطعم بن عدي فقال : وهل من احد يعين على
 هذا قال نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي امية و المطعم بن عدي و أنا معك قال
 أبغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلّمه ، وذكر له قرابتهم
 و حقهم فقال له وهل لك على هذا الامر الذي تدعوني إليه من أحد قال نعم ثمّ سمى
 له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا باعلى مكة فاجتمعوا هنا لك فاجمعوا أمرهم و
 تعاقدوا على القيام في أمر الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أول من
 يتكلّم فلما أصبحوا غدوا إلى انديتهم وغدا زهير بن أبي امية عليه حلّة فطاف بالبيت
 سبعاً . ثمّ أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام و نلبس الثياب و بنو هاشم
 هلكنى لا يباع ولا يبتاع منهم و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال
 أبو جهل . وكان في ناحية المسجد . كذبت و الله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود أنت
 والله أكذب . مارضينا كتابها حيث كتبت قال أبو البخري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب
 فيها ولا نقرّ به ، قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله
 منها ، و ممّا كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو و نحواً من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قد
 قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان و أبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم
 إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم) .

قال ابن هشام وذكر بعض أهل العلم إن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب ياعم
 إن ربى الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها إسماً هو لله إلا أثبتته
 فيها و نفت منها الظلم و القطيعة والبهتان . فقال : أربك أخبرك بهذا قال نعم قال :
 فوالله ما يدخل عليك أحد ثمّ خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش ان ابن أخي أخبرني
 بكذا وكذا فهلّم صحيفتكم فان كان كما قال ابن أخي فاتهوا عن قطيعتنا ، و انزلو عمّا
 فيها وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي فقال القوم رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ثمّ

نظروا فانها هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرّاً فعند ذلك صنع الرّهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا قال ابن اسحاق فلما مزقت الصحيفة و بطل ما فيها قال ابو طالب فيما كان من أمر اولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم .

الاهل أتى بحرينا صنع ربنا
علي نأيرهم و الله بالناس أروء
و أن كل ما لم يرضه الله مفسد
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت

هذا وقد ذكر سيدنا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام حاله يومئذ فقال في خطبة له مشهورة (١) .

فتعقدوا ألا يعاملونا ولا يناكحونا وأوقدت الحرب علينا نيرانها واضطربونا إلى جبل وعر مؤمننا يرجوا الثواب و كافرنا يحامى عن الأصل و لقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم و قطعوا عنهم المارة و الميرة فكانوا يتوقعون الموت جوعاً صباحاً و مساءً لا يرون وجهاً ولا فرجاً قد اضمحلّ عزمهم و انقطع رجاءهم ، قال ابن أبي الحديد نقلاً عن استاذة أبي جعفر النقيب بعد نقله كلام الجاحظ ان قال .

و كان أبو بكر من المقتونين المعضد بين بمكة قبل الهجرة فضر به نوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية مرتين حتى أدماه و شده مع طلحة بن عبيد الله في قرن و جعلهما في الهاجرة عمير بن عثمان بن مرة بن كعب بن سعد و لذلك كانا يدعيان القرينين و لو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً و بلوغ منزله شديداً و لو كان يوماً واحداً لكان عظيماً و عليّ بن أبي طالب رافه و ادع ليس بمطلوب و لا طالب ! قال شيخنا أبو جعفر النقيب أما القول ممكن و الدعوى سهلة سيّما عليّ مثل الجاحظ فإنه ليس عليّ لسانه من دينه و عقله رقيب و هو من دعوى الباطل غير بعيد فمعناه نزر و قوله لغو و مطلبه سجع و كلامه لعب و لهو يقول الشيء و خلافه و يحسن القول و ضده ليس له من نفسه و اعظ و لا لدعواه حدّ قائم و إلا فكيف تجاسر عليّ القول بان عليّاً حينئذ لم يكن مطلوباً و لا طالباً و قد بيّنا بالأخبار الصحيحة و الحديث المرفوع المسند إنّه كان يوم اسلم بالغاً كاملاً منابذاً بلسانه و قلبه لمشركي قريش ثقيلاً عليّ قلوبهم و هو المخصوص دون أبي بكر

(١) قال ابن ابي الحديد جاء بعض هذه العبارات في كتاب له عليه السلام إلى معاوية فأراد قومنا قتل نبينا و اجتياح أصلنا و هموا بنا الهوموم و فعلوا اه .

بالحصار في الشعب و صاحب الخلوات برسول الله ﷺ في تلك الظلمات المتجرع
 لغص المرار من أبي لهب و أبي جهل و غيرهما والمصطلي لكل مكروه و الشريك
 لنبيه في كل أذى قد نهض بالحمل الثقيل و بان بالأمر الجليل و من الذي كان
 يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق يخفي نفسه و يضائل شخصه حتى يأتي إلى
 من بيعته إليه أبو طالب من كبراء قريش كمطعم بن عددي و غيره فيحمل لبني هاشم
 على ظهره اعدال الدقيق و القمح وهو على اشد خوف من أعدائهم لوظفروا به لأرقوا
 دمه ، أعلي كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب ام أبو بكر إلى أن يقول :
 فأما قوله ان أبا بكر عذب بمكة فإننا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلا بعد
 او عسيف أو لمن لاعشيرة له تمنعه فانتم في أبي بكر بين أمرين تارة تجعلونه دخيلاً
 ساقطاً و هجيناً زليلاً مستضعفاً زليلاً و تارة تجعلونه رئيساً متبعاً و كبيراً مطاعاً فاعتمدوا
 على أحد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لا نفسكم ولو كان الفضل في القننة و
 العذاب لكان عمارة و خباب و بلال و كل معذب بمكة أفضل من أبي بكر لأنهم
 كانوا من العذاب في أكثر مما كان فيه و نزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله
 تعالى « و الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا » قالوا نزلت في خباب و بلال و نزل
 في عمارة قوله ، إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان ، وكان رسول الله ﷺ يمر على عمارة
 و أبيه و أمه وهم يعدون فيقول صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة و كان بلال
 يقلب على الرمضاء و هو يقول « أحد أحد » وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك
 ذكراً و لقد كان لعلي عليه السلام عنده يدغراء إن صح ما رويتموه في تعذيبه لأنه قتل نوفل
 ابن خويلد و عمير بن عثمان يوم بدر ، ضرب نوفلاً فقطع ساقه فقال اذكرك الله و الرحم
 فقال قد قطع الله كل رحم و صهر إلا من كان تابعاً لمحمد ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه
 و صمد لعمر بن عثمان التميمي فوجده يروم الهرب و قد ارتج عليه المسلك فضربه
 على شرا سيف صدره فسار نصفه الأعلى بين رجله و ليس ان أبا بكر لم يطلب بثاره
 منهما و يجتهد لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل علي عليه السلام فإن علي عليه السلام بفعله دونه
 إن أبا طالب كان رئيس قريش و سيدهم و كانوا يسمونه الشيخ فاذا جاءهم أمر لم يتجاوزوا

عنه ويقولوا فيه ينظر ما يقول الشيخ . قلَّ أن يسود فقير وساداً بوطالب وهو فقير لامال له واخصَّ وتشرَّف بكفالة النبي ﷺ وحمايته من ذؤبان العرب وجهال قريش و طواغيتها فلما نزلت فاصدع بما تؤمر جعل يصدع بأوامر الله ونواهيه في مكة و نواحيها بين الجاهلية و صناديد القوم طول حيوة أبي طالب ولم يخف منهم لمكان عمه ومقامه . و كان أبوطالب مسلماً موحداً مصداً برسالة النبي ﷺ وقد أُوذي كثيراً في نصره رسول الله لا ينكره أحد وقد صرَّح ونطق بذلك وفي أشعاره إشعار بايمانه ولقد علمت بأنَّ دين محمد من خير اديان البريه ديناً - ولكن لم يظهر ذلك ما كان متمكناً من الكتمان قال أمير المؤمنين عليه السلام « ما اضمر الا انسان شيئاً الا ويظهر من صفحات خده و فلتات لسانه ومهما تكن عند امرء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم » نشير في هذه العجالة إلى موارد كثيرة يدركها أصحاب البصيرة والعاقل يكفيه الاشارة وأما اصراره على كتمان إيمانه فلاجل حفظ النبي ﷺ بحفظ مقامه ومكانته في القلوب نظير مؤمن آل فرعون فإنه ان لم يصانع القوم ويظهر إيمانه لم يتمكن من رد الطغاة وكف عادية البغاة ولخاصته قريش وجاهرت بعداوته كما جاهرت بعداوة النبي ﷺ فيكون عندهم متهماً في نصرته والذنب عنه ولكن لما لم يظهر اسلامه كان اعتقادهم في ذنبه عنه ليس صواباً إلى دينه بل حمية على النسب ومحاماة على الموالي وذلك في قانون القبيلة ودين العربية من أفضل المكارم وفي قلوبهم مودة ورحمة تحكى عن تبجيل وتعظيم أكثر من ذي قبل فلنرجع إلى ما كتبنا فيه من ذكر الدلائل على كون الكتابة في الجاهلية في الملة العربية رائية لاسيما في مكة توفى مولى لرسول الله ولم يخلف وارثاً فخاصم ولد العباس أبا عبدالله الصادق وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة فجلس لهم فقال داود بن علي ابن عبدالله بن العباس الولاء لنا فقال أبو عبدالله عليه السلام بل الولاء لنا فقال داود بن علي أن أباك قاتل معاوية فقال عليه السلام ان كان أبي قاتل معاوية كان حظُّ أبيك فيه الاوفر ثم فرَّ بجنايته أما إنه وادليس لك فيه ولا لأبيك فيه حق فقال هشام إذا كان غداً جلست لكم فلما كان من الغد خرج أبو عبدالله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة و جلس لهم هشام فوضع أبو عبدالله عليه السلام الكتاب بين يديه فلما أن قرأه قال ادعوا إلى جندب الخزاعي

و عكاشة الضمري وكانا شيخين قد ادركا الجاهلية فرمي بالكتاب إليهما فقال تعرفان هذه الخطوط قالوا نعم هذا خط العاص بن أمية وهذا خط فلان و فلان من قريش و هذا خط حرب بن أمية فقال هشام يا أبا عبد الله أرى خطوطا جدادي عندكم فقال عليه السلام نعم ، قال قد قضيت الميراث بالولاء لك قال فخرج عليه السلام و هو يقول :

ان عادت العقرب عدنا لها ☆ وكانت النمل لها حاضرة

قال فقلت ما هذا الكتاب جعلت فداك فقال عليه السلام ان ثيلة كانت امة لأم الزبير و لأبي طالب و عبدالله فاخذها عبد المطلب فاولدها فلاناً فقال له الزبير هذه الجارية ورثناها من أمنا و ابنك هذا عبد لنا فتحمل عليه يبطنون قريش قال فقال اجبتك على خلة على ان لا يتصد ر ابنك هذا في مجلس ولا يضرب معنا بسهم وكتب عليه كتاباً و أشهد عليه فهو هذا نقلاً عن شرح قصيدة أبي فراس .

قال المأمون : لأبي علي المعروف بأبي يعلى المنقري بلغني أنك أمي وانك

لاتقيم الشعر و أنك تلحن في كلامك فقال يا امير... اما اللحن فربما سبقني لساني بالشئ منهُ و أما الامية و كسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه و آله أمياً و كان لا ينشد الشعر قال المأمون سألتك عن ثلاث عيوب فيك فزدت عيباً رابعاً و هو الجهل يا جاهل ان ذلك في النبي صلى الله عليه و آله فضيلة و فيك و في أمثالك نقيصة و إنما منع ذلك النبي صلى الله عليه و آله لنفي الظنة عنه لالعب في الشعر و الكتاب و قد قال الله تعالى **وما كنت تتلو من**

قبله من كتاب ولا تحطه يمينك اذا لارتاب المبطلون .

و هذا كما قال احد البصريين في تعليه امية الرسول الكريم ان الله إنما جعله أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه و احكام الشريعة و يقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تباهي به العرب من قيافة الأثر و عيافة الطير و من العلم بالأنواء و بالخيل و بالأنسب و بالأخبار و تكلف قول الأشعار ليكون إذا جاء القرآن الكريم و الكتاب الحكيم و تكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله... و زعما ان الله لم يمنعه معرفة آدابهم و أخبارهم و أشعارهم ليكون انقص حظاً من الحاسب و الكاتب و ممن

الخطيب و المناسب ولكن ليجعله نبياً و ليتولّى أمر تعليمه بما هو أركى و أنمى ،
فإنما نقصه ليزيده و منعه ليعطيه و حجبه عن القليل ليجلّي له الكثير .
وقد تولّى شيخ أدباء العرب أبو عثمان الجاحظ نقض هذا الكلام فقال وقد أخطأ
هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير وقال بمبلغ علمه و منتهى رأيه ولوزعم ان أداة الحساب
و الكتابة و أداة قريض الشعر و جمع النسب قد كانت فيه تامّة و افرة مجتمعة كاملة و
لكنه صرف تلك القوى و تلك الاستطاعة إلى ما هو أركى بالنبوة و اشبه بمرتبة
الرسالة و كان اذا احتاج إلى البلاغة كان ابلغ البلغاء و إذا احتاج إلى الخطابة كان
أخطب الخطباء و انسب من كلّ ناسب و أقوف من كلّ قائف ولو كان في ظاهره و المعروف
من شأنه إنّه كاتب حاسب و شاعر ناسب و متفرّس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة
وعلامات النبوة لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه و لزوم طاعته و الايقاداً مره
على سخطهم و رضاهم و مكروههم و محبوبهم ولكنّه أراد ألا يكون للشاعر متعلّق
عمّاً دعا إليه حتّى لا يكون دون المعرفة بحقّه حجاب و إن رق و ليكون ذلك اخف
في المؤنة و أسهل في المحنة فلذلك صرف نفسه عن الامور التي كانوا يتكلّفونها و
ويتنافسون فيها فلما طال هجرانه لقريض الشعر و روايته صار لسانه لا ينطق به و
العادة تؤم الطبعه ، فأمّا في غير ذلك فأنه إذا شاء كان أنطق من كلّ منطيق و انسب
من كلّ ناسب و اقوف من كلّ قائف و كانت آلته او فرواداته اكمل . . . إلا أنّها كانت
مصروفة إلى ما هو ابعده و انسب فبين أن يضيف إليه العادة الحسنه ، و امتناع الشيء عليه
من طول الهجران له فرق . . و من العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره في حال معجزة
قط بل لم يره إلا و هو إن اطال الكلام قصر عنه كل مطيل و ان قصر القول اتى على
غاية كل خطيب و ما عدم منه إلا الخط و إقامة الشعر فالجاحظ هنا يحامى عن معرفة
النبي لا ذاب العرب و عن إمامه بما كان فجزقومه و محلّ نبوغهم و لما كان أعز
ما يفتخر به العرب هو البيان فأنه لم يمنع النبي مانع اذا أراد البلاغة أن يكون
ابلق البلغاء و إذا أراد الخطابة أن يكون اخطب الخطباء . . .

وهو دفاع رجل كان يحب حياته للأدب بل يهب حياته له وكان يعني بأدب الرسول و يصف كلامه حين يقول هو (١) الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة و نزّه عن التكلف وكان كما قال الله «وما انا من المتكلفين» فكيف وقد عاب التشديق و جانب اصحاب التعقير واستعمل المبسوط في موضع البسط و المقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي و رغب عن الهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة و شيد بالتأييد و يسر بالتوفيق وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبّة عليه وغشاه بالقبول و جمع له بين المهابة و الحلاوة و بين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام و مع استغنائه عن إعادته و قلّة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدئ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج الا بالصدق، ولا يطلب الفلج الا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهزم ولا يلزم، ولا يبطن، ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط، اعمّ نفعاً، ولا اصدق لفظاً، ولا اعدل وزناً، ولا اجهل مذهباً، ولا اكرم مطلباً ولا احسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ كثيراً. والذي وصف به الجاحظ كلام الرسول حق من جهة ان الحكمة تقضي إنه لا يكتب ولا يقرء ولكن ما قدره حق قدره لأنه قاسه بنفسه وقال في النبي الاعظم ما يناسب شخصه لا مرتبة الرسالة المحمدية فهو ﷺ بلغ ما بلغ و علم ما علم في مكتب و علمناه من لدنا علماً و إن شئت فقل في مكتبة و علمك ما لم تكن تعلم و لكن لا يرى مصلحة نفسه في تجاهل فهو يقرء و يكتب و لكن ليس له مكتب و معلم .

أليس يدري أنه ﷺ دعا بالقلم وقال ائتوني بدواة وقرطاس حتى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابدأ وهذا في صحيح البخاري حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما اشتد النبي وجمعه قال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده قال عمر، ان النبي ﷺ غلبه

الوجع و عندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا و كثر اللغظ قال قوموا عنى ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه . و هذا صريح في انه ﷺ يريد الكتابة بنفسه و العجب ان الخليفة الثاني لم يقل انه ما يقدر علي الكتابة و كل من يقول غير هذا هو اجتهاد في مقابل النص و صار هذا محور الخلاف و مدار الاختلاف حتى يقول بعضهم انه ﷺ لم يكتب ابداً و بعضهم فصل بين قبل البعثة و بعد النبوة فالوصف بكونه امياً و بقوله ما كنت تدري ما الكتاب نظراً إلى حاله قبل النبوة .

التربية و التعليم العام ليت شعري كيف يرضى المسلم ان يقول ان الرسول الأ عظم لا يقدر على الكتابة و الحال انه اول من سن الكتابة للأ كابر لقد عامل المسلمون أسرى الحرب معاملة رحيمة غير ما لوفة فاثرت في نفوس كثير منهم و عرفوا للإ سلام نبلة و قال أحدهم و قد اسلم فيما بعد معترفاً بجميل ما عومل به و هو اسير ان من وكل اليهم امره كانوا تقدمون اليه افضل ما في دارهم من الطعام و يكتفي اهل البيت بالتمر و الماء و على الرغم من ان العداوة لم تنته ، فقد كان المسلمون يطلقون سراح اسراهم بمجرد تسلّم الفدية من الاغنياء و كان يطلق سراح الفقراء بلا مقابل و كان على من يعرفون الكتابة و القراءة ان يعلموا عشرة من المسلمين قبل اطلاق سراحهم و اعتبرت هذه فدية كافية لإ طلاق السراح و كانت الفدية ٤٠٠٠ درهم و على ذلك كان تعليم عشرة من المسلمين يساوي ٤٠٠٠ درهم و هذا دليل على تقدير النبي ﷺ للعلم و التعليم .

و كان النبي ﷺ يحرص المؤمنون على تعلم اللغات الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة و ابناء الصحابة و بها ضبط الوحي و حفظ القرآن فكانت كل ما نزلت آية كتبها الكاتبون في الحال و كذلك الحديث يكتب على عهد النبي ﷺ على نحو ما كانوا يكتبون القرآن و قد رخص النبي ﷺ بكتابته كما امرهم بكتابة العلم مطلقاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضي والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله إلا حقاً .

لما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ فخطب فقام رجل من اليمن يقال له ابو شاة

فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال ﷺ اكتبوا لأبي شاة .

هذه الاخبار تدلنا على ان الحديث كتب ان لم يكن كله فجله على عهد الرسول واصحابه الكرام وفي عصر التابعين و تابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الاخبار أكثر واقبل الناس على اقتناء الكتب قال ﷺ نعم العطيّة ونعم الهدية كلمة حكمة سمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إيّاها تعدل عبادة سنة .
و خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل يرغبون إليه و الثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء اعطاهم و ان شاء منعهم و أما هؤلاء فيعلمون الناس و انما بعثت معلماً ثم عدل إليهم و جلس معهم (١) .

وما انفك الرسول من استشارة أهل الرأي و البصيرة و من شهد لهم بالعقل و الفضل و أبانوا عن قوة ايمان و تقان في بث دعوة الاسلام منهم حمزة و جعفر و ابن مسعود و سلمان و عمّار و حذيفة و أبوزر و المقداد و سموّ النقباء لانهم ضمنوا للرسول اسلام قومهم و النقيب الضمين و كان له عرفاء أي رؤساء جند و يكتب له بعض أجلة الصحابة من الكلمة وهم الذين كانوا في الجاهلية و الاسلام يكتبون بالعربية و يحسنون العموم و الرمي . و بلغ كتاب الرسول اثنين و اربعين رجلاً و كان صاحب سره حذيفة بن اليمان و في هذا قصة طريفة نأتي بها هنا لك للعبرة و اول كتاب قرأت فيه هذه القصة مسند الامام أحمد بن حنبل . عن محمد بن كعب القرظي قال قال قتيب منّا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله و صحبتموه ، قال نعم يا بن أخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنّا نجهد قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض و لجعلناه على اعناقنا قال فقال حذيفة ، يا بن أخي و الله لقد رأيتنا مع رسول الله بالخندق و صلّي رسول الله من الليل هويّاً ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول الله انه يرجع أدخله الله الجنة فما قام رجل ثم صلّي رسول الله ﷺ هويّاً من الليل ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل

القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله الرجة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف و شدة الجوع و شدة البرد فلما يتم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال لي يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم انظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم و الريح و جنود الله تفعل ما تفعل لا تقرب لهم قدر ولا نار ولا بناء فقام أبو سفيان بن حرب فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه فقال حذيفة فاخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت من أنت قال أنا فلان ابن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم و الله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع و اخلفتنا بنو قريظة بلغنا منهم الذي نكره و لقينا من هذه الريح ماترون و الله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فأنسي مرتحل ثم قام إلى جملة و هو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مر حل فلما رأيته ادخلني إلى رحله و طرح علي طرف المطر ثم ركع وسجد وانه فيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشروا إلى بلادهم.

خرج الذهبى في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب أكثر من اربعمأة حديث و اخرج ابن عبد البر عن معن قال اخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً و حلف انه بخط ابيه بيده.

و خلاصة القول إن الاختلاف فيه كما قال احمد بن حنبل كرهه قوم و رخص فيه آخرون قال اسحق بن منصور فقلت له لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا قال أبو زرعه سمعت أحمد بن حنبل و يحيى بن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط و ذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئاً إلا كتبه و لا كتبه إلا حفظته و لا حفظته إلا نفعني و قال بعضهم يعيبون علينا الكتاب و قد قال الله ، علمها عند ربى في كتاب ، و استدله غيره بأن تعلم الكتابة و اخراج العرب من

حجر الامية الغالبة عليهم إلى بجموحة العلم من مقاصد الاسلام و بعثة النبي لقواه تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة فالكتاب مصدر كتب كالكتابة .

روي ابن النجار في كتابه و تاريخه من حديث حذيفة اكتبوا العلم قبل زهاب العلما و انما زهاب العلم بموت العلماء .

تقدير العلم و العالم ان رجلاً من العلماء كلم بعض النصاب فافحمه بحجته حتى أبان عن فضيحته فدخل إلى علي بن محمد وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب و هو قاعد خارج الدست و بحضرته خلق من العلويين و بني هاشم فما زال يرفعه حتى اجلس في ذلك الدست و أقبل عليه فاشتد ذلك على أولئك الأشراف فأما العلوية فأجلوه عن العتاب و أمّا الهاشميون فقال له شيخهم يابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبين و العباسيين فقال **علي بن أبي طالب** إياكم و أن تكونوا من الذين قال الله تعالى ألم تر إلى الذين أوثوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق و هم معرضون أترضون بكتاب الله حكماً قالوا بلى قال أليس الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » إلى قوله « و الذين أوثوا العلم درجات » فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن أخبرني عنه قال « يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوثوا الم درجات » أو قال « يرفع الله الذين أوثوا شرف النسب درجات » أو ليس قال الله « هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله إن كسر هذا الفلان النصاب بحجج الله التي علمه إياها لأفضل له من كل شرف في النسب فقال العباسي يابن رسول الله قد أشرفت علينا من هودا تقصير بنا عمّن ليس له نسب كنسبنا وما زال منذ أوّل الإسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه فقال **علي بن أبي طالب** سبحان الله أليس عباس بايع لأبي بكر و هو تيممي و العباس هاشمي أو ليس عبدالله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب و هو هاشمي أبو الخلفاء و عمر عدوي و ما بال عمر ادخل البعداء من قريش

في الشورى ولم يدخل العباس فان كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا فانكروا على العباس بيعته لأبي بكر و على عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته فان كان ذلك جازياً فهذا جازي فكنما القم الهاشمي حجراً .

وقال أبو محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى منسوب إلى أمه أي هو كما خرج من بطن أمه لا يقرء ولا يكتب لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا المكذب به ولا يميزون بينهما إلا أمانى إلا أن يقرء عليهم ويقال لهم إن هذا كتاب الله وكلامه لا يعرفون ان قرأ من الكتاب خلاف ما فيه وإن هم إلا يظنون أي ما يقرأ عليهم رؤسهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وآله في نبوته وإمامة علي سيد عترته وهم يقلدونهم مع أنه محرّم عليهم تقليدهم فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله تعالى هذا القوم اليهود كتبوا صفة زعموا انها صفة محمد صلى الله عليه وآله وهي خلاف صفته وقالوا للمستضعفين منهم هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان انه طويل عظيم البدن و البطن اهدف اصهب الشعر ومحمد صلى الله عليه وآله بخلافه و هو يجيء بعد هذا الزمان بخمس مائة سنة وإنما أرادوا بذلك لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم وتدوم لهم أصاباتهم ويكفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وخدمة علي وأهل خاصته فقال الله عز وجل فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون من هذه الصفات المحرّفات و المخالفات لصفة محمد صلى الله عليه وآله و علي عليه السلام الشدة لهم من العذاب في اسوء بقاع جهنم وويل لهم الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إن اثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله والجحد لوصيه أخيه علي بن أبي طالب ولي الله ثم قال عليه السلام قال للصادق عليه السلام فاذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لاسبيل لهم إلى غيره فكيف ذمهم بتقليدهم و القبول من علمائهم وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون عليهم فقال عليه السلام بين عوامنا و علمائنا وبين عوام اليهود و علمائهم فرق من جهة و تسوية من جهة أما من حيث استووا فإن الله ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم و أما من حيث افرقوا فلا قال بين لي يا بن رسول الله قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا

علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشاء وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات
والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم وأنهم
إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا مالا يستحقه من تعصبوا له من أموال
غيرهم وظلموهم من أجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم إلى
أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل
بما يؤد به إليهم ممن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ
إن كانت دلائله أوضح من أن تخفى و أشهر من أن لا تظهر لهم وكذلك عوام أمتنا إذا
عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا و
حرامها واهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لا صلاح امره مستحقاً بالترف بالبر
والإحسان على تعصبوا له وإن كان للإزال والاهانة مستحقاً فمن قلد من عوامنا مثل
هؤلاء الفقهاء منهم مثل اليهود الذين نهمهم الله بالتقليد فسقة فقهاءهم فأما من كان من
الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه
وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فإنه من ركب من القبائح والفواحش
مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهما عن شيئاً ولا كرامة وإنما كثر التخليط فيما
يتحمل عن أهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون عناً فيحرفونه بأسره بجهلهم و
يضعون الأشياء غير وجهها لقلّة معرفتهم وآخرين يتعمدون الكذب علينا ليجروا من
عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم ومنهم قوم نصاب لا يقدرّون على القدرح فينا
يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا وينتقصون بنا عند نصابنا
ثم يضيفون إليه اضعافه واضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن برآء منها فيقبله
المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا فضّلوا وأضلّوا وهم اضرّوا على ضعفاء شيعتنا
من جيش يزيد على الحسين عليه السلام وأصحابه فانهم يسلبونهم الأرواح والأموال وهؤلاء
علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون ولاعدائنا معادون يدخلون الشك
والتشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضّلونهم و يمنعونهم عن قصد الحق المصيب لاجرم أن من
علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد

هذا المتلبس الكافر ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب ثم يوفقه الله للقبول منه فيجمع له بذلك خير الدنيا والآخرة ويجمع على من اضله لعن الدنيا وعذاب الآخرة ثم قال قال رسول الله ﷺ شرار علماء امتنا المضلون عنا القاطعون للطرق إلينا المسمون اصدادنا بأسمائنا الملقبون اندادنا بألقابنا يصلون عليهم وهم للعن مستحقون ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون وصلوات الله وصلوات ملائكته المقرين علينا عن صلواتهم علينا مستغنون ثم قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصايح الدجى قال العلماء إذا صلحوا قيل فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود وبعد المتسمين بأسمائكم والمتلقين بألقابكم والخذين لامكتكم والمتأمرين في ممالككم قال العلماء إذا فسدوا هم المظهورون للأباطيل الكاثمون للحقائق وفيهم قال الله عز وجل أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ما لم يسمعوا من الله

الشيعة والسنية شهد الله والنبي الأكرم إن من أقتل الأشياع على لساني وقلمي أن يقرن بين كلمتي سني و شيعي تتقارنان تقارن افتراق وتصلان اتصال تنافر كقطبي المغناطيس المتماثلين وقد خلفت لهما السياسة العاشمة هذا التنافر الشائن يوم خلقت وأن لنا أن نخجل امام الله ورسوله من استمرارنا على هذا الشنآن بين أعداء تستمر على مطاردتنا وتستغل افتراقنا وما اجدرنا اليوم أن نضرب على هاتين الكلمتين في قاموس اللغة ونستريح ونعود أئمة اسلامية واحدة كما أرادها الرسول أو كما قال الله **واعتصموا بالله جميعاً ولا تفرقوا - ولا تكونوا كالذين تفرقوا** .

نحن نفهم من كلمة الشيعة إذا قلناها الإمامية الاثنى عشرية خاصة لأنهم الاكثرية من بين فرق شتى وزو والمؤلفات والمعارف التي يقال عنها مؤلفات الشيعة ومعارفها ولا أنهم اليوم شيعة العراق وسوريا وإيران والإمارات العربية على الخليج الفارسي و هند و باكستان و أفغانستان ، وهناك الزيدية في اليمن والبحرة في هند أما الفرق الاخرى التي يعددها مثل الشهرستاني في الملل والنحل وغيره في غيره، فقد اصبحت في خبر كان ولا يعرف لها أي أثر في هذه البلاد المترامية الاطراف إلا بعض فرق لا يسمع لها حسيس في المجتمع الشيعي ولا غيره كالفالية فإذا طوَّح القلم بالكاتب اليوم عن

الشيعة وقرء ما كتبه السلف عنهم خلط الحابل بالنابل وألصق عقايد تلك الفرق البائدة بعامّة الشيعة وعلى الأصحّ بالشيعة بالمعنى المفهوم الآن فكانوا في نظره مرجحة وغالية ومجسّمة ومجبرة وما إلى ذلك .

وما أجدد الكتاب أن يتنبهوا اليوم لهذه الناحية فلا يثيروا كوامن احقاد شائنة بذرتها السياسة لأغراضها في زمن بعيد لسنا أبناءه وعند ذلك قد نوفّق إلى التفاهم فالتقارب حيث تفرصه الاخوة الإسلامية ويكون بحثنا زبها يتّطلب الحقيقة ليس إلا ليتلقّى الطرفان نتايج بصدر رحيب كما يتلقّون النتائج في أي بحث علمي وتاريخي وكما يقع البحث بين علماء الشيعة أنفسهم وبين مذاهب السنة أنفسهم مادامت السياسة بعيدة عنه ففي استطاعة الجمعيتين أن يقفا في ملتقى الطريقتين ليأخذا بأيدي الفريقتين إلى الحدّ المعقول ندعو إلى هذا عقلاء قومنا ليضعوا حدّاً لهذه المهازل وليقاروا على خطّة واحدة لحلّ الخلافات وعندني أن يسدل حجاب غليظ على الماضي البعيد فيما يعود إلى الحوادث التاريخية التي لا تمسّ حياتنا العلمية اليوم فينحصر في نقطة علميّة لاغنى لنا عنها .

كل ما عند الشيعة أنّها تتمسك بعترة الرسول ﷺ لأنهم سفينة النجاة ولكن ليس كعقيدة وموالاتة فحسب فإن هذه عقيدة كل مسلم اعتنق دين الاسلام مصداً لما جاء به النبي وإنّما يعني من التمسك بهم أن نأخذ بأقوالهم في أحكام الفقه ونرجع إليهم في دين الاسلام ولا نعرف للتمسك بهم معنى غير هذا وندلّل على أنّ ما جاء به النبي ﷺ ورتوه عنه وعلمه مكنوز عندهم وهم امانة عليه معصومون لا كسائر الرواة عنه وعنهم يروون الأحاديث كتنقال يخطؤون في النقل ويصيبون ويصدقون ويكذبون وبهذا بعدت الشقة العملية بينهم وبين إخوانهم أهل السنة وكثر الخلاف في الفروع الفقهية فكان وضوء السنة ووضوء الشيعة وصلاة السنة وصلاة الشيعة فان استطعنا أن نتفق وكلّ هذا اللغز بيننا حلاً مرضياً فقد وفقنا إلى كل شيء واستطعنا أن نوجه جبهة الاسلام كما يشاء ديننا ديننا القويم وما هذا على الرجال المخلصين بعزير .

الانسان والاجتماع تقوم شرايع الاسلام وآدابها على اعتبار الفرد جزءاً لا ينفصم من كيان الأمة وعضواً موصولاً بجسمها لا ينفك عنها فهو طوعاً أو كرها يأخذ نصيبه مما يتوزع على الجسم كله من غذاء ونمو وشعور وقد جاء الخطاب الالهي مقررراً هذا الوضع فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي انما تناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد ثم من الدرس الذي يلقي على الجميع يستمع الفرد وينتصح . وهكذا اطرد سياق التشريع في الكتاب والسنة يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاد .

فاذا وقف المسلم بين يدي الله ليناجيه ويتضرع اليه لم تجر العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه بل كطرف من مجموع متسق مرتبط يقول اياك نعبد واياك نستعين وفيه نكتة ذكرها الفخر الرازي في تفسيره الكبير انه قد ورد في الشريعة المطهرة ان من باع اجناساً مختلفةً صفقة واحدة ثم خرج بعضها معيباً فالشترى مخير بين رد الجميع وامساكه وليس له تبعض الصفقة برد المعيب وابقاء السليم وهنا حيث يرى العابد ان عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها وحدها على حضرة ذي الجلال بل ضم اليها عبادة جميع العابدين من الانبياء والاولياء والصلحاء وعرض الكل صفقة واحدة راجياً قبول عبادته في الضمن لان الجميع لا يرد البتة ان بعض العبادات مقبولة و رد المعيب و ابقاء السليم تبعض للصفقة وقد عفي عنه سبحانه عبادته فكيف يليق بكرمه العظيم فلم يبق إلا قبول الجميع وهو المراد .

ثم يسأل الله من خيره وهداه فلا يختص نفسه بالدعاء بل يطلب رحمة الله له ولغيره « اهدنا الصراط المستقيم » صراط الذين انعمت عليهم ان الله لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا . لقد شرع لهم ديناً واحداً وارسل انبيائه تترى ليقود الناس كافة في طريق واحدة و حرّم عليهم من الازل ان يصدعوا الدين وان يتفرقوا حوله عزيز بيد ان الشهوات النفسانية والميول الشيطانية تناست هذه الوصية الكريمة وتنتكرت للتراث الالهي العظيم فانقسم الناس احزاباً وصار كل حزب يكيد للآخر و يتربص به قال الله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم

و ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم ذبياً كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم في غمرتهم حتى حين .

و بين الله عز وجل ان اتباع الهوى ومطامعة البغي هوسر هذا الافتراق الواسع وقال سيدنا علي ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل .

العلم عند ما ينفصل عن العمل و الفضل عن الفضيله و الثقافة عن الخلق و الملكة الفاضلة و الدين عن الاخلاص يسمى وبالاً على أهله و على الناس وقد كان الناس قبل الدين يجعلهم الجهل في شعابه الجائرة فلما جاء الدين واستبد به دهاقينه و تاجروا بعلومه لأفسهم ومظالمهم تاهت جماهير الشعوب في سبل جائرة .

الفضل و الفضيلة ان العلم قد يكون سلاحاً فتاكاً و قوّة هدامة تدمر الحضارة او العلم و العمل و تعود بالانسانية إلى ظلمه التوحش و البربرية و وسيلة ارعاب الناس و خوفهم على ارواحهم و اموالهم و تجعلهم في جزع مستمر .

وقد يكون العالم قوّة منتجة و اداة تطور الحياة و تقدمها و الاسلام يحدد موقف العلم أو يعين مسؤوليته من في أيديهم قوّة العلم و سائله و يوجب عليهم ان يستخدموها للحياة للامات ان الاسلام يحث على العلم و يرفع من شأن العاملين به «هل يستوي الذين يعلمون الذين لا يعلمون يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات و قال الامام علي عليه السلام العلم دين يدان به أي ان العلم حق و على كل انسان ان يدين بالحق و يعمل به و انما يكون العلم حقاً و ديناً مقدساً اذا خلقنا خلقاً جديداً ينهض بنا إلى حياة أفضل كما خلق الاسلام مجتمعاً جديداً في التفكير و المعيشة و السلوك أما العلم الذي ينتهي بنا إلى سوء المصير فقد تعوز منه الأنباء و المصلحون كما تعوزوا من الشيطان الرجيم بل تعوزوا من علم لانفع فيه قال النبي الأعظم أعون بالله من علم لا ينفع و قلب لا يخشع و نفس لا تشبع فما قولكم بالعلم إذا صار آلة للصوينة أجل إن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً بفساد وقد تأذي العالم في القديم و الحديث من هذا العلم المدمر و نبأنا الله عز وجل ان العلماء بالسننهم بالافئدتهم هم الذين مزقوا

شمل البشر قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ثم قال وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فانظر إلى ضلالة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد كيف يثير الفرقة ويقطع ما امر الله به ان يوصل ان اختلاف الافهام واشتجار الاراء ليس بمستغرب في الحيات ولكن ليس هذا سبب التقاطع والشقاق انما يعود سبب الشقاق إلى انضمام عوامل اخرى تستغل تباين الانظار والأفكار للتفيس عن اهواء باطنة و من ثم ينقلب البحث عن الحقيقة إلى ضرب من العناد لاصلة له بالعلم البتة ولو تجردت النيات للبحث عن الحقيقة واقبلروا ادها وهم بعداء عن طلب الغلب والسمة والرياء والرياسة والشراء لصفيت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والآسي .

وقد لاحظنا أن هناك توافه ضخيم الخلاف فيها وامتد . لأن هذا الخلاف اقترن ابتداء بمنافع سياسية على حين انكمش الخلاف في مسائل هامة و تركت وجهات النظر تر بوحيت شئت لأن نتايج هذا الخلاف نظرية بحتة ولما كان هذا الاختلاف المغمض مفسداً للدين و الدنيا اعتبره الإسلام كفراً ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم في شيء انما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

وحدث ر الله المسلمين من الخلاف في الدين والتفرق في فهمه شيعا متناحرة متلاعنة كما فعل الاولون ولا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات و أولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ، ان ائتلاف القلوب و المشاعر واتحاد الغايات والمناهج من أوضح تعاليم الاسلام و الزم خلال المسلمين المخلصين ولا ريب إن توحيد الصفوف و اجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة و دوام دولتها ونجاح رسالتها و لئن كانت كلمة التوحيد باب الاسلام فان توحيد الكلمة سر البقاء فيه و الابقاء عليه

و الضمان الأول للقاء الله بوجه مشرق وصفحة نقيّة وقلب زكيّ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ان العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف اجره اختلافاً كبيراً حين يؤديه الانسان وحيداً ومجتمعاً ان ركعتي الفجر اوركعات الظهر والعصر هي هي لم تزد شيئاً عند ما يؤثر المرء أداءها في جماعة عن أدائها فرادى وفي عزلة ومع ذلك فقد ضعف اجرها مرة أو يزيد عند ما يقف الانسان مع الجماعة بين يدي الله وهذا اعزاء شديد بالاضواء إلى الجماعة ونبذ العزلة ودفع بالانسان إلى الانسلاخ من وحدته والإندماج في أمته - إن الاسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه و ان يستوحش في تفكيره واحساسه و أن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها .

و في الحديث ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرء مؤمن اخلاص العمل لله و المناصحة لأئمة المسلمين و لزوم جماعتهم ، فان دعائهم يحيط من وراءهم ولكي يمتزج المسلم بالمجتمع الذي يحيى فيه شرع الله الجماعة للصلوات اليومية و رغب في حضورها و تكثير الخطا إليها ثم ألزم أهل القرية الصغيرة او الحي الأهل ان يلتقوا كل اسبوع لصلوة الجمعة ثم دعا إلى اجتماع اكبر في صلاة العيد جعل مكانه الارض بفضاء خارج البلد ثم ان إلى حشدا عظم و اضخم يضم الشتات من المشرق و المغرب ففرض الحج و جعل له مكاناً معلوماً و زماناً معلوماً حتى يجعل اللقاء بين اجناس المسلمين أمراً محتوماً .

و كان رسول الله ﷺ شديد التحذير من عواقب الاعتزال و الفرقة وكان في حله و ترحا له يوصى بالتجمع و الاتحاد .

فقال ﷺ : الشيطان يهيم بالواحد و الاثنین فاذا كانوا ثلاثة لم يهيم بهم وقد رأي في سفره ان القافلة عند ما تستريح يتفرق أهلها هنا وهناك كأنم ليس بينهم رباط فكره هذا المنظر و نفر منه .

عن أبي ثعلبة كان الناس اذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية فقال النبي ﷺ إن تفرقكم هذا من الشيطان فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعصمهم و ذلك اثر امتزاج المشاعر و تبادل الحب و انسجام الصفوف

انّ الناس إن لم يجمعهم الحقّ شعبهم الباطل و اذا لم توحدهم عبادة الرّحمن مزقتهم عبادة الشيطان و إذا لم يستهوههم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا . . و لذلك كان التّطاحن المرّ من خصائص الجاهليّة المظلمة و من لادين له قال رسول الله ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض يعني انّ هذا العراك الدامي شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم احزاباً متناحرة عن اليمين و الشمال عزيزين .

وقد لان الاسلام لا اختلاف العقول و الأفهام و منح المخطى أجراً و المصيب أجرين ثمّ وسّع الجميع في كنفه الرّحّب ماداموا مخلصين في طلب الحقّ حرّاً صاعاً على معرفته و العمل به .

فانت ترى رحمة الله لا ترتبط بنتائج الفكر قدر ارتباطها بصلاح القصد إن الله لا ينظر إلى صوركم و إلى اعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم و الى نيّاتكم فلم يضيّق ذرع البشر بما وسعه دين الله و لم القسوة و الجفاء ، عندما امر رسول الله المجاهدين الخارجين من المدينه ألا يصلّوا العصر إلا في بني قريظه تأوّل بعضهم الامر على أن ذلك ما لم يضع الوقت و صلي في الطريق و امضى الآخرون النّص على ظاهره فصلّوا العصر في العتمة و قبل الرسول فهم الفريقين ثمّ صفّهم بازاء العدو جيشاً واحداً .

ذلك روح الاسلام في علاج الخلاف العلمي و ذلك ما لامحيص عنه عند ما يستقيم الضماير و القلوب أمّا يوم يجعل الخلاف مصيدةً للدنيا ينصبها العناد و البغض قد ضاعت الدنيا و ضاع الدّين قبلها .

قال بعض أهل السنة ان قيل لاحد الشيوخ ادرك المصلين في المسجد يوشك ان يتقاتلوا قال علام قيل بعضهم يريد ان يصلّي التراويح ثماني ركعات و البعض يريد صلاتها عشرين قال ثمّ ماذا؟ قيل هم في انتظار فتواك قال . الفتوى ان يغلق المسجد فلا تصلّي فيه تراويح البتّة لأنّها لاتعدوا أن تكون نافلة و وحدة المسلمين فريضة و لا قامت نافلة تهدم الفريضة .

ان الاخلاص لله و النّصح للدين و لعامة المسلمين ابعد ما يكون عن الشّعب الذي يحدث في امثال هذه الشّؤون و تمشياً مع تعاليم الاسلام في وقاية الامة من غوائل الشّقاق

أفتى العلماء بأن تغيير المنكر لا يلزم اذا كان يؤدي الى مفسدة اعظم فإن بقاء المنكر ضرر ووقوع المفسدة ضرر أبلغ فيرتكب اخف الضررين ألا ترى ان الطبيب لا يقدم عمل جراحة بالجسم إلا اذا رأى الجسم يطبق اجراءها فاذا رأى فيها خطراً على الحياة توقّف ولو بقيت العلة .

و كان رسول الله ﷺ يبايع الأتباع على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى اثره علينا ، يعني ان المرء الصالح ينبغي ألا يكثر لفقدان حظّه من الدنيا فاذا أهمل في اسناد منصب او بخش في تقدير راتب لم يملأ الافاق صياحاً و شعباً فإن الغضب للدنيا على هذا النحو الشائن من شيم المنافقين ومنهم من يلزمك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ولو غلغت النظر في كثير من الانقسامات لرأيت حب الدنيا والاثرة العمياء تكمن وراء هذه الخزارات و الاتحاد قوّة و ليس ذلك في شؤون الناس فقط انه قانون من قوانين الكون فالخيطة الواهى اذا انضم اليه مثله و مثله اضحى حبلاً متيناً يجر الأثقال وهذا العالم الكبير ماهو الاجملة ذرّات متّحدة و قد شرح حكيم لأولاده هذا المعنى عند وفاته ليلقّنهم درساً في الاتحاد قدّم اليهم حزمة من العصي قد اجتمعت عيدانها فعجزوا عن كسرها فلما انفك الرباط و تفرقت الاعواد كسرت واحداً واحداً .

تأبى الرّماح اذا اجتمعن تكسراً و اذا افرقن تكسرت آحاداً
ان الشقاق يضعف الامم القويّة ويميت الامم الضعيفة ولذلك جعل الله اول عظة للمسلمين بعد انتصارهم في معركة بدر ان يوحدوا صفوفهم و يجمعوا امرهم .
لما تطلعت النفوس للغنائم تشتهى حظّها و تتنافس على اقسامها نزلت الاية يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم أفهمهم ان الاتحاد في العمل لله هو طريق النصر المحقق والقوّة المرهونة و اطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتشعلوا و تذهب ريحكم .

و حذرهم من ان يسلكوا في التكالب على الدنيا و الحرص على غنائمها مسلك الذين لا يرجون عند الله ثواباً ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس

و يصدون عن سبيل الله ثم تلقى المسلمون في أحد لظمة موجعة أفقدتهم من رجالهم سبعين بطلا وردتهم الى المدينة وهم يعانون الأمرين من خزي الهزيمة وشماتة الكافرين لتنازعهم وانقسامهم وعصيانهم امر الله ورسوله ولقد صدقكم الله وعده ان تحسبوا بهم باذنه حتى اذا فشتم و تنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبسون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم .

ولو عقل المسلمون احوالهم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم لاحسبوا بأن ما لحقهم من عار يعود إلى انحلال عراهم وتفرق هواهم ان الهجوم الصليبي المعاصر والهجوم الصهيوني الذي جاء في أذنيه لم ينجح في ضعفة الدولة الاسلامية و انتهاء خيرها إلا عقب ما مهّدا لذلك بتقسيم المسلمين شيعاً منحلة واهية و دويلات متدايرة يثور بينها النزاع و تتسع شقته لغير سبب و سياسة الغرب في احتلال للشرق و تسخيرها تقوم على « قاعدة فرق تسد » ان الاسلام حريص على سلامة أمته و حفظ كيانها وهو لذلك يطفىء بقوة بوادر الخلاف و يهيب بالافراد كافة ان يتكاثفوا على إخراج الأمة من و رطات الشقاق و مصايرة السوء « يدالله على الجماعة » و من شدّد شدّد في النار .

و اعداء الاسلام يودون ان يضعوا أيديهم على شخص واحد ليكون طرفاً نائماً يستمكنون منه و يجذبون الأمة كلها عن طريقه فلا جرم انه يستأصل هذا النتوء لينحى الجماعة كلها من اخطار لقاءه و لذلك يقول رسول الله ستكون هنات و هنات فمن اراد ان يفرّق امر هذه الأمة و هي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان .

و قال سيدنا علي أمير المؤمنين فمن دعاكم الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عماتى هذه ، جرثومة الشقاق لا تولد حتى يولد معها كل ما يهدد عافية الأمة بالانزهار و في الناس طبائع سيئة قد تموت وحدها في ظل الوحدة الكاملة فاذا انجمت بوادر الفرقة رأيت المتربصين و المنتهزين يلتفون حول اول نائر ظاهر امرهم التجمع حول مبدء و باطنه دون ذلك .

من أحسن الكفاية استحق الولاية من حق الفاضل ان يقدم و من حق ذي

الكفاية ان تستفيد الأمة منه على ان الرجل مهما وتى من فضل وكفاية فلن ينفع نفسه ولن تنتفع به أمته اذا كان مريضاً بحب الرياسة فطالب الرعامة يفوته توفيق الله و المرء الذي يفوته توفيق الله مشؤوم ولو كان عبقرياً .

حقوق الفرد و الاجتماع :

ان يعيشوا اشتتاً متمناكرين بل ان الدواعى القائمة على المنطق الحق والعاطفة السليمة تعطف البشر بعضهم على البعض و تمهدلهم مجتمعاً متكافلاً تسوده المحبة و يمتد به الامان على ظهر الارض والله عز وجل رد انساب الناس و اجناسهم الى ابوين اثنين ليحصل من هذه الرحم الماسة ملتقى تتشابه عنده الصلات و تستوثق يا أيها الناس اننا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا فالتعارف اساس العالقي بين البشر و قد تطرأ عوائق تمنع هذا التعارف الواجب من المضي في مجراه و امداد الحياة بآثاره الصالحة و في زحام البشر على موارد الرزق و في اختلافهم على فهم الحق و تحديد الخير قديثور نزاع و يقع صدام بيد ان هذه الاحداث السيئة لا ينبغي ان تنسى الحكمة المنشودة من خلق الناس و عمارة الارض بجهودهم المتناسقة .

و كل رابطة توطد هذا التعارف و تزيح من طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها و الاتفاع بخصائصها و ليس للاسلام رابطة تجمع بين عدد قل أو أكثر من الناس فحسب و لكنّه جملة الحقايق التي تقرأ الأوضاع الصحيحة بين الناس و ربهم ثم بين الناس أجمعين .

و من ثم فاصحاب الاسلام و حملة رسالته يجب ان يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم و جمع عليها أمرهم و ان يولوا التعارف عليها ما هو جدير به من عناية و اعزاز انه تعارف يجدد مدارس من قرابة مشتركة بين الخلق و يؤكّد الأبوّة المادية المنتهية إلى آدم بأبوّة روحية ترجع الى تعاليم الأديان الملخصة في رسالة الاسلام و بذلك يصير الدين الخالص اساس اخوة و وثيقة العرى تؤلف بين اتباعه في مشارق الارض و مغاربها و تجعل منهم على اختلاف الأمكنة و الأزمنة وحدة راسخة الدعامة الشامخة البناء قصر مشيد لا تحركه عاصفة - هذه الاخوة هي روح الايمان

الحيّ و لباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لآخوانه حتّى انه ليحيا بهم و يحيا لهم - فكأنّهم اغصان انبثقت من دوحه واحده او روح واحد في أجسام متعدّده - ان الأثره الغالبه آفة الانسان و غول فضائله اذا سيطرت نزعتها على امرىء محقت خيره و نمت شره و حصرته في نطاق ضيق خسيس لا يعرف فيه الاشخصه ولا يهتاج بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير او شر .

اما الدنيا العريضة و الألوف المؤلّفة من البشر فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل اليه عن طريقهم ليتحقّق آماله او يثير مخاوفه .

وقد حارب الاسلام هذه الأثره الظالمه بالآخوة العادله و أفهم الإنسان ان الحياة ليست له وحده و انها لاتصلح به وحده فليعلم ان هناك اناساً مثله ان ذكرحقه عليهم و مصلحته عندهم فليذكر حقوقهم عليه و مصالحهم عنده و تذكر ذلك يخلع المرء من أثرته الصغيره و يحمله على الشعور بغيره حين يشعر بنفسه فلا يزيد ولا يقات .

من حقّ أخيك عليك ان تكرهه مضرته و ان تبادر الي دفعها فان مسه ما يتأذى به شاركته في الألم واحسست معه بالحزن . اما ان تكون ميتة العاطفة قليل الإكثارات لأنّ المصيبة وقعت بعيدة عنك فالأمر لا يعنيك فهذا تصرف لئيم . وهو منبوت الصلّة بمشاعر الآخوة الغامرة التي تمزج بين نفوس المسلمين فتجعل الرّجل يتأوّه للألم ينزل باخيه مصداق قول رسول الله مثل المسلمين في توادهم و تعاطفهم و تراحمهم كمثّل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى .

و التألّم الحقّ هو الذي يدفعك دفعاً إلى كشف ضوائق آخوانك فلا تهدأ حتّى تزيل غمّتها و تدير ظلمتها فاذا نجحت في ذلك استنار وجهك و استراح ضميرك .

قال رسول الله المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه - من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . و من فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة و من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة .

و من علايم الآخوة الكريمة ان تحبّ النّفع لأخيك وان تهشّ بوصوله اليه كما تجتهد بالنّفع يصل إليك انت . فاذا اجتهدت في تحقيق هذا النّفع فقد تقرّبت الى الله

بازكى الطاعات و أجز لها مثوبة .

عن ابن عباس انه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس يا فلان أراك مكتئباً حزينا قال نعم يا بن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء . وحرمة صاحب هذا القبر ما قدر عليه قال ابن عباس أفلا اكلمه فيك قال ان أحببت قال فاتعل وخرج من المسجد فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه قال لا ولكنني سمعت رسول الله ﷺ صاحب هذا القبر و العهد به قريب - فدمعت عيناه وهو يقول من مشى في حاجة اخيه و بلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق بعد مما بين الخافقين « اوكل خندق » بعد: وهذا الحديث يصور اعزاز الاسلام لعلائق الاخاء الجميل و تقديره العالى بضروب الخدمات العامة التي يحتاجها المجتمع لإرساء أركانه و صيانة بنيانه . لقد اثر ابن عباس أن يدع اعتكافه و الاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله لأنها استغراق في الصلوة والصيام و الذكر ثم هو في مسجد رسول الله حيث يضاعف الأجر الف مرّة فوق المساجد الاخرى و مع ذلك فقه ابن عباس في الاسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون هكذا تعلم من رسول الله .

عن ابن عباس قال كنت مع الحسن بن علي رضي الله عنهما في المسجد الحرام وهو معتكف و هو يطوف بالكعبة فعرض له رجل من شيعته فقال يا بن رسول الله ان علي ديناً لفلان فان رأيت ان تقضيه عني فقال و رب هذه البنية ما أصبح عندي شيء فقال ان رأيت ان تستمهل عني فقد تهددني بالحبس قال ابن عباس فقطع الطواف و سعي معه فقلت يا بن رسول الله أنسيت انك معتكف فقال لا ولكن سمعت ابي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من قضى أخاه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره و قائماً ليله .

عن صدقة الحلواني قال بينا أنا أطوف وقد سألتني رجل من أصحابنا قرض دينارين فقلت له أعدد . اتم طوافي و قد طفت خمسة أشواط فلما كنت في السادس اعتمد علي أبو عبد الله ﷺ و وضع يده على منكبي فأتممت السابع و دخلت معه في طوافه

كراهية ان أخرج عنه وهو معتمد عليّ فأقبلت كلما سررت بالآخر وهو لا يعرف اباعبدالله يرى اني أوهمت حاجته فأقبل يؤمى إلى بيده فقال ابو عبدالله مالي أرى هذا يؤمى بيده فقلت جعلت فداك ينتظر حتى أطوف و أخرج إليه فلما اعتمدت عليّ كرهت ان اخرج وادعك قال فاخرج عني ودعني وازهب فاعطه .

عن أبان بن تغلب قال كنت اطوف مع أبيعبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا كان يسألني الذهاب معه في حاجة فأشار إليّ فكرهت ان ادع أباعبدالله عليه السلام وازهب اليه فبينما أنا اطوف إذا شارالي أيضاً فرآه أبو عبدالله عليه السلام فقال يا أبان ايّك يريد هذا قلت نعم قال فمن هو قلت رجل من أصحابنا قال فازهب إليه قلت فأقطع الطواف قال نعم قلت و ان كان طواف الفريضة قال نعم قال فذهبت معه .

ان اعباء الدنيا جسام و المتاعب تنزل بالناس كما يهطل المطر فيغمر الخصب و الجذب و الانسان وحده اضعف من ان يقف طويلاً تجار هذه الشدائد و لكن وقف ، انه لبازل من الجهد ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه اهرعوا لنجدته و ظاهره في انجاح قصده و قد قيل المرء قليل بنفسه كثير باخوانه - و من حقّ الاخوة ان يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء و الضراء و ان قوته لا تتحرك في الحياة وحدها بل ان قوى المؤمنين تساندها و تشدّ ازرها قال رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

و من ثمّ كانت الاخوة الخالصة نعمة مضاعفة لانعمة التجانس الروحي فقط بل نعمة التعاون المادي كذلك و قد كرر الله ذكر هذه النعمة مرّة و مرّة و اذكروا نعمة الله الله عليكم ان كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم و اخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين لا تناصر العصبية العمياء بل تناصر المسلمين المؤمنين المصلحين لا حقاق الحق و ابطال الباطل و ردع المعتدى و إجارة المهضوم فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك بل لا بدّ من الوقوف بجانبه على اي حال لا يرشده ان ضلّ و حجزه ان تطلو و والدّ فاع عنه ان هو جم و القتال معه إذا استبيح و ذلك معنى التناصر الذي فرضه الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً قال انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً قل صلى الله عليه وآله

تحتجزه عن ظلمه فذلك نصره .

إنَّ خذلان المسلم شيء عظيم وهو إن حدث ذريعة خذلان المسلمين جميعاً
ان سيقضى على خلال الابداء والشهامة بينهم و سيرضخ المظلوم طوعاً أو كرهاً لما وقع
به من ضيم . ثمَّ ينزوى بعيداً و تتقطع عرى الاخوة بينه و بين من خذلوه .

وقد هان المسلمون افراداً و هانوا امماً يوم وهت أو اصر الاخوة بينهم و نظرا احدثهم
إلى الاخر نظرة استغراب و تنكّر و أصبح الأخ ينتقض امام أخيه فيهمز كتفيه و يمضى
لشأنه كان الأمر لا يعنيه ان هذا التخاذل جرّ على المسلمين الذلّة و العار و قد حاربه
الاسلام حرباً شعواء قال رسول الله ﷺ لا يقفن احدكم موقفاً يضرب رجل ظملاً فان
اللّعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعا عنه و قال من مشى مع مظلوم حتى يثبت له
حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام .

و هذا الواجب العظيم يزداد تأكداً اذا كنت ذاجاه في المجتمع او صاحب منصب
تحفه الرغبة و الرغبة ان للجاه زكوة كما تؤتي زكوة المال فاذا رزقك الله سيادة في
الارض أو تمكيناً بين الناس فليس ذلك لتنتفخ بعد إنكماش أو تزهى بعد تواضع و إنما
يسر الله لك ذلك ليربط بعنقك حاجات لا تقضى إلا عن طريقك فان انت سهلتها و قمت بالحق
المفروض ، احرزت الثواب الموعود و إلا فقد جحدت النعمة و عرّضتها للزوال .

روى عن رسول الله ان لله عند اقوام نعماً اقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين
مالم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم .

و قال سيّدنا الحسين عليه السلام حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم
فتحور نقماً .

و استخدام المرء جاهه لئف الناس و طئع أذاهم ينبغى ان يتم في حدود
الإخلاص و النزاهة فان فعل احد ذلك لقاء هدية ينتظرها فقد فقد أجره عند الله و تأكل
بعمله السحت و هناك رذائل حاربها الإسلام لانها تناقض آداب الاخوة و شرابطها
ان القاعدة التي تسوى بها الصفوف تسوية ترد المتقدم الى مكانه و تقدم المتأخر عن
أقرانه هي الاخوة فاذا نشب نزاع او حدث هرج و مرج طبقت قوانين الاخاء على

الكافة ونفذ حكمها « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » وقد حذر رسول الله ﷺ من هذه الرذائل في حديثه الجليل وهي رذائل تبدوا للنظر القاصر تافهة الخطر . غير انها لمن تدبر عواقبها تصدع القلوب وتجفف عواطف الود منها قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً كما أمركم الله تعالى المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه التقوى هاهنا ، ثلاثاً ويشير إلى صدره .

في المجتمع المنحط بروح الله الملتقى على شعائر الاسلام يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب وربما ربت رابطة الايمان على رابطة الدم .
والحق ان أوامر الاخوة في الله هي التي جمعت الاسلام اول مرة و اقامت دولته و رفعت رايته الحافدة و ساير الخصوم المتربصين ثم خرجت بعد صراع طويل و هي ربيعة العماد و طيبة الأركان على حين ذاب اعداؤها و هلكوا .
لاخير للبشر الا في الدين ولا شيء اضر عليهم من اللادينية وان اعداء الدين هم اعداء البشرية .

و من فرق كلمة المسلمين و سعي في تمزيق صفوفهم فهو خارج عن ربة الاسلام عدو للمسلمين لدود متصف بصفات المشتركة لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الاخر يوادون من حاد الله و رسوله ولو كانوا ابناءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم .
و من سكت عن رد شبهات الملحدين الماديين ولا يهتم بمقاومتهم فليس من الاسلام في شيء على لسان النبي ﷺ لقوله من اصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم وهو ملعون بقوله اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه و من لم يفعل فعليه لعنة الله . و هو من اتباع الشيطان بل هو الشيطان بعينه بقول امير المؤمنين عليه السلام الساكت عن الحق شيطان اخرس .

و هناك افراد من الناس يحملون الاقلام و يسعون في تفريق كلمة المسلمين ولا ندري هل هم مستأجرون على ذلك فلا يفيد فيهم النصح لانهم جاحدون عن يقين ام هم

جاهلون يحسبون انهم يحسنونهم الجهال توهّموا انهم علماء فلا تنجح بهم المواظ
وهذا هو الجهل المرّكب .

نطلب من اخواننا المسلمين عامّة من جميع الطوائف انهم اذا سمعوا أو رأوا كذبة
من بعض الطوائف على بعض فلا يصدّقوها وليطالبوا بسندها فانّ ما ينسبه بعض الافراد
إلى بعض ممّا ينافي الكتاب السنّة في اصول العقائد او اصول الاحكام محض اقتراء قد
يقترفه مستأجر على تفريق الكلمة فلا يكونوا العوبة المستأجرين قلت للحاج أيّها المؤمنون
هذه الديار المباركة الطيبة التي اختارها الله فجعل فيها قبلة العالمين و كعبة الاملين
وامرهم ان يؤثّروا وجوههم شطره وجمع حولها القلوب وجعلها مهوى الأفتدة والأبصار
اننا سعداء جداً و نشكر الله على ما هدانا و انعم به علينا من فرصة التمتع بهذه الزيارة
المقدسة الا ان ما يحزننا هو وضع اخواننا المسلمين المعذبين تحت ضغط الجور والاضطهاد
اننا مضطرونّ بحكم الواجب الديني على ان نبلغ اخواننا المسلمين الذين يسعون الآن
باداء فريضة الحج عمّا يجري في البلاد التي يثنّ أهلها تحت كابوس الارعاب والارهاب
ليعلموا ان ما يسمعونه من الديموكراسى وادعاء الاسلام لا يتجاوز حناجرهم .

رفقا بأنفسكم أيّها المسلمون - ما بال المسلمين لا يراؤون بانفسهم ولا يعطفون لما
اتابهم في جميع بلادهم يخربون بيوتهم بأيديهم و يزيدون الطين بلّة و يضعون على
النّار الحطب ولا يرقون و يرحمون ملائئين من البشر اناخ عليهما الدّهر بجرانه وعضت
عليهم الكوارث بانيابها و احدقت بهم الخطوب من كل جانب حتى انهم شغلوا بانفسهم
و تركوا المجال لأعدائهم يفعلون ما يشاؤون و أطمعوا بأنفسهم حتى الملحدين من
منكرى الله و مكذّبي الشرايع ، و حدوا كلمتكم واجمعوا شملكم و كونوا كتلة واحدة
ولا قوا عدوكم بصفّ واحد حتى تنجوا بانفسكم من كل شرّ و تفوزوا بكلّ خير و تحصلوا
على السعادة والفلاح يا أيّها الذين آمنوا آمنوا .

و علينا ان نوجه الخطاب إلى عامّة المسلمين و نقول لجميع افراد الطوائف
الاسلامية أيّها المسلمون انّ الله واحد و القرآن واحد و القبلة واحدة و الدين واحد
وما من مسلم إلاّ وهو مقرّ بالمعاد فعلام هذا الاختلاف عسى ان ينتبه الغافل .

ان البون شاسع بين الاسلام الذي انتصر قديما وصبغ العالم كله بحضارة كريمة مشمرة وبين الاسلام الذي يتعثر اليوم وينكمش داخل حدوده يستجدي الحيات بعد ان كان يهبها و ينتظر المنافع من ايدي الآخرين بعد ان كان يبدي ويعيد الاحسان إلى نوع الانسان اجمعين ولما كانت الأصول العلمية لهذا الذين لم يتغير في القرون الأخيرة عنها في القرون الأولى إذا القرآن هو القرآن و السنة هي السنة فإن السؤال الطبيعي الدائر على الشفاه هو ما السرُّ إذن في هذه النقائص الصارخة بالعجب وما الذي يجعل أمة ذات قدر وذات كتاب واحد تتقدم حتى تمسك بالزمام و تتأخر حتى تدوسها الاقدام وكثيراً ما سألوا (لم سقطنا وبم نرتقى) ان نفراً من المؤلفين والكتاب اجابوا عن هذا السؤال وقد التقت اراؤهم عند اتهام المسلمين المتخلفين بأنهم عصاة لا ينفذون وصايا دينهم في مناحي المختلفة ونواحي الحياة .

والعليل الذي يرفض تناول الدواء لو قتلته علته فلا لوم على طب ولا عقار بل اللوم على من ظلم نفسه وآثر الا تنحار ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين هذا كلام صحيح في جملته ولكن ما هي المعصية . قد يأمر الله بالصلوة او الصيام فيتهاون المرء في امر الله ويدع هذه الفرائض المطلوبة او يؤد بها على نحو سيئ قليل الجدوى وبهذا العوج مع النصوص المحددة يعتبر عاصياً أليست هذه صورة العصيان كما نفهمها ، انها كذلك .

ولامراء في ان هذا الضرب من مخالفة الشريعة إثم يستتبع عقابه في الدنيا والاخرة وتحمّل الأمة اوزاره في حاضرها وغداها غير ان هذا النوع من العصيان ليس اخطر ما تجنى الأمة ثماره فهناك معاص اخرى اساسها عدم فهم القانون لافهمه ومخالفته . ويجب ان نقف طويلاً عند هذا النوع الأخير علاجه اشد عناء من غيره .

الأصول الدينية في نظر العامة والخاصة من الامم اجمع - ما خلا الملحدون - تمتاز بأنها من المناهج القدسيّة المنزّهة عن الادران البشرية والجامعة لأشتات الفضائل الانسانية فاذا امر الامم بفضيلة او نهى عنها عن رذيلة واسند امره ونهيه الى الدين الذي يدين له المأمور والمنهى كان مرجواً ان يأتي بالفرص المقصوده لاستناده

إلى قدسيّة الدين لا إلى وضع البشر الذّين يعهد فيهم ارتكاب الجرائم والآثام ويقع منهم التباين في الأقوال والأفعال وتبلغ موعظة الواعظ موضعها من القلوب اذا كان الواعظ محافظاً على شعائر دينه لا ينتهك حرّماته ولا يفرط في شئني من واجباته .

لهذه الأصول الدينيّة مقاصد أوّليّة ومقاصد ثانويّة هي احدى نتایج المقاصد الأوّليّة أمّا المقاصد الأوّليّة فهي غرس العبوديّة في قلوب البشر لله الواحد القهار خالق الخلق ورازقهم ومحبيهم ومميتهم وجامع النّاس ليوم لا يرب فيه يوم يفر المرء من اخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرى منهم يومئذ شأن يغنيه ، وإذ اصحّ هذا الغرس فأول ثمرة تبدو للعيان منه هي الأقبال على العبادات التي افترضها الله سبحانه على عباده من صوم وصلوة وحجّ وزكوة .

وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

فمن آنس من نفسه تفريطاً في فريضة من هذه الفريضات الدينيّة ولا يعتدّ بطهارة قلبه ولا بفلسفة المتفلسفين ، الذّين يخيّلون له ، أنّ التفريط في هذه العبادات ليس بضائر من أحسن المعاملة مع الخلق واحبّ الخير للنّاس اجمع وليعلم انّ غرس الأصول الدينيّة في قلبه لم يأت بأول ثمرة ترجى من غرسه لا حرج على الله ان يبتلى عباده و يختبرهم بشئ مما احلّ وحرّم ليعلم مقدار رعايتهم لطاعته و قد فعل فمن ذلك انّه أحلّ للمحرّم بالحجّ أن يصيد من البحر ماشاء وحرّم عليه ان يصيد من الطيور والوحوش البرية شيئاً ابتلاء واختباراً لعبيده حيث قال في كتابه العزيز احلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيّارة وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً فمن اعياه العلم بأسرار التشريع في ايجاب هذه العبادات على كل من آمن بمحمد ﷺ و صدق رسالته فحسبه ان يعلم انّ هذه التكاليف ابتلاء من الله لعباده حيث برهنوا على مقدار إحترامهم لأوامره ونواهيه ووقوفهم عند حدوده ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فليتق الله مسلم لا يرتاب احد في اسلامه اسلمه النّاس فلذات أكبادهم وعهدوا إليه القيام بتربية إيمانهم بتربية نافعة وليكن شديد الحريص على أداء العبادات الدينيّة في أوقاتها حتّى يتمثل به تلاميذه ويقنّدى به خاصّة قومه وعامّتهم وحتّى يأخذ تأديبه الموضوع اللائق به من قلوب طلاب الأدب والدين .

أما المقاصد الثانوية التي هي احدي نتایج المقاصد الأولیة فهي كل ما يعود بالخیر والصّلاح على هذا المجتمع الإنسانی إلى ترقية المصانع والمتاجر والعلوم والمعارف و ما يرجع إلى إقامة العدل بین النّاس و كفّ المظالم و تأمين السبل حتّى يتّسع نطاق العمران و یسهل المواصلات بین الأمم المتناهیة البلدان .

الدین الاسلامی كلّه اسرار و عجایب و یكفیک منه دليلاً على كونه أكبر آیات الله في هذا العالم انه تعالى كوّن به في بضع و عشرين سنة امة احدثت في الوجود اكبر و أعظم الحوادث الاجتماعیة و الانقلابات العمرانیة و تربعت في دست الخلافة في الارض قروناً كثيرة كانت في خلالها اعجوبة العالم الانسانی دنیاً و دیناً و رفعت اعلام الحریة و الإخاء و العلم إلى أعلى ما یصل اليه امكان البشر و لم تزل اليوم حیة حياة قویة و انكانت كامنةً كموناً و قتیاً یظهر ذلك من انتشار نفوذها الرّوحانی في كل الامم بصفة تبشّر بضرورة رجوعها الى مجدها القديم و القبض على زمام امور النوع البشری كلّه بتلك اليد .

وعدالله الذین آمنوا منكم و عملوا الصالحات لیستخلفنهم في الارض و لیمكنن لهم دینهم الذی ارتضى لهم ... و قال تعالى قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و یكون الدین كلّهُ لله .

كلّ أصل و ركن و فرض و سنة من هذا الدین تحته اسرار و انوار تعوز الدرس الطویل و الشرح الضّافی و البحث العمیق و یدلّ علیه انّ العالم الغربی مسوق بدوافع الطبیعة و نوامیس الحیاة الى العمل بتلك التعالیم و الاهداء بنورها في حوالك احوالهم و الاصرار بالاضرار على الشرق حسداً من أنفسهم .

لا یخفی على المتتبّع في الدّراسات الاسلامیة انّها الشریعة الخالدة شریعة الفطرة و الحق و الخیر و السّعادة و الانسانیة الكاملة بافرادها و جماعاتها .

یرى شریعة سامیة و مبادئ عالیة في كلّ شأن من شؤون الحیاة السیاسیة و الاجتماعیة و الاخلاقیة و الثقافیة و التربویة و الاداریة و القضائیة فقد عنیت بكلّ هذه المبادئ و غیرها و وضعت لها القوانین الكلیة و القواعد العامّة و الاداب

و الأخلاق التي تصحبها و تسيروها .

الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة فالجماعة المسلمة أما الفرد فهو اللبنة الأولى في بناء المجتمع فإذا صلح هذا الفرد صلح المجتمع كله و إن أفسد فسد المجتمع فوضع له منهجاً أخلاقياً سامياً و أمره باتباعه و الاهتداء بهداه فإذا تمسك الفرد المسلم بالأخلاق السامية و تأدب بآدابها كان انساناً كاملاً و فرداً مثالياً و كما قالت الحكماء يصير عالماً عقلياً مضاهياً للعالم الحسى . امر الفرد المسلم بالأمانة و الصدق و الوفاء و العفاف و الهدى و التقوى و التراحم و التعاطف و التألف و الاستقامة و الشجاعة و الشهامة و الكرم و الشمم و علو الهمة و الغيرة و الإصلاح بين الناس و العدل و الاحسان و الصبر على ما يصيب الإنسان في اجراء هذه الاصول و ان يحب لنفسه ما يحبه للناس و يكره لهم ما يكره لها و يسعى في قضاء حوائج الناس و الإنفاق عليهم و يبدأ بالأقرب فالأقرب و اوصاه بالاقتصاد و القناعة و الزهد عمماً في ايدى الجماعة و الرفق و الحلم و التواضع و الأناة فإذا تمسك بها يصير مسلماً و المجتمع الذي يعيش فيه جنّة الرضوان و لكن الجنّة التي دخلها قبل يوم القيمة لازم أن يكون لها ناظماً فلا بد لكل جماعة من وازع و امير يقوم على امرها و تعطينه ثقته و قيادها هكذا ينظم الإسلام العلاقة بين الفرد و الجماعة يصلح الفرد و يطهره ثم يختار له الامير العادل و هذا علي أمير المؤمنين و اباكريماً لهم صاحب العهد الرائع إلى الاشر النسخى عامله على مصر يقول ولا تكوّنن عليهم سبغاً ضارياً تعتمن أكلمهم فانهم صنفان إما اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق أعظمهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه و صفحه ولا تندمن على عفوه ولا تبجنن بعقوبة يقول جورداق في كتابه صوت العدالة الانسانية علي أكرم الناس مع الناس و أبعد الخلق عن ان ينال الخلق بالأذى و اقربهم إلى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره بضرورة هذا البذل ، أوليست حياته كلها سلسلة معارك في سبيل المظلومين و المستضعفين ، و انتصاراً دائماً للشعب دون من يريدونه آلة انتاج لهم (من السادة و رثة الامجاد العائليّة) ألم يكن سيفاً صارماً فوق اعناق القرشيين الذين أرادوا استغلال الخلافة و الإمارة للسلطان و الجاه و تكديس الاموال ؟ ألم يضع

الخلافة و الحياة على الارض لانه أبى مسايرة اهل الدنيا في استبعاد اخوانهم الضعفاء
 و الفقراء و المظلومين أليس علي أعظم الناس رفقا بالناس يوم دفع عنه أخاه عقيلاً الذي
 جاءه يطلب من مال الشعب أليس علي أباً كريماً لشعبه في توجيهه الولاية و العمل نحو
 الرفق بالناس و الضرب على ايدي المستغلين من ذوى الوجاهة و السلطان مشدداً في
 هذا التوجيه مهدياً بالعقاب: أليس علي هو صاحب هذه الوصايا المكررة في اذن ولاته
 انصفوا الناس من انفسكم و اصبروا و الحوائجهم فانهم خز أن الرعيّة لا تحسموا احداً عن
 حاجته و لا تحبسوه عن طلبته و لا تبغين للناس في الخراج كسوة شتاء و لا صيف و لا دابة
 يعتملون عليها و لا تضربن احداً سوطاً مكان درهم و ليس غريباً ان يكون علي اعدل
 الناس بل الغريب ان لا يكون ، و مما لا ريب فيه أن علياً عليه السلام كان صاحب اكبر عقليّة
 قضائيّة نظاميّة في هذا العهد فهو قد استفاد من كل ما مرّ بالحكم العربي الاسلامي من
 اشكال و أيضاً لمس حاجة المجتمع من وجه و محاسن و مساوى المحاولات التي حاولها
 الخلفاء قبله من وجه آخر فقدّم دستوره التنظيمي العظيم في عهده الى الاشر النخعي
 بعد الاختمار و الاختبار و هذا العهد قد يشك فيه بعض الباحثين مستنديين إلى الافكار
 النظاميّة التي يحتوى عليها لا تسمح باضافتها إلى عصر علي عليه السلام و مما ذكرنا يتبين
 بانه لا محل للشك لان علياً موهوب في القضاء و الإدارة ما في ذلك شك حتى كان عمر
 يقول معضلة او قضية ولا ابا حسن لها ولقد اهتم المشترعون بعد ذلك بجمع افضيته و احكامه
 و تنظيماته فالف الترمذى كتاباً في مجلدين دعاه (اقضية علي) و ألف ابن قيم الجوزية
 كتاباً في السياسة الشرعيّة ملاءه بأفضيته فهذا يدلنا على ان علياً كان يمتاز بعقليّة نادرة
 في القضاء المتصل بالتنظيم و لأن المحاولات التي صدرت من أبي بكر جاء عمر فجدد
 فيها و عمر كان أكثر تشبهاً بالتنظيم و ميلا اليه فكثرت في عهده التشكيلات الإداريّة.
 و يفتش عن عماله و يسأل عن أعمالهم فيها هو كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام فيه .
 لله بلاد عمر فقد قوم الأودوداوى العمدة خلف الفتنة و اقام السنة ذهب نقي
 الثوب قليل العيب اصاب خيرها و سبق شرها ادّى إلى الله طاعته و اتقاه بحقه رحل

و تركهم في طرق متشعبة لا يهتدى فيها الضال ولا يستيقن المهتدى .
ثم جاء عثمان فاقرب نظاماً و غير نظاماً واستحدث مثل ذلك و على عليه السلام يرقب كل هذا التطور النظامي وهو متصل بالشعب يرى مقدار رضاه عن هذه التشكيلات فاستفاد من هذه المحاولات التي مررت به الى ما عنده من فطرة قضائية خارقة و بذلك استطاع ان يطابق بين امانى الناس و بين النظم التي تحكمهم ، وان يعطى أيضاً تشريفات اصلاحية تتصل بالاجتماع و السياسة و النظام ، فاذا كان النبي صلى الله عليه و آله هو المشرع القانوني فان علياً عليه السلام هو المشرع النظامي على ما قاله العليلى .

فعهد على عليه السلام الى الأشر النخعي ليس فيه ما يدعوننا الى الشك فيه او استبعاده عنه وهو أول دستور حكومي او اعلامية لحق البشر العمومي صدر في الاسلام .
و يظهر من هذا العهد ان علياً كان يرمى في مدة خلافته الى أخذ الشعب الاسلامي الذي تركب بما شمل من الامم المختلفة بعمل تشييدي عظيم و كان عملاً موقفاً جداً ^(١) و نظامياً لانه الطب بادواء المجتمعات من النواحي التشريعية . ولكن الثورة الداخلية التي اثيرت عليه و دارت حول شخصه اعجلته و اوقفت كل حركاته الاصلاحية التي ابتدأها بعزم و شدة .

واهم نواحي النظام التي يستدير البحث عليها هي نظام الحكم ، نظام المال ، نظام الادارة و القضاء ، نظام الجندية - نظام الاقتصاد - كثيراً ما يسألونني ان احدد من أي نوع من أنواع الحكومات كانت الحكومة الاسلامية في أطوارها الاولى .

يرى ارسطو ان أنواع الحكومة تتميز بعدد الاشخاص القابضين على زمام السلطة فالدولة التي يدير شؤونها فرد واحد تسمى ملكية والتي يدير شؤونها جمهور الاممة تسمى جمهورية والتي يدير شؤونها جماعة قليلة تسمى ارستقراطية و هذه الأنواع الثلاثة اذا كانت الدولة صالحة أي كان الغرض منها رعاية مصالح الأمة فاذا ظهر فيها

(١) هذا التعبير اخذناه من تعبير الفاضل العلامة العليلى لان غرضه ان يضيف إلى التشريع

الفساد و أصبح هم الحكام تحقيق مطامعهم الشخصية سميت الحكومة من النوع الاول الاستبدادية و من النوع الثانى استثنائية و من النوع الثالث حكومة الغوغاء . ثم يذهب إلى ان هذه الأشكال تتعاقب على الدولة الواحدة في سنة اجتماعية دائمة تقريبا فالدولة تكون في بدايتها ملكية صالحة حتى إذا فسدت طباع الملك إنقلبت استبدادية غايتها تحقيق شهوات الحاكم فاذا تغلب عقلاء الأمة على الملك و تقلدوا زمام الأحكام أصبحت ارستقراطية فاذا خلف من بعدهم خلف وجهتهم الاستثنائية بالسلطة و المنافع تحولت إلى حكومة استثنائية ، فاذا هبت الأمة لتزود عن مصالحها و تولت امورها بنفسها أصبحت جمهورية فاذا جاوز الافراد حد المعقول في استعمال السلطة و تنازعوا أمرهم بينهم اضحت الحكومة فوضى ، و في هذا الظرف تعود إلى الملكية كما بدأت ، وقد كانت الثورة الفرنسية مصداق نظريته من كل الوجوه ، و ذهب مونتسكيو الى أن الحكومة لا تخرج عن أن تكون ملكية او جمهورية او استبدادية فالملكية عنده ما تولي الحكم فيها فرد بمقتضى قوانين ثابتة و الجمهورية ما كانت السيادة فيها للأمة او بعضها و الاستبدادية ما كانت السلطة فيها بيد فرد يتصرف فيها بإرادته و اهوائه و قسم رسو الدول باعتبار عدد الأشخاص الذين يتولون الامر الى ملكية وهي التي يدير شؤونها فرد واحد ، و ارستقراطية وهي التي يدير امورها فئة قليلة و ديمقراطية وهي التي تستمد سلطتها من عامة الشعب . و الديمقراطية نوعان (مباشرة) وهي لا تكون إلا في الجماعة القليلة العدد المحدودة المطالب و الحاجات و « غير مباشرة » او نيابيا .

وزاد بعض كتاب الالمان نوعاً آخر اسماء الشوقراطية وهي التي يستمد فيها الحاكم نفوذه من السلطة الإلهية ان النبي ﷺ جمع السلطة الزمنية في يديه إلى جانب السلطة الدينية فكان مصدر كافة السلطات . فحكومته على ما وصل إلينا من أخبارها ثيوقراطية في جوهرها و ديموقراطية أيضاً فمن حيث ان الافراد كانوا يبايعونه على اسلام الامر إليه ثيوقراطية و ديمقراطية حكومة النبي من النوع المباشر و هذا ما يعطيه قوله تعالى و شاورهم في الأمر و أمرهم شورى بينهم .

والذى يستفاد من مجموع ما قلنا ان في كل من اقسام هذه الحكومات مصالح

كلية لم تخل في موارد كثيرة من مفاصد ولكن مغتفر في شرع السياسة! وهذا شأن كل القوانين الوضعية إذا كانت بيد الأبناء البشرية ومن عند أنفسهم الطبيعية وقد أخذت قوانينهم من عادات البشرية وآدابها في بعضها يهضم حق الفرد لحق الاجتماع وقد يعكس ودين الإسلام دين الله يراعى كلا الحقيقتين والشارع النبي ﷺ ذوالعينين والحافظ للشرع لا المشتري كما سمى العاليلي، سيدنا علياً أمير المؤمنين وكما أقول مجرى أحكام الإسلام كما جاء به النبي ﷺ نعم إن الإمام هو القوة المجرية للأحكام الشرعية وتشريع الأحكام بدون قوة مجرية عبث غير مجد لحفظ النظام وذلك محسوس في هذا العصر فإن القرآن والسنة بين أيدينا والناس حيارى مضطربون لا يدرون ماذا يصنعون والي من يفرعون لا احديد لهم على طريق النجات وليس لهم من يفهمهم سبيل الرشاد والخلص مما حاق باهل العالم من الشرور والويلات والكوارث والموبقات والفساد فالقول بالتوحيد الخالص المتضمن للطف الله ورحمته ملازم للقول بوجود إمام في جميع الاعصار يرجع إليه في المشكلات ويفزع إليه في الكوارث والمعضلات .

وإذا نظرنا احوال الأئمة الاثنى عشر و احوال من عاصروهم ممن ادعى الخلافة والرياسة على المسلمين علمنا بيقين ان الأئمة من اهل البيت هم المنصوبون من عند الله لأن من عاصروهم كمعاوية و يزيد إلى زمان المعتمد العباسي الذي كان عند ولادة صاحب الزمان كلهم جهال اولوا اهواء منهمكون في الشهوات حائدون عن طريق الحق والصواب تاركون لتعاليم الكتاب والسنة فيستحيل ان يأمر الله بطاعتهم وهم لم يطيعوا الله ورسوله فكيف يقرن طاعتهم بطاعتهما في قوله اطعوا الله اه أترى ان الله اللطيف الخبير يأمر بالطاعة مثل يزيد شارب الخمر ورأس الفجور او مثل الرشيد القاسي الجبار قاتل اولاد الانبياء الذي كان يقضي ليله بين الجوارى والمغنيات ونهاره في قتل الابرياء حاشا لله ولطفه ورحمته ولاشك ان ولاة الامر المعينين بهذه الاية هم ائمة الهدى و مصابيح الدجى واعلام التقى فهم الذين أمرنا بطاعتهم و من المخزى ان يدعى مؤمن وجوب طاعة مثل الوليد بن يزيد الذي مزق القرآن بالنبال وسخر به والذي كان يلقي نفسه في بركة الخمر فيكرع حتي يتبين النقص فيها ولا يهمنه من الدنيا إلا الرأصات

المغنيّات اللواتي كان يقدرّهن على الخلافة بل يقدمهنّ في المحراب .
 نعم قد حمل المرأة الفاسقة وجاء بها الى المحراب لحرب الله ورسوله وأبوه الذي!
 قال من قال لي اتق الله ضربت عنقه وهذا جزاء من لا يقدر أئمة الحقّة قدرها هذا
 جزاء أمة لا تعرف لعلي عليه السلام حقّه و اين هؤلاء ممن يقول في جواب الأقوياء
 و يدافعهم .

أنا مروني أن أطلب النصر بالجور فيمن و ليت عليه والله لأطور به ماسمر
 سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً ، ولو كان المال لي لسويّت بينهم فكيف و إنّما المال
 مال الله ثمّ قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ألا و إنّ اعطاء المال في غير حقّه تذيير و إسراف وهو يرفع
 صاحبه في الدنيا و يضعه في الآخرة و يكرمه في الناس و يهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله
 في غير حقّه وعند غير اهله الا حرّمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم فانّ زلت به النعل
 يوماً فاحتاج الى معونتهم فشرّ خليل و الأمّ خدين .

فان أبيتهم إلا أن تزعموا أنّي أخطأت وضلت فلم تضلّون عامّة أمة محمّد بضاللي و
 تأخذونهم بخطأى و تكفروهم بذنوبى سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و
 السقم و تخطّون من أذن بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** رجم الزاني المحصن
 ثمّ صلّي عليه ثمّ ورثه أهله و قتل القاتل و وورث ميراثه اهله و قطع السارق و جلد الزاني
 غير المحصن ثمّ قسم عليهما من الفية ، و نكحنا المسلمات فأخذهم رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** بذنوبهم
 و أقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله ،
 ثمّ اتم شرار الناس و من رمي به الشيطان مراميه و ضرب به تيهه .

و سهلك في صنغان محبّ مفرط يذهب به الحب الى غير الحقّ و مبغض مفرط
 يذهب به البغض الى غير الحقّ و خير الناس في حالاً النمط الاوسط فالزموه و الزموا
 السواد الاعظم ^(١) فانّ يدالله على الجماعة و اياكم و الفرقة فان الشان من الناس للشيطان

(١) ان السواد الاعظم هو الانسان الكامل وليس المراد بلدة الكبيرة أو مدينة عظيمة و

إذا كان المراد البلدة فباعتبار ان الكبار من الرجال فيها أكثر .

كما ان الشاذ من الغنم للذئب الافمن دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عماتى هذه
فانما حكّم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن واحياءه الاجتماع
عليه و إمامته الافتراق عنه فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم إليهم اتبعونا
فلم آت لأباً لكم بجزا ولا خلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم إنما اجتمع رأى ملتكم
على اختيار رجلين أخذنا عليهما ان لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما
يبصرانه وكان الجور هو هما فمضيا عليه وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكومة بالعدل
والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما .

من طبيعة المجتمعات إنها تصل في حالة تغير وتزايد دائمة فاي مجتمع، لا يبقى
حافظاً لا وضاعه امدأ طويلا بل يطلب اشكالا جديدة و خصوصاً حين يتصل و يحتك
بمجموعات أخرى فأنه يتأثر بها على نسب متفاوتة . وهذا راجع إلى الطبيعة في الكائن الحي
الذي يؤلف المجتمع فالارتقاء خاصية لازمة للمجموعة مالم تحل الموانع دون عملها
وهذا هو التجديد .

اذن فتجد المجتمع ضربة لازب وهو بعينه ما صادف المجتمع العربي الوليد
حين مالت الجماعة الاولى الى الزوال ليحل محلهم نش جديد له افكاره وميوله و
مذاهبه وهذا النشء بما اجتمع له من إشكال اجتماعية و اوضاع مدنية لأهم شتي كونه
نفسه فكرة ولونا متميزاً و دخل بأشياءه الجديدة في دور صراع مع الجماعة الأولى
بأشياءها القديمة وتفاعل الجديد مع القديم تفاعل تناحر ضرورة أن كلاً منها يتشبث
باسباب البقاء - ولعل احداً لا يشك بأن محمد بن ابي بكر كان ينظر الى الحياة من غير
النأحية التي ينظر منها ابوه ، فالنظرة العامة له انحرفت في كثير او قليل . كما نلمس
ايضاً تأثر كثير من رجالات القديم بالالوان الجديدة التي اتقلت الى العرب بضم
مجتمعات كثيرة ذات حضارة سامية ، وكان من هولاء طوائف كبيرة من مثل طلحة والزبير
وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن عوف ويعلي بن أمية الذين أخذوا بالترف و حياة
الغضارة الناعمة فاستكثروا من الاموال و مالوا الى اعتناق النظام الارستقراطي

متأثرين بوضع الأمم التي فتحوها وهذا ما كان يتخوفه النبي ﷺ وحثهم بقوله انما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها إنه لا يأتي الخير بالشر وإن ممّا ينبت الربيع ما يقتل حبطاً او يلم إلا آكلة الخضر فإنها اكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فنطلت وبالت ثم رعت وأن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطاه المسكين واليتيم وابن السبيل ، فمن أخذه بحقه و وضعه في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة .

وكرت عدد هؤلاء في خلافة عثمان وهذا هو السبب في ما آل إليه حال سيدنا على بن أبي طالب وخلافته وفي هذا الكتاب كفاية و من كتاب له عليه السلام الى قثم بن عباس وهو عامله على مكة أما بعد فإن عيني بالمغرب كسب الي يعلمني أنه وجه الى الموسم ناس من الشام العمى القلوب الصم الأسماع الكمه الأَبصار الذين يلتمسون الحق بالباطل و يطيعون المخلوق في معصية الخالق و يحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها بأجل الأبرار والمتقين ولن يفوز بالخير إلا عامله ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع لسultanه المطيع لإمامه وإياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً والسلام .

نعم سار معوية بسيرة الجبارة و استبد و استأثر و تغلب على الأمة قهراً عليها هذا كله و الناس قريبو عهد بالنبي والحلفاء وما كانوا عليه من التجافي عن زخارف الدنيا وقد عرف الناس أنه رجل دنيا لا علاقة له بالدين وما اصدق ما قال هو عن نفسه فيما حدث الزمخشري في ربيع الأبرار انه قال أما أبو بكر فقد سلم من الدنيا و سلمت منه وأما عمر فقد عاجلها وعالجته و أما انا فقد تضجعتها ظهراً لبطن و انقطعت إليها و انقطعت إلي وكل ذلك التوسع في الموائد و الوان المطاعم الأنيقة من أموال الأمة وفيء المسلمين الذي كان يصرفه الخليقتان في الكراع والسلاح والجند قال المرحوم آية الله كاشف الغطاء في كتابه العزيز اصل الشيعة و اصولها نقلاً عن أبي سعيد المنصور الأبي في كتابه نشر الدرر مانصه . قال الاحنف بن قيس دخلت على معاوية فقدّم لي من الحار

والبارد والحلو والحامض ماكثر تعجبي منه ثم قدّم لونا لم اعرف ما هو فقلت ما هذا؟ فقال هذا مصارين البط محشوة بالملح قد قلى بدهن الفستق وزرّ عليه بالطبرزد فبكيت فقال ما يبكيك؟ قلت ذكرت عليك بينا أنا عنده وحضر وقت الطعام و إبطاره عليه السلام وسألني المقام فجيبىء له بجراب مختوم قلت ما في الجراب قال سويق شعير قلت خفت عليه ان يؤخذ او يؤخذ به فقال لا ولا أحدهما ولكني خفت ان يلتته الحسن أو الحسين بسمن اوزيت فقلت محرّم هو يا امير المؤمنين؟ فقال لا ولكن يجب على أئمة الحق ان يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يطغى الفقير فقره فقال معاويه ذكرت من لا ينكر فضله وكم من الوافدين و الوافدات على معاوية ذكروا عليك وشهدوا بما شاهدوا منه وربما بكوا وأبكوا الحاضرين ينبغي أن تأتي ببعضها إن شاء الله لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً عسى أن يأتي بالفتح او أمر من عنده و لقد عهدنا أن نقول و نكتب ما يساعدنا على التقريب ونجيبىء بكلّ مقالة وخطابة القينا أو سمعنا من إخواننا الذين أدركوا ما أدركناه فيتركوا ما تركناه وهذه املقالة التي بين يديك ما أدري من هو صاحبها وقائلها إلا انه يوافقنا في المقصود فانظر إلى ما قال ولا تنظر إلي من قال :

اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهدت له السموات والارض وكل ما خلق من آياته نطق بتوحيده ودل على وحدانيته و اشهد ان محمداً عبده ورسوله كما ان تعاليمه دلت على صدق رسالته و القرآن معجزته الباقية يراها كل شاهد و يسمعا كل سامع اللهم صل على محمد و آل محمد واصحاب محمد و من حذا حذوه و اهتدى بهداه . ان النبي ﷺ جاء بعد فترة من الرسل بكتاب الله فرد الى المحجّة الواضحة القلوب الجامحة حتى اوجدامة كانت خیرامة اخرجت للناس اوجدامة اعزّت الاسلام فاعترت جانبها واستمسكت بالقرآن فقويت شوكتها واعتصمت بالدين فسمت الى مدار الافلاك قدقروا الكافرين وبادوا اعداء الاسلام وغلبوا بالدين الفئات الكثيرة باذن الله فانكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا - ولا تكونوا كالذين تفرقوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء .

أول شيء يجب على المسلمين من توحيد الله هو توحيد الكلمة دعى النبي ﷺ الى كلمة التوحيد وهي توحيد الكلمة ونبذ النعرات الطائفية و الإختلاف المذهبية الممزقة لشملة الاسلام و المفارقة لجماعة المسلمين و صفوفهم مامعنى وجود الاختلاف و تعدد المذاهب و تشعب الأفكار و القرآن يرشدنا والدين يجمعنا وما هذه الفوارق الدخيلة علينا إلا الدسائس الاجنبية و الوسوس النفسانية و هو اجس الشيطانية الاستعمارية .

لقد ارتحل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يدع حبل هذه الأمة على غاربها ولم يترك شأنها تتقاذفها الأهواء و تتلاعب به الاغراض و لكنه ترك لها تراثاً خالداً يجمع أمرها و يلم شعنها و يحكم بينها فاذا اتخذ المسلمون كتاب الله دليلاً فيما يقولون و يفعلون و حكماً فيما يأتون و يذرون يعيدون من غير شك مجدداً أضاعه الاهمال و طوّحت به الفرقة و أباده التخازل و التناذب و ايها المسلمون ما احوجنا اليوم إلى عود حميد الى رسالة الإسلام نرعاها قولاً و عملاً كما رعاها السلف الصالح لترعاها و نضونها لتصوننا و تنقذنا من الفوضى الاخلاقية والاجتماعية والسياسية التي تتخبّط اليوم فيها فاذا عدنا الى الله بالتوبة و الطاعة عادالينا بال مغفرة و العزّة و النصر والفتح المبين إن تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم ، وان عدتم عدنا .

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله بلى بلى ، قد قطعنا على انفسنا عهداً لا نخيس فيه ان نضع ايدينا في يد كل محب للإسلام عامل على رفعة ساهر على اعلاؤه جاهد في سبيله يسعى في لم الشعث و جمع القلوب حتى تتمكن بفضل الاتحاد والتضامن و التعاون و التآزر من تنشئة جيل يذود عن دينه بأمانة و إخلاص و نصون التراث الاسلامي بهمة و نشاط حتى اذا ارتحلنا من هذا العالم كنا على ثقة بأن في السويداء رجالاً و ان في العقول تفكيراً سليماً و ان في الصدور ايماناً صادقاً و ديناً قويمًا - لقد اكرمنا الله جميعاً بنعمة التوحيد و امتن علينا بهداية القرآن المجيد و ملا صدورنا بمحبة نبيه الكريم و آله المعصومين .

نعم كانت المدينة التي احتضنت الاسلام و مجدته كلمته تقيم العلاقات بين

المقطنين و الوافدين على التبادل في ذات الله و الايثار عن سماحة رائعة و المساوات بين الأُنساب و الأجناس و تبادل الاحترام و الحب و اشاعة الفضل و تقديس الحق و اسداء المعروف عن رغبة فيه لا تكلف به .

و هذه علائم الاخاء الصحيح إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله لا اخاء المنافع الزائلة ولا الغايات الدنيئة و كانت تعاليم الاسلام ترعى هذا الإخاء حتى لا يعد و عليه ما يكدره فلا يجوز لمسلم ان يسبب لأخيه قلقاً و فزعاً قال النبي ﷺ لا يحل للمسلم ان يروع مسلماً . و قال من نظر الى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيمة و بهذه الوصايا كانت الاخوة تاميناً شاملاً بث في اكناف المجتمع السلام و الطمأنينه .

و هذا ما يسمونه اليوم بالسياسة الداخلية و الحقوق الاجتماعية و لسيدنا الصادق عليه السلام مكتوباً بهذا الشأن رواه شيخ الأ نصارى في كتاب الملوك وهو المثل المناسب في الحقوق الاسلامية و تشكيلاتها الادارية .

درس في السياسة الداخلية : روي شيخنا الشهيد الثاني (ره) في رسالة المسماة

بكشف الريبة عن احكام الغيبة باسناده عن شيخ الطائفة عن مفيد عن ابن قولويه ... عن عبد الله بن سليمان النوفلي قال كنت عن أبي عبدالله عليه السلام فإذا بمولى لعبد الله النجاشي ورد عليه و سلم و أوصل إليه كتاباً ففضّه و قرأه فإذا أوّل سطر فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء سيدي وجعلني من كل سوء فداه ولا أراني فيه مكروهاً فإنه وليّ ذلك و القادر عليه .

اعلم سيدي و مولاي انني بليت بولاية الاهواز فان رأى سيدي ان يحدث لي حداً و يمثل لي مثالا استدلت به علي ما يقرّ بني الله عزّ وجلّ اليه و الى رسوله و يلخص في كتابه ما يرى لي العمل به و فيما ابذله و اين أضع زكوتي و فيمن أصرف و بمن آنس و الى من استريح و بمن أثق و آمن و ألجاء إليه في سرّي فعسى أن يخلصني الله تعالى بهدايتك و ولايتك فانك حجة الله على خلقه و امينه في بلاده و لا زالت نعمته عليك . قال عبد الله بن سليمان فاجابه ابو عبدالله عليه السلام حاطك الله بضعه و لطف بك بمنته

وكلاذك برعايته فانه ولي ذلك أما بعد فقد جاء إلي رسولك بكتابك فقرأته و فهمت جميع ما ذكرته و سألت عنه و ذكرت أنك بليت بولاية الأهواز فسرني ذلك و ساءني و و سأخبرك بما ساءني من ذلك وما سرني ان شاء الله تعالى .

فأما سروري فقلت عسى ان يغيث الله بك ملهوفاً من اولياء آل محمد و يعزبك ذليلهم و يكسوك عاريهم و يقوى بك ضعيفهم و يطفى بك نار المخالفين عنهم .
و أما الذي ساءني من ذلك فإن ادني ما اخاف عليك ان تعثر بولي لنا فلا تشم حظيرة القدس فأني ملخص لك جميع ما سألت عنه فان انت عملت به ولم تتجاوز رجوت ان تسلم انشاء الله .

أخبرني يا عبد الله أبي عن آباءه عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ انه قال من استشاره اخوه المؤمن (المسلم) فلم يمحضه النصيحة سلب الله لبه و اعلم اني سأستشير عليك رأيي ان أنت عملت به تخلصت مما انت تخافه .

و اعلم ان خلاصك و نجاتك في حقن الدماء و كف الأذى عن اولياء الله و الرفق بالرعية و التأنى و حسن المعاشرة مع لين في غير ضعف و شدة في غير عنف و مداراة صاحبك و من يرد عليك من رسله و ارفق برعيته بأن توقفهم على ما وافق الحق و العدل ان شاء الله و اياك و السعاة و اهل النمايم فلا يلزقن بك منهم احد ولا اراك الله يوماً و ليلة و انت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً فيسخط الله عليك و يهتك سررك و احذر مكر خوزي الأهواز فان أبي اخبرني عن أبيه عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ان الإيمان لا يثبت في قلب يهودي ولا خوزي أبداً و أما من تأنس به و تستريح اليه و تلجى امورك اليه فذلك الرجل الممتحن المستبصر الامين الموافق لك على دينك و ميز اعوانك و جرب الفريقين فان رأيت هنالك رشداً فشانك و اياه و اياك ان تعطى درهماً و تخلع ثوباً او تحمل على دابة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك أو ممزح إلا اعطيت مثله في ذات الله و ليكن جوائزك و عطاياك و خلعتك للقواد و الرسل و الاحفاد و اصحاب الرسائل و اصحاب الشرط و الاخماس و ما أردت أن تصرف في وجوه البر و النجاح و الصدقة و الحج و الشرب و الكسوة التي تصلى فيها و تصلى بها و الهدية التي تهديها

الى الله ورسوله من اطيب كسبك وانظر يا عبدالله ان لاتكنز زهبا ولا فضة فتكون من اهل هذه الاية ان الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ولا تستصغرن من حلوا وفضل طعام تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الله رب العالمين و اعلم اننى سمعت ابي يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال يوماً لاصحابه ما آمن بالله و اليوم الاخر من بات شعباناً و جاره جايع فقلنا هلكننا يارسول الله فقال من فضل طعامكم و من فضل تمركم و رزقكم و خلقكم و خرقتكم تطفون بها غضب الرب و سأبئك على هو ان الدنيا وهو ان شرفها على من مضى من السلف و التابعين فقد حدثني ابي محمد بن علي محاوره علي مع الدنيا في فديك (اسقطناها اختصاراً و من شاء فليراجع) الى ان قال .

فخرج من الدنيا و ليس في عنقه تبعه لاحد حتى لقي الله محموداً غير ملوم ثم اقتدت به الائمة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطخوا بشيء من بوائقها وقد وجهت اليك بمكارم الدنيا و الاخرة عن الصادق المصدق رسول الله ﷺ فان أنت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثم كانت عليك من الخطايا كمثل اوزان الجبال و امواج البحار رجوت الله ان يتجافي عنك جل و عز بقدرته يا عبدالله و اياك ان تخيف مؤمناً فان ابي حدثني عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان يقول من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظل الا ظله و حشره على صورة الذر لحمه و جسده و جميع اعضائه حتى يورده مورده .

و حدثني ابي عن ابيه عن آبائه عن علي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال من أعات لهفاناً أعاته الله يوم لا ظل الا ظله و آمنه من الفزع الاكبر و آمنه من سوء المنقلب و من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة احدها الجنة و من كسى أخاه جبة عن عرى كساه الله من سندس الجنة و استبرقها و حريرها و لم يزل يخوض في رضوان الله و من أطعم أخاه من جوع اطعمه الله من طيبات الجنة و من سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم و من خدم أخاه اخدمه الله من الولدان المخلدين و اسكنه مع اوليائه الطاهرين و من حمل أخاه المؤمن على

راحلة حملة الله على ناقة من نوق الجنة وباهي به الملكة المقر بين يوم القيمة ومن زوج
 اخاه امرأة يأنس بها وتشدد عضده ويستريح إليها زوجها الله من الحور العين وآنسه بمن
 أحبه من الصديقين من أهل بيت نبيه و اخوانه وآنسه بهم ومن أعان اخاه المسلم على
 سلطان جابر أعانه الله على اجازة الصراط يوم زلت الاقدام ومن زار أخاه المؤمن في
 منزله لالحاجة منه إليه كتبه من زوار الله وكان حقيقاً على الله ان يكرم زائره يا عبد الله
 وحدثنني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه يوماً معاشر
 الناس انه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتبعوا عثرات المؤمنين فانه
 من تتبع عثرة مؤمن يتبع الله عثرته يوم القيمة و فضحه في جوف بيته وحدثنني أبي عن
 آبائه عن علي عليه السلام قال اخذ الله ميثاق المؤمن ان لا يصدق في مقالته ولا ينتصف من
 عدوه و على ان لا يشفى غيظه الا بفضيحة نفسه لأن المؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرة
 و راحة طويلة اخذ الله ميثاق المؤمن على اشياء أيسرها مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه و
 يحسده و الشيطان يغويه و يمقته و السلطان يقفوا اثره و يتبع عثراته وهو كافر بالذي
 هو مؤمن به يرى سفك دمه ديناً و اباحة حريمه غنماً فما بقاء المؤمن بعد هذا يا عبد الله من
 أدخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل بيت نبيه سروراً و من أدخل أهل بيت نبيه
 سروراً فقد أدخل على رسول الله سروراً و من أدخل على رسول الله سروراً فقد سر الله و من سر الله
 فحقيق على الله ان يدخله الجنة ثم أوصيك بتقوى الله و إثارة طاعته و الاعتصام بحبله فإنه من
 اعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم فاتق الله و لا تؤثر أحداً على رضاه فإنه
 وصية الله عز وجل إلى خلقه لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها و اعلم ان الخلق لم
 يوكلوا الشئ أعظم من تقوى الله فإنه وصيتنا أهل البيت فلم يزل عبد الله يعمل به أيام
 حياته لقد بذل الأئمة الهداة اقصى ما لديهم من جهد ليخلقوا المسلمين باخلاقهم
 وسلوكوا لذلك كل سبيل و ارادوا ان يخلقوا من كل نفس رقيقاً ملازماً لها في السر
 و العلانية مسيطراً عليها يقر بها من الطاعة و يبعدها عن المعصية فمنهاج التريه كانت
 توجه نحو القيم الروحية و توضع في ضوء اصولها و قواعد هذه خطبهم و كتبهم و
 مواظبتهم و دروسهم و ضرب الأمثال و الحكم و ايراد القصص مع البيان المحكم فهم

اولاد امير المؤمنين لاتأخذهم في الله لومة لائم يخدمون الدين للدين و يرجون عظمة الاسلام و المسلمين يقولون لله و يقومون لله ان صلوتي و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين و كان من نتيجة ذلك ان التعاليم الدينية كانت واضحة في أذهان الناس متمكنة من نفوسهم فيخضعون لامر الشرع و نهيه طوعاً لاكرها حاكما كان المسلم او محكوماً فالاعياد الاسلامية تختلف باختلاف الاهداف و الاسباب وكلها ترمز الى المودة و الرحمة و الانسانية بان يصير كل مسلم مظهراً ومظهراً لصفات الالهية مثل الرحيمية و الرحمانية فنصيبه من اسم الرحمن بأن يكون مفيداً للبشرية و نافعاً للانسانية كما قال الله تعالى و قولوا للناس حسنا و قال النبي الأعظم ﷺ خير الناس من ينفع الناس و حفظه من اسم الرحيم ان يقصد الى توثيق آصرة القربى بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وديارهم ولغاتهم و تذكروهم بانهم اسرة واحدة حتى يكون العيد سعيداً والعيش حميداً ما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى ان نفهم أعيادنا فهماً جيداً نتلقاها به و نأخذها من ناحيته فتجيئى اياماً سعيدة عاملة تنبئه فيها واصفها القويّة و تجد دنفوسنا بمعانيها لا كما تجيئى الان كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى اكبر عملها تجديد الثياب و تحديد الفراق و زيادة ابتسامه على النفاق .

فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم نفسه و كما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم و كان العيد في الاسلام هو عيد الفكرة العابدة فاصبح عيد الفكرة العابثة و كانت عبادة الفكرة جمعها الأمة في إرادة واحدة على حقيقة عملية فاصبح عبث الفكرة جمعها الأمة على تقليد بغير حقيقة له مظهر المنفعة و ليس له معناها .
كان العيد اثبات الأمة وجودها الروحاني في اجمل معانيه فاصبح اثبات الأمة وجودها الحيواني في اكثر معانيه يوم استرواح القوة من جدّها فعاد يوم استراحة الضعف من ذلة و كان يوم المبدء فرجع يوم المعاد .

ليس العيد إلا أشعار هذه الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام لا اشعارها بأن الأيام تتغير و ليس العيد للأمة إلا يوماً تعرض فيه جمال نظامها الإجتماعى فيكون يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع والكلمة الواحدة فى السنة الجميع يوم الشعور بالقدرة على

تغيير الأيَّام لا القدرة على تغيير الثياب كأنَّما العيد هو استراحة الاسلحة يوماً في شعبها الحربى وليس العبد الاتعليم الأُمَّة كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يرجع البلد العظيم وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العملي وتظهر فضيلة الإخلاص مستعلنةً للجميع ويهدي الناس بعضهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحببة وكأنَّما العبد هو اطلاق روح الاسرة الواحدة في الأُمَّة كلها .

وليس العيد إلاَّ إظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزة من نشاط الحيات ولا ذاتية للأهم الضعيفة ولا نشاط للأهم المستعبدة فالعيد صوت القوة يهتف بالأُمَّة اخرجى يوم افراجك اخرجى يوماً كأَيَّام النصر .

وليس العيد إلاَّ ابراز الكتلة الاجتماعية للأُمَّة متميزة بطابعها الشعبى مفصولة من الاجانب لابسة من عمل ايديها معلنة بعيدها استقلالين في وجودها و صناعتها ظاهرة بقوتين في ايمانها وطبيعتها مبتهجة بفرحين في دورها واسواقها فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كلُّه بخصائصه .

وليس العيد الاالتقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها وترك الصغار يلقون درسهم الطبيعى في حماسة الفرح والبهجة ويعلمون كبارهم كيف توضع المعانى في بعض الالفاظ التى فرغت عندهم من معانيها ويصرونهم كيف ينبغى ان تعمل الصفات الانسانية في الجموع عمل الحليف لحليفه لاعمل المنابذ لمنابذه فالعيد يوم تسلط العنصر الحى على نفسية الشعب .

وليس العيد إلاَّ تعليم الأُمَّة كيف توجه بقوتها حركة الزمن إلى معنى واحد كلما شئت فقد وضع لها الدين هذه القاعدة لتخرج عليها الأمثلة فتجعل للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبسّم فيه الدراهم بعضها إلى بعض وتخترع للصناعة عيدها وتوجد للعلم وتبتدع للفن مجالى زينتته وبالجملة تنشئ لنفسها ايّاماً تعمل عمل القواد العسكريين في قيادة الشعب يقوده كلُّ يوم منها إلى معنى من معاني النصر .

هذه المعانى السياسيه القويّة هي التى من اجلها فرض العيد ميراثاً دهنياً في الإسلام ليستخرج اهل كلِّ زمن من معاني زمنهم فيضيفوا إلى المثل امثلة مما يدعه

نشاط الأمة ويحققه خيالها وتمتضيه مصالحها .

وما احسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيداً اسبوعياً يشترط فيه الخطيب والمنبر والمسجد الجامع الاّ تبيئةً لذلك المعنى واعداداً له ففي كل سبعة ايام يتشكل (١) المؤمن ويحيىء الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم ويقوم الخطيب فيشعر الناس معنى القائد الحربي للشعب كله . فالواعظ المخلص هو الذي يشجع المستضعفين على مطالبة حقوقهم ويقف في وجه القوى الظالم يردعه عن ظلم الضعيف المظلوم ويأمر الغني الغانم أن يعاون الفقير الخادم ويدعو الجماهير على المنابر وفي المحاضر لمكافحة الظلم والظالم وردعه عن الباطل وعلى الواعظ ان يفهمهم ان الدفاع عن الحق واجب مفروض كالصلاة والصوم والنوم على الضيم والصبر على الظلم حرام كالخمر والزنا ان الله يقول لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الاّ من ظلم وجاء في الخبر ان رسول الله ﷺ وزع بعض الفيء على الناس واخذ اعرابي نصيبه فاستقله وبسط يده وجذب الرسول من ثوبه جذباً شديداً و قال زدني فليس هذا مالك ولا مال أهلك واستل عمر سيفه صارخاً دعني يا رسول الله اضرب عنقه فقال ﷺ دعه ان لصاحب الحق مقالاً فالاعباد لا تختص بامة دون امة ولا بدين و ملة دون آخر فنجدها في تاريخ الأمم وجميع الأديان في العالم وتنقسم إلى دينية وشعبية ولما كان الشرق مصدر الأديان تراهم بهتمون ويحتفلون بالأعياد الدينية أكثر من الأعياد الشعبية ففي العيدين يحتفلون ويصلون لأنهما من الدين في الصميم ومع ان مولد النبي ﷺ من الذكريات الخالدة التي لها اعظم الأثر في تاريخ البشر لم يكن معروفاً في عهد الرسول والخلفاء لأنه عيد شعبي عند المسلمين ولم يصبح عيداً إلا في القرن السابع الهجري وهكذا يوم البعثة أي السابع والعشرين من رجب .

مقالة بقلم السيد

رضي الدين بن

طاوس قبل سبعماية

وخمسين سنة

أعلم ان الرحمة التي نشرت على العباد وبشرت بسعادة الدنيا والاطعاد بالإذن لسيد المرسلين ﷺ وعلى ذريته الطاهرين في أن يظهر رسالته عن رب العالمين إلى الخلايق اجمعين كانت السعادة بإشراق شمسها وتعظيمها وتقديسها على قدر ما

احيي الله جل جلاله بنبوته من موات الالباب وأظهر بقدر رسالته من الآداب وشح

(١) لعلك تقول ينعقد المجلس كما يستعملون ولكن لغة التشكيل احسن اطلاقاً في المورد .

بهدايته من الابواب إلى الصواب و ذلك مقام يعجز عن بيانه منطق اللسان و القلم و الكتاب و لاتحويه الخواطر و لا تطّلع على معانيه البصائر و لا تعرف له عدداً (قل لو كان البحر مداداً لكلمات البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربّي ولو جئتنا بمثله مدداً) و أنت إذا انصفت علمت أنّ الأمم كانت تائهة في الضلال و قد أحاط بها استحقاق الاستيصال و قد كانت اليهود في قيود ضلالها لمخالفة موسى عليه السلام و النصارى هالكة بسوء مقالها في عيسى عليه السلام و العرب و من تابعها سالكة سبيل الدواب و الأنعام و فاقدة لفوايد الأحلام بعبادة الأصنام و بحر الغضب من الله جل جلاله قد اشرف على ارواح اهل العدوان و امواج العطب قد احاطت بنفوس ذوى الطغيان و نيران العذاب قد تعلقت بالرقاب و سعت إلى الفتك بالاجساد و رسل الإِنْتِقَامِ قد اشممت باهل الإلحاد و العناد و قلوب الأعداء و الحساد و اهل الضلال ذووا عيون غير ناظرة و عقول غير حاضرة و قلوب غير باصرة و جوارح غير ناصرة و قد خذل بعض بعضاً بلسان الحال من شدة تلك الأهوال فبعث محمد صلى الله عليه و آله و سلم من مجلس الغضب و المقت و العذاب و انكاله الى الأمم المتعزّضة لتعجيل العقاب و استيصاله وهو واحد في العيان منفرد عن الاخوان و الاعوان يريد مقاتلة جميع من في الوجود من اهل الجحود برأى قد احتوى على مسالك الارداء و استوى على ممالك الأقوياء و جنان قد خضع له اماكن الأبطال و بيان قد خشع له لسان اهل المقال و الفعال و نور قد رجعت جيوش الظلمات به مكسورة و رؤس الجهالات بلهبه مقهورة و قدم قد مشى على الرؤوس و النفوس و همم قد حكمت بازالة الضرر و النحوس فسرى نسيم ارج ذلك التمكين و التلقين و روح حيوة ذلك السبق للأولين و الآخرين في اليوم السابع و العشرين من شهر رجب بالعجب و شرف المنقلب فاستشقته عقول كانت هامدة او بايدة و استيقظت به قلوب كانت راقدة و جرى شراب العافية بكأس آرائه العالية في اماكن اسقام الأنام فطردها و احاط بجيوش النحوس فشردها تهدد نفوس العقول المتهجمة على الغفول فأبعدها حتى ألّفها بعد الإفتراق في الآفاق و عطفها على الوفاق و الإلتفاق و اجلسها على بساط الوداد و الألتحاد و حماها عن مهاوى الهلكة و الفساد فما ظنك بمن هذا بعض اوصافه و من ذاق قدره على شرح ما شرفه الله

جلّ جلاله به من أطفاه و باى بيان اولسان او جنان يقدر على وصف مواهبه و
 إسعافه ولقد دعونا العقل إلى الكشف فذهل فدعونا القلب إلى الوصف فرجل فدعونا
 اللسان إلى البيان فاستقال فدعونا القلم إلى الإمكان فذّل و تزلزل و زال فدعونا
 الجوارح جارحة بعد جارحة فشردت عنا هاربة و نازحة فاستسلمنا لمّا يدل عليه لسان
 الحال من كمال ذلك الإقبال واستعنا بصاحب القوّة المعظّمة لذاته أن يعرفنا قدر
 ذلك اليوم السعيد وجسيم هباته وصلاته وان يعلمنا كيفية الشكر على ما عجزنا عن
 وصفه و يلهمنا كشف ما أقررنا بالقصور عن كشفه و يقبل بنا على ما يزيد من القبول و
 تعظيم المرسل والرّسول .

وسايل الارتباط قسم الأديب الانجليزي ه . ج ولز تاريخ الإنسانيّة إلى
 خمسة ادوار قبل الكلام الكلام الكتابه الطباعة الميكانيكا و الكهرباء وليست هذه
 الادوار في حقيقتها إلاّ الوسائل التي استطاع الإنسان بها الاتّصال بأخيه الانسان والتفاهم
 معه في شؤون الحياة الماديّة و الفكرية ولم يكف الذين على قيد الحياة منهم بالاتّصال
 والتعاون بل عملوا بواسطة الأدب و بقيّة الفنون الرفيعة الاخرى على الاتّصال بالاجيال
 اللاحقة فسجلوا افكارهم وعواظهم وأخيلتهم بل وطرائق معيشتهم وبذلك ساعدوا تطوّر
 الإنسانيّة كما حفظوا معظم تراثها على الاجيال والعصور .

ونحن إذا حاولنا تطبيق هذه الوسايل التي ذكرها ولز على حواس الانسان نجد
 الكلام يعتمد على السمع في وصوله إلى العقل و نجد الكتابة و الطباعة تعتمدان على
 النظر . كما نجد بعض المخترعات الحديثة - في عالم الفنون تعتمد علي الحاستين معا
 كالسينما الناطقة التي تعرض على أبصارنا المناظر و الاشخاص و على آذاننا الحديث و
 الموسيقي . الا انّ المخترعات الاخرى تقوم على احدى الحاستين كالتلغراف اللاسلكي
 و السلكي والتليفون والراديو

وكلّ مورخي الاداب متفقون على انّ الكلام و الالتقاء كان لهما شأن كبير في
 العصور القديمة فانت تعرف كيف كان ينشد هوميروس الياذته في بداوة اليونان و تعرف
 كيف كان العرب يجتمعون في سوق عكاظ يتنافسون في القاء الخطب و انشاد القصائد و

لعلك سمعت هؤلاء الشعراء الجوالين الذين يقصون على أبناء الريف أخبار الهلالية والزمانية وما إليها واخترعت الكتابة و تطورت على الزمن من الصور الى الرموز أو الحروف ونافت الكلام واللقاء وتغلبت عليهما لانهما يذهبان بذهاب قائلهما أو سامعهما فإذا وجد من يروي بهما فان تنقل الرواية في العصور يجعلهما عرضة للنقص و الاضافة و التحريف اما الكتابة فمحافظة في الأوراق و الكتب باقية يستفيد الناس منها .

وجاءت الطباعة فظهرت الكلمة المكتوبة على الكلمة المملفوظة فاذا بالخطباء و الشعراء و الكتاب و العلماء وكل من له فكر او خلية . انا حاضر لا يقتصر الواحد منهم على جمهوره من السامعين بل يرسل كلمته إلى الصحف و الكتب و كما ساعدت الميكانيكا و الكهرباء و الطباعة في مضاعفة الانتاج و سرعته كذلك ساعدت في الوقت نفسه في سرعة الانتشار و التوزيع أو قل ساعدت الناس في سرعة الاتصال الفكري و المادى .

فإذا كان الناس قد استطاعوا السفر باجسامهم و متاعهم إلى بلد و قطر فكذلك استطاعت افكارهم ان تعبر المحيطات و ان تصعد الجبال و ان تنحدر في الودية و السهول .

والمخترعات لم تساعدا الكلمة المكتوبة فقط و انما ساعدت المملفوظة أيضاً ساعدتها بتسجيل الاصوات و انتقالها في الاسلاك و طبقات الهواء . و على هذا فان اهم أثر للإذاعة اللاسلكية في الأدب سيكون من غير شك بمثابة النهوض بالكلام على حساب الكتابه و الطباعة .

اللغات و الاذاعة ولا يعزب عن بالنا ان الكتابة عند ما ظهرت حاولت تحطيم القيود التي كانت تفصل الجماعات الانسانية بعضها عن بعض لأنها كانت ولا تزال من أكبر العوامل في تعاطف الناس و تعاونهم . بيد ان المنافسة بين اللغات قامت و اشتدت تبعاً لتنافس الجماعات فكان لا بد من تغلب احدي اللغات و لعلها كانت لغة السادة أو الحكام أو الفاتحين . و هما يكن من شىء فقد كانت لغة المتغلبين تسود بسيادة أصحابها مثال ذلك تغلب اللاتينية في الكتابة و العلم في الغرب و تغلب اليونانية ثم العربية في الشرق الا ان اللغات الاخرى لم تندثر وإنما انكمشت في حدود البلدان التي تنطق بها .

واللغات في نضالها كالأمم والافراد تؤثر كل واحدة منها في الاخرى بالذات أو بالواسطة وجرت العادة ان تكون اللغة الغالبة لغة الادب والثقافة أو بعبارة اخرى . لغة الكتابه والتأليف كما تصبح اللغة المغلوبة لغة الكلام والحديث لغة الحياة اليومية في المنازل والاسواق ومن هنا نشأت هذه المشكله التي لاتزال قائمه في معظم الامم والتي تختلف قوه وضعفا باختلاف البيئات والثقافات . وهي الفرق الواضح بين لغة الكتابه ولغة الحديث أو كما نعرفها نحن في مصر والشرق العربي . الفرق الواضح بين اللهجه الفصحى واللهجه العامية .

و من البديهي ان الإذاعة اللاسلكية لا تقوم على اللغات المحليّة . وانما تقوم في اغلب الاحيان على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهي بعينها لغات الثقافة والأدب . ومن البديهي ان الراديو ينتشر بسرعة عظيمة جداً فلن يمضي طويل وقت حتى نرى أجهزة الراديو تتغلغل في الريف كما تغلغت في المدن وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة وهي محو هذا الفرق (بالتدريج) القائم بين اللهجات الفصحى والعامية الدارجة . وليس من شك في ان السنة العاشر ستقوم بها هذه الإذاعة لانهم سيعملون على محاكاة الراديو راغبين ام كارهين في نطق الالفاظ . كما انهم سيأخذون منه الكثير من الجمل والتعابير و بهذا يتخلصون من خصائص لغاتهم المحليّة .

اثر الإذاعة في الخطاب

وكانت الخطابة في دور الكلام - ولناخذ تعبير ولزهي الوسيلة الاولى في الإقناع والتأثير وكان الوعظ الديني لا يقوم إلا عليها . كما كانت المنافسة السياسية لاتجد ما تعتمد عليه سواها . ولكنها بعد ظهور الطباعة والصحافة قدضعت شيئاً فشيئاً ولم تكن تنتعش إلا في أوقات الثورات كما كانت تستيقظ في زمن الانتخاب وما اليه من المناسبات التي تدعو العامة إلى الاجتماع . وقد فقدت مكانتها الرفيعة التي كانت لها بين الأنواع الأدبية فاذا ظهر الراديو قوى هذا النوع الأدبي واشتد ساعده فانت اذا قلبت الصحف اليومية تقرأ ان فلان خطب انصاره في الراديو وان الأستاذ تحدث إلى الباحثين في الراديو وان . وان . والخطب التي تلقى في المؤتمرات الدولية الهامة تذاع على الملائين بواسطة الراديو وليس علينا إلا ان ننظر قليلا حتى نسمع ونحن جلوس على مقاعدنا الوثيرة المرحة

وفي غرفنا الدافئة الهادئة خطباء موهوبين لا يقل الواحد منهم في شيء عن ديموستين وشيرون وسحبان .

وما نقوله عن الخطابة نقوله عن شقيقتها المحاضرة التي لم تصبح مقصورة على المعاهد والجمعيات العلمية بل اتسع نطاقها بفضل الراديو واصبحت ربة المنزل تسمع المحاضرات في التدبير المنزلي كما يسمع زوجها المحاضرات في العمل والعمال بل كما وجدت السلطات التي تقوم على الصحة العامة وسيلة ايجابية نافعة في نشر الدعوة الصحية **أثرها في الشعر** واثر الاذاعة اللاسلكية في الشعرا كبر من اثرها في الخطابة والمحاضرة ذلك لان الشعر كان قد اصبح فناً اثرياً قلماً يعنى به الناس لغلبة التفكير المادى على العاطفة وسيادة الحياة الميكانيكية على الحياة الروحيه ولكن كلما بعد عهد الناس بالحرب الكبرى وآثارها وتائجها عادوا إلى المتاع الروحي يلتمسونه عند الفنانين من الموسيقيين والشعراء والرسميين وآية ذلك هذه الانتعاشة التي نشاهدها في جميع ميادين الاداب والفنون حتى بات الذين كانوا يظنون أن دولة الأدب قد دالت وان العلم التجريبي المادى هو كل شيء في هذا العصر^(١) يؤمنون بأن آثار الحرب الكبرى كآثار كل حرب - وقيته تزول بزوال مؤثراتها وان شعور الإنسان هو شعور الإنسان في كل زمان لا يمكن ان يصيبه التغيير او الفناء عاد الناس يهتمون بالشعر والأدب فلم يكن بد للذين يقومون على الاذاعة اللاسلكية من ان يساهموا في احياؤه وقد قامت شركة الاذاعة البريطانية بالتجارب والتجريات فصح لها ان الناس على عهدهم في الإهتمام بالشعر ولما كان لا بد من اللقاء والانشاء فقد ظهر الشعر الغنائى بمقطوعاته القصيرة ثم راجوا بين الشعر والموسيقى واختاروا ذوى الاصوات السليمة للقاء الشعر والشعر العربي سيتأثر بالاذاعة اللاسلكية ، ما في ذلك شك . فعلى الشعراء ان يوجهوا عنايتهم إلى الشعر اللاسلكى - (إذا صححت هذه التسمية) الذي يعتمد على التأثير والموسيقى والعاطفة ونحن نميل إلى ان شعراء المعاني لن يجدوا النجاح الذي سوف يجده شعراء العواطف والاخيلة والاوزان.

(١) وكان الفاضل مينورسكى يشتكى الانكليز في لندن بأنهم عزلوه عن درسه بل ازالوه عن مقامه مع مكانته في الادب العربى لانهم لا يحترمون الادب ولكنهم يهتمون بما ينفعهم في الحرب .

القصة و نقد الكتب وقد اهتم الأوروبيون الذين يقومون على الإزاعة اللاسلكية ببقية الفنون الأدبية الأخرى فلم يغفلوا القصة واختاروا الاقصوصة الصغيرة الواضحة ذات المغزى التي لا يقصد بها المؤلف اشباع شهوة الكتابة في نفسه وإنما يقصد بها الوعظ الخلقى أو الدنيى أو الاجتماعى كما أذاعوا الاقاصيص الفكهة و الصور الأدبية (الكاريكاتر) الخفيفة المحببة إلى النفوس .

دفاع وخطابة أبوالكلام : زعيم كبير من علماء الإسلام في الهند وخطيب مفوه أثار الرأى العام على الانكليز فحوكم في المحكمة الانكليزية و قد القى أمام الحكام خطبة دفاعية مسهبة أظهر فيها جرأة عظيمة .

إن هذه الحالة مثل ساير حالات عصرنا ليست بفضة فالتاريخ شاهد على انه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجه الحرية و الحق كانت المحاكم آلات مسخرة بايديها تفنك بها كيف تشاء وليس هذا بعجيب فإن المحاكم تملك قوة قضائية و تلك القوة يمكن استعمالها في العدل و الظلم على سواء فهى في يد الحكومة العادلة اعظم وسيلة لاقامة العدل و الحق و بيد الحكومات الجائرة اقطع آلة للانتقام و الجور و مقاومة الحق و الإصلاح .

موقف اصحاب الحق امام المحاكم

والتاريخ يدلنا على ان المحاكم كانت مسارح للفظاعة و الظلم بعد ميادين القتال فكما أهرقت الدماء البريئة في ساحات الحروب حوكت النفوس الزكية في ديوانات المحاكم فشنت و صلبت و قتلت و القيت في غياهب السجون و ليس هنالك عصابة صالحة محبة للحق من الأبياء و الحكماء و العلماء و الصالحين إلا و نراها واقفة كالجناة و المجرمين في قاعات المحاكم إمام القضاة . نعم ان كرايتم و مر العشي قدمحا كثيرا من مساوى العهد القديم . فلا يوجد الان شئ من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحى ولا جمعيات التفتيش السرية التي كانت في القرون المتوسطة ولكنى لاستطيع الاعتراف بأن عصرنا هذا قد نجا من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم - حقاً ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكا . ولكن

من ذا الذي يقدر ان يقرب تلك القلوب التي تكمن فيها تلك الأسرار المخيفة لحب الذات والظلم .

مقام عجيب
ولكنه عظيم

ان جدول مظالم المحاكم وفضائعها طويل عريض . تلك المظالم التي لم يفرغ التاريخ إلى الآن من البكاء منها - فترى فيه إسم المسيح الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر إلى شرب كأس السم لانه كان أصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غاليله الذي لم يكذب مشاهدته العلمية لانها كانت جنائية في عين القضاة والمحاكم - وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه إنسان . ولكن الملائين من الناس يعتقدون انه فوق هذا - اذن ما اعجب قفص الجناة وما اعظم شأنه انه موقف للصفين معاً : الأبرار والأشرار حتى أنه كان لاثقاً بهذا الوجود العظيم .

الاعتراف بالجنائية ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب الأمم في طور ضعفها ووهنها وهو من طبعه يبغض الحركة الوطنية والحرية والمطالبة بالحقوق بغضاً شديداً . لانه يعلم اذا نجحت سقطت قوته الظالمة وامحى وجوده الفاحش وما من وجود يحب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضرور يا في عين الحق والانصاف فالتدافع بين الحرية والاستبداد تنازع للبقاء وتزاحم في الحياة كل من الفريقين يجد ويكسب للفوز والبقاء ، الأمة تريد ان تنال حقها المغصوب والاستبداد يأبى عليها ولا يريد التزحزح عن مقامه ولا تثير عليه لانه - وان كان وجوده خلافا للحق يدافع عن نفسه وحياته وليس لنا ان ننكر مقتضيات الطبيعة فكما يسعى الخير لبقائه يسعى الشر ايضاً ومهما يكن ملوما في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة .

وقد بدء التزاحم في الهند بين هاتين القوتين الحرية والاستبداد - فليس يبدع ان تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عين الاستبداد وان يكون محاربو وجوده الباطل جناة وآثمة واهلاً للعقاب الشديد - فما دام الامر كذلك فأنى اعلن على مسمع من المحكمة والحكومة بانني انا قدار تكبت هذه الجنائية ارتكاباً واقرقتها اقترافاً وان كانت الحكومة لاتعلم وهي لتعلم - فلتعلم - الآن إنني من اولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه

الجنائية في قلوب أمّتهم . ووقفوا حياتهم على سقيها و تنميتها و تسميرها بل انى ولا فخر - اول مسلم في الهند دعا امته من اثنتى عشرة سنة الى هذه الجناية دعوة عامة وحوّل وجهتها في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها الى الحرية التي قد اشرفت شمسها الان ولم تنكسف أبداً . فان كنت آثما في زعمها فلتعاقبنى ماشاء فيها اناذا معترف بالجنائية بصدر رحب ولسان طلق غير جزع منها ولا نادم عليها لان هذا ماكنت أتوقعه واعرفه من قبل .

الحكم الشخصى إنى اعتقد ان الحرية حق طبيعى لكل إنسان ولكل أمة فطرة الله **ظلم بالذات** التي فطر الناس عليها - و ليس لشخص أو حكومة ان تستعبد عباد الله وتتخذهم خولاً وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت غير أنه على كل حال استعباد ورق ومشية الله وناموسه يمقته وينفيه وإنى لأجله لا اعترف بالحكومة الهندية بل أعدّها حكومة غير شرعية لانها مستبدة طاغية استعبدت البلاد وقهرت العباد داست الشرايع وخانت المواثيق ليسخطها الشعب ويمجها الحق فهي معدومة في نظر الأمة وإن كانت موجودة بقوة السلاح وأرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن احرر بني جلدتى من رقها وعبوديتها الشائنة وقد كانوا يعتقدون ان الحق للقوة والتسلط والقهر والغلبة ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن ان الحق ليس في القوة ولا هو القوة بل الحق هو الحق وأنه ليس لاحد من البشر ان يعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم ثم قضي على ساير الامتيازات والمناصب المؤسسة على الغلبة القومية والجنسية قضاء تاماً وبين ان الناس كلهم متساوون في الحقوق متساوون في الحياة وليس اللون والجنس والنسل معياراً للفضل والحسب وانما معياره العمل وحده فاعلاهم قدراً واکرمهم حساباً احسنهم عملاً واتقاهم لرّبهم يا ايها الناس إننا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

و لعمرى ان المطالبة من مسلم بان يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلماً مثل مطالبته بان يتنازل عن حياته الاسلامية فان كنتم لا ترون لأنفسكم ان تطالبوا أحداً بان يرتد عن دينه فليس لكم ان تطالبوا مسلماً بأن يمتنع عن قوله للظلم إنه

ظلم لأن معنى كلتا المطالبتين واحد أن التصديق بالحق وإعلانه عنصر ضروري للحياة الإسلامية فإن فصل عنها فقدت أكبر ما تمتاز به لأن الإسلام أسس قومية المسلمين عليه وجعلهم شهداء الحق على العالم كله فكما يجب على الشاهد أن لا يتوانى في أداء شهادته كذلك يتحتم على المسلم أن لا يتعصّب في إعلاء الحق ولا يبالي في أداء فرضه بمصيبة وابتلاء بل يصدع به حيثما كان ولولا قى دونه الحمام - وتصير هذه الفريضة أو كدوا واجب عند ما يسود الظلم والجور و يمنع الناس من إعلان الحق بالعنف والشدة لأنه ان أجيز السكوت عنه خوفا من بطش الجبارين الذين يقطعون الألسنة ويقتنون الأبدان بأنواع من العذاب يصح الحق في خطر دايم ولا يبقى لظهوره وقيامه من سبيل مع ان ناموس الحق فوق القوّة وليس بمحتاج في ثبوته إلى تصديق القوّة ولا يضره سكوت الناس عنه قاطبة بل إنّه يظلّ على كل حال حقاً حقاً عند ما نجد في سبيله ما نحبّ ونشتهي وحقاً عند ما يكون دونه الموت الزؤام و هل تصير النار برداً والثلج ناراً لأننا نجس ونسجن قال النبي ﷺ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وذلك اضعف الايمان و حيث اننا لسوء حظنا لا نقدر في هذه البلاد على تغيير منكرات الحكومة بايدينا لجائنا إلى الدرجة الثانية التي في وسعنا وهي أن نعلن بالسنننا ظلمها و مساوئها و نندد بمثالبها ونشهر بمعايبها قد كان من حيث سفيان إنّه لما آتاه الرسول بكتاب الخليفة كان في مسجد الكوفة و حوله أصحابه فرمى إليه الرسول الكتاب فلما رآه ارتعد و تباعد منه كأنه حيّة عرضت له : ثمّ ادخل يده في كفه ولفها بعبائه و أخذ الكتاب فقلبه بيده ثمّ رماه إلى من كان عنده و قال يأخذكم بعضكم يقرؤه : فاني استغفر الله ان أمسّ شيئاً مسّه ظالم بيده فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه و اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقيّ فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به و إن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسّه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا ثمّ قال اكتبوا ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالامال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان أمّا بعد فاني قد كتبت إليك اعرفك ان قد صرمت

حبلك و قطعت ودك وقلت موضعك فانك قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عنى حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك - اما انى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك و سنؤدى الشهادة عليك غداً بين يدى الله تعالى - يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم و العاملون عليها في أرض الله و المجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضى بذلك حملة القرآن و أهل العلم والأراامل و الايتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مؤثرك واعد للمسألة جواباً و للبلاء جلباباً و اعلم انك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم و الزهد ولذيق القرآن و مجالسة الاخير و رضيت لنفسك ان تكون ظالماً و للظالمين إماماً يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير و اسبلت ستراً دون بابك و تشبهت بالحجة رب العالمين ثم اعدت أجنادك الظلمة دون بابك و سترك يظلمون الناس ولا ينصفون : أفلا كانت هذه الاحكام عليك و عليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غداً إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة و اعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك و انصافك و الظالمون حولك و أنت لهم سابق و امام إلى النار كائى بك يا هارون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق و أنت ترى حسناتك في ميزان غيرك و سيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء و ظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي و اتعظ بموعظتي التي وعظتك بها و اعلم انى قد نصحتك و ما ابقيت لك في النصح غاية و السلام .

فلما وصل هذا الكتاب إلى هرون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر !

ولم يكن العلماء والأئمة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و حدهم بل كان يوجد إذ ذاك من دهماء المسلمين وعامتهم من يؤدى هذه الفريضة بكل شجاعة و رباطة جاش فبينما كان الخليفة المنصور العباسي يطوف بالبيت (نقلناه في محله) . فهكذا كان المسلمون في الأيام الأولى يتقربون إلى مولاهم بتعرضهم للملوك و

السلطين وتخشينهم لهم في القول و تقديم مهجهم للهلاك ولقد ظلوا على هذه الوتيرة بعد ولا يزال يوجد فيهم الربانيون يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر حتى يأتي أمر الله كما ورد في الخبر لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون .

أيها القاضي لقد طال الحديث وآن أوان الوداع فليودع كل منّا صاحبه وان ما يدور الآن بيننا سيسجله التاريخ بين دفاتره ويعتبر به المعبرون ولقد تشاركنا في ترتيبه على سواء انا من هذا القفص للجنة و أنت من ذلك الكرسي للقضاة وإني عالم بأنه لا بد من هذا الكرسي و القفص فهلم بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآتين فالطؤرخ ينتظرنا والمستقبل يترقب فراغنا لنسرع في المجيء إليك وتسرع في القضاء علينا وان هذا لا يطول حتى يفتح باب لمحكمة اخرى فيها قانون الله قضائه حق و حكمه نافذ فكانت النتيجة ان برأته المحكمة بعد هذا الدفاع .

خطابة حربية اطلقت العرب على الاندلس اسم الجزيرة من باب التغليب كما أطلقت اسم الجزيرة على شبه جزيرة العرب فتحوها على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد تقدم طارق بن زياد البربري من بر العدو في اثني عشر ألف فارس من البربر وبعض العرب صيرها عسكرين قادا أحدهما بنفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به إلى اليوم وقاد الآخر طريف ابن مالك النخعي و نزل بمكان مدينة طريف فسمى به إلى اليوم .

قيل إن الطارق أحرق السفن التي حملت جيشه في هذا الزقاق بين العدوتين وخطب جيشه لما اطل عليه جيش صاحب طليطلة ومما قال .

أيها الناس أين المفر و البحر من ورائكم والعدو إمامكم وليس لكم و الله إلا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مادب اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه و أسلحته و أقواته موفورة و أنتم لاوزر لكم غير سيوفكم ولا اقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم و تعوضت القلوب برعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية. إلى أن قال واعلموا انكم

إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الأذ طولياً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفس فيما حظكم فيه أوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عريانا ورضيكم ملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً و أول من دخل الاندلس مع طارق بن زياد نحو ثلاثمائة من العرب وزهاء عشرة الآف من البربر فلما تمّ الفتح ارسل الأمويون قبائل من الشام أنزلوها في كور مخصوصة من بلاد الاندلس وجعلوا لهم ثلث اموال اهل الذمة طعمة . فنزل في البيرة جند دمشق من مضر ونزلية جند الأردن وهم من يمن كلهم وابتقت العرب سكان البلاد على قضائهم وادارتهم وقتلدهم بعض الوظائف ثمّ وسدوا إليهم الجليل منها فأحب الاسبانيون العرب محبة خالصة لما رأوا من تسامح الفاتحين و تفانيهم في نشر العدل بين الناس فلم يمض قرن حتّى اخضبت القرى وكثرت المزارع واتصل العمران و تراحم الناس بالمناكب في المدن وامست قرطبة عاصمة الخلافة الاندلسية كعواصم اوربا اليوم تنار بالمصايح ليلاً و يستضيء الماشى بسرجهما ثلثة فراسخ لا ينقطع عنه الضوء و غدت قرطبة عاصمة علم وصناعة وفن وتجارة وناهيك ببلدة بلغ عدد مساجدها الفاً و ستمائة فيها مائتا الف دار وثمانون الف قصر اجتمع عند المنصور ايام خلافته جماعة من ولدائه منهم عيسى بن موسى و العباس بن محمد و غيرهما فتذاكروا خلفاء بني امية والسبب الذي به سلبوا عزهم ففان المنصور كان عبد الملك جبّاراً لا يبالي ماصنع وكان الوليد لجانا مجنوناً و كان سليمان همته بطنه و فرجه وكان عمر اعور بين عميان وكان هشام رجل القوم ولم يزل بنوامية ضابطين لما مهّد لهم من السلطان يحوطونه و يصونونه و يحرسون ما وهب الاسلام لهم مع تسنّمهم معالي الامور ورفضهم أدانيها حتّى افضى امرهم إلى احداث مترفين من ابنائهم فغمطوا النعمة ولم يشكروا العافية و اساءوا الرعاية فابتدأت النقمة منهم باستدراج الله اياهم آمين مكره مطر حين صيانة الخلافة مستخفين بحقّ الرياسة ضعيفين عن رسوم السياسة فسلبهم الله العزة والبسهم الذلّة وازال عنهم النعمة سأل المنصور^(١) ليلة عن عبد الله بن مروان بن محمد فقال له الربيع في سجن امير المؤمنين حيّاً

(١) شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد و تذكرة العوام لقطب الدين الكيبرى فى

فقال المنصور قد كان بلغنى كلام خاطبه به ملك النوبة لما قدم دياره وانا احب أن أسمعه من فيه فليؤمر باحضاره فاحضر فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة فامر بالمنصور بالجلوس فجلس وللقيد في رجله خشخشة قال احب ان تسمعنى كلاماً قاله لك ملك النوبة حيث غشيت بلاده قال نعم قدمت إلى بلد النوبة فأقمت ايّاماً فاتصل خبرنا بالملك فارسل الينا فرشاً و بسطاً و طعاماً كثيراً وافردلنا منازل واسعة ثم جاءنى و معه خمسون من اصحابه بايديهم الحراب فقامت اليه فاستقبلته و تنحيت له عن صدر المجلس فلم يجلس فيه وقعد على الاوض فقلت له ما منعك من القعود على الفرش قال انى ملك وحق الملك ان يتواضع لله و لعظّمته اذا رأى نعمة متجددة عنده . ولما رأيت تجدد نعمة الله عندي بقصدكم بلادى واستجارتكم بى بعد عزكم و ملككم قابلت هذه النعمة بما ترى من الخضوع و التواضع ثم سكت و سكت فلبثنا ماشاء الله لايتكلم ولا أتكلم واصحابه قيام بالحراب على رأسه ثم قال لى لما ذا شربتم الخمر و هي محرّم عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا بجهلمهم قال فلم وطأتم الزروع بدوابكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم و دينكم قلت فعل ذلك اتباعنا و عمالنا جهلا منهم قال فلم لبستم الحرير و الديباج و الذهب و هو محرّم عليكم في كتابكم و دينكم قلت استعنا في اعمالنا بقوم من ابناء العجم كتاب دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك اتباعاً لسنة سلفهم على كره منا فاطرق ملياً إلى الارض يقلب يده وينكت الأرض ثم قال عبيدنا و أتباعنا و عمالنا و كتّابنا ما الامر كما ذكرت و لكنكم قوم استحللتم ما حرّم الله عليكم وركبتم ما عنه نهيتهم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العزّ والبسكم الذلّ و ان له سبحانه فيكم لنقمة لم تبلغ غايتها بعد وانا خائف ان يحلّ بكم العذاب وأنتم بارضى فينالنى معكم والضيافة ثلاث فاطلبوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن ارضى فاخذنا منه ما تزودنا به وارتحلنا عن بلده فعجب المنصور لذلك وامر باعادته إلى الحبس .

الاسلام والتمدن : طلع التمدن الإسلامي في الشرق و أهل الغرب غارقون في الاعصر المظلمة فلما نضج هذا التمدن في بغداد والقاهرة و قرطبة و طليطلة و تماس أهل

البلدين على الحدود بينهما في الاندلس و صقلية و إيطاليا و رأى الغربيون ما بلغ اليه المسلمون من العلم و الفلسفة و الابته و الحضارة و غيرها من اسباب العمران عمدوا إلى الاقتداء بهم و الأخذ عنهم فتعلّموا لسانهم و قرأوا كتبهم و نقلوا علومهم - بدأوا بذلك من اواسط القرن العاشر للميلاد (نحو القرن الرابع الاسلامى) و التمدن الاسلامى على ارقى درجاته في الاندلس و قد انشئت المدارس في طليطلة و قرطبة فتقاطر اليها الطلبة من الافرنج يتلقون العلم باللغة العربية كما تتلقاه اليوم باللغات الغربية فلما أخذوا منها بنصيب عمدوا إلى نقلها و اقدم المتقربين من علوم المسلمين الرهبان لانحصار العلم يومئذ في الأديار أوّل من اشتهر بذلك منهم البابا سلفسترا المتوفى ١٠٠٣ للميلاد قدم قرطبة في اواسط القرن العاشر قبل أن يتسّم عرش البابوية و كان اسمه جربرت فتلقى الرياضيات و الفلك و اشتغل بسائر العلوم و ألف كتباً كثيرة و يليه الراهب كراف هرمان فون فهر نجن المتوفى ١٠٥٤ ثم قسطنطين الافريقى .

فلما كانت الحروب الصليبية في اواخر القرن الحادي عشر و اهتزّت اعصاب العالم و تحاك القوم بالمسلمين في الشام و مصر و خالطوهم و رأوا علومهم و آدابهم و مدارسهم و سائر اسباب تمدّنهم زادت رغبتهم في نقل العلوم و المعارف و كثر العاملون على تعلّمها و نقلها و لا سيما الطبيعيات و الطب و الرياضيات و الفلسفة فاخذوا ينقلونها إلى اللاتينية لغة العلم في ذلك العصر و من اشهر المشتهرين بالنقل ادلاردوس باتونيا نسنس المتوفى في اواسط القرن الثاني عشر و يوحنا اكريانوس و يوحنا اسبانوس و قد نقل هذا من العربية إلى اللاتينية نحو عشرين مؤلّفاً من كتب ابن سينا و الفرغانى و الطوسى و البلخى و غيرهم من حكماء الاسلام و فلاسفة المسلمين و منهم كونه يسلانى رئيس لجنة المترجمين التى شكلها ريمون اسقف طليطلة لنقل العلم من العربية إلى اللاتينية فنقلت بعض كتب ابن سينا و الفارابى و الغزالى و تيبور تيس مترجم بعض كتب الحرانى الكيماوى و روبرتس ريتنس و هرمانوس دلماتا . ثم جيراردوس كريمونيس المتوفى في اواخر القرن الثاني عشر وهو أكثر أهل ذلك العصر اشتغالا في نقل الكتب العلمية من العربية إلى اللاتينية ذكروا انه نقل نيفاً و سبعين كتاباً في المنطق و الهندسة

و الفلك و الفلسفة و الطبيعيات و الكيمياء و الطب فكانه نقل معظم كتب العلم و الثقافة مما ألفه أكبر علماء المسلمين كابن سينا و الفارابي و الخوارزمي و الرازي و الكندي و اولاد شاعر و ابن الهيثم و الزهري و ما ترجمه اشهر تراجمة العلم في العصر العباسي كحنين و ثابت من كتب ارسطو و جالينوس و بقراط .

و ربما زاد عدد المترجمين من الافرنج في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر على بضعة و ثلاثين رجلاً من اعظم العلماء ، و التراجمة نقلوا كتب العلم و الفلسفة من العربية إلى اللاتينية كما نقلها المسلمون قبل ذلك ببضعة قرون من اليونانية إلى العربية على ان اشتغال الافرنج باللغة العربية على ما تقدم إنما كان قاصراً على نقل العلوم الدخيلة و قلما تصدى أحد منهم العلوم الإسلامية او آداب اللغة العربية - و كأنهم أجلوا ذلك حتى هضموا ما ترجموه و تمثل في أذهانهم فلما تم لهم هضمه و نضج علمهم و نشاء تمدنهم الحديث بعد اختراع الطباعة و اكتشاف الدنيا الجديدة و انشاء المدارس العالية نظروا في الشرق و علومه في أوائل القرن السابع عشر نظرة تختلف عن نظرتهم الأولى اختلافاً كلياً لانهم في الأولى اشتغلوا بعلوم المسلمين اشتغالهم بالضرورة اللازم فاستأوا بها في خروجهم من ظلمة الاجيال الوسطى و هم يعدون أصحاب تلك العلوم أساتذة لهم يقتدون بهم في انشاء تمدنهم الحديث . أما نظرتهم الاخيرة فعلى الضد من ذلك لانهم كانوا قد تقدّموا و تأخروا و ائبع تمدنهم و ذبل تمدننا و استنارت عقولهم و أظلمت عقولنا فأخذوا يبحثون بين انقاض تمدننا فيما بقي من رفات علومنا و آدابنا ليدرسوا تاريخنا و يطلعوا على ما كان من نظام الاجتماع عند اسلافنا . فكانت نظرتهم الثانية تشمل البحث في تاريخ الشرق و اخلاق الشرقيين و النظر في علومهم الدينية و آدابهم الاجتماعية و لا يتيسر لهم ذلك إلا بالاطلاع على ما خلفه المسلمون من كتب الدين و الأدب و كانت دول اوروبا قد نهضت لحياء لغاتها فآخذوا في درس تلك الكتب او ترجمتها فكان أكثر ما نقلوه إلى لغاتهم الحديثة الفرنسية و الإيطالية و الانجليزية و غيرها و سموا بالمستشرقين و ينقسم اشتغالهم بالشرق و تاريخه و آدابه إلى ثلاث درجات :

١ - نشر الكتب العربية بالطباعة أو الاحتفاظ بها خطأ في المكاتب والمتاحف بعد ان كادت تذهب بها يدالزمان .

٢ - نقل بعض هذه الكتب إلى ألسنتهم .

٣ - التأليف في تاريخنا و آدابنا من عند أنفسهم بعد درس تلك الكتب و اقدم ما اشتغلوا بطبعه هو ترجمة القرآن و سيرة النبيؐ بدأوا بذلك من القرون الوسطى بقصد الطعن في الإسلام و المسلمين اثناء الحروب الصليبية فجاءت مؤلفاتهم الأولى محشوة بالمطاعن و المفتريات حتى اذا تمدنوا و تعودوا البحث و التحقيق اصبحوا كلما تقدموا في معرفة تاريخ المسلمين تدرجوا في تقديرهم فلما اتسعت العلاقات بين الشرق و الغرب نشرت كتب التاريخ و الجغرافيا و الأدب أو ترجمت كابي الفداء و الطبرى و ابن الاثير و ابن خلكان و معجم ياقوت و أصبح القوم على هدى فيما يكتبون فالاعتراف بالخطاء هدى و صواب مثل الذي كتب الكتاب و سماه "مجد النبيؐ" الذي ينبغي ان يعرف من جديد .

لقد افلت بعض بني مروان من شرك السفاح و نجا بنفسه و اهله إلى الاندلس و البلاد تنتظر يومئذ من يلم شعثها و يجمع شملها فانها بالخلاف بين المضربة و اليمينية تضطرب من شتات فكان عبد الرحمن الداخل هو الوارد و الحاكم و استولى بمعونة اليمينية و نشر علم الأموية ! في قرطبة و تعاقب على عرشها من أولاده و حفدته تسعة عشر كعدد زبانية جهنم صاروا ملوكاً في الجنة في اربعة و ثمانين و مأتى عام حتى اصابهم داء الامم فتمزقوا و تفرقوا و انحل ملكهم الى دويلات صغيرة عرف أصحابها بملوك الطوائف كبنى جمهور في قرطبة و ابن عباد في اشبيلية و ابن الافطس في بطليوس فاقبس الاسبان ثقافة العرب فاعتقدوا دينهم و تكلموا بلغتهم و تعلموا آدابهم و هجروا اللاتينية حتى أنسوها قال كاهن قرطبة انانحب ان نقرأ الشعر و القصص و ندرس الدين و الفلسفة في اللغة العربية فنتعلم لغة عذبة الالفاظ بليغة الاداء جميلة الانشاء ، ولا تكاد تجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية و شبنا الازكياء جميعاً لا يعرفون غير لغة العرب و ادا بهم و كلما قرأوا كتبها و درسوا أدهبأعجبوا بها فاذا حدثهم عن كتاب من الكتاب اللاتينية سخروا منه و قالوا ان الفائدة منه لاتساوى التعب في قراءته و هكذا نسي المسيحيون

لغتهم وجعلوها كتابتها و بلاغتها و حذقوا في العربية و تكلموا اللسان العربي و يكتبونه نثراً و نظماً بأسلوب أنيق و تصوير دقيق يفوقون فيه العرب أحياناً و قد اعترف بعض كتاب الافرنج ان الشعر العربي على جملة أنه أنقى شعر عرفه العالم بما حوى من العواطف الرقيقة و اقرب إلى معاني الرجولة و الشرف و هذا ما قاله الاستاذ جول لومتر في مقدمته لكتاب حديقة الزهور لوصف باشا وقال لويس فياردوا في الجزء الثاني من كتاب تاريخ العرب والبربر في اسبانيا كان الشعر الفرنسي على مثال الشعر الأسباني المتأخوذ عن الشعر العربي لأن اليونان والرومان لأنهم لم يقفوا على هذا و ذلك قبل القرن الرابع عشر حتى يقلدوه .. ولقد اخذنا صناعة الشعر والقوافي عن العرب .

و هذه الصناعة جاءتنا من الاندلس عن طريق مرسلينا و طولون مع التجار الاسبان الذين كانوا يفدون اليهما و كانت سياسة الامويين في الغرب غير سياستهم في الشرق فقد كانوا في دولتهم الاولى يترفعون عن الاختلاط بالفرس و يسمونهم العجم الموالي و يعترفون بعصبية الجنس و اصبحوا في هذه الدولة مدنيين يمهدون لهم سبل الاندماج فيهم فكان من نتيجة هذا الارتباط و الاختلاط ان حدث في الاندلس ما حدث في العراق من امتزاج الجنسية السامية بالجنسية الآرية كما صنع العباسيون في ابناء الفرس فازدهر الاندلس بحضارة اسلامية مادتها من الشرق و بناتها من العرب كما ان حضارة الاسلام في بغداد كانت من صنع الفرس لان العرب كانوا وراثاً بدابة و جهالة و الفرس وراث ملك و حضارة و علوم و فلسفة فاتت كل أولئك إلى الإسلام بان تقاليمهم إليه كذلك كان اوربا « يومئذ كانت تخبط في دياجير الجهالة و ترسف في اغلال الامية و كان الامويون و عرب الاندلس لا ينفكون ملتفتين إلى الشرق موطن الجنس و الدين و اللغة و الادب و الحضارة فيسيرون على ضيائه و يستمدون من زعمائه و علمائه و يحذون في سياستهم و ادارتهم حذو العباسيين فشيئوا المدارس الجامعة و انشأوا المكاتب العامة و نشطوا حركة التأليف . و اذكوا نهضة الادب و رفعوا مجد الفنون و عقدوا مجالس المناظرة و المحاضرة بلغت الاندلس من ذلك كله الحظ الوفور في عهد عبد الرحمن الثاني و بلغت اوج سلطانها و غاية عمر انها و تمام بنائها في عصر عبد الرحمن الثالث

وابنه الحكم وهو عصرها الذهبي الذي بلغت فيه من السطوة والقوة و الثروة والوحدة والحضارة والعمارة والفن والادب ما كانت تضارع به بغداد وما أدهشت به المورخ دوزى حتى قال ان عبد الرحمن الناصر اولي ان يكون من ملوك العصر الحديث لامن القرون الوسطى وهكذا كانت حضارة الاسلام تتشع في بغداد و قرطبة في وقت واحد ولكن تمام الشيء مبدء نقصانه . **قال صالح بن شريف :**

لكل شيء إذا ماتم نقصان	فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول	من سره زمن سائته أزمان
وهذه الدار لا يبقى على أحد	ولا يدوم على حال لها شأن
يمزق الدهر حتماً كل سابعة	إذ انبت مشرفيات و خرصان
وينقضى كل سيف للفناء ولو	كان ابن ذى يزن والسيف غمدان
اين الملوك زوو التيجان من يمن	و أين منهم اكايل و تيجان
و أينما شاده شداد في إرم	و أينما ساسه في الفرس ساسان
و أينما حازه قارون من ذهب	و أين عاد و شداد و قحطان
أتى على الكل أمر لامرد له	حتى قضا فكا ن القوم ما كانوا
فجايع الدهر أنواع منوعة	و للزمان مسرات و أحزان

فلم تكد خلافة الحكم ابن الناصر تنتهى حتى دب في خلافة بني مروان ديب البلى و الهرم . و آل سلطانها إلى ملوك الطوائف فاضطلعوا به قليلاً ثم أوهن كواهلهم داء الانقسام و فساد النظام وعاداهم المرابطون من البربر فقوضوا اركانهم و نازعوه في سلطانهم و راوحهم الافرنج متكاتفين فاستلبوا الملك من ايديهم مدينة بعد مدينة حتى تمت الهزيمة و عم الجلاء بفرار أبي عبد الله المعروف بالشقي .

وقف أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة بعد إنكساره إمام جيوش الملك فرديناند و الملكة ايزابلا على شاطى خليج الرومى تحت ذيل جبل طارق نزوله إلى السفينة المعدة لحمله الى افريقيا وقد وقف حوله نساءه و أولاده و عظماء قومه من بنى الاحمر فالتقى على ملكه الذاهب نظرة طويلة لم يسترجعها إلا مبلة بالدمع ثم ادنى رداه من وجهه و

انشأ يبكي بكاءً مرّاً و ينشج نشيجاً محزناً حتى بكى من حوله لبكائه و أصبح شادياً البحر كأنه مناحة قائمة تتردد فيها الزفرات و يستبق العبرات . فإِنَّه لواقف موقفه هذا وقد زهل عن نفسه و موقفه ان احس هاتفا يهتف باسمه بصوت كأنما ينحدر إليه من علياء السملاء فرفع رأسه فاذا شيخ ناسك متكئ على عصاه واقف على باب مغارة من مغارات الجبل المشرف عليه ينظر إليه و يقول .

نعم لك ان تبكى ايها الملك الساقط على ملكك بكاء النساء فانك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال انك ضحكت بالامس كثيراً فابك اليوم بمقدار ماضحت بالامس فالسرور نهار الحياة و الحزن ليلها ولا يلبث النهار الساطع أن يعقبه الليل القاتم .

لو ان مازهب من يدك من ملكك ذهب بصدمة من صدمات القدر . او نازلة من نوازل القضاء من حيث لا حول لك ولا حيلة لهان أمره عليك أما وقد اضعته بيدك وأسلمته الى عدوك باختيارك . فابك عليه بكاء النادم المتفجع الذي لا يجد له عن مصابه عزاءً لا يظلم الله عبداً من عباده . ولا يريد بأحد من الناس في شأن من الشؤون شراً ولا ضيراً ولكن الناس يأبون الا أن يقفوا على حافة الهوة العميقة فتزل بهم اقدامهم و يمشوا تحت الصخرة البارزة المشرفة فتسقط على رؤوسهم .

لم تقتنع بما قسم الله لك من الرزق فاييت الا الملك والسلطان فنازعت عمك الامر واستعنت عليه بعدوك وعدوه فتناول رأسيكما معاً وما زال يضرب احدهما بالآخر حتى تحت قدمكما قليب من الدم فغرقتما فيه معا .

لى فوق هذه الصخرة يا بني الاحمر سبعة اعوام انتظر فيها هذا المصير الذي صرتم اليه و اترب الساعة الذي أرى فيها آخر ملك منكم يرحل عن هذه الديار رحلة لارجعة له من بعدها . لاني اعلم أن الملك الذي يتولى امره الجاهلون الاغبياء لادوام له ولا بقاء اتخذ بعضكم بعضاً عدواً . واصبح كل منكم حرباً على صاحبه فسقتم المسلمين الى ميادين القتال يضرب بعضهم وجوه بعض والعدو رابض من ورائكم يتربص بكم الدوائر و يرى أن كلاً منكم قائد من قواده ينبعث بين يديه لقتال اعدائه والمناضلة عن ملكه حتى رآكم تتهافتون على انفسكم ضعفاً و وهناً فاقتحمكم فما هي الاجولة او جولتان

حتى ظفر بكم معاً ستقفون غداً بين يدي الله ياملوك الاسلام . و سيسألكم عن الاسلام الذي اضعتموه وهبطتم به من علياء مجده حتى الصقتم انفه بالرغام . وعن المسلمين الذين اسلمتموهم بايديكم الى اعدائهم ليعيشوا بينهم عيش البائسين المستضعفين وعن مدن الاسلام وامصاره التي اشتراها آباؤكم بدمائهم و ارواحهم ثم تركوها في ايديكم لتذودوا عنها . وتحموها مارها فلم تحرّكوا في شأنها ساكناً حتى غلبكم اعداؤكم عليها فاصبحتم تعيشون عيش الأذلاء و تطردون منها كما يطرد الغرباء . فماذا يكون جوابكم ان سئلتم عن هذا كله غدا .

ماهي النواقيس ترن في شرفات المآذن بدل الأذان و هاهي المساجد تطأ نعال الصليبيين في تربتها مواقع جباه المسلمين . وها هو المسلم يفرّ بدينه من مكان إلى مكان و يلون باكناف الهضاب والشعاب . لا يستطيع ان يؤدّي شعيرة من شعائر دينه إلا في غار كهذا الغار الذي أعيش فيه .

ليت المسلمين عاشوا دهرهم فوضى لانظام لهم ولا ملك ولا سلطان كما يعيش اليهود المشردون في آفاق البلاد .

فقد كان ذلك خيراً لهم من ان يتولّى أمرهم رجال أمثالكم طامعون مستبدون يلفون على اعناقهم جميعاً غلا واحداً يسوقونهم به إلى موارد التلف و الهلاك من حيث لا يستطيعون زوداً عن انفسهم وما تفعل الفوضى بامة ما يفعل بها الاستبداد يسألكم الله يا بنى الاحمر عني وعن اولادي الذين انتزعتموهم من يدي انتزاعاً احوج ما كنت اليهم وسقتموهم الى ميادين القتال ليقاتلوا اخوانهم المسلمين قتالاً لا شرف فيه ولا فخر حتى ماتوا جميعاً موت الأذلاء الأذلاء فلا اتم تركتموهم بجانب آنس بهم في وحشتي و ألجاء الى معوتهم في شيخوختي ولا اتم ذهبتم بهم إلى ميدان قتال شريف فأتعزّي عنهم من بعدهم بانهم ماتوا فداءً عن دينهم و وطنهم .

فها أندا عائش من بعدهم وحدي في هذا الغار الموحش فوق هذه الصخرة المنقطعة أبكي عليهم و أسأل الله ان يلحقني بهم فمتى يستجيب الله دعائي . ثم اختنق صوته بالبكاء فادار وجهه ومشى بقدم مطمئنة يتوكأ على عصاه حتى

دخل مغارته وغاب عن العيون .

فالت كلماته من نفس الأمير مالم ينل منها ضياع ملكه وسقوط عرشه فصاح ما هذا بشراً إنما هو صوت العدل الإلهي ينذرني بشقاء المستقبل فوق شقاء الماضي فليصنع الله بي ما يشاء فعدل منه كلما صنع .

ثم انحدر الى سفينته وانحدر أهله وراءه فسارت السفينة بهم تشق عباب الماء شقاً فسجل التاريخ في تلك الساعة أن قد تمّ جلاء العرب عن الأندلس بعد ما عمروه ثمانمئة عام .

تأثير المحيط في الأدب
 ذلك مجمل من مفصل تأثير البيئة والطبيعة في الشعر والأدب فقد وجد شعراء العرب في اوروبا مالم يجده في آسيا من الحيوية الممتدة وعقوا الجواء المتغيرة والمناظر المختلفة والأمطار المتصلة والخمائل الجميلة والادواح الظليلة والانهار الروية والسهول الغنيّة والجبال المؤزرة بعميم النبات والمروج المطرزة بالوان الزهر فصفت اذهانهم وسما وجدانهم وعذب بياضهم ووسعوا دائرة الادب وهذبوا الشعر فتأنقوا في الفاظه وتنوّقوا في معانيه ونوّعوا في قوافيه وتفنّنوا في خياله و دبجوه تديج الزهر و سلسلوه سلسلة النهر و أكثروا من نظمه في البحور الخفيفة القصيرة حتى ضاقت اوزان العروض عما تقتضيه رقة الحضارة ورقى الغناء و صرفوا الشعر في اغراض شتى كالمدهح والغزل والثناء والدعاء والزهد والتصوف والفلسفة والمزاح والمجون و عالجوا سياسة الاجتماع و نظموا حوادث التاريخ و ابدعوا ماشاء الابداع في الوصف فوصفوا الابنية و التماثيل و القصور والحدايق و المروج و الاودية و الأنهار والأشجار و الرياح كل ذلك في حلاوة لفظ ورقة اسلوب ودقّة صنعة و انك لتري في وصفهم مناظر الطبيعة وتصويرهم وجوه الأرض مشابهة لاشعار الافرنج و لوطال على الاندلسيين الأمد في الحضارة و تعاقبت اطوار الرقى على اللغة و اداها لا توابا بلغ مما جاء به روسو و هو جود لامارتين ولكن فاجاهم الانقسام وداهمهم الخصام فانشقت عصاهم وانفصمت عراهم ونضبت قرائحهم واملحت عقولهم و صار بأسهم بينهم شديد فذهبوا كالمس الداير ومفتاح الشرور الخمور والمصاد هي وهن من أداة الفساد في الخدور والقصور والشوارع والاديار

وراهبة اغلقت دبرها
هدانا إليها شذى قهوة
طرحت بميزانها درهمي
تفرس في شمسه طيبها
فتى دارس الخمر حتى درى
يعد لما شئت من قهوة
وعدنا إلى هالك اطلعت
يرى ملك اللهوف فيها الهموم
وقد سكنت حركات الأسي
فهذى تعانق لى عودها
وراقصة لقطت رجلها
وقضب من الشمع مصغرة
كان لها عمداً صفقت
الى ان قال .

ذكرت صقليةً والأسي
ومنزلة للتصايبى خلت
فان كنت اخرجت من جنة
ولولا ملوحة ماء البكا

وقال الوزير ابن زيدون وهو سجين .

ما على ظني بأس
ربما اشرف بالمر
ولقد ينجيك إغفال
يجرح الدهر و ياسو
على الآمال ياس
و يرديك احتراس

و المحازير سهام و المقادير قياس و لكم اجدى قعود و لكم اكدي التماس
 وكذا الحكم اذا ما عزّ ناس ذلّ ناس و بنوا الأيام أخفاف سرات و خساس
 نلبس الدنيا ، ولكن متعة ذاك اللباس و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 من سنارأيك لى في غسق الخطب اقتباس و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 وأدر ذكرى كأساً ما امتطت كفتك كاس و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 ماترى في معشر حالوا عن العهد و خاسوا و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 كلهم يسأل عن حالى و للذئب اعتساس و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 ولئن أمسيت محبوباً فللغيث احتباس و اغتم صفوا ليلالى انما العيش اختلاس
 كان سقوط غرناطة الاندلس حادثاً عظيم الاثر في علايق الشرق و الغرب . وكان
 خاتمة محزنة لماض مجيد باهر ولكنه كان خاتمة محتومة لم يك ثمة ريب في وقوعها .
 ولم يك ثمة سبيل إلى اجتنابها . (١) ذلك لأنّ الاندلس كانت منذ القرن الثاني عشر -
 منذ عهد الطوائف - تسير إلى فناء بطيء ولكنه محقق وكانت قواعدها الزاهرة تسقط
 تباعاً في يد اسبانيا النصرانية . وكانت الحياة الجديدة التي اسبغتها صولة المرابطين
 ثم الموحدين على الاندلس خلباً قصيرة المدى - ثم سطعت مملكة غرناطة في جنوب الاندلس
 مدى حين و لكنها كانت تعاني نفس الداء الذي اودى بالاندلس الكبرى . داء الخلاف
 الابدى فلم تلبث ان عصفت بها ريح التفرق و مزقتها الحروب الأهلية . واستطاع رجال
 ثاقبوا النظر كابن الخطيب و ابن خلدون ان يستشفوا من وراء هذا الشقاق الهائل خطر
 الفناء المحقق وان يتنبأوا به قبل وقوعه باكثر من قرن .

و وقعت الخاتمة المحتومة و سقطت غرناطة الاندلس في يد اسبانيا النصرانية في
 ديسمبر ١٤٩١ (صفر ٨٩٧) وكان الامير الذي شاء القدر أن يقع ذلك الخطب في عهده
 و على يديه هو السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان ابي الحسن النصري . فهو آخر ملوك

(١) مأساة شهيرة بين الشرق و الغرب ، تثير حوادثها و ظروفها المؤثرة في النفس
 شجناً و اسى و تجعل منها عبرة خالدة في صحف التاريخ الاسلامى تلك هي المأساة الاندلسية التي
 اختتمت بسقوط غرناطة و ذهاب دولة الاسلام و انهيار صرح المدنية الاسلامية في الغرب

الاندلس المعروف بالشقى وهو خاتمة ذلك الثبت الحافل من ملوك بني الأحمر الذين انشأوا مملكة غرناطة ولبثوا مدى قرنين يسهرون على مصائرهما ويرعون حضارتها الزاهرة و يدفعون عنها خطر الفناء الداهم .

و كان من المقرّر ان يقيم أبو عبد الله بعد زهاب ملكه وسلطانه في جنوب الاندلس في اقليم البشرات في كنف ملك اسبانيا و تحت حمايته و لكنّه لم يلبث ان عاف تلك الحياة الذليلة فغادر الوطن القديم في غمر من الحسرات و الأسى و جاز البحر بأهله و ماله إلى المغرب سنة ١٤٩٣ و نزل اولاً بمليلة ثمّ قصد إلى فاس واستقرّ بها . و تقدّم إلى ملكها السلطان محمد شيخ بني وطاس الذين خلفوا بني مرين في ملك المغرب مستجيراً به مستظلاً بلوائه معتذراً عما اصاب الإسلام على يده متبرئاً ممّا نسب إليه من اثم و تفريط في حقّ الدين و الوطن .

و هذا الدفاع الشهير الذي يقده أبو عبد الله عن موقفه و تصرّفه . قطعة رائعة من الفصاحة السياسيّة و البيان السّاحر و هو يدلّ في روحه و قوّته و روعته على فداحة التبعة التي شعر أبو عبد الله أنّه يحملها أمام الله و التاريخ و أمام العالم الاسلامي كلّه . و أمام الأجيال القادمة دون أن يبسط للتاريخ قضيّته و يبدي كلمته فيحكم عليه في ضوء أفعاله و دفاعه .

و قد كتب هذا الدفاع الشهير الفريد في التاريخ الاسلامي . على لسان ابي عبد الله وزيره و كاتبه محمد بن عبد الله العربي العقبليّ في رسالة مستفيضة قويّة مؤثّرة موجّهة إلى ملك فاس و عنوانها الروض العاطر الانفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس - وقد كان العربيّ من اعلام البلاغة في هذا العصر وله آثار في النظم و النثر كانت لروعتها نفثات أخيرة لا داب الاندلس المحتضرة و كان دفاع أبي عبد الله من ابداعها و اروعها و قد نقل المقرئ هذا الدفاع الشهير بنصه في فتح الطيب و يستهله العربيّ بعد الديباجة بقصيدة هذا مطلعها :

رعيا لما مثله يرعى من النعم
جار الزمان عليه جور منتقم

مولى الملوك ملوك العرب و العجم
بك استجرنا و نعم الجارانت لمن

حتى غدا ملكه بالرغم مستلباً
 حكم من الله حتم لامرد له
 وهي الليالي وفاك الله صولتها
 كنا ملوكا لنا في ارضنا دول
 فأيقظتنا سهام للردى صببت
 فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا
 وابسط لنا الخلق المرجو باسطة
 لاتأخذونا باقوال الوشاة ولم
 فما أطقنا دفاعاً للقضاء ولا

وهي طويلة جداً يمتدح فيها ملوك فاس و يشيد بعلا يقهم القديمة مع بنى الأحر
 ملوك غرناطة و يشير أبو عبد الله في دفاعه المنثور بعد ذلك إلى حوادث اندلس و يعتذر
 عن نكبته و يعترف بخطئه في عبارات مؤثرة نقتطف منها .

وما الذي يقوله من وجهه خجل و فواده و جل وقضيته المقضية عن التنصل و
 الاعتذار تجل بيداني أقول لكم ما أقوله لربي واجترائي عليه أكثر واجترامي إليه أكبر
 اللهم لا بريء فأعتذرو لاقوى فاتصبر . لكنى مستقيل مستنيل مستغيث مستغفر . وما برىء
 نفسي ان النفس لامارة بالسوء بيد انه يدفع عن نفسه تهم التفريط و الزيف و
 الخيانة بقوة و يقول . أفمئلى كان يفعل أمثالها و يحتمل من الأوزار المضاعفة افعالها
 و يهلك نفسه و يجبط اعمالها . عياداً بالله من خسران الدين و إثارة الجاحدين و
 المعتدين قد ضللت اذاً و ما انا من المهتدين . و ايم الله لو علمت شعرة في فودى تميل إلى
 تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى و قطعتها . غير ان الرعاع
 في كل وقت و أوان للملك أعداء و عليه أحزاب و أعوان و لقد قذفنا من الأباطيل
 باحجار و رمينا بما لا يرمى به الكفار فضلاً عن الفجار أكثر المكثرون و جهد في تعبيرنا
 المتعشرون و رمونا عن قوس واحدة و نظمونا في سلك الملاحدة أكفراً عياداً بالله كفرة غفراً

(١) وهذا فى التوسل والتبرء والاعتذار وهو لب موضوعها .

اللهم غفراً... وهل زدنا على ان طلبنا حقنا من رام محقه و محقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائطين فانفتق علينا فتق لم يمكننا له رتق وما كنا للغيب حافظين .
 ثم يقول أبو عبد الله لئن كان مروعا مصير غرناطه و مصير ملكها و انجادهافاً نأها لم تنفرد بين قواعد الاسلام بذلك المصير المحزن . ألم يقتحم التتار بغداد عروس الاسلام ومثوى الخلافة ومهد العلوم . ويستبيحوا زمارها وحرماها . ويسحقوا الخلافة وكل معاملها و رسومها وماذا تستطيع غرناطه ويستطيع ملكها ازاء قدر محتوم وقضاء لامر دله ويشير ابو عبد الله إلي رفضه ما عرضه عليه ملك اسبانيا من الاقامة في كنفه وتحت حمايته . ولقد عرض علينا صاحب قشتاله مواضع معتبرة خير فيها واعطى من امانه الموكد فيه خطه بايمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرا ني الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاعرة . وامننا من المطالب المشاغب حمة شرلنا لاسعة . . . ثم يشير ايضاً إلى أنه تلقى دعوات كريمة من المشرق للذهاب و الاقامة فيه ولكنه آثر الجوار الى المغرب دار آبائه من قبل ولم يرتض الانضواء إلا لذلك الجنب (بنى مرين) الذي اوصى آباؤه واجداده بالانضواء اليه وقت الخطر الداهم .

و يختم أبو عبد الله دفاعه برثاء مؤثر لملكه وقدره : ثم عزاءً حسناً وصبراً جميلاً عن ارض أورثها من شاء من عباده معقباً لهم و مديلاً و سادلاً عليهم من ستورا لاملاء الطويلة سدولاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً فليطرأثر الوسواس المرفرف مطيراً كان ذلك في الكتاب مسطوراً لم نستطع عن مورده صدوراً وكان امر الله قدراً مقدوراً^(۱) .

(۱) اقتطفناها من الهلال ۴۶ ولما وجدنا القطعة المعروفة من ابيات وثوق الدولة مناسبة

لما نحن فيه اوردها في الدبيل .

يك بلادہ گردد و ده صد شود	چون بد آید هر چه آید بد شود
فلسفه باطل شود منطق دروغ	آتش از گرمی فتد مهر از فروغ
بشکند گردونه‌ای را شاخ گاو ←	کور گردد چشم عقل کنجکاو

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه وجدت جماعة من أهل الأدب يستبعدون أن يرتج على إنسان في خطبة أو كلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو أحسن مما قصد إليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان النسيان لا يكون إلا عن حيرة وضلالة فكيف يجتمع معهما البراعة الثابتة والبلاغة الماثورة مع حاجتهما إلى اجتماع الفكر وحضور الذكرو ينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب ممن حصر في خطبته او في منطوق إلى انه موضوع مصنوع .

وليس الذي استبعدهه ببعيد ولا منكر لأن النسيان قد يخصص شيئاً دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم متعارف فلا ينكر ان ينسى الإنسان شيئاً قصده وعزم على الكلام فيه وقد يكون مع ذلك ذاكرة لغيره متكلماً فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن المقصد يحميان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام و ابرعه ليكون ذلك هرباً من العي واتقاء من اللكنة ومن احسن ما روى وأبرعه من الكلام في حال الحصر والانتقطاع عن المقصود ما أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم ثم قال المرزباني واخبرني ابن دريد مرفوعاً اخرى وقال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال قال سعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام قال أبو حاتم ان هذا القول يجيىء أحياناً ويذهب أحياناً فيتسبب عند مجيئه سببه و يعزب عند عزوبه طلبه وربما كوبر فأبي وعولج فأبطا وقال ابن الكلبي ربما طلب فأبي وعولج فقسا فالتأني لمجيئه اصوب من التلعاطي لايئه ثم نزل فماروى حصر ابلغ منه وقال أبو حاتم

پشه ای غالب شود بر کرکسی
زیب بخش ملک و مشاطه زمین
سیل خرمن کوب و برق شعله بار
در نورددشش جهت را روی وزیر
نه کمند حادثه بروی تند
لغزدش پائی و افتد در چپی

→ پهلوانی را بغلطاند خسی
نیکبختان راست ابرفروردين
تیره بختان راست باران بهار
آن یکی چون مرغ پرد برائیر
نه بلا دامی براهش افکند
این یکی آهسته پیماید رهی

و الترك لاييه أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره أو لي من طلبه عند تنزحه
وقديختلج من الجرّي جناحه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل .

واخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله على وجه آخر قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن
عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتباليغ
فقدم واسطاً فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال أيها الناس ان هذا الكلام
يجيء أحياناً ويعزب أحياناً فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما
كوبر فأبى وعوسر فقسا والتأني لمجيئه اسهل من التعاطي لاييه وتركه عند تعذره أحمد
من طلبه عند تنكره فقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينظره القول اذا اتسع ولا يتيسر
اذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة فخليق ان تعزله النبوة .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا أبو عباس
المنصور قال صعد أبو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال أيها الناس إنما اللسان
بضعة من الإنسان تكل إذا كلت وتنفخ با نفساخه إذا انفسخ نحن أمراء الكلام منا
تفرغت فروعه وعلينا تهدت غصونه ألا وإننا لا نتكلم هذراً ولا نسكت إلا معتبرين
ثم نزل فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب الناس .

وهذا الكلام يروى لداود بن علي بهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن
جعفر بن سليمان عن أبيه قال أراد أبو العباس السفاح أن يتكلم في أمر من الأمور بعد
ما أفضت الخلافة إليه وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعدان حمد الله
وأثنى عليه ان أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما تعهد
من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمه الله في صلاح دينكم و
رغد معيشتكم .

واخبرنا أبو عبيد الله قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله بن
اسحق بن سلام قال صعد عبد الله بن عفان المنبر فارتج عليه فقال أيها الناس سيجعل الله
بعد عسر يسراً وبعدي نطقاً وإنكم إلى إمام فعال احوج منكم إلى إمام قوأل .
وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن أبي سفيان وقد

خطب على بعض منابر الشام و ان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحساناً لكلامه .

روي عن محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلاً صعد المنبر ايام يزيد و كان والياً على قوم فقال لهم أيها الناس إن لا اكن فارساً طيباً بهذا القرآن فان معي من أشعار العرب ما رجوا أن يكون خلفاً منه وما اساء اخوالبراجم حيث يقول :

وما عاجلات الطير يدنين للفتى رشاداً ولا من ريثهن نجيب
ورب امور لا تضيرك ضيره وللقلب من مخشائهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على حادثات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطى الفتى في حديثه و يصيب

فقال له رجل من كلب إن هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله عليه و يصلي على النبي ﷺ و للقرآن فقال أما لو انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب إلى يزيد بذلك فعزله وقال كنت أرى أنك جاهل ولم احسب ان الحمق بلغ بك هذا كله فقال احق مني من ولائي وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت بن قطنه بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول :

فان لم أكن فيكم خطيباً فإني بسيفي اذا جد الوغي لخطيب
ف قيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل

فقال :

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب و تحنيق
أما القرآن فما تهدي لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوى اللسان إذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانب النيق

و روي ان بعض خلفاء بني العباس واطنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر فارتج عليه فقال أعون بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون

الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب فاستحسن ذلك منه .

الدكتور برنارد و المحسن الكبير
هورجل عظيم قد قامت عظمته باحياء النفوس الماتته وانتشالها من وهدة الفقر والبساء كان اسباني الأصل والانجليزى مولداً ١٨٤٥ - ١٩٠٥ لما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعداداً للخدمة في الصين كأحد المرسلين فأرأي ذات يوماً غلاماً رث اللباس مستفجع السحنة فرق له و سأله من حاله فأخبره الغلام أنه يتيم لامأوى له يأوي اليه ولا سند يعتمد عليه و ان له رفقاء كثيرين حالهم شر من حاله فطلب برناردو منه ان يريه إياهم فمشى امامه إلى حيث كانت زمرة منهم نائمة .

قال الدكتور يصف ذلك المنظر (فرأيت احد عشر غلاماً نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسنداً لرؤوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلباً للدفء فمنهم من اضطجع على جنبه و جمع رأسه إلى رجليه كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم إلى رفيقه تخفيفاً لألم البرد كما تفعل الغنم و لاح لى ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة و البقية بين (٩ و ١٤) فراعنى هذا المنظر أنهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم و قلت في نفسي ما هؤلاء المساكين إلا بعض من كل و شعرت كان يدالله مدد وازاحت الستار من امام عيني لأرى خلفه ما يقاسيه كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعله وحدى و هو انقاذ الولد البائس الذى كان اول من رأيت من هؤلاء المساكين ثم السعي في إنقاذ امثاله .

و حدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجهه وشد عزمته على السعي والعمل وهو انه عقد إجتماع للمرسلين في أحد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برنارد و ان يتكلم بدلاً منه و كان لايزال تلميذاً في مدرسة الطب فتمنّع عن الكلام تهيئاً لانه لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف و قال انه نظراً إلى غياب بعض الخطباء طلبت من أحد تلامذة الطب ان يقص علينا شيئاً عن

اشغاله المدرسية قبل سفره إلى الصين قريباً . فضقق السامعون فلم يسع برنارد وان ذلك إلا ان يستشل فنهض وهو لا يكاد يعي ممّا عراه من الحياء و بدأ الكلام وعيناه مغمضتان يستجمع شوارد الموضوع و ينسى مكان و جوده فجعل يتعثر اولاً و يتمم حتى إذا امتلك قواه اخذ يتدفق في الكلام تدفق السيل و يصف هول المناظر التي رآها في ايست انه أحد أحياء لندن و نسي نفسه و سامعيه حتى بلغ كلامه اعماق القلوب ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان وماكاد ينزل عن المنبر حتى استقبلته فتاة خادمة و قالت له ، قد جئت إلى هذا المكان لمساعدة المرسلين و جعلت دأبي الصلوة لاجلهم منذ سنين . وانا لست إلا خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كل ما استطيع لهم و لكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على أبوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعته لمساعدة المرسلين ثم وضعت في يده صرة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك ولما وصل إلى منزله فك الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش و كانت أول الدراهم التي جاءت من الجمهور و البذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنهيات وهو ما جمعه مدة خدمته البالغة نحو أربعين سنة .

و نشرت الجرايد خطبته و اطلع عليها لورد شفتسبري فاثرت فيه تأثيراً شديدا فدعا برناردو للعشاء عنده و بعد العشاء سأله وهو بين مصدق و مكذب هل تظن اننا نرى غلماناً نائمين في العراء في هذه الليلة فاجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قوله و طلبوا منه ان يدلهم على المكان الذي يظن الغلمان نياماً فيه فقام أمامهم و تبعوه على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأوا بعيونهم ما تحققوا به صدق قوله . وكان ذلك بدء عمل من أعظم الأعمال الخيرية ومبررة من أشرف المبررات فجمع برناردو على أثره نحو ثلاثة ملايين من الجنهيات كما تقدم ربي بها نحو خمسين ألف يتيماً و يتيمة فخرجوا من ملجأه شباناً وشابات ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوه علماً وعملاً . ولم يقف عند هذا الحد بل شرع يفكر في طريقة يمكن بها الذين يخرجون من ملجأه من العمل خارجه فاهدى إليها وهي انه انشأ ادارة للمهاجرة و جعل يسفر

الشبان والشبانات إلى كندا حيث اشترى مزارع وحقولا تقدر مساحتها بالالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار و البنات فاعطوا اعمالاً اخرى و كان يرسل كل سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجأه إلى كنادا فيجدون لهم اعمالا ويفلحون كلهم ماعدا ٢ في المئة على وجه التعديل وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين والسياسة والادب في لندن مثل اسقف لندن و اسقف ستابنى واللورد بروتس و المستر ستد صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان تقدم على الاكتاب بالاموال لمساعدة ملاجئ برناردو تذكراً لعيد ميلاده وارسلت اليه جلاله ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيدته تهنئته بها و تدعو لعمله بالنجاح العاجل مشى في مقدمة جنازته الوف من الاولاد الذين في ملاجئهم وقد صفوا صفوفاً عديدة على حسب سنهم ومشى خلف نعشه كثيرون من علية من القوم ونخبة الامة فيساعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال .

السعادة : صفة بارزة في الحياة ينشدها جميع الناس على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ويفهمونها على غرار ملابساتهم وأحوالهم وميولهم النفسية فدونها في مباحثهم وقصصهم ومثلوها في مسارح تمثيلهم وصورها بمختلف الصور و تباين الاغراض والمرامي .

ومع ان للحياة غرضاً واحداً هو العيش على أكمل الأحوال والحصول على أكبر قسط من السعادة الممكنة إلا أن الإنسان قد تعمى عليه الطريق التي توصله إلى الغرض فيبحث عنها في توفية جميع شهواته بما يسعه إمكانه من متاع مادي وعقلي .

فناس يرون السعادة في الكون وروعته و يلمحونها في الطبيعة الساحرة يرون في الكون الواسع المدى جمالاً اخاذا ويرون فيه الكواكب الزاهرة والسحب المطارة والامواج المتكسرة و يرون الجمال الفاتن في زرقة السماء و رهبة الصحراء والمروج الخضراء و في هدير الماء وهديل الحمام و ثغاء الشاء وحنين الابل و ناس يرونها في الحب و يرون فيه انه عصارة السحر :

هو السحر إلا ان للسحر رقية و انى لألقى من الحب راقيا

و يرون فيه أنه ارتياح في النفس و فرح يجول في الروح و سرور ينساب في

جميع أجزاء القوى . و يقولون انه بقدر ما يكون الانسان حصيماً راجح العقل يكون حبه صحيحاً عذرياً يسير به إلى مستوى الفضائل والمكارم . ذلك لانّ للحبّ غصوناً تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول ولولم يكن فيه الا انه يشجع الجبان و يصقل الازهان و يبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً و ناس يرون العادة في الصحة و الشباب ففي الصحة تذوق العيش الهنيء و الحياة الصافية و في الشباب لذة اللقاء و الصبوة و الاماني المعسولة الحلوة و يقول المتنبي في ذلك آلة العيش صحّة و شباب فاذا ولياً عن المرء ولى و ناس يرونها في المال و في البنين زهرة الحياة الدنيا و زينتها . و يقول الطغرائي مشيراً الى ان المال ليس محبوباً لذاته .

اريد بسطة كفّ استعين بها على قضاء حقوق للعلی قبلي

و من الناس من يراها في سعادة الوطن و ان سعاداته مرتبطة بسعاداته فهو يتها لك في محبته و يضحى بنفسه في الدفاع عنه و يتغنى بانشودته و ذكرى صباه في مرعبه و مروجه و يقول أبو الحسن عليّ بن عباس الرومي .

وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا	ولي وطن آليت إلا أن لأبيعه
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا	عمرت به شرخ الشباب منعما
مارب قضاها الشباب هنالكا	وحبب اوطان الرجال اليهم
عهد الصبا فيها فحنوا لذلك	إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
لها جسد ان بان غودر هالكا	فقد الفته النفس حتى كانها

و من الناس من يرى السعادة في جمال الزوجة و في البطولة و العظمة و في الرياسة و الملك و في الغناء و التصوير و الفنون الجميلة ذلك الذي قد مناه و غيره مما لا يحصى ما يفهمه سواد الناس من السعادة و اين تنوى . و على هذا يقولون فلان حياته سعيدة و فلان شقى و هم في ذلك واهمون فان السعادة الحقيقية ليست في اتباع الأهواء و اشباع الشهوات و إن كانت مشروعة فجميع السعادات الجزئية فانية متحولة و ليس لها اعتبار إلا بقدر ظلها المنتقل و ثباتها الضئيل فالصحة تضمحل و الثروة تنفى و الولد يموت و الشهرة تزول و هكذا ، فيصبح المرء وقد نجف عن الناس و تنكرت له الأيام فلا تبقى له بهجة الحياة

وصفو العيش ان السعادة التي تبيد وتنفى ليست سعادة بالمعنى الحقيقي أما السعادة الكاملة قبل استكمال القوانين العلمية والعملية هي تزكية النفس بالعلم وتكميلها بالفضائل فمتى تحلّى الانسان بالعلوم والمعارف وعمل بما علم كانت حياته حافلة بأنبال العواطف و اشرف الغايات . وكلّما تزيد الإنسان من هاتين القوتين كان ادنى من السعادة واقرب الى الخير ولقد بلغ الانبياء والرسل درجة الكمال فيهما فكانوا اسعد الحق في هذه الحياة وكانوا أكثر اثمارة في الدعوة إلى الخير وجلاء اسرار الجلال ثم الذين ترسموا خطاهم من مصلحي الأمم و حكمائها وذوى القدرة الحسنة فيها كل على قدر درجته من العلم والعمل .

محال ان يصل المرء إلى السعادة الحقيقية التي ينشدها طلاب الكمال في هذه الحياة بغير طريق العلم واخذنا لنفس بكماله المعنوي فالعلم حياة والجهل موت . من الغريب ان الانسان قد يطلب العلم لغاية مادية فانما المعنى فيه انقلب هو نفسه غاية وأصبح يطلب لذاته وكان لذة من لذات النفس بالغة الأثر عميقه التكوين ولسنا نجد له ضرباً في ذلك سوى المال عند عبده ولكن المال قد يعقب عنده هواء حسرة دائمة وعيشاً نكداً أما العلم فلا خطر فيه ولا يخشى من مغبته و العلم إذا اثمر فضيلة و خلقاً كان اجدى لصاحبه و أعوز بالخير عليه و هم يقولون ان هناك رابطة بين التربية العقلية والخلقية و ليس ذلك موضوع بحثنا الآن وإنما نريد ان نكرر ما قلناه وهو ان السعادة الحقيقية هي في رياضة العقل بالبحث العلمي واخذنا لنفس بتطبيق نظرياته عملاً وخلقاً وبذلك يكون الانسان هو المظهر للأخلاق العالية و قدوة صالحة و عاملاً قوياً في استقامة الحياة و هداية خلق كبير - الم تر إلى العرب قبل الإسلام كيف كانوا جفاة غلاظاً لا يقيدون بخلق ولا يستسيمون لفضيلة . فلما جاء الإسلام و انار كتاب الله عقولهم ونبه فيهم حاسمة الخير انتقلوا من وحوش كاسرة إلى هداة مصلحين . وفتحوا بلاد القياصرة والأكاسره بقواتهم المعنوية أكثر مما فتحوا لقواتهم المادية العظمة و البطولة و قيادة الجماهير إلى خير السبل و تجديد الامم بالاصلاح والعمارة كل ذلك نشيجة العقول المستبصرة بالمعرفة و العامرة بالاخلاق و هذه هي السعادة المنشودة و التي هي خير سبيل إلى اصلاح الحال في الدنيا والاخرة

ولقد تجددوا لتلك العظماء والابطال والقادة الذين استنارت عقولهم وكملت أخلاقهم لا يرون في الحياة الا ما في سبيل خدمة الحق ونصرة الإنسانية وهم يستعذبون العذاب والا لام في سبيلهما .

والتاريخ ينبئنا في كل جيل عن رجال من ذلك الصنف ظلوا يجارون بالاصلاح ويعملون على انهاء اممهم في طريق ذلك بالتشريد والتطريد والويلات في النفس والمال والولد وهم عاكفون على دعوتهم وتوجيه نفوسهم الى المثل العليا في الحياة راضون عن كل ما يلحقهم من الأذى غير ساخطين على القدر ولا زلزين بالقضاء والامم التي عمرت بالعقول الراجحة والاخلاق المستقيمة عاشت سعيدة والتي حرمت الامرين لاقيمة لحياتها بل تكون قطيعاً من البهايم السائمة وانا اكثر المتعلمون فيها من غير ان تكون محصلة للاخلاق كانت على نفسها شراً من الامة الجاهلة فان العلم يفتح لها ابواب النزق فتتردى في اودية الهلاك والضلالة اما ان تكون امة ذات خلق بغير علم ومعرفة فذلك لم يصل الى معرفته ولم يعرف باحثاً وصل اليه (١).

الظلم في العدل قلما اجتمع الضدان كما اجتمعا في القصة التالية ويقال انها وقعت في امريكا فاوردناها عبرة و ذكرى لان امثالها تقع عندنا و عند غيرنا .
في سجن من سجون امريكا رجل محكوم عليه في قتل . نادى السجنان رجلاً وقال على بنمر و كذا يريد المحكوم عليه . فذهب الرجل وعاد بكهل قضى في السجن أكثر من عشرين سنة فشيبتة الليالي و انحلت جسمه الاسقام . فوضع السجنان يده على كتفه و ادنى منه كرسياً وقال له اجلس . عندى لك بشرى تسرك فقدمت رجل في سجن جيورجيا و قبلما أسلم الروح اعترف انه هو قاتل الرجل الذي اتهمت أنت بقتله و شرح كيف قتله . وقد ثبت بعد البحث والتحري ان اعترافه صحيح و هنا المستندات التي تؤيد ذلك قتله هو ورجل آخر منذ اثنتين و عشرين سنة و قدمات شريكه في الجريمة قبله لكنهما تمكنا من النجاة حين قتلاه واخذت انت بجرير تهما خطأً لانك ارشدت إلى القليل ولم تستطع ان تبرئ نفسك وقد نظر مجلس العفو في أمرك فعفانك ولاحق للحكومة

بعد الآن ان تبيك في سجنها اسم هذا الرجل جون كلتين ، فخرح من السجن وكان الفصل شتاءً و رقع الثلج تتساقط من الجو فتبعث بها الرياح وهو نحيف الجسم مضيق الأفكار وكان السجن اعطاه عشرة ريبالات كرمًا منه فدفع منها اجرة سكة الحديد الى المدينة التي كان بيته فيها . و كان في صناعته مهندساً ميكانيكياً وله دكان فيه الآلات يبيعها فلماً وصل إلى المدينة سدّد خطواته إلى حيث دكانه فوجد هناك معملاً كبيراً جداً بدل دكانه فوقف حائراً في أمره و قرأ اسم المعمل فاذا هولبرتول واولاده فاقض رأسه و سار إلى حيث كان بيته وكان قد ترك فيه زوجته و ابنته فوجد انه صار نزل فيه غرف للتأجير فدخله واستأجر غرفةً فيه . و إذا هي الغرفة التي كان ينام فيها و إلى جانبها الغرفة التي كانت لزوجه . ثم عرف ان زوجته حاولت الاحتفاظ بدكانه و بيته بعد سجنه ولكن ركبها الذين فاضطرت ان تبيع الاثنين وتوفيت وتركت ابنتها لرحمة الذين يعنون بالمنقطعين .

و قام في اليوم التالي يفتش عن عمل يعمل به و هو يحسب انه لا يستطيع ان يعمل كمهندس ميكانيكى لان هذا الفن تقدم كثيراً مدة الاثنين والعشرين سنة التي قضاها في السجن وقد نسي أكثر ما كان يعلمه من اصول الهندسة لان العمل الذي اعطيه في السجن وهو نسج الحصر يخمل به العقل مهما كان ذكياً وزد على ذلك انه شاخ و ضعف وخارت قواه فقصده معملاً ظن انه يستطيع ان يجد فيه عملاً وطاسئل عن ماضيه ذكر انه سجن خطأ ثم اطلق سبيله فقال له مدير المعمل ان كل الذين كانوا ملائكة قد سجنوا خطأ فلا عمل لك عندي .

فخطر له ان يذهب إلى الذين كان على معرفة تامّة بهم قبلما سجن و بعضهم من اعزّ اصدقائه فقصدهم واحداً بعد الآخر فلم يجد منهم إلا الجفاء وان تطفوا فالاعتذار بالأسف . وأخيراً ذهب إلى محام كان صديقاً له فوجده غائباً سافر طلباً للصحة فأسقط في يده وضاعت الدنيا في عينيه لان النقود القليلة التي اعطاه اياه السجن كادت تنفذ لكنّه اكتشف حينئذ ابنته و اسمها حنة وقد صارت صبيّة وهي في محل تجارى كاتبة و هناك شاب اسمه بولدن احبها و أراد ان يقترن بها فامتنعت لسبب يجهله وكان هذا الشاب

مخبراً لجريدة (المورنيخ تلوغراف) وهي من الجرايد ذات الشأن فلماً رأي أباه وعلم أنه سجن اثنين وعشرين سنة خطأ استقص القصة منه وكان من مهرة الكتاب يوصو بالحوادث فيما يكتب تصويراً يختلب الالباب فكتب هذه القصة على اسلوب يحرك الاشجان فلما اطّلع عليها صاحب الجريدة واسمد ما كندس وكان قد اشترها لغرض سياسى ضد الحكومة ابرقت اسرته ونهض و التفت إلى رئيس التحرير وهو يقول ماشاء الله انظر فضايح الحكومة انظر ما يفعلون انشرها انشرها في صدر الجريدة انشرها تحت عنوان (فضايح) هذه بلاد الدستور بلاد العدل و يظلم الناس فيها هذا الظلم الفاحش . انشرها بحروف كبيرة في اظهر مكان من الجريدة .

فنشرت القصة كما كتبها بولدن ولم تكذ تخرج من المطبعة و تنتشر في البلاد حتى قام لها الناس وقعدوا وكثرت التحدث بها . اما بولدن فوضع نسخة منها في جيبه و اسرع بها إلى حنة فرأى ان أباه خرج من البيت و اخذ امتعة اما هي فكانت جالسة في غرفتها تبكى فانها قرأت قصة أبيها في الجريدة فكادت نفسه تطير شعاعاً .

ولما وصل بولدن توسّلت إليه ان يزيد لها شرحاً و بياناً فقال سأفعل فقالت ولكن عليك أن تذهب و تعود بأبي فقال إلى أين تذهب فقالت إنه عاد إلى السجن الذي خرج منه لأنه وجد أن المدينة لاتصلح له . ألم تعطه امس خمسة ريالاً فهي اجرة السفر إلى السجن وقد اخذها لهذا الغرض فصار عليك ان تذهب و تعود به .

فقام في الصباح وقصد السجن فلقية السجنان عند الباب وقال له ان كلتين اتى امس طالباً العودة إلى السجن فلم نر كيف يجوز لنا أن نجيب طلبه ولكن الحكومة مدينة له بعد ان سجنته و منعتة عن الاكتساب اثنتين و عشرين سنة و كنت انا غائباً فابى و كيلي ادخاله السجن فعاد على طيته فقال بولدن ألا يخطر ببالك اين يحتمل أن يكون قد ذهب فقال ان من كان في حالته و قد تولاّه القنوط فالمرجح انه يذهب إلى حيث لا يعود ولكن يحتمل ان يخطر بباله ان له رزقا ولا بد من طلبه باية وسيلة كانت ولو افضى به ذلك إلى دخول السجن ثانية و كثيرون يفعلون ذلك .

أما بولدن فكان صحافياً ماهراً يعرف كيف يجد ضالته ففتش عن كلتين في

المستشفيات و مراكز البوليس و اماكن عرض الغرقى و استعان بكثيرين من اخوانه فلم يعثر عليه لكنّه لم يقنط بل ظلّ يفتش إلى ان لقيه هائماً على وجهه في طريق منفرد فامسك به و ارجعه إلى بيته وهو على تلك الحال و الظاهر انه لم يعرف من هو الذي ارجعه .

و في مساء اليوم التالي اخبر حنة بالحالة التي وجدأباها فيها وكيف انه لم يعرفه فطلبت منه أن يذهب بها إليه فلم يشاء اشفاقاً عليه فقالت لا بد من أراه فانه مهمما كانت حالته فهو أبى . ثم قصت عليه قصتها كيف وضعت في ملجأ المنقطعات و كيف كان سائر البنات يتجنبنها لان أباها قاتل و ذات يوم أتى بعض الزوار و شاهدوا البنات و التفت إليها رجل على انفراد و اعطاها خمسة ريبالات و كان عمرها حينئذ اثنتى عشرة سنة فحسبت انها صارت من اغنى البنات و هربت تلك الليلة من الملجاء . قالت و لأدرى ماذا كان يمكن ان يحلّ بي لو لم تجدنى مسزرندل و هى امرأة دينّة فاخذتنى و ادركت حالا سبب كرهى ملجأ المنقطعين فلم أخبرها شيئاً عن أبى بل قلت لها ان ليس لي قريب و لا احد الجاء إليه و ان اسمى حنة اغدن . و اغدن اسم عائلة امى و لم أخبرها باسم عائلة أبى لاننى لم أشك في انه قاتل و هذا هو السبب الذي جعلنى ارفض الاقتران بك اما تلك السيّدة الفاضلة فوضعتني في بيت احسبه الآن مثل بيتي و لما وصلت إلى هذا الحد من قصتها كانا قد وصلا إلى البيت الذي فيه أبوها فقال لها بولدن حسبى الآن و قرع باب الغرفة التي فيها أبوها فلم يسمعا مجيبا ففتح الباب و إذا بابيها جالس امام النار زاهلا كانه في غيبوبة .

فلما ذهب بولدن في الصباح التالي إلى ادارة الجريدة وجد مالم يكن ينتظره مئات من التلغرافات و الوسائل و فيها كلّها السخط الشديد على الحكومة لسجنها كلتين و هو بريء و في بعضها تحاويل مالية له فقال له ما كندس صاحب الجريدة هو ذا المحامى باغلى فاخبره بكلّ ما تعرفه من قصة كلتين . و كان باغلى هذا من اشهر المحامين و أقواهم حجّة و أرقهم قلبا و هو الذي قصده كلتين فلم يجده فقض عليه بولدن القصة

من أولها إلى آخرها على أسلوب يحرك الأشجان و لما أتمها قال ما كندس للمحامي أما من سبيل لمداعاة الحكومة و جعلها تكافئ كتلتين عمّا الحققت به من الضر فقال كلاً ما من حكومة في الأرض إلا وتفضل ذلك . هذا ظلم قديم في العدل ولا حيلة لنا فيه ولكن قد يمكن أن نفع شيئاً فقال ما كندس ان هذه القضية قد حركت الرأي العام وللرأي العام إيذا الطولى في كل المسائل العمومية و نحن أمة نحب العدل و الإيضا فكل وسيلة تتخذ لمحو هذا الظلم تقع أحسن موقع من الرأي العام فإذا وجدت لذلك سبيلاً قانونياً فإننا نعضدك بكل جهدنا .

هنا رجلان باغلي محام شهير كبير النفوذ وما كندس سياسي قدير و على ثروة طائلة و في يده جريدة كبيرة الشأن ولكن أيقدر هذان الرجلان ان يصلحا ما فسد الدهر ويلزما الحكومة ان تعترف بخطاها و تصلح مرّت الاسابيع و عادت حنّة إلى البيت الذي ولدت فيه و اقامت في الغرفة التي كانت لامها و بقيت مصرّة علي رفضها الاقتران ببولدن .

و ذات يوم جاء المحامي باغلي و طلب من حنّة و أبيها أن يكونا على استعداد للسفر معه صباح اليوم التالي فقالت حنّة انها لا تستطيع ما لم تستأذن الرجل الذي هي كاتبة (سكرتيرة) عنده فقال المحامي انا استأذنه لك . و جاء في الصباح و أركبها معه في اتوموبيله (سيارته) و أخذ بولدن أيضاً و ساروا إلى ان بلغوا مدينة و شتطون عصر النهار و في اليوم التالي سمع كتلتين المحامي يقول بصوت جلي رزين أيها السادة اعضاء مجلس العفو هذا هو جون كتلتين الذي اذتم لي في احضاره إلى هنا و هذه هي ابنته و الآن يا كتلتين ان وكيل الوالي و ساير الاعضاء طلبوا أن يسمعوا قصتك من فمك فقصّها عليهم فكان هذا الطلب مثل سحر أزال العشاوة عن عيني كتلتين و الضباب الذي يغشى ذاكرته فان دفع بسر دسيرة حياته ذاكرراً لمخترعات التي اخترعها و احوال عائلته قبلما حكم عليه و ما لقيه في السجن و ما حلّ بزوجه و ابنته بعده على ما بلغه . فاصغى الاعضاء إليه إلى ان تم حديثه ثم أشار الرئيس إلى باغلي فامسك بيد كتلتين و سار به إلى غرفة اخرى حيث كان بولدن في انتظارهم و هو على مثل جمر الغضاء و عاد المحامي إلى المجلس و بعد ساعة

زمانية رجع إليهم وقادهم إلى غرفة أخرى فيها رجل شيخ كليل الشيب رأسه فامسك بيد كلتين وقال أهذا هو جون كلتين فقال باغلي نعم يا حضرة الوالي وهذه ابنته وهذا بولدن الذي نشر قصته في طول البلاد وعرضها بقلمه البليغ .

فقال الوالي مخاطباً كلتين لقد اصابك أيها الرجل ضرر كبير وليس في طاقتنا ان نصلح كل ما فات ولكننا نستطيع ان نعيضك بعض الشيء فان حكومة هذه الولاية قد وضعت في يد مجلس العفو مبلغاً من المال وفوضت انفاقه في السبيل الذي يراه إذا ايد الوالي ذلك فقرر المجلس اليوم بالاجماع ان يعطيك خمسة وعشرين الف ريال بدل ما خسرتة مدة اقامتك في السجن ظلماً وانا مسرور لانني خولت تأييد هذا القرار .

ثم أفاض في كلام التعزية والتشجيع قائلاً ان الحكومة التي اتهمتكم خطأ و حكمت عليكم ظلماً اطلقت سبيك حالما اكتشفت خطاها وسعت ان تعوضك عما اصابك من الضرر بسببها وبعملها هذا محت ما اصابك من العار بين قومك .

فانتعشت روح كلتين من تلك الساعة و كانت حنة قد وضعت يدها في يد أبيها فوضعت يدها الاخرى في يد بولدن حينئذ وانثبه الوالي إلى ذلك فابتسم وهنأهما و قال للمحامي و اهنأك أنت أيضاً لأنك لاتزال المحامي الذي الفوز حليفه دائماً .

انتهت القصة والمرجح اننا موضوعة ولكن ما أكثر أمثالها . وقد يكون لها امثال في هذا القطر الآن وغرضنا من ايرادها ان تهتم الحكومات الانسانية باطلاق الابرياء من انبائها المسجونين ظلماً ومعاملتهم بكرمها وحبنا لوفعلت ذلك الحكومة الاسلامية و كل الحكومات . بل حبنا لو نهض نواب الممالك واصلحوا قوانينهم وعدوا حكوماتهم مسؤولة عما تفعله برعاياها إذا اخطأت في فعلها مسؤولة جنائياً ومدنياً فان القاضي مأجور لاكتشاف العدل والحكم به فاذا اخطأ في اكتشافه أو في حكمه فشأنه شأن كل من يناط به عمل ولا يحسن القيام به أو يعمل عملاً منه خسارة مالية والعمل مسؤول عن عمله قال النبي ﷺ كلکم راع وکلکم مسؤول عن رعیتہ .

الحضارة وموازينها ميزان كل شيء هو المعيار الذي يعرف به قدر ذلك الشيء فلا يكون الا من جنسه ومما يناسبه على اختلاف اجناس الموزونات كذى الكفتين و القبان وما يجرى مجراهما للجرام و الاثقال و الاسطرلاب للمواقيت و الارتفاعات و الفرجار للدوائر و القسسى و الشاقول للأعمدة و الأبنية و المسطر للخطوط و العروض للشعر و المنطق للفلسفة و الحس و الخيال و العقل الكامل للكل و سمى المنطق بالميزان كما قال الحكيم السبزواري :

نحمد من علمنا البيانا و قارن الكتاب و الميزانا

الفه الحكيم رسطاليس ميراثزي القرنين القديس

وقال صدر المتألهين و تابعه الفيض الكاشاني^١ وقال - فميزان يوم القيامة اعني ما يوزن به العلوم و الاعمال فيعرف قدرها هو نفس العقائد الحقة و الأعمال الصالحة التامة من وجه و أهلها المهادون إليهما من وجه آخر و علي الأوّل قيل الميزان هو كلمة لا إله إلا الله فانها هي الفاصلة بين الاسلام و الكفر و المائزة بين أهل الجنة و النار و في الحديث الصلوة ميزان من وفي استوفى هذا في الاعمال و ذاك في العقائد و العلوم و قس عليها سائر العقائد و العلوم و الأعمال و علي الثاني ورد في الاحاديث ان الموازين القسط هم الأنبياء و الأولياء و في رواية اخرى نحن الموازين القسط و انا أقول جاء في احدي زيارات سيدنا أمير المؤمنين السلام عليك يا ميزان الأعمال فلكل شيء صورة في نشأة غير صورته التي في النشأة الاخرى و قد تبدل بتبدل النشآت و المواطن .

لقد قال الكاتب الفاضل محمد قطب احد اقطاب العلم و الأدب و قد افاد و اجاد في مقالته احببت ان اذكرها هنا فانها مقالة مفيدة جداً نقلت من كتاب النفس و المجتمع .

حضارة الكيلواط قال لي أحد الشيوعيين مرة و هو يجادلني ان مقياس الحضارة الحديثة هو مقدار ما يستهلكه الفرد من التيار الكهربائي^٢ فبقدر ما يستخدم

من آلات حديثة تستهلك تياراً كهربائياً تقاس حضارته . وقد بلغت حضارة امريكا كذا كيلواط في المتوسط لكل فرد ولم تبلغ بعد في روسيا هذا الرقم . ولكنّها في طريقها إليه لان استهلاك الفرد هناك يرتفع بسرعة سنة بعد سنة .

قلت له ولكن هذا معناه - بمقياسك - ان الشيوعية ما تزال متأخرة عن الرأسمالية فكيف يتفق هذا مع كونها - في رأيك - حركة تقدمية عن الرأسمالية .

وفوجيء محدثي الشيوعي بهذا القول مفاجأة تامة وبدا عليه الزعر ، لان المقياس الذي يتخذه لقياس الحضارة قد خذله على حين غرة منه وراح يحاول التخلص من المأزق بأن يقول : ان الشيوعية لم تأخذ مداها بعد وحين تصل إلى قمته ستفوق الحضارة الأمريكية قلت له لا تهرب ، انا اسألك عن الفكرة الشيوعية ذاتها : أهي ارقى من الرأسمالية الأمريكية حتى قبل ان تبلغ قمته . أم هي متخلفة عنها ؟ وسكت . فلم يهتد إلى جواب ومنذ أيام قرأت حديثاً جرى بين احدي الأمريكيات اللواتي يردن بلادنا وبين إحدى الصحفيات عن مقياس الحضارة بالكيلواط ، فبقدر ما يستهلك الفرد من التيار الكهربائي تقاس درجة تحضره ! لما ذا ينحرف الناس هناك هذا الانحراف ؟ لما ذا تختل القيم في موازينهم إلى هذا الحد ؟ الذي يثير السخرية حين يتمعن فيه الإنسان .

إنها المقائيس الخاطئة تؤدي حتماً إلى النتائج الخاطئة . وبقدر ما يكون الخطاء في المقائيس يكون الانحراف في النتيجة - والمسألة إناً في حاجة إلى تصحيح القيم... تصحيح المقائيس ، كيف نقيس الانسان هل هناك مقياس (موضوعي) لا يخضع لرأى و رأيك . بل يعتمد على اسس ثابتة يمكن الرجوع إليها لتصحيح المقائيس كلما اختلفت في أيدي البشر .

فلننظر في هؤلاء البشر كيف اصبحوا بشراً فلعلنا ان نصل - عن هذا الطريق - إلى المقياس الصحيح واسهل طريق نصل منه إلى النتيجة . وهو كذلك اضمن طريق ان نوازن بين الانسان و الحيوان فالفرق المبتغى في الميزان هو حقيقة الانسان والفرق بين

الانسان والحيوان كثيرة لانظنها تحتاج إلى جدل كثير، أحد الفروق بطبيعة الحال انه يستخدم عقله في التفكير والتعلم والاختراع واحد الفروق كذلك انه يستلزم الإرادة الضابطة في تنظيم ميوله الفطرية و توجيهها ذات اليهين و ذات الشمال .

ومن هذا الفارق اخير أو من كليهما معاكف الانسان - على مدار الزمان - عن الاستجابة المباشرة لميوله الفطرية على طريقة الحيوان وراح ينظمها ويهدبها ويستجيب له آخر الأمر ولكن بعد ان يقطع بها شوطا بين المنبع و المصب و على ضفاف هذا الشوط من المنبع إلى المصب نبتت الفنون والعقائد والأفكار والفلسفات والعادات والتقاليد كالزهور الجميلة نبتت في وسط الطين ولكننا شيء آخر غير الماء و الطين إلى هذا الحد يتفق الناس في حكمهم على الانسان فنكفي إذن بهذا القدر ولا ضرورة الآن لذكر الروح مادام الناس غير متفقين على انها من مزايا الانسان التي تفرقه عن الحيوان (الكليّة الإلهية أو النفس الناطقة وما هو المراد من النطق) .

وإذن فحين نتحدث عن الحضارة الإنسانية ينبغي ان نرجعها إلى مقائسها تلك البديهة الظاهرة التي يميز بها الانسان عن الحيوان والأفستكون مقائسنا خاطئة قاصرة لاتصل بنا إلى الجواب الصحيح العلم و الاختراع . . . لا شك انه نتاج انساني أصيل فالحيوان لا يخترع ولا يحسن أن يكيف حياته على اساس الاستفادة الواعية مما حوله من ذخاير الوجود ولكن القياس بهذا المقياس وحده لا يكفي ولا يؤدي إلى نتيجة صحيحة تصور انك تحاول رسم دائرة بفرجار (برجل) ذي قائمة واحدة : هل يمكن؟ هل تصل إلى نتيجة؟ أم انه لا بد من القائمتين معاً تركز باحدهما في مركز الدائرة و توجه الأخرى على الورقة حتى يتم الرسم العلم أو الاختراع . . هو مركز الدائرة هو احدى قائمتي الفرجار ولكنه وحده لا يغني شيئاً ولا يرسم صورة فالعلم يمكن أن يستخدم للخير و للشر . يستخدم في التدمير و يستخدم في البناء ، و العلم يمكن أن يستخدمه الرجل الفاضل و الرجل المنحرف ، فانا نستطيع أن استخدم الغسالة الكهربائية في بيتي وأنا رجلها بظمنحرف أكيد للناس و اتمنى لهم الشر - سواء نفذت هذا الشر في صورة جريمة ام بقي احساساً

كلمناً في نفسي كما أستطيع ان استخدم هذه الغسالة الكهربية وانا رجل نظيف المشاعر احب للناس الخير واسعى لهم في الخير فاذا كنت استخدمها في الحالتين فكيف تصلح في ذاتها ان تكون مقياساً لانسانيتي او تحضري والغسالة الكهربية شأنها شأن المحرث الميكانيكي وشأن الراديو والتليفزيون والسينما والمطبخ الكهربي والقطار الكهربي والانسان الآلي والمخ الإلكتروني . . . إلى آخر هذه الآلات التي تعمل بالكهرباء وتستهلك الكيلواط ! لا يمكن ان تكون في ذاتها مقياساً للحضارة ولا مقياساً للآدمية لسبب بديهي بسيط هو ان الجميع يستخدمونها بما فيهم من خير وشر و صعود و هبوط و اذن فلا تصلح لقياس الصعود والهبوط في مقائيس الانسانية .

و إنما هي تصلح حين نضيف اليها القائمة الاخرى من قائمتي الفرجار لترسم الدائرة وتتضح الصورة للعيان قلنا ان الفارق بين الانسان والحيوان - إلى جانب العلم والاختراع - هو تحكمه في نوازعه الفطرية و عدوله عن الاستجابة المباشرة إليها مما نشأ عنه الفنون و العقائد و الفلسفات و الأفكار و التقاليد والعادات .

تلك هي القائمة التي ترسم الدائرة . أما الاخرى فهي فقط محور الارتكاز وعلى قدر المسافة التي أفتح بها القائمة الثانية تكون الدائرة ضيقة أو واسعة محدودة أو شاملة بينما القائمة الاولى ثابتة في جميع الأحوال في نقطة الارتكاز .

فعلى اذن حين ابحث في مدى حضارة إنسان معين . أو شعب معين ان ارى الدائرة التي يعيش فيها . الدائرة التي يرسمها لنفسه بقائمتي الفرجار .

فاذا كان هذا الفرد أو هذا الشعب يستخدم التليفون و التليفزيون و الغسالة الكهربية و المطبخ الكهربي ويستهلك اكبر قدر من الكيلواط في اليوم ثم يكذب وينصب ويستغل الاخرين اسوأ الاستغلال و تفوح من تصرفاته روح الغدر و الخيانة و الأنايئة البغيضة . أو إذا كان يستهلك هذا القدر من الكهرباء ثم يتنازل عن آدميته عن فنونه و عقائده و آرائه و فلسفاته و تقاليده و عاداته و يرتد كالحيوان يستجيب لميوله الفطرية استجابة مباشرة فكيف اقول انه متحضر بل كيف اقول انه انسان وما قيمة هذه الكيلوانات كلها و هي لا ترفع مشاعره مرة إلى احساس نبيل أو رغبة في التعاون مع بني

البشر على الخير - أمريكا هي البلد الذي وصل إلى القمة في استهلاك الكهرباء - و أمريكا هي التي تعامل الزوج تلك المعاملة البشعة التي لم يسمع عنها الا في شريعة الغاب فكيف تكون أمريكا متحضرة ولو استهلكت من الكهرباء اضعاف ما تستهلكه اليوم بحساب الكيلواط؟!

وإذا كان العلم والاختراع شيئاً مشتركاً أو يمكن - على مدار الزمن - أن يكون مشتركاً بالنسبة للجميع فالمقياس الآخر اذن هو الذي يحدد النتيجة و يرسم الصورة الأدمية أو الحيوانية، الارتفاع عن عالم الضرورة أو الهبوط إليه الاحساس بالآخرين على انهم زملاء في البشرية أو اعداء يجب تحطيمهم والاستئثار دونهم بطيئات الحيات أو عبید يستغلون لحساب سيدهم هذا هو المقياس وبقدر ما يرتفع الانسان أو يهبط في هذا المقياس تكون درجة تحضره لأنها درجة الانسانية .

فألذي يغرق في شهواته و لذائذه لا يرتفع عنها ، حيوان مرتد عن الانسانية .
والذي ينبذ عقايد و تقاليد و اخلاقه ، حيوان مرتد عن الانسانية .
والذي يسعى إلى ايداء الآخرين من بني البشر . حيوان مرتد عن الانسانية .
ولو استخدم كل آلات الأرض و استهلك كل ما فيها من كهرباء .
والذي يكتفى من متاع الجسد بالقدر المعقول و يملك حريته ازاء شهوته .
والذي يربط قلبه ووجدانه بعقيدة تقيه من الهبوط و ترفع وجهه إلى السماء و هو يمشى بقدميه على الارض .

والذي يحس بالكيان البشري للآخرين فلا يستعبدهم ولا يناذبهم ولا يستأثرونهم بالخير ذلك هو الانسان المتحضر ولو لم يستهلك كيلواطاً واحداً من الكهرباء هل تلك مقائيس شخصية تقديرية؟ كلا! فقد رددناها إلى اصولها البسيطة التي ينبغي ان ترد إليها و هي الفوارق التي تفرق بين الانسان و الحيوان . و كل مقياس لا يدخل هذه الفوارق في حسابه فهو مقياس خاطئ لانه لا يقيس حقيقة الانسان و إنما يقيس جانباً واحداً منه لا يعبر بذاته و ليس له وحده دلالة . و إنما يعبر فقط حين يتبين اتجاهه

و يرسم له الخط الذي يسير فيه ومن هنا تبدو تفاهة المقائيس الغربية التي تقيس الحضارة بالكيلواط .

هل معنى ذلك ان ننفض ايدينا من ثمار التقدم العلمى مادام ليس لها وزن في الميزان كلاً ، لا اريد ان أقول ذلك - فالعلم كما قلنا نتاج بشرى اصيل . والاستفادة من ثماره وتكييف الحياة على اساسها خصلة مميزة للانسان فاذا ابى الانسان ذلك أو نكص عنه فهو لا يريد ان يستغل كل كيانه و كل طاقاته . وهو إذن ناقص الكيان ولكنى اريد ان اثبت حقيقة هامة - ان الانسان يستطيع في سهولة ان يعوض ما ينقصه في جانب العلم والاختراع إذا كان غنى النفس بالجوانب (الانسانية) الاصيلة التي يرتفع بها عن عالم الضرورة ويشعر بزماله البشرى في الانسانية فيتعاون معهم على الخير المشترك للجميع ولكن لا يستطيع بالعلم وحده ان يعوض ما ينقصه في الجانب الانساني ولو اضاف كل يوم مائة اختراع جديدة ولو استهلك كل يوم الف كيلواط ، و من ثم يكون المقياس الآخر هو المقياس الحاسم ولا يكون الا (شيئاً) في الميزان - و اروبا اليوم تفسد مقياس الحياة لانها - اليوم تملك السيطرة و السلطان ! و رب قائل يقول وكيف ملكت القوة و السلطان وكيف ملكت ان تفرض المقائيس الخاطئة للبشرية أليس بالعلم والاختراع واذن فهذا هو المقياس و ذلك حق يؤدى إلى باطل .

فامتلاك السيطرة ليس حتماً أن يكون على حساب الانسانية الحقّة . وقد كان العالم الاسلامى في وقت من الأوقات يملك كل وسائل القوة المادية و كل ثمرات العلم ومع ذلك كان يرتفع في مقياس الانسانية إلى الحد الذي شهد به اعداؤه من الصليبيين وما يزالون يشهدون به في كتب التاريخ و من جهة اخرى فان امتلاك اروبا للقوة المادية على غير رصيد نفسى نظيف قدادى إلى هذا الصراع الرهيب في حربين متواليتين في ربع قرن و الثالثة على الأبواب تنذر بتدمير الحياة على وجه الارض .

ويوم تصل البشرية إلى استخدام ثمار العلم في تهذيب النفوس و الارتفاع على عالم الضرورة فيومئذ فقط تكون قد ارتقت حقاً في مقياس الحضارة الاصيل و في ختام مقالة

الاستاذ الفاضل المعاصر محمد المعروف بالقطب نورد قصيدة معروفة عند العارفين وهي لأبي الفتح البستي أحد شعراء ايران و بلغائها لكي تحفظها الطلبة الجامعة وتعمل بها .

زيادة المرء في دنياه نقصان
وكلُّ وجدانٍ حظٌّ لا ثبات له
يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً
ويا حريصاً على الأموال تجمعها
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
اقبل على النفس واستكمل فضائلها
دع القواد عن الدنيا وزبرجها
و اوع سمعك امثلاً افضلها
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
وان اساء مسيءٌ فليكن لك في
وكن على الدهر معواناً لذي امل
واشدد يديك بجبل الله معتمماً
من يتقى الله يحمد في عواقبه
من استعان بغير الله في طلب
من كان للخير مناعاً فليس له
من جاد بالمال مال الناس قاطبة
من سالم الناس يسلم من غوائلهم
من مدَّ طرفاً لفرط الجهل نحو هوى
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً
من كان للعقل سلطان عليه غدا
ومن يفتش على الاخوان يقلبهم
ولا يغرنك حظ جرّه خرق

وربحه غير محض الخير خسران
فإنَّ معناه في التحقيق فقدان
تالله هل لخراب الدهر عمران
أنسيت ان سرور المال احزان
أتطلب الربح فيما فيه خسران
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان
فصفوها كدر و الوصل هجران
كما يفصل در و مرجان
فظالما استعبد الا انسان احسان
عروض زلته صفح و غفران
يرجو نذاك فإنَّ الحر معوان
فانه الركن ان خاتك اركان
و يكفه شر من عزوا ومن هانوا
فان ناصره عجز و خذلان
على الحقيقة اخوان واخذان
اليه و المال للانسان فتان
و عاش وهو قرير العين جذلان
اغضى على الحق وهو خزيان
لأنَّ اخلاقهم بغى و عدوان
وما علي نفسه للحرص سلطان
فجلُّ اخوان هذا العصر خوآن
فالخرق هدم و رفق المرء بنيان

فالروض يزدان بالأ نوار فاغمة
 صن حرّ و جهك لا تهتك غلالته
 و ان لقيت عدواً فالقه أبدأ
 من استشار صروف الدهر قام له
 من يزرع الشر يحصد في عواقبه
 من استنم إلى الأشرار قام و في
 و رافق الرفق في كلّ الامور فلم
 أحسن إذا كان امكان و مقدرة
 دع التكاثر في الخيرات تطلبها
 لا ظلّ للمرء اخرى من تقى و نهى
 الناس اخوان من و اته دولته
 سحبان من غير مال باقل حصر
 لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم
 ما كلّ ماء كصداً لو ارده
 و للأمر موافق مقدرة
 فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه
 حسب القى عقله خلاً يعاشره
 هما رضيعا لبان حكمة و تقى
 إذا نبا بكريم موطن فله
 يا ظالماً فرحاً بالعزّ ساعده
 يا أيها العالم المرضي سيرته
 و يا أخا الجهل لو اصبحت في اللجج
 لا تحسبن سروراً دائماً ابداً
 إذا جفاك خليل كنت تألفه

والحرّ بالعدل و الاحسان يزدان
 فكلّ حرّ لحرّ الوجه صوان
 و الوجه بالبشر و الاشراف غضان
 على حقيقة طبع الدهر رهان
 ندامة و لحصد الزرع ابان
 قميصه منه صلّ و ثعبان
 يندم رفيق و لم يذمه انسان
 فلن يدوم على الإنسان امكان
 فليس يسعد بالخيرات كسلان
 و ان اظننه اوراق و اغصان
 و هم عليه إذا عادته اعوان
 و باقل في ثراء المال سحبان
 غرائز لست تحصيها و اكنان
 نعم ولا كلّ نبت فهو سعدان
 و كلّ امر له حدّ و ميزان
 فليس يحمد قبل النضج بحران
 إذا تحاماه اخوان و خلان
 و ساكنا و طن مال و طغيان
 و راءه في بسيط الأرض أوطان
 ان كنت في سنة فالدهر يقظان
 أبشر فأنت بغير الماء ريان
 فأنت ما بينها لا شكّ ظمان
 من سرّه زمن سائته أزمان
 فاطلب سواه فكلّ الناس اخوان

وان بنت بك أوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان
 خذها سوائر امثال مهذبة فيها لمن يتبعى التبيان تبيان
 ماضر حسنها و الطبع صانغها
 ان لم يصغها قريع الشعر حسان

الشخصية والعظمة ليس فينا من لم يتأثر برجل من الرجال ويخضع له ويشعر
 حياله باحترام مقرون بالتقدير والاعجاب وليس فينا من لم يتهيب النظر إلى مخلوق
 أو التحدث إليه أو التقرب منه أو مناقشته أو معارضته سواء كان رجلاً أو امرأة فهذه
 الهيبة المشوبة بالخوف هو الدليل البالغ على اكتمال قوّة الشخصية و الواقع أن القدرة
 على تكوين عناصر الشخصية من الاغراض العسيرة الشاقّة التي لا نستطيع الفوز بها
 الا بعد جهاد طويل . ولكن الظفر بها آخر الأمر يفتح لنا أبواب الحيات و يمكننا من
 تحقيق مثلنا العليا و يوحى إلى الغير الثقة بنا و يخوّن لنا حق الاضطلاع بعظام الاعمال
 وما تاريخ العالم في الحقيقة إلا تاريخ الرجال أصحاب الشخصية القويّة . وقد تحدث
 ظروف البيئّة وأساليب التربية وأنواع الثقافة وتطوّرات الحياة الاقتصادية أكبر الأثر
 في تكوين الرجل العظيم . ولكن شخصيته القويّة هي التي تنتفع بالحوادث و توجه
 الظروف و تسيّر المقادير و تخلق حالات انسانية جديدة تتطور بالامم و الشعوب تطوراً
 يقيم حضارة و يهدم اخرى و يقوّض نظاماً و يبني آخر .

فصاحب الشخصية القويّة يشارك الطبيعة في عمليّة التطوّر . و كلّما كان عقله
 ناقباً و خياله متقدماً و ارادته حديدية صلبة . كان افعال في التأثير على محيطه و اقدر في
 توجيه شعبه و حضارة عصره و جهة خصبه جديدة و لقد كان (يوليوس قيصر) يقول لم
 احتج في بعض ظروف حياتي التي امتازت بخطورتها إلا إلى نظرة القيتها من عيني المتقدمين
 على إنسان كى يصدع هذا الإنسان لأمر وينزل على ارادتي و يعمل بمشيئتي و سلطاني .
 ولا يتوهمن البعض ان أذكاء العقل كانوا يخضعون لي لأنني قيصر فانا نفسي كنت اتوهم ذلك
 ولكن بعد ان خبرت شخصي و انعمت النظر في اخلاقي و في اسلوب تفكيري و في خصايص مسلكتي

خيال مرؤوسى ادركت ان قوّة شخصيتي التي ابدعتها من عصارة فكري ارادتي هي التي كانت تشع منى بالرغم منّي وهي التي تسيطر على كل من يتصل بي ومثل هذه القوّة تحدّث عنها نابليون وبسماركومعظم القادة الذين خلقتهم الطبيعة فخلقوا انفسهم ثم خلقوا التاريخ وليس للفرد العادى ان يتوهم في نفسه العجز عن مجاراة اولئك الابطال . ففي وسع كل منا ان يكون بطلاً في ميدانه . وفي مقدور كل منا ان يساهم في تطور بلاده وعصره وفي مستطاع كل منا ان يكون قوي الشخصية موفور عناصر الارادة والنجاح على شرط ان يعرف كيف يهدّب شخصيته وينميها ويتبين جوانب قوتها وضعفها ويجاهد جهاداً يومياً مطرداً لا كسابها ذلك الطابع التأثيري الذي يعجب به الناس وينشده المجتمع وتدين له الظروف و تتحقق بواسطته الاعمال الجديرة بان يعيش الانسان و يفكر ويتألم ويضحى من أجلها فخير الطرق لاحراز شخصية قويّة وللتفوق بهذه الشخصية على النفس و على الغير هو موضوع هذا البحث و هو ما سنحاول عرضه و تحليله .

ان حوادث الحياة تمرّ بنا كما تمرّ السفن على سطح المحيط فنحن ملك العالم الظاهري يتصرف فينا ويوجهنا اى الجهات يريد وما حياتنا إلا حلم من احلام اليقظة ولهذا نجهد حقيقة انفسنا وانه لمن اشق الامور علينا ان نكتنه بواطن شخصياتنا مادنا لم نتحرّر من مؤثرات الحياة الظاهرة ولم نفصل بين عقلنا و العالم ولم نستق من ذلك الحلم الذى تنقضى فيه اعمارنا فاول شرط من شروط الفوز بشخصية قويّة هو ان نبددنا سحب الحياة ونقصى اوضاع المجتمع و نهبط الى اعماق انفسنا مجردين من كل غاية منزهين عن كل غرض حاملين مصباح العقل كما يحمل المعدن مصباحه في قاع المنجم . ولا ريب في ان لكل منا خاصّة ممتازة أو ملكة نادرة او موهبة بارزة فهذه الملكة او الموهبة هي التي يحب ان نستوثق منها قبل كل شىء وهي التي يجب ان نبجثها و نحللها و نلاحظ أعراضها و نرى ما إذا كانت وئيدة الصلة بالواقع متفقة واسباب الحياة العملية فاذا ما أدركنا بعد طول الدرس و الاختبار انها كامنة فيناحقا و انها زاخرة بالنشاط حافلة بالحركة فلنبرزها و لنصقلها ولنهيئ لها الظروف الصالحة لنموها و

لنخضع ساير قوانا و نسخرها لخدمتها و في غضون هذا السعي المتواصل ينبغي ان نلم إلاما تاماً بما فينا من نواحي الضعف التي قد تعطل حركة مواهبنا و تعرقلها و تحول بينها و بين الظهور والاكتمال .

واشد ما يعطل المواهب و يفسدها فساد الاخلاق . وقد يكون الرجل ذكياً ثم يكون بليداً و قد يكون نابغاً في علم من العلوم او فن من الفنون ثم يكون خائر النفس منهوك الأصابع يائساً عاجزاً متبرماً وقد يكون من كبار الساسة و من اقطاب رجال الدولة ثم تستخفه الزلّفى و يطربه الملق وقد يكون من اعلام الفضيله ثم يعبت بالفضيلة فيصيب الدين في الصميم .

فمعرفة النفس حق المعرفة و الوقوف على ما فيها من مواطن النبوغ و التفوق ثم تغذية هذا النبوغ قدر الطاقة ثم تمهيد السبل لنمائه وازدهاره بالحرص على الاخلاق القويمة تلك هي العناصر الرئيسية الاولى لتكوين الشخصية إذا كان من البديهي أن تنهض الشخصية القويّة على قاعدة التفوق في علم او ادب او فن فمن العبت اظهار قوّة الشخصية بدون اخلاق . فالعلم وحده لا يكفي و التفوق الذهني اياً كان لا يكفي و ليست العبرة في ان تكون نابغاً في ان يقترن نبوغك باخلاق ممتازة تؤكّد قيمتك و تعزّز سلطانك و تحمّل الناس على الثقة بك و التسليم لك بمعالجة ادق المشاكل و اخطرها و الاعتماد عليك في تحقيق عظام الامور و الظاهرة الملحوظة ان عدد النوابع كثيرة ولكن عدد النوابع المشهورين بالخلق القوي و الذين يمكن الاعتماد عليهم في ساعة الشدة جد قليل فالمجتمع لا يقدر ان النبوغ الذهني الا مقترناً بالاخلاق و لا يعترف لصاحب هذا النبوغ بقوّة الشخصية الامتى اكتمل فيه سلطان الاخلاق ولكن ماهي هذه الاخلاق التي تكوّن الشخصية .

١ - **حب العمل** : و الانكباب عليه و الاستمرار فيه و الدأب على تجويده تثير الاعجاب و تستفز شعور المحاكاة و تتخذ مثلاً وقوّة .

٢ - **الترفع عن مغريات المادية** : هذه الخاصة يعلّق عليها المجتمع اعظم اهتمام إنزال الودع بالمادّة لابد أن يغلب في الفرد مصلحته الخاصة على مصلحة الجماعة

ومتى تغلبت المصلحة الخاصة وتمكّن من النفس حبّ المال فسد العمل والضمير فالإخلاص التّام للعمل وان لم يتناسب الجهد مع الاجر والاستعداد الدائم لمقاومة الاغراء المادّي والامتناع المطلق عن استخدام المنصب أو النفوذ لكسب ربح شخصي والتوجّه المطرّد بالفكر والقلب والضمير صوب الخدمة العامة كل هذه العوامل المنطوية على روح البذل والتضحية تولّف في الواقع جانباً رائعاً من جوانب الشخصية القويّة .

٣ - **الصراحة في القول** من حقّ السياسي وحده أن يراوغ ! بل قد يكون هذا واجبه و برهان قوته . اما غير السياسي فصراحة القول يجب ان يكون شعاره .
والصراحة من ادلّة الإباء وعزّة النفس وعلوّ الهمة وحبّ الاستقامة . واما المراوغة والمماطلة والتسويف و اخلاف الوعود والتتردد في ابداء الرأي الحاسم او كتمانها وايتار حجبه تحت ستار المجهامات فمن ادلّة ضعف الفكر وضعف الخلق و نقص الشجاعة .

ونحن في الغالب نأبى المصاحرة برأينا الصحيح في مسألة من المسائل خشية ان نخرج على مألوف عاداتنا و نفقد راحتنا ونؤلّب علينا الغير ونصطدم بمعارضة قويّة و نشير العواصف حول انفسنا وقد يكون الجهر بالرأي في مصلحتنا فنضحي بهذه المصلحة الخاصّة بغية الاحتفاظ بهدوئنا وقد يكون الجهر بالرأي في مصلحة وطننا فنضحي بهذه المصلحة العامة ونسيء إلى بلادنا وهكذا ننشر الجبن وندعو الى النذالة ونروج زنايل العيب والنفاق والاستخفاف وعدم الاكتراث .

فالقوى حقاً هو الذي يفكّر ويقول و ينفذ هو الذي يصارع ويتحدّى ويتحمّل وقد تختلف نسب المصاحرة باختلاف القدرة على تحمّل نتائجها ولكن المهم ان يوفق الانسان بين قدرته على المصاحرة و مدى استعداده لتحمّل نتائجها وما دام قدوطن العزم ولو على تحمّل بعض تلك النتائج فقد دنا من الغاية و شارف حدّ الشخصية القويّة .

٤ - **الثبات والاستقامة** لا ريب في ان الثبات على المبدأ من اظهر صفات الرجل القوى . ولكن حبّ الحق من اخصّ صفاته ايضاً . كما تبد وقوّته في استمساكه بفكرته

وثباته عليها وصلابته في الدفاع عنها كذلك متى تبد و في رغبته الشديدة في الأذعان للحق متى اهتدى اليه بعد تفكر طويل فهو في الحقيقة لا يثبت على مبدأ معين إلا ليقينه بأن هذا المبدأ هو الحق ولو طالبناه بالثبات علي غير ما اصبح يعتقد أنه الحق لجعلنا منه رجلاً متعصباً وجرّ دناه بالتالي من احد مظاهر العظمة والتفوق .

و من الناس من لا يفرق بين فضيلة الثبات على المبدأ و رذيلة التعصب واللجاج للمبدأ . وهذا خلط شائن اذا الثبات على المبدأ قوة ايجابية تنبع من الفكر لتستقر في العاطفة اما التعصب للمبدأ فقوة سلبية تنبع من العاطفة لتستقر في العاطفة . و اذن فبقدر ما يشترك الفكر في تكوين المبدأ يكون حظ المبدأ من التوطد على اساس الحق و بقدر ما تشترك العاطفة في تكوينه يكون حظّه من الرسوخ على اساس الباطل لان العاطفة تؤخذ بالظواهر و تخدع بالالوان وتفتن بالصور . و قل ان يتكلف اصحابها البحث عن الحقايق فسر القوة في الثبات على مبدء يوحى به العقل والفكر ويمحصه الذهن الحر الخالص من شوائب التعصب العاطفي .

٥ - احترام النفس إن لم يحترم الانسان نفسه فلن يحترمه الناس و احترام النفس معناه اقامة حاجز من التحفظ النفسى بين الفرد و بين من هم اقل منه ادراكا و اضعف منه عقلاً و نفساً و خلقاً معناه تجنب المجون و اتقاء شر التبذل و عدم الاسترسال في المزاح و اتباع روح الجد و الظهور على الدوام بمظهر الوقار والرصانه ولا ينبغي ان يتطور شعور احترام النفس فيبلغ حد الغطرسة والكبرياء بل يجب ان يكون شعوراً بالكرامة نقياً سليماً يقترن فيه الترفع بالتواضع والشدة باللين عند الاقتضاء ولكن احترام النفس لن يكون عميق الاثر في الناس الامتى تجلى في احتقار الملق و ازدراء المداهنة و كره التمسح بالكبراء وذوي الجاه وليس شك في ان صاحب الشخصية القوية يعرف باكتفائه بنفسه واعتماده على ذاته و تعويله على عمله و تبرمه التام بمختلف اساليب الكذب والنفاق و شتى انواع المداجاة والزلفى .

٦ - خشونة الحياة من اروع مميزات الشخصية القوية نفورها من الحياة الناعمة الرخوة و اقبالها على كل عمل فيه جهد و فيه خشونة و فيه رجولة فازدراء

اسباب الشرف والعزوف عن ابسط المتع والتجرد والتقصّف عند الحاجة من الفضائل الدالة على احساس متأصل بالقوّة وعلى رغبة صادقة في الاخلاص لفكرة والتضحية من اجل مبدأ أو عمل و الحق أن الحياة الفاتره الهادئة المزدانة بالوان الرفاهية والنعمه تختث الطبايع وتقضى على المواهب وتفسد الرجولة وتضعف خاصّة الاقدام والمغامرة وتزعزع الارادة من الاعماق .

فالقوّة والحالة هذه تقتضى في بعض الاحيان التغلب على مفاتن ومباهج المدينيّة والعودة بالنفس والجسد إلى بعض نوازع الفطرة السليمة . و الارتداد بالحياة الى اصولها الوحشيّة الاولى خدمة للفكر والحياة .

٧ - كبح الاعصاب التحكم في الاعصاب ميزان القوّة . فكلمّا استطعنا كبح اعصابنا ازداد تأثيرنا على الغير ورسخت في النفوس عظمة شخصيتنا . ورياضة الأعصاب تمكّن من رياضة العقل لأن ضبط انفعالاتها يسهل علينا مراجعة تفكيرنا و التعمق فيه واقناع خصمنا بصوابه وانتهاءنا الى الفوز عليه والملاحظ ان لاشيء يقلق الناس ويربكهم ويستفز احترامهم و يوحى اليهم الهيبة اكثر من مثلهم في حضرة انسان قادر على كبح اعصابه . و ذلك لان هدوءه يخفرهم الى الهدوء ويرغمهم على التعقل ويضطرهم إلى استخدام الفكر في فضّ مشاكلهم بدلاً من استخدام التهيج و العنف وحيث ان الناس في مجموعهم لا يحسنون التفكير لفرط خضوعهم لسيطرة أعصابهم فالذي يعرف كيف يكبح اعصابه يتفوق عليهم بعمق تفكيره و هكذا يسوقهم الى طاعته و يجبرهم الى احترامه فمهما حاولت فلن تكون قويّ الشخصية اذا كانت اعصابك اقوى منك .

واما الاساليب التي تؤدّي بك الى التسلّط على اعصابك فيجب ان تتكرها بنفسك وتوفّق بينها بين خصائص مزاجك .

ولقد كان فولتير يضمّ شقيقه ويطرق برأسه الى الارض ويلون بالصمّت دقائق طويلة كلّمّا اوشكت ان تعصف به العبيّة .

و كان مونتسكيو يردّد في خاطره بضع مقطوعات شعريّة يحبّها كلّمّا أحسّ انه

سيحتاج وينفعل .

و كان تولستوى في مثل تلك اللحظات يرفع بصره إلى السماء و يتمم صلاة قصيرة .

و كان الروائى ستندال يقتدى بنا بلئون فيذرع الحجرة جيئةً وذهاباً ليطرد عنه دوافع الغضب .

وأمّا مولير فكان لشدة خوفه من عواقب ثورانه يقهقه قهقهةً يخفف بها عن صدره و يردد إلى عقله .

فهذه الأساليب التي اتبعتها العظماء في وسعنا ان نأخذ بها او نبتدع غيرها تفادياً لنا من التضحية ساعة الانفعال بجميع الفضائل التي اقمنا عليه صرح شخصيتنا .

وصفة القول ان العوامل السبعة التي ذكرناها هي التي تشترك في تكوين الشخصية القويّة فكل من استطاع توقيف عناصرها في نفسه واستكمال جوانبها في طبيعته واحساسه والتوفيق بينها و بين مقتضيات مزاجه و إجادة تطبيقها على الحياة الواقعة فهو الرجل المعد لجلال الأعمال وهو الانسان العظيم الممتاز بقوة الشخصية .

باي ميزان تزن الحياة ذلك السرّ الغامض الذي يبدأ بالميلاد وينتهي بالوفاة

ذلك السرّ الغامض الذي نسميه الحياة و نرى أنفسنا في غماره متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء ذلك البحر الخضم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر او طال ، نزعنا منه تلك القوة الخفية حين يحلّ الأجل هذه المعركة التي نناق إليها غير مختارين و نفصل عنها غير مختارين هذه الحياة ماهي ؟ وما غايتها ؟ وما ذا ولدنا ؟ وما ذا نموت ؟ ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمات . إذن لاستراح الفلاسفة و أصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقد يماً كان وإلى اليوم مازال هذا السرّ الرهيب موضوع البحث المهم و مثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة في مرمى الحياة . وإنما العجب أن لا يفكر في مرمى الحياة جميع الناس .

نولد أجنّة و ندرج أطفالاً و ننشأ صبية و نراهق فتياناً و نستوى رجالاً و نبلغ

الكهولة و تدركنا الشيوخوخة إن قدر لنا ان نبلغ ارضل العمر ، ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الأ زاهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس اخير نلفظه فاذا نحن رفات وذلك دون ان نفكر يوماً لما ذا ولدنا ولما ذا حيننا ولما ذا نموت ، ودون ان نفكر من اين جئنا وإلي اين نعود . وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم أو جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟ .

وأنت مع ذلك إذا أخذت سنة من النوم ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لاعهد لك بها فلن تستقر على حال من الدهش حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذا جاء بك إليه وكيف جاء بك ولما ذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أية حديقة أو فناء تشرف ستفتح الباب فإن كان موصدا عالجتة حتى يفتح أو ينحطم ، فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة في زهول وحيرة . ثم جعلت تطوف بارجاء الدار مسائلا نفسك اين أنا وما هذه الدار ولمن هي و في اي مدينة . ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيده هي أشبه ما تكون بالمرضات فتنبئك بأن هذه الدار عافاك الله مستشفى وان اغماء طارئة غشيتك فخاف عليك والدك فاسرع بك إليه . حتى إذا بشر الطبيب اباك بأن الأمر هين لاخطر فيه . آثر لك الاقامة هنا أياماً إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليماً معاً في حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك إليه وما السبب فإذا عرفت أن الغاية هي استشفائك مما بك لم يزدك علمك بهذه الغاية إلا أخذاً بأسبابها واستيفاء لشرائطها . حتى يتم لك منها ما أراد والدك وما أصبحت تريده لنفسك .

هذا شأننا من الدهش و التساؤل إذا طوحت بنا الطوائح إلى مكان نجعله . فما بالنا تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم توفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار نظهر و نخفي على سطح هذا المحيط الهائل . كاللقايع تنتفخ وتنفجر في مثل لمح البصر ، دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الحيرة و التساؤل و التفكير .

لما ذا بعثنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا . ألنقضى في هنائها أو عنائها . في صحتها أو مرضها ، في غنائها أو فقرها ، في عدلها أو ظلمها ، في إخائها أو أولدها ، في رفقتها أو جفائها ، أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاماً إذ طال بنا العمر .

وما ستون أو سبعون عاماً في امتداد الأزل الذي لا أول له . و في امتداد الأبد الذي لا نهاية له . ان العلماء ليحصون السنين التي سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالألوف . و يقدرون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الاحصاء . فما أنا وما أنت . وما نصيبى وما نصيبك في هذا السرمد الذي تحار فيه الألباب ذرّة ضئيلة من جبل أشم ، قطرة هيئة من محيط مترام .

واذن فما حياتك وما حياتي وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الامم الحاضرة كلها حتى نجعل موضوع هذا البحث (بأي ميزان تزن حياتك ؟ إن التاريخ المدون أو المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين وهي التي شغلت أفلام المؤرخين ، وهي التي ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات وارتقت أمم وأنحطت امم ، وهي التي وقع فيها من المظالم والحروب و طغى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والأفراد من السعادة والشقاء وأظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم (ما تضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات ومئات الألوف من العقول . وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين . وما هي من ماضى الإنسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب وما هي من مستقبل الإنسانية الذي لا تترامى إلى حدوده عين الخيال) إلا بمثابة الدقيقة الواحدة من ألوف الاعوام .

اذن أليس من الغرور أن أنكلم أو اكتب عن حياتك و حياتي و من ميزان حياتك و حياتي ما حياتك وما حياتي اذا قستها بهذا المقياس المخيف إنك لو نظرت إليها بالميكروسكوب لعزت على الميكروسكوب أن يكشفها لمن ينظر اليها من افق الأزل القديم و الأبد الخالد

ألتصدق ؟ إزن ، ألا تعلم أن كوكبك هذا الذي عاش فيه اجدارك من البشر ملايين السنين وسيعيش فيه احفارك ملايين اخرى لا يحصيها العد ، إن لم يصطدم به جرم سماوى آخر فإنا أرضك هباء في مثل قصف الرعد او خطف البصر (ألا تعلم أن هذه الارض بماضيها الزاخر ومستقبلها العظيم الباهر إنما هي شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنبؤ والهائل المستعر ، فجلت شرارتك في الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحالت حصة (مستقلة ذات سيادة) انا وانت وهو وهي وهم وهن آحاد في عداد ملايين الامة الايرانية و الامة الايرانية احدى العشرات الكثيرة من امم هذا العصر . وامم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع إلى ماض لا يدرك الخيال مبتدأه وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الأرض وهذه الأرض شظية كانت ملتبهة تناثرت من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور فمانا عسى تكون حياتي وماذا عسى تكون حياتك . لاسيما و أنت تعلم ان نظامنا الشمسى ليس إلا واحداً من نظم كثيرة تماثله . لو اطلنا التفكير في كنهها وفي تلك للقوة الخفية التي تسخرها لقضينا اعوامنا الستين او السبعين في التفكير ، دون ان نزداد في تفهمها إلا ذهولاً و حيرة ايها القراء الكرام و الطلاب العظام هل تحتلمون منى كلمة جريئة إذا كانت الحياة هي الأعوام الستون أو السبعون التي نعيشها في هذه الدنيا . من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هي التي بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هي التي استدعنا اليها لحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم و مصيرها العدم ، إذا إذا كان مولدنا في هذه الارض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، إذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا مجرد نتيجة مادية لاسباب مادية لأقل ولا اكثر ، اذا كانت أيامنا في هذه الدنيا برزخاً تاعساً بين بلقين : بلقع الماضى قبل ان نولد . و بلقع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا في هذه الدنيا مجرد احلام زائلة واشباح هائلة انا كان كل هذا العناء و هذا الكدح و هذه الآلام و هذه الأمراض و هذه الخطوب التي نشاهدها أو نحتلمها أو نكافحها في سبيل الإنسانية ، إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه

العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب تسموا إليها الأمامجيلا بعد جيل، إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد (هو ان يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاماً محدودة بحدّين ، عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق إلى الأبد ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو ستين .) اذا كان الامر كذلك ، فما أحقّ الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد بالموت لم يعيشون ؟ إن الانتحار أولى بهم وأجدر إن هذه الأعوام الستين التي يعيشها المرء في هذه الدنيا لا تساوى في ذاتها عضّة الفمور ولا زلّة الحاجة عاماً واحداً .

انها في ذاتها لا تساوى برحاء المرض الممّض نصف عام . انها في ذاتها لا تساوى احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجسرين . إن المرء ليصادف في هذه الأعوام الستين او السبعين من ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد ، هو أن الحياة سرّ قديم خالد . لاحياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر ، جلّ في نفوس الناس أوهان اذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقه بعدم منتبية إلى عدم ، إذا سألتهم لماذا يعيشون . قالوا نعيش طوعاً لغريزتين عزيزة الحرص على على بقائنا وغريزة الحرص على بقاء النوع .

أمّا حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتّى في الطفل يتجنّب السقوط من عل و يتجنّب النار اللاذعة و الحفرة العميقة و أمّا حرصنا على بقاء النوع فواضح في الامّ تسهر على ذرايها ، و الأب يعول أبناءه . حتّى ولو كانت الامّ حيواناً أعجم و نحن نفهم هذا التعليل بقوة العريزة من غير السادة العلماء ، فأما وهم من اهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجّحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز ، فقد كان الاولى بهم اذا لم يؤمنوا بأنّ لحياة الفرد اتصّالاً وثيقاً بالخلود كان اولى بهم أن يدركوا هذه الأعوام القليلة التي ستسلمهم عمّا قريب إلى فناء لا وجود لهم بعده ، هذه الأعوام لا تستحقّ منهم عناء البحث والتّسقيب في مظاهر كاذبة وزبارج باطلة ولا تستحقّ منهم هذا العكوف على المعامل والآلات و المنظار المكبّر والمنظار المصغّر و التعليل و التحليل والكدح

بالليل والنهار . للوصول الى حقايق مهما تكن في نظرهم جلييلة فهي تافهة مادامت هذه الخلايق الانسانية ، و السادة العلماء في طليعتها . كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام العدم . لتنتهي في الغدالى ظلام العدم . كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء ، و ان يقولوا للناس فيم الكد . وفيم العناء في سبيل غاية مقفرة مظلمة . الى العدم العاجل بيدك أنت أيتها الانسانية مختارة طائعة فذلك اكرم وأروح للبال من ان يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة .

يقولون ان حياة الانسانية شيء وحياة الفرد شيء آخر . حياة الفرد الى العدم فأما حياة الانسانية فالى البقاء . لذلك يخدمون الانسانية بالعلم و الفن و الأدب ليجيء الجيل اللاحق خيراً من الجيل السابق ، ولتجىء الحضارة الآتية اعظم وأروع من الحضارة الماضية وهذا في الحق سخف عظيم . لأن معناه ان جميع الاجيال الماضية وجميع الاجيال الآتية كانت وستكون مجرد دغبات ومدارج ، أو مطايا وبرازع . يعلوها في النهاية آخر جيل تتمحض عنه الإنسانية ، فاذا استوى الجيل الأخير على قمة المعجد لم يكن معده خالداً . بل كان معده زائلاً كذلك ، ولو عمر الإنسان الأخير بفضل العلم الف سنة . ثم ينقضى هذا الجيل الأخير بانقضاء صلاح الأرض للحياة . وانتهت الدنيا إلى غايتها . وفنيت حضارة الشمس ، وانطفأ ضياؤها . واستحالت البحار جليداً والشجر والنبات هباءً أمست الإنسانية عدماً مطلقاً إلى آخر نسمة فيها (ولم يبق للإنسان المسكين حتى ولا الذكرى إذ من ذا يذكر الإنسان وقد انمحي من صفحة هذا الكون آخر انسان ، و انمحي لا ليسموا إلى عالم آخر ولكن ليبقى غريقاً في غمرات الفناء خالداً فيها أبد الآ بدين .

هل هذه اذن غاية الإنسانية هل غايتها أن تقضى مئات الملايين من السنين لتنتج جيلاً واحداً هو الجيل الأخير ، ثم يكون هذا مصير ذلك الجيل الأخير أتعرف الساحر الذي يخرج علبة من جوف علبة ثم يخرج الثالثة من جوف الثانية والرابعة من جوف الثالثة والخامسة من جوف الرابعة وهكذا حتى تعد عشرات من العلب يخرج بعضها من جوف بعض : حتى ينتهي بك إلى علبة لا تكاد تراها لضؤولتها ، ثم يوهمك بأن فيها

قطرة من سائل هو ماء الحياة ، فإذا تناولها المتناول وأسرع بالقطرة إلى فيه ليرزق الخلود خراً على الأرض فاقد الروح تلك صورة فكاھية من الحياة الإنسانية كما يفهمها أولئك الماديون .

عفواً أيها القراء الكرام هل تريدون مني كلمة جريئة أخرى . هذا الإنسان أكبر وأعظم من الاعوام السبعين أو المائة التي تمتد إليها حياته في الدنيا . لكن هذا الإنسان متناقض عجيب أتذكرون أيامه الغابرة ؟ أيام كان يأوي إلى الكهوف ويأكل الصيد نيئاً . و يضرب في الغابات عارياً . ولا تكاد تميزه من ساير الحيوان .

هذا الإنسان ما الذي هداه إلى ما هو اليوم فيه ؟ ما الذي صعد به إلى المستوى الذي بلغه في القرن العشرين معجزة القرون ، في الدنيا حروب وفيها عدوان وفيها آفات وفيها عيوب ولكنها عيوب الصاعد إلى المثل الأعلى رويدا رويدا ولا سبيل إلى أن ينجو من تراث الماضي وغرائز الأنايئة الأولى كل النجاة في ألف عام كلاً ولا في عشرة آلاف .

قد يشن الحروب ويعتدى على الحقوق ولكن لطيفة خفية تنزع به إلى السلام والانصاف بعض النزوع . له اليوم قوانين وشرايع ان طغت عليها يد العدوان يوماً فأن الجماعة كفيلة برد الحق إلى نصابه وان كره المعتدون . له اليوم علوم قيمة وفنون جميلة وآداب افسحت امام عقله سبحات الهناء المعنوية . له تعاون على البر والاحسان يلطف من تعاون الاشقياء على الغدر والاساءة . له أديان مشروعة و مثل من الاخلاق موضوعة . له طائرات في الجو وغائصات في البحر وله أسباب ممدودة تراها العين اسلاكاً برقية أو تلفونية ، أولا تراها لانها أسباب من الاثير تحمل الأصوات و تخفى عن النظرات وهو مع ذلك متناقض عجيب . ذلك الذي دوخ الأرض وسخر الجو والبحر و نفذ في الصخر و كشف من الاسرار عجائب كانت قبل عشرين اعوام أو خمسين في عداد المعجزات ، ذلك الذي يقف وراء المدفع الضخم فيطلقه على البرج المشيد أو القرية العامرة فإذا هي اطلال ، ذلك الذي كشف اسرار الأفلاك والكواكب والنجوم و عرف مزاج بعضها وتألّف موادّه و تركيب عناصره و قاس أبعادها و حذق حسابها حتى ليتنبأ

لها بحوادثها و بجرانها قبل ان تقع بمئات الأعوام ، ذلك الذي اضاء الليل بشريات مكهربة فكأنها شمس وأقمار ذلك الذي اتخذ من الغاز سموماً ومن الهواء غذاءً ومن حرارة الشمس و هدير الماء قوة مستعملة أو مذخورة ذلك الذي يطوف الآن حول الأرض على متن الهواء قبل أن يطوف أخوه مناخ قبيلته على ظهر حماره ذلك الذي كشفت له الأشعة مكنون الجسوم واخترقت له حجب الغيب ، فاصبح يرى ما لم تكن تراه العيون .

ذلك الإنسان تقتله البعوضة وتمرضه نسمة الهواء . وتشرقه جرعة الماء ويصرفه الهوى عن الجادة و يريد الأمر المستطاع فيصرفه عنه التخالذ . ذلك الإنسان يعدل و يظلم ويقسو ويرحم و يتخذ العلم للشر و يتخذ العلم للخير . فما هذه القوة وما هذا الضعف وما هذا النور الساطع وما هذا الحلك الدامس وكيف يجتمعان ولأيهما الغلب آخر الأمر . وهل يستطيع أن نستخلص من بين هذه الأطوار المتنافرة والمظاهر المتناكرة حقيقة الحياة و غاية الحياة و ميزان الحياة هل تفضلون أم هل تريدون مني كلمة جريئة اخرى .

نحن تلاميذ القوة العظيمة التي بعثتنا إلى هذه الدنيا يوم ولدنا والتي تتوفانا يوم يحل الأجل نحن تلاميذها وهي تعلمنا من حيث لانراها وقد أودعنا سرأسميه الفلاسفة عقلاً وتسميه الأديان روحاً ولا يهمننا ماذا نسميه . هو قيس من هذه القوة العظيمة وشعاعه من نورها وليس يولد إنسان إلا وينطوى على هذا القبس أو هذه الشعاعه كمنة ! وإنما توقعها تجاريب الحياة من ألم ولذة وحرمان و احراز ومرض وصحة و اخفاق ونجاح ! فالألم يوقظ هذا السر الكمين ، و يروضه على النظر كيف ينجو من الألم . واللذة تبعث فيه حب الاستزاده فحب الحركة في سبيل احراز تلك اللذة ، و الحرمان يبعث فيه حب التحصيل و الاحراز ولذة الاحراز تدفعه إلى طلب المزيد . و المرض يعلمه التوقى ويعلمه الصبر و الجلد و الصحة تشعره الهناء ، و الاخفاق يغيره بالكدح و معاودة العلاج والنجاح يزيد همة وعزيمة .

كان هذا منبت الغرائز في الإنسان الأول ثم رأى ذلك التلميذ الناشئ على كره

الأجيال ان في بعض لذاته ايلاما لاخوته و ان في بعض سعاداته شقاء لسواه فازدادت فيه الحساسة ، فوازن قليلاً بين سعاداته وشقاء الآخرين ، فانصرف قليلاً قليلاً عن الأناية المطلقة ، ومازج تقديره شيء من العطف على سواه .

السرّ الدفين يستيقظ الشاعرة الكمينة ترسل ضوعها خارج نفسها لأول مرة ، بذرة الانصاف و العطف والغيرية تستحيل بنته مزهرة . التلميذ يتعلم في مدرسة الحياة درس العدالة . فيحاكي المعلم الأعظم الذي بعثه إلى مدرسة الحياة ، التلميذ يدرس منهاج الفضائل في مدرسة الدنيا مكرمة بعد مكرمة ومجدة بعد مجدة . أليس المعلم الأعظم كريماً حميداً ، وهذا تلميذه أودع فيه قبسه لينقذ بزمام الحوادث و التجارب . أهى البسالة و الاقدام؟ إن المعلم الأعظم يعلو عن المخاوف فهو القوى المتين ! أهو الدأب والكفاح و العزيمة لاتعرف اليأس ولا القنوط . ان المعلم الأعظم شديد المراس يعلو عن القفرة و الوهن ! أهو البر والاحسان؟ المعلم الأعظم هو المحسن البار وهو ينبوع البر والإحسان .

وما من فضلة ولا مكرمة إلا اشتق أصلها من تلك القوة المهيمنة ومن ذلك المعلم الأعظم . ولكن المعلم الأعظم لا يعلمنا الشجاعة ولا قوة العزيمة ولا البر والاحسان إلا عن طريق الحوادث و التجارب . فقبل الشجاعة ساد الجبن حتى استيقظت شجاعة المعلم الأعظم في التلميذ فاحتقرت الجبن والجبناء . وقبل الوفاء ساد الغدر وقبل البر والاحسان سادت القسوة و الجفاء وفي هذه المدرسة مازال التلاميذ يدرسون ولن يزالوا . وإلى جانب الاخلاق التي تروضهم عليها حوادث المدرسة و يقظة السرّ الكمين ، يتجه ذلك القبس إلى محاكاة المعلم الأعظم في العلم و القدرة و الإرادة فلا تفتأ الاشعة الأزليّة الخالدة التي تصل قلوبنا بعظمته ، لا تفتأ بتحث وتنقب في اسرار هذا الوجود فتستكشف اليوم قانوناً من قوانين الطبيعة وتستكشف غداً جوهرأ من جواهرها الخفية حتى استطاع التلميذ بحركه من أصبعه أن يحيل الغرفة المظلمة نوراً وهاجاً لانه عرف سرّ الكهرباء ، فما كان بالامس معجزة يرتاب في جوازها العقل ، أصبح اليوم حقيقة مألوفة لا يدهش لها الأطفال .

واستطاع التلميذ ان يشافه صاحبه بكلمات تلو كها الالسن و تسمعها الآذان ، هذا في جنوب المعمور و ذاك في شماله من غير حاجة إلى أسلاك ، واستطاع التلميذ أن يشارك الطير في ارتياد الجو فكأن كل محلق في الجو سليمان . وغاص مع الأسماك في مساربها . وتبعها إلى مهابها .

ذلك ان المعلم الأعظم يريد لتلاميذه ان يحاكو عظمته في العلم والارادة والقدرة كما يريد لهم أن يحاكوه في المحامد و المكارم ! أليس المعلم الاعظم قديراً على كل شيء ، أليس فعلاً لما يريد ! أليس يقول للشيء كن فيكون ! وهاهو ذات تلميذه ، وهاهو ذات سره و قبسه في هذه الدنيا - الانسان - قد استطاع أن يسخر الهواء و الماء والكهرباء ، و كثيراً مما نرى و لا نرى من قوى هذه الطبيعة العذراء اذن لا يرو عنكم أن تكونوا زرات صغيرة الأ حجام محدودة الأعمار في هذه الدنيا ، اذن لا تستهينوا بأنفسكم إذا قستموها بما سبقكم من الأجيال وما يخلفكم منها حتى إذا رجع الماضي إلى الازل وأمتد إلى الأبد و لا يهولنكم أن يكون كوكبكم شظية تناثرت من الشمس فكل واحد منكم يحمل بين طواياه سر الوجود . هذه الأرض ستفنى و الشمس التي هي أصل الأرض ستفنى ، و النظم الشمسية على اختلافها قد يجعلها المعلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته و صوراً جديدة لإرادته . لكن ذلك القبس الذي هو نفخة من روحه جلت روحه و علت عن الأرضين و الشمسوس والأقمار ، ذلك القبس الذي يصلكم به صلة أزلية خالدة لا تنفصم ذلك القبس هو سر الوجود .

فبأي ميزان تزن الحياة ، أ بميزان الطعام و الشراب و الفقر و الغنى و الدور و القصور و البذخ و المناعم و الوظائف و المناصب ، أم بميزان المحامد و المكارم و العلم و الارادة و كبريات الصفات التي تحاكي بها معلمك الاعظم ؟ نحن لانحقر الطيبات من الرزق و لا نبغض إليكم كسب المال و انفاقه في سبيل الخير ، بل نحض على ذلك ففيه حفز للهمم و عود على النفس و ذوى القربى و أهل الخصاصة بالمتاع الحلال . ولكن الامر كل الامر الذي أريد أن أذكر نفسي به و أذكركم ، هو ان كل مرافق الحياة من متاجر و مزارع و صناعات ، و من مطاعم و مشارب و مساكن ، هي أدوات و وسائل لا بد

منها ولكنها ليست غاية الغايات أذكر نفسي بهذه الحقيقة الأوليّة واذكر بها حضراتكم لا غصاً من الوسائل ولا صرفاً لكم عن اتّخاذ الأدوات ، ولكن لأنك لو احصيت في زماننا هذا اولئك الأيقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة ، لأفئتهم نزراً يسيراً لا يبلغ عددهم فيما احسب واحداً في كل ألف .

أولئك يزنون الحياة عامة ، ويزنون حياتهم خاصة بما تحوى جيوهم من مال لا بما تحوى نفوسهم من خصال و بما يشغلون من مناصب لا بما يخدمون من مبادي . هذه الارض مدرسة بعثنا إليها بديع السموات والارضين . وهذه حقيقة الحياة . حياة الافراد و حياة الأمم . وغاية هذه الحياة هي ان نحاكى صفات المعلم الأعظم ، نحاكى عظمته في غير صلف ، نحاكى رحمته في غير ضعف نحاكى علمه وقدرته في غير زهو ولا فخر نحاكى ارادته في غير تجبر ولا غرور .

في هذه المدرسة الربانيّة الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم فمنهم المبرز و منهم المتخلف . فلا تعجبوا إذن لبعده ما بين الناس من تفاوت في الاخلاق والعزائم والعرفان . لكن حين يعلم الناس أنّهم هاهنا تلاميذ ، وأنهم لم يرسلوا إلى الحياة لعباً ولا لهواً ، وإنّ معلمهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل في كل قلب مضى و رأس عامر بالعلم و نفس خفاقة بالشعر أو ببدائع الفن الجميل حين يعلم كل ذي موهبة . وكل ذي فضيلة وكل صاحب اختراع وكل مستكشف لسر من اسرار الطبيعة . أن ملهمه ومرشده هو ذلك القبس المستمد من قوّة الله حينئذ يبطل الغرور حياءً من الله و تتضاعف الهمم مرضاة للمعلم الأعظم . و يكون ميزان حياتك هو مبلغ محاسن لصفات المصدر لكل عظيمة من عظام الصفات . (١)

جئت لأعلم من أين ولكني أتيت ولقد ابصرت قدامى طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى
لست أدري

(١) خطبة الفاهما الاستاذ توفيق يبحث عن حقايق الوجود لاهل التوفيق فعزناها بحقايق

افكار منظومة ودقايق أسرار شعرية وما يعقلها إلا المالمون .

- أجدید أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود؟
- هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود
أتمنى أنني أدري ولكن
لست أدري
- وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟
أأنا السائر في الدرب أم الدرب تسير؟
- هل أنا اصعد أم اهبط فيه و أغور؟
أم كلانا واقف و الدهر يجري؟
لست أدري
- ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين
و بأنني سوف أبدو و بأنني سأكون
- أتراني كنت أدري أنني فيه دفين
أم تراني كنت لأدرك شيئاً؟
لست أدري
- أتراني قبل ما أصبحت إنساناً سوياً
ألهذا اللغز حل؟ أم سيبقى أبدياً
- كنت محوياً أو محالاً أم تراني كنت شيئاً؟
لست أدري... و لما ذالست أدري؟
لست أدري
- قد سألت البحر يوماً هل أنا يا بحر منك؟
أم ترى ما زعموا زوراً و بهتاناً وأفكاً؟
- أصحيح مارواه بعضهم عنّي و عنكا
ضحكت أمواجه منّي و قالت؟
لست أدري
- وهل الشاطيء يدرى انه جاث لديكا
ما الذي الامواج قالت حين ثارت؟
لست أدري
- أنت مثلى ايها الجبار لا تملك أمرك
فمتى أنجومن الأسر و تنجو؟
لست أدري
- أنت يا بحر أسير، آه ما اعظم أسرك!
أشبهت حالك حالي و حكي عذري عذرك
- قد أكلناك و قلنا قد أكلنا الثمرا
أصواب ما زعمنا أم ضلال؟
لست أدري
- ترسل السحب فتسقي أرضنا والشجرا
و شربناك و قلنا قد شربنا المطرا

قد سألت السحب في الافاق هل تذكر ملك
وسألت الدر في الاعناق هل تذكر أصلك؟
و سألت الشجر المورق هل يعرف فضلك
و كانى خلتها قالت جميعاً

لست أدري

يرقص الموح وفي قاعك حرب لن تزولا
قد جمعت الموت في صدرك والعيش الجميلا
تخلق الاسماك لكن تخلق الحوت الاكولا
ليت شعري أنت مهد أم ضريح

لست أدري

كم فتاة مثل ليلى وفتى كابن الملوح
كلما حدثت أصغت و إذا قالت ترنح
أنفقا الساعات في الشاطئء تشكو وهو يشرح
أحفيف الموح سرر ضيعة

لست أدري

كم ملوك ضربوا حولك في الليل القبا با
ألهم يا بحر يوماً رجعة أم لا مآبا؟
طلع الصبح ولكن لم يجد الأضبا با
أهم في الرمل؟ قال الرمل: انى

لست أدري

فيك مثلى ايها الجبار أصداف ورمل
إنما أنت بلا عقل ولى يا بحر عقل
انما أنت بلا ظل ولى في الارض ظل
فلما ذا يا ترى أمضى و تبقى؟

لست أدري

يا كتاب الدهر قل لى أله قبل و بعد؟
ليس لي قصد فهل للدهر في سيرى قصد؟
انا كالزورق فيه و هو بحر لا يحد
حبذا العلم ! ولكن كيف أدري؟

لست أدري

ان في صدرى يا بحر لآسرار عجا با
ولذا أزداد بعداً كلما ازددت إقترابا
نزل الستر عليها و أنا كنت الحجا با
و أرانى كلما أو شكت أدري

لست أدري

اننى يا بحر بحر شاطئاه شاطئاك
وكلانا قطرة يا بحر في هذا وذاك
الغدا المجهول و الامس اللذان اكتنفا
لا تسلى ماغد ما امس؟ انى

لست أدري

في الدير

قيل لي في الدير قوم أدركوا سر الحياة
و قلوب بليت فيها المنى فهي رفات
غير أني لم اجد غير عقول آسنت
ما انا أعمى فهل غيرى أعمى؟
لست أدري

قيل أدري الناس بالاسرار سكان الصوامع
عجباً كيف ترى الشمس عيون في براقع
قلت ان صح الذي قالوا فان السر شائع
و التي لم تبرقع لاتراها؟
لست أدري

ان تك العزلة نسكا وتقى فالذئب راهب
ليت شعري أيميت النسك أم يحيي المواهب
وعرين الليث دير حبه فرض و واجب
كيف يمحو النسك اثماً وهو إثم؟
لست ادري

إننى ابصرت في الدير وروداً في سياج
حولها النور الذي يحيى وترضى بالدياجي
قنعت بعد الندى الطاهر بالماء الأجاج
أمن الحكمة قتل القلب صبراً؟
لست أدري

قد دخلت الدير عند الفجر كالفجر الطروب
كان في نفسي كرب صار في نفسي كرب
وتركت الدير عند الليل كالليل الغضوب
أمن الدير أم الليل اكتئابي؟
لست أدري

قد دخلت الدير أستنطق فيه الناسكينا
غلب اليأس عليهم فهم مستسلمونا
فاذا القوم في الحيرة مثلي باهتونا
و اذا بالباب مكتوب عليه
لست أدري

عجباً للناسك القانت وهو اللوزعي
ومضى يبحث عنه في المكان البلقع
هجر الناس وفيهم كل حسن المبدع
أرأى في القفر ماء أم سراباً؟
لست أدري

كم تمارى ايها الناسك في الحق الصريح لو أراد الله ان لاتعشق الشيء المليح
كان ان سواك سواك بلا قلب وروح فالذي تفعل اثم . . . قال انسى
لست أدري

ايها الهارب ان العارفي هذا الفرار لاصلاح في الذي تصنع حتى للقفار
انت جان أي جان ، قاتل في غير نار أفيرضى الله عن هذا و يعفو
لست أدري

يجب على كل أمة ان تعرف تاريخها قديمه وحديثه لان ماضي

الامة يلعب دوراً كبيراً في حاضرها ومستقبلها ولا يمكن ان
نتناسى الماضي لأن عقائدنا وافكارنا كلها آتية منه . وهو

الايمان بالله و الاعتماد بالنفس

الذي يكون روح الامة وشكلها و لذلك كلما كانت الامة عريقة في المدنية و ذات
مبادئ حقة كان نسلها ذا استعداد طبيعي لكل تقدم و رقي ، قال الدكتور جوستاف لوبون
حظ الشعب متوقف على ما يعتقد انه الحق وان التطورات الاجتماعية والتأسيس أو
هدم الممالك و التقدم أو انحطاط المدنية ناتجة عن العقائد التي ينزل من النفوس منزلة
الحقايق وهي تمثل مسيرة الشعب الوراثة وفقاً لحوادث الدهر ان من اخطا الغلطات
في العصر الحاضر ترك الماضي وعدم الاعتراف به و كيف يمكن ذلك؟ ان ظل الاسلاف
يحكم ارواحنا وهو يكون الجزء الاكبر منا كما عليه ينسج القدر حظنا . و ان حياة
الطوتي أكثر بقاء من حياة الأحياء لا يمكن لاي مدينة أن تبقى بدون مرشدين أقوياء
من العلماء والمتعلمين أو بالاحرى بدون مبادئ عامة قوية لأن قوة الأخلاق أو القوة
المعنوية هي الآن المحرك الحقيقي للعالم .

معرفة الماضي يجب أن تكون اداة لإزكاء روح الحمية و الغيرة و العزة والرفعة
و الاستقلال و هنا حدود الوطنية البرئية و لكن لا يجوز أن تتعداها إلى الصلف و
الكبرياء و العزلة و الاغترار بالنفس و عدم الاعتراف للغير بفضائله و محاسنه فهذا هو
الطيش و الحزق .

قامت في ايران الفكرة القومية أو الدعوة الوطنية منذ نشأتها على أساس صحيح

معقول وهي تحرير الوطن من كل غاصب مغتال أو صاحب محتال حتى تصبح مرافق الأمة في أيدي أبنائها وأن يكون اعتماد الأفراد على أنفسهم في سبيل تحرير بلادهم .

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

وقد وصف الطغرائي الوزير الكبير في لاميته كثيراً مما يجب على كل وطني عمله أن الأمم لا تنهض إلا بنفسها كالأفراد ولا تكون آمنة على نفسها إلا إذا كانت قوية بنفسها ولا تسترد استقلالها إلا بمجهوداتها إن قانون الحاكم في معاملته للمحكومين خاضع لدرجة احترامه لهم . فإن رأهم أمواتاً في أزياء أحياء يقولون مالا يفعلون ولا يعتقدون و يطلبون من الإصلاح كما يطلب السائل الاحسان لا كما يطلب صاحب الحق حقه استبد فيهم وسخرهم لسلطته كما تسخر الأتباع ، فالتسامح إذا صح في بعض الأمور وفي ظروف معينة . فإن التسامح في الوطنية إعدام لها وقضاء عليها و إن من يتسامح في حقوق بلاده و بنى وطنه ولو مرة واحدة يبقى ابد الدهر مزرع العقيدة سقيم الوجدان فالحياة والمستقبل مرتبطان بمقدار قوة روح الوطنية والاستقلال ، والوطنية الصحيحة لا تقوم إلا على الاخلاق الفاضلة وهذه بذورها تستمد قوتها من الدين الحنيف و تاريخ ايران قديمه وحديثه شاهد على ما تقول ولذلك كان من أهم أغراض المستعمرين طمس معالم التاريخ القديم لتعليم النشء في المدارس لتضعف فيهم روح الاعتزاز بالماضي ويلقون في روعهم انهم عالة على الأمم الأخرى و محاربة الدين الاسلامي خاصاً لأنه يبعث في نفوس الناشئة الاحتفاظ بالكرامة و مبادئ الحرية والشجاعة وهذا ما لا يتفق مع سياستهم في اخضاع الأمم الاسلامية وإنزالها .

فالدّين يدعون إلى الوطنية وترك الدّين جانباً إنّما يدعون إلى قضية محققة الخسران . لأنهم يدعون إلى مبادئ لا روح فيها ولا حياة . إن كيف يكون حال الناشئة إذا كان خالياً من مبادئ الفضيلة و مراقبة الله في السر و العلن هؤلاء لا تكون لهم إلا سياسة واحدة وهي سياسة المنافع و المغانم وقد قال لامارتين ان ضميراً خالياً من الله كالمحكمة الخالية من القاضي ان الساعة التي تسرب فيها الالحاد و الشرك إلى العقيدة الايرانيين كان ذلك نذير زوال مجد ايران واستقلاله وعظمته لاسمح الله .

الدين الحنيف الاسلامي لم يبخس الوطنية حقها بل جعل حب الوطن من الايمان و ان تحرير الأوطان لا يكوى إلا بالدأب على العمل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، والثمر متوقف على بذل الجهد و ان ليس للانسان إلا ما سعى لقد اعلن دعاة السوء دعوة على غير وجهها و أذاعوها من ان المصريين هم الاقباط و السوريين هم فينيقيون و العراقيين هم كلدانيون و الايرانيون هم الزردشتية يريد الاستعمار ان تمسك كل طائفة بمجدها التالد و تحتبس في حدودها غير ناظرة إلى ما يهددها من المخاطر من جراء عزلتها التي تجعلها فريسة سائغة لكل مستعمر قوى محتال فالدعوة القومية في الممالك الاسلامية التي أذاعوها دعاة الاستعمار لا تتفق مع مصالحنا ولامع مصالح المبادئ الاسلام السليمة و نحن في عهد تحالف و اتفاقات دولية أصبحت احدى وسائل القوة و المنعة و من عاش منفرداً في هذا الزمان عرض نفسه إلى السلب و القهر بل إلى الاندهار و الانتحار .

يكثر في الجرايد ذكر استقلال الامم و قلما تذكر شيئاً في استقلال الأفراد الذي هو أصل استقلال الجماعات و الشعوب ، استقلال الآحاد نوعان استقلال الفكر و استقلال الإرادة و هذان النوعان هما الجناحان للانسان يطير بهما إلى الكمال في العلم و العمل و يكون حظه من النجاح على قدر حظه من قوتهم و حسن استعمالها .

استقلال الفكر يكون ببلوغ العقل اشدّه و ارتقاءه إلى مستوى رشده فإن العقل القاصر هو الذي يتبع مذهب التقليد في كل ما يلقى إليه كما نرى من الاطفال و من هم في حكمهم من اشباه الرجال فالمستقل في فكره هو الذي يستعمل عقله في البحث عن الحق و الصواب في معارفه و التمييز بين النافع و الضار من مصالحه أو مصالح ائمه عند ما يبحث فيها فلا يقبل من هذا و ذاك قول من هو مثله إلا إذا ظهر له انه الحق و الصواب . ان الذي لا يعرف الحق و الصواب بالنظر و الاستدلال لا يعد عاملاً ولا سياسياً بل لا يعد عاقلاً لأن ما يحفظه من اقوال الناس في الكتب و الجرايد أو البيوت و المحافل لا يرفعه إلى مرتبة العقلاء الذين يميزون بين الأقوال بالدليل العقلي فإن الاطفال المميزون يحفظون الأقوال مثله ولا يعدون من العقلاء إلا إذا أريد بالعقل من ليس

مجنوناً يجب ان ينساق إلى التسيماستان (مستشفى المجازيب) فإن هذا الاصطلاح يسمح لنا أن نطلق لقب العاقل على الإمعة الذي لأرائي له وإنما يتابع كل واحد على رأيه لاسيما إذا لم يكن متهماً عنده بعداوته لسبب من اسباب التهم .

استقلال الفكر طبيعي في البشر كما ان ضده وهو التقليد طبيعي فيهم! فاما التقليد فهو طبيعي في الرأشدين ولولا ذلك لما ارتقوا في علم ولا عمل ولسار جميعهم على ما كان عليه أول واحد منهم فكانوا كالبهايم متساوين في علمهم وعملهم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

لوترك الناس وفطرتهم لا عطاوا طور القصور حقه وطور الرشد حقه ولكن معظم الأفراد الذين بلغوا أشدهم مستقلين في أفكارهم مستدلين على آرائهم وكانت أعمالهم على حسب أفكارهم لاستقلال ارادتهم المعبّر عنه بالحريّة الشخصية في عرف هذا العصر ولكن الرؤساء المسيطرين قد تصرّفوا في الفطرة والفكرة تصرفاً ذهب بالاستقلال الذي لا يتفق مع الاستبداد و لذلك ترى أهل البداوة أقرب إلى الاستقلال من أهل الحضارة المحكومين بسلطة استبدادية فإن شئت فقل بالاستقلال الإجباري حتى قال بعض الظرفا ان بعض الأقوام محكومون بالاستقلال .

أول ما يجب علينا ان نتولّى نحن بأنفسنا اصلاح امورنا ولا تتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد إليهم بالصدق و الاستقامة و يجب أن يكون لهم مناعون و مساعد على ذلك وان نتولّى نحن سائر الامور التي تحتاج إليها الامّة كتربية الا ولاء وما يتعلق بالاقتصاد قد تعودنا ان ننتظر كل إصلاح من الحكومة ولذلك أصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ولا يزال كثير منا ينتظرون ان تصلح لهم الحكومة ماء البلاد وتمهّد لهم الطرق وتمد لهم خطوط الحديد وان اتكل الامّة على الحكومة في كل من الأمور العامّة صار هذا ليوم من التناقض او ممّا يستلزم التناقض فيبيناهي نفتخر بانها صارت حاكمة لنفسها متولّية لامورها إذا هي تبتّر من كل عمل لها وتلزّه بحكومة لزا وتلقه بها الصاقا، وإن لم يكن ممّا يعمل مثله الحكام فالحكومة على المعنى الأول وأفراد من الامّة - تستأجرهم بمالها

للقيام بأعمال مخصوصة لا تستغنى الهيئة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده قوانينها التي وضعها نوآبها الذين اختارهم لذلك وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة و الأمة رعية لهم ليس لها من امرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم؟ .

ان الإصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بتربية الأمة وتعليمها حتى تصير أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الأحوال ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلاً يحتاج إلى عشرات من السنين ورأوا الأخطار مهطعة إلى الدولة و اعناق الدولة الطامعة ممتدة إليها و برائتها ناشبة باطراف جسمها فغرموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الإصلاح من جانب الحكومة فعملوا ولا يشك عاقل في كون الإصلاح إذا جاء من جانب الحكومة يكون أسرع من مجيئه من جانب الأمة إذا هو ثبت ودام و لكن ثباته و دوامه عزيز المنال بل هو مع جهل الأمة من قبيل المحال ان الإصلاح في الأمم لا يأتي إلا بالتدريج و هو إنما يكون أولاً بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الأمة قوية عزيزة حيّة .

ان أول من يجب علينا ان نوجه هممتنا و عنايتنا إليه هو التربية و التعليم اللذان يكثران فينا عدد النابغين فان الاحرار الذين هم حجر الأساس للحرية من ذوى التربية العالية لان الغرض من مدارس الحكومة هو تعليم طائفة من الأمة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع أفراد الأمة جميع ما يحتاجون اليه و إنما تقدم بذلك الأمة نفسها .

كيف تقوم الأمة بذلك و إنما تكون ذلك بالجمعيات فهذا زمن الجمعيات ولم ترتق أمة بغير الجمعيات لا ينتشر العلم في هذا العصر إلا بالجمعيات ولا يقوم أمر من الامور العامة إلا بالجمعيات فعلمنا أن نبدء قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئ لنا المدارس و المكتاتب و ان نعزدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلاً لترقية انفسنا و تجارتنا و اقتصادنا ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل و الاستبداد الذي يضطهد العلم و يؤيد الجهل .

**الحرية طريقنا الى
المثل الاعلى**
اشرافاً مستمراً دائماً .

ولكن هذا التفوق مستحيل التحقق مادام الشعب يخضع لمباني تقليدية ويتعصب لافكار ليس لها دليل فاذا شئنا تكوين الديمقراطية الصحيحة فيجب أن نعلم الشعب و نروضه على حسن استخدام حرية الفكر . و متى تعلم و تحرر راسل الفكر من غريزته جرثومة التعصب وقاده على مهل إلى الغاية التي ننشدها له وهي الأشراف على اعمال الحكومة و توجيهها الوجهة الصالحة .

و نحن ان فرضنا على الشعب الخضوع لسلطان الحكومة و قيدها حرية الفكرية و باعدنا بينه و بين الاستقلال العقلي انحدرنا به إلى محيط غرائزه و دفعناه بايدينا إلى التعصب الاعمى لتقاليد و المشاهد في حوادث التاريخ ان كل شعب اجبرته الحكومة على الطاعة انقلب رجعيماً و اشتد في تعصبه لكل قديم ان دين الاسلام قد كتب للحرية اجل الصفحات و اروعها و قرر من مبادئ الاخاء اسمها و من قواعد المساواة اعلاها فكان دين الديمقراطية من الوجهتين العلمية و العملية .

الديمقراطية في اصطلاح العلوم السياسية هي النظام الذي يحكم الشعب فيه نفسه بنفسه اما مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارهم عنه و بعبارة أخرى ان الديمقراطية هي النظام أو مجموعة النظم التي تحقق مبادئ الحرية و المساوات بين الناس بقدر ما يمكن أن يكون الإنسان حراً و بالقسط من المساوات الذي لا يصطدم مع النواميس الطبيعية فالحرية و المساوات هما الدعامتان اللتان يقوم عليها صرح الديمقراطية .

كلما اتسع افق المعارف الانسانية . شعر الناس بالكرامة و احس العقل البشري بالعزلة فطلقوا إلى تحقيق المثل العليا و طمحووا الى توسيع قاعدة اشتراكهم في ادارة الشؤون العامة و الاشراف على امور الدولة و هيأة الحاكمة لذلك كان النضال حاداً عنيفاً

بين الشعوب الطامحة إلى الحرية و الطغاة المستبدّين الذين يصدّونهم عن سبيلها و التباغض شديداً بين طبقة الاشراف التي تنعم بالامتيازات . وطبقات الشعب التي تتطلع إلى تحقيق مبادي المساوات و اذن ينبغي أن يقال ان تاريخ الديمقراطية هو تاريخ الحضارة الانسانية .

و ما انصف كارل ماركس الحقيقة و التاريخ حين يقول بان البطون هي مصدر الانقلابات في كل أدوار التاريخ و انّ الناس حين هبوا يسفكون دماءهم و يزهقون ارواحهم فإنّما كانت نهضتهم و قيامهم للخبز . لالحرية و نهضتهم في سبيل اغراض مادية لا لتحقيق المثل العليا و السعى وراء الكمال الانساني .

و ما انصف من قبله بعض القادة في روما حين قالوا انّ الشعب الروماني يجتزىء بالخبز و الملاهي عن الحرية السياسية و الاشتراك في الادارة و تسيير اداة الحكم و إذا كان قد اتيح لفريق من الرومان ان يقولوا ساخرين متهمكين : لدى الشعب اصوات اتخائية و ليس لديه خبز . فقد كان ذلك من جراء فساد النظام و انحطاط اداة الحكم لامن جراء مسخ الطبيعة البشرية .

تميّز تاريخ روما القديمة بسلسلة من المناضلات متصلة الحلقات بين المترفين الأشراف و طبقات الشعب لتحقيق مبادي المساوات - على ان تربة روما لم تكن صالحة لنموء بذور الديمقراطية و كلّما اتسع ملك الرومانيين و بسطوا سلطانهم في الأرض طلقوا مبادي الديمقراطية و اعتنقوا روح الاستعمار و أقاموا بناء امبراطوريتهم على الغلبة و القهر و اصبحت الامم المغلوبة على امرها اسلابا تقتنى و ضياعاً تستغل .

كان المسلمون إذا فتحوا امة تركوا لاهلها حرية العقيدة و حرية العبادة و خلّوا بينهم و بين املاكهم و ضمنوا لهم امنهم و ارواحهم و سوا بينهم في المعاملة و هتفوا فيهم بذلك المبدء القويم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) اوّ د ان اضع تحت الانظار صورتين متباينتين لامة اليونان القديمة و امة العرب قبل بزوغ فجر الاسلام لتروا باعينكم و تلمسوا بايديكم إلى اى حد و فقد دين الهدى و الحق إلى صبغ جزيرة العرب بصبغة الديمقراطية و طبع اهلها بطابع المساوات .

كانت اليونان القديمة بطبيعة تكوينها و مزاج اهلها مهذاً صالحاً للديمقراطية فقد كانوا يقيمون بالمدن ولا مشاحة في ان الحضارة و المدن هي مواطن الديمقراطية و كانت ميول اليونانيين متجانسة ومشاعرهم منسجمة ومصالحهم متحدة تجمعهم ذكريات تاريخية مشتركة و تؤلف بين قلوبهم مثل عليا واحدة .

و على النقيض من ذلك تجد سكان الجزيرة فقد كان العرب يسكنون مضارب الخيام و انقسموا إلى شعب و قبائل و كانت احوالهم مختلفة ومصالحهم متفرقة و منازعاتهم دائمة و حروبهم متصلة و كان بأسهم بينهم شديد و ما يفرقون بين القريب و البعيد .

قيل ان كليبا كان عز و ساد في ربيعة فبغى بغيا شديداً و كان هو الذي ينزلهم منازلهم و يرحلهم و لا ينزلون و لا يرحلون إلا بأمره فبلغ من عزه و بغيه انه اتخذ جرو كلب فكان إذا نزل منزلاً لكلاً كذب ذلك الجرو فيه فيعوى فلا يرعى احد ذلك الكلاً و كان يفعل هذا ببحااض الماء فلا يردها احد الا باذنه أو من آذن بحرب فحرب به المثل في العز فليل اعز من كليب وائل و كان يحمي الصيد و يقول صيد ناحية كذا و كذا في جوارى فلا يصيد احد منه شيئاً و كان لا يمر بين يديه احد إذا جلس و كان لمرة بن زهل بن شيان عشرة بنين جساس اصغرهم و كانت اختهم عند كليب و خالة جساس البسوس و هي التي يقال لها أشأم من بسوسة فنزلت على ابن اختها جساس و كان لها ناقة فخرجت في ابل جساس و هو خليلط كليب تسرح ابلهما جميعاً فكان كليب يدور في حماه فاذا هو بناقة لم يعرفها فرماها و لما رآها جساس ثار لناقة خالته و عطف عليه فرسه فطعنه برمح وقتله فلماً قتله امال يده بالفرس حتى انتهى إلى اهلته و تقول اخته حين رآته لأبيها إن ذالجساس أتى خارجاً ركبتاه قال والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم قال فلما جاء قال ماوراءك يا بني قال ورائي انى قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زماناً قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت انك و اخوتك كنتم متم قبل هذا : ما بي إلا ان تتشام بي ابناء وائل .

و كان همام بن مرّة أخى مهلهلا أخا المقتول و عاقده ان لا يكتبه شيئاً فجماعت أمه له فاسترت إليه قتل جساس كليبا فقال مهلهل ما قالت فلم يخبره فذكره العهد بينهما

فقال أخبرت ان جساساً قتل كليبا فقال مهلهل است أخيك اضيق من ذلك ! وتحمل القوم
و غدا مهلهل بالخيل و وقعت الحرب و تكلم في ذلك عند الحرث بن عباد فقال لا ناقة
لي في هذا ولا جمل و هو أوّل من قالها و ارسلها مثلاً قالوا جميعاً كانت حربهم اربعين
سنة فيهن خمس وقعات مزاحفات و مغاورات وقتلوا همّام بن مرّة و صار حرث بن عباد
رئيس بكر و هو الذي اعتزل يوم قتل كليب فلما أخذ بجير ابنه تواءً بواردات وانماسل
ولم يؤخذ في مزاحفة قال له مهلهل من خالك يا غلام قال امرؤ القيس بن أبان التغلبي
مهلهل اني ارى غلاماً ليقتلنّ به رجل لا يسأل عن خاله و ربّما قال مهلهل في واقعة
كليب قالها بعد قتل بجير ابن الحرث بن عباد عن حاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله و شد
عليه وقتله .

إذا أنت انقضيت فلا تحورى
فقد أبكى من الليل القصير
لقد أنقذت من شر كبير
معطفة على ربع كسير
الح على افاضته قميري
لبرق في تهامة مستطير
لأخبر بالذنائب أي زير
وكيف لقاء من تحت القبور
بجيراً في دم مثل العبير
و بعض القتل أشفى للصدور
عليه القشعمان من النسور
وجساس بن مرة ذوصير
أجير في حدابات الوقير
إذا خاف المغار من المغير
إذا طرد اليتيم عن الجزور

أليتنا بذى حسم أنيرى
فان يك بالذنائب طال ليلي
و أنقذني بياض الصبح منها
كان كواكب الجوزاء عود
كانّ الفرقدين يدا بغيض
ارقت و صاحبي بجنوب شعب
ولو نشر المقابر عن كليب
و يوم السبعين اقرّ عيناً
على إنّي تركت بوارادات
هتكت به بيوت بني عباد
و همّام بن مرّة قد تركنا
قتيل ماقتيل المرء عمرو
كان التابع المسكين فيها
على ان ليس عدلا من كليب
على ان ليس عدلا من كليب

البسيطة أي المجرّدة من كل فكر وروية واحدة أيضاً في رفع الأذي و جلب المنفعة و تسمى الطبيعة في الجماد و بديهة في الإنسان وهي كمنة في النبات ولا عبرة بالاسم و إنّما العبرة في ان كلّ العوالم الثلاثة من جماد و نبات و حيوان خاضع لنفس هذا الناموس في حفظ كيانه فإننا ننظرنا إلى هذه الافعال و الغاية المترتبة عليها وهي حفظ الذات لا يسعنا إلا ان نقول ان الغاية الأولى منها ليست الشر بل الخير و خير المحبّة ما ابتدء بالذات فإن الجماد الذي يفك ائتلاف سواء إنّما يضرّ بذلك الغير وكذلك النبات الذي تنطبق أوراقه على الذباب الواقع عليه حتى يموت و الحيوان الذي يفتك بسواه لمصلحة نفسه فان مثل هذا الفعل المترتب عليه الخير الذاتي لم يقع بدون الاضرار و الطفل في أوّل ولادته لا يعرف إلا نفسه ولا يحب إلا شخصه يظن ان كل من حوله مسخرون له يأمر و ينهى و يبطش و يرضى على حد قول الشاعر :

له حقّ وليس عليه حقّ ومهما قال فالحسن الجميلا

وقال النبي الأ عظم صلى الله عليه وآله : صغرائهم امرأونا وكبرائهم أعداءنا ان عاشوا فتنونا

وان ماتوا حزنونا

ثم يأخذ جسمه في النشوء و ادراكه في النمو فاذا تكامل عقله و تم نموؤه أدرك ان له أباً و أمّاً و اخوة و مدينة و مدنيّة و أحكاماً دينيّة و أحوالاً شخصيّة و أخلاقاً انسانيّة فعليه حقوق و تكاليف و يكون له تلامذة و أساتذة ذريّة و عشيرة و يحس في نفسه بحبّ غريب لهم و كلما أزداد شعوراً و عقلاً أزداد بحبّ الناس حتى ان الحكماء و الفلاسفة و العلماء احبّ الناس إلى الناس بعد الأنبياء و أئمّة الدين يحبّون لهم الخير على مقدار علمهم و على مقدار النقص يكون ينقص الحبّ للناس و نرى هناك تناسباً عجيباً بين الامّ نحو أبنائها و بين الأنبياء و أئمّهم فهذه تحنوا على طفلها و تسهر عليها و تعطى للطبيب ما تملكه لأجل طفلها وهكذا القائدون و المصلحون و العلماء الصالحون و المجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم و تربيهم يزهدون في لذيذ العيش و يبيتون ساهراً و بالنهار عاملاً لا يسعد الناس و خير لقب ينتخبونه لأنفسهم خادم البشر خادم الانسانية ولكنهم قليلون في كلّ الأعصار و قلما كانوا معاصروهم يعرفونهم و يقدرونهم

حقّ قدرهم وهم لا يريدون جزاءً ولا شكوراً إنّما يخدمون البشر لله همّهم رفع الهمّ وهمّتهم تخفيف مصائب الإنسان و دفع الآلام ومصائب البشر ولهم في التاريخ يد بيضاء أسماهم عقلاً و أعلاهم همّة الذين قلبوا بتعاليمهم وجه الهيئة الاجتماعية وارتفعوا رؤوس بني نوعهم بمفاداتهم : فضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً .

العقائد والحقايق

انّ العقائد التي يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هي إلاّ حقايق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي وهي تفرق في هذا عن المبادئ و الأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي تشرع للناس بعد ان لم تكن و تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان وتقبل النسخ في عهد الرسالة فقط .

و إذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالتعبير الفني المستعمل في علم اصول الفقه فإننا نقول انّ العقائد من باب الإخبار و الأخبار لا تقبل النسخ ومعنى كونها من باب الإخبار ان الشارع لا ينشئها ولكن يخبر بها و يحدث عنها و يكشف للناس عن واقعها و حقيقتها و إنّما كانت غير قابلة للنسخ لأنّ النسخ هو الإبطال والإزالة ورفع الحكم الأصلي و الحقايق لا تزول ولا تبطل ولا يمكن رفع حكمها و يأتي بعد ذلك دور التكليف بها و إيجاب اعتناقها على جميع المكلفين .

و إذن فالعقائد يتصل بها حكمان حكم طبيعي أو عقلي . و ذلك هو ثبوتها في نفسها و تقرّرها في واقع الأمر وعدم قابليتها للإلغاء و الإبطال و حكم تكليفي فقهي هو كون الإيمان بها بعد انكشافها و تبين واقعها واجباً على كل مكلف .

و الحقايق الثابتة في نفسها كثيرة في هذا العالم الذي نعيش فيه وفيما وراءه وليس من شأن الدين ولامن غرضه الذي يرمى إليه ان يعرف الناس بكلّ الحقايق و يقرّرها لهم ولكنه إنّما يهتم بنوع خاصّ من الحقايق هو الذي يترتب عليه تربية خلقية يصلح عليها الفرد و المجتمع .

فالاديان لا يهمنها ان اعتقد مثلاً ان هناك كوكباً معيناً اسمه المريخ او ان هذا الكوكب فيه حياة أو ليست فيه حياة ولا ترتب على هذا الاعتقاد - ايجابياً كان أو سلبياً

تكليفاً ولا حساباً ولا يهيمها ان اعتقد ان الارض كروية الشكل أو ليست كروية ولا ان اعتقد أن لها دورتين او دورة واحدة... إلى غير ذلك من القضايا العلمية و الحقايق الكونية .

و ليس معنى ذلك ان الدين لا يهتم بالعلم . ولا يلقي باله إلى ما في الكون من حقايق و سنن و لكن الكلام إنما هو في اعتقاد شيء من ذلك اعتقاداً دينياً أو عدم اعتقاده فما دام لم يرد به نص قاطع ولم يصادم الاعتقاد به أصلاً من اصول الدين فالأمر به طلق ولا ضير في الدين من اثباته أو إنكاره .

و الحقايق التي عنى الدين ببيانها لما يترتب عليه من تربية خلقية و تهذيب و تقويم في العمل و السلوك ترجع إلى جوامع خمس لكل منها ما يتصل به و يأتي مكملاً له وهي التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة و المعاد .

فالتوحيد حقيقة يتصل بها كثير من الحقايق كصفات الله الثبوتية و السلبية و الأسماء الجمالية و الجلالية أو اللطفية و القهرية و هذه الدائرة أو هذه الجامعة من شأنها ان توجه الإنسان إلى الصراط المستقيم لأنه إذا علم ان للكون إلهاً واحداً و إن كل ما و من سوى هذا الإله الواحد خاضع له مدين لحكمه عرف قيمة نفسه بالنسبة للآخرين و سار في حياته في ظل الشعور بالمساوات لا بالضعف و لا بالذلة و الهوان ثم عرف قيمة نفسه بالنسبة إلى ربه و خالقه الذي يجب أن يكون إلهه و مقصده في جميع أعماله و توجيهاً ته .

فالالوهية و صفاتها و ما يتصل بموضوعها حقايق ثابتة و هذه الحقايق لها قيمتها التوجيهية في حياة الإنسان و لذلك بينها الدين و كشفها للناس أجمعين ثم أوجب عليهم الايمان لها و لا يقبل فيها مهادة و لا مجاملة و لا تبديلاً و لا تحويلاً و لم يكلمهم في شأنها إلى أنفسهم كما وكلمهم في الحقايق الدنيوية .

و أمّا العدل فهو الأصل الثاني من أصول الدين عند الشيعة و هذا الاصل من الحقايق الثابتة ان ربك ليس بظلام للعبيد فالظلم قبيح عقلاً و ان لم يكن دين و كتاب و قد نهى الله عن الظلم في جميع كتبه على لسان رسله و أمر الناس بالحرب مع الظالمين .

وقد ثبت في محله ان الحسن والقبح أمران عقليّان والأديان معاضدة للأحكام العقلية ولذا قالوا ان العقل نبي من داخل كما ان النبي عقل في الخارج فكل عاقل يدرك وجداناً ان له إرادة وإختياراً في أعماله ويحسن عند العقل مدح المحسن وقدح المسيء ان القضاة يقولون إننا في المحاكم نرى العصاة كثيراً وبعبارتهم الفنية المتهمون إذا جاؤا في المحاكم ينكرون الجرم أو لا وبملاء الفم يكذبون الأتتهام وما يثبت الموضوع والجرم تحمّر الوجه هنالك يعرف المجرمون بسيماهم نراهم يرتعدون ويرتعشون يعترفون بأنهم مجرمون ما سمعناهم إلى الآن ولا واحداً منهم يقول أنا مجبور وليس الأمر بيدي وهذا برهان قوى على أن الفطرة الإنسانية يعتقد بحسن الإختيار عند إحسانه وبسوء إرادته واختياره عند الظلم والعدوان كلنا ندرى بان لنا أشياء نخلقها في أنفسنا بقدرتنا واختيارنا فالصباحة والملاحة والطول والقصر في القامة ليست أموراً اختياريةً ولذا لم يلم أحد احداً لأجل هذه الطبيعيات الغير المكتسبة وأما الصداقة او الصراحة والكذب والخيانة فهي أمور اختيارية اكتسابية تثاب ونجزى او نعاقب و نؤخذ بها في الدنيا والاخرة .

واما النبوة من حق الناس أن يسألوا كل رجل يدعى أنه مرسل من عند الله الدليل على رسالته فاذا قدم لهم معجزة قبلوه وهذا النوع من الاستدلال يقوم على تفهيم الناس ان الشخص الذي يحدثهم لا يمثل نفسه ولكن يمثل رب الأرض والسماء ويعمل بقوته المطلقة لا بقوى البشر المحدودة وقد فزع موسى إلى هذا الدليل لما كذب به فرعون في دعواه انه مرسل من رب العالمين وكذلك عيسى وكل نبي عرض نفسه على أمة ونبأهم بأنه رسول الله قالوا ما أنت إلا بشر مثلنا حتى إذا أتى بمعجزة فريقاً هدى وفريق حق عليهم الضلالة والدليل على صدق أية دعوى قديكون بامور خارجة عنها أو يكون بحقيقتها في نفسها فقد يزعم أحد الناس انه مهندس ويقول دليلي على ذلك أنني استطيع السير بقدمي على الماء أو الطيران في الهواء فاذا فعل ذلك سلمنا له وقد يقول دليلي على

ما اقول : اننى أبني عمارة مدعمة الاركان أو أصل بين شاطئين بحسر متين

فاذا فعل ذلك فقد دل بقدرته الهندسية على انه مهندس يقيناً بل قد تستريح النفس إلى هذا الاستدلال أكثر من راحتها إلى البراهين الخارقة الاولى .

قال الحكيم ابن رشد ان دلالة القرآن على نبوة محمد ليست كدلالة إنقلاب العصا حية ولا احياء الموتى و ابراء المرضى فان تلك وإن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء . و فيها ما يقنع الجماهير من العمامة إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة واهداف الوحي ومعنى الشريعة أما القرآن فدلالته على صفة النبوة و حقيقة الدين مثل دلالة الابراء على الطب ومثال ذلك لوان شخصين ادعىا الطب فقال أحدهما . الدليل على أنني طبيب أنني اطير في الجو و قال الآخر دليلي أنني أشفي الأمراض و اذهب الاسقام لكن تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعاً وعند الآخر مقنعا فقط فالمعجزات اذن تكون ذاتية في الرسالة وقد تكون خارجة عن جوهرها جرت سنة الله في أنبيائه جميعاً أن يؤيدهم بالمعجزات الواضحة وأن يسوق بين أيديهم من الخوارق ما يلفت الأنظار و يستهوى الأفتدة ثم ما يبني معالم اليقين ودواعي الطمأنينة في النفوس و عناصر الاستقرار فطب عيسى غير انجيله و عصا موسى غير توراته فقد كان التعويل في العصور الاولى على الخوارق المادية فحسب و لمّا جاء الإسلام فغضّ من شأن الاعجاز المادى - و نوه بالاعجاز العقلى والقيم المعنوية للرسالات وكانت معجزة الرسالة الاخيرة شيئاً لا ينفصل عن جوهرها فجعل حقايق الرسالة و دلائل صحتها كتاباً واحداً ومن ثم كان القرآن كتاباً انسانياً و خطاباً عقلياً و مادام البشر يحترمون عقولهم فستبقى لهذه المعجزة قيمتها لانه اهدى هاد و أكبر معلم و قد استدلت على وجوب ارسال الرسل و انزال الكتب بادلة عقلية واضحة كتب ربكم على نفسه الرحمة وهذا ما يسمونه بدليل اللطف وليس فيه ما يخالف العقل كيف وهما رسولان من الله و لا نفرق بين أحد من رسله فكذلكما حكم به العقل حكم به الشرع .

الاسلام والمسيحية قرأت في مذاكرات شبلي شميل كلمة لمسيحي استعار لنفسه اسماً مسلماً و اجتهد أن يوفق بين الإسلام والمسيحية في حقيقة المسيح .
 وقد بني هذا الكاتب فكرته على ان كلتا الديانتين حقايق مبهمه فاذا كان الغموض يكتنف أوصاف المسيح و علاقته برب العالمين في النصرانية فكذلك في الإسلام من غيوب غامضة ! فهذه بتلك ... و لا داعي لاعتبار التثليث معضلة تنافي التوحيد الواجب لله .

قال الكاتب، جهل أكثر كتّاب المسلمين عقيدة النصارى في الإله الواحد الذي ليس بمادة كما جهل أكثر كتّاب النصارى عقيدة المسلمين و لكن لظهور الصعوبة في فلسفة العقيدة النصرانية يقول النصارى انّ في الدين شيئاً هو فوق العقل و يعدّون ذلك من مفاخرهم في تديّنهم فيظنّ المسلمون أنّهم يريدون بقولهم فوق العقل انه غير معقول و ليس هذا هو المراد بل المراد ان العقل لا يكاد يدركه و كان مثل هذا القول شايعاً و معروفاً عند المسلمين و لكن بعض كتّابهم في هذه الأيام قاموا ينادون بأنّ الدين الإسلامي وحده دين العقل والعلم و يفسرونه بأنّ العقل يدرك كل شيء فيه و يوافق العلم الصحيح .

و لسنا ندرى كيف يدرك العقل امور العالم الغيبي مثل أنهار اللبن و العسل في الجنة و مثل عالم الارواح المجرّدة و عالم الملائكة .

ولا نعرف كيف يستطيع اولئك العقلاء تفسير النار التي رآها موسى فلما أتاها نودى ان يا موسى إننى أنا ربك فأخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى .
أى عقل يدرك حقيقة هذا النداء الذي سمعه موسى وكيف يدرك معنى فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقاً ! وأي عقل يدرك حقيقة نفخ الله في مريم كما جاء في القرآن و مريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنحنافيه من روحنا .

النصراني يقول الإله واحد كما يقول المسلم ثمّ يقول النصراني ان عيسى كلمة الله و روح الله و هكذا يقول المسلم أيضاً والنصراني يقول ان مريم عذراء حملت بعيسى الذي هو روح الله و كلمة الله من غير ان يمسه بشر و هكذا يقول المسلم .

فانا نسأل إخواني المسلمين أن يبيّنوا لى الفرق أوّلاً بين هذه التعابير وان يفهموها جيّداً قبل ان يجادلوا النصارى على التعبير بالاب و الابن و الروح القدس و قبل ان يسألوا عن هذه الفلسفة التي تبيّن أنّ هذه الكلمات الثلاث تدلّ على حقيقة واحدة ظهرت في ثلاث مظاهر و ما نار موسى عن القارى ببعيد .

هذا الكلام ينطوى على مغالطة بيّنة لان العقل يفرّق بين ما يصعب على العقل ادراكه و بين ما يجزم العقل باستحالته ففي عالمي الغيب و الشهادة حقايق شتى نوقن

بوجودها و نجهد كنهها و جهلنا بكنهها لا يخذش وجودها الثابت و في كلتي العالمين امور نحكم بامتناعها ولا يمكن تليس الممكنات الغامضة بالمستحيلات المعدومة .
 و بعبارة اخرى فرق بين أن يحكم العقل باستحالة شيء و بين ان يعلن عجزه عن فهم شيء فالعقل يحكم بان اجتماع النقيضين محال فالضوء مثلا لا يكون موجوداً و معدوماً في وقت واحد ولكنّ العقل الذي حكم ببطلان هذا يعجز عن فهم حقيقة الضوء ماهو كنهها و ما انتقالها بهذه السرعة الهائلة و هذا العجز الظاهر لا يمس حقيقة الضوء ولا يمس وجودها فعدم علمك بشيء غير العلم بعدم ذلك الشيء فالقول بان الثلاثة واحدة كالقول باجتماع النقيضين ليست مسألة غامضة بل مستحيلة بالبدهة .

كانت الاديان السابقة لا تدعم مدعياتها بدليل ولا تستند إلى برهان بل كانت توجب التصديق والازعان بكل ما تقول وان كانت مخالفة للعقول و تحرم المطالبة بالدليل و البيئنة و شعارها غمض عينيك و سدّ أذنيك و صدّق بما نقول من تجسّد الله و تجسّمه و التثليث في عين التوحيد و التوحيد في عين التثليث و لمّا جاء الاسلام صرّح اولا بان لا اكره الدين و ثانياً افتح عينيك و اذنيك الذين يستمعون القوم فيتبعون احسنه و صرّح قائلاً قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين و جعل شعاره الله اكبر فهذا الشعار يسير الاسلام امام العلم ولا يبلغ بهذا الشعار و هذا من خصائص الاسلام فلو فرض ان العلم يكشف ان قطعة من الفضاء قدرت مسافتها بسير النور الف مليون من السنين كما قال رئيس جامعة كاليفورنيا ان تلسكوب كاليفورنيا اكتشف كوكباً لا يصل نوره إلى ارضنا إلا في مدّة الف مليون من السنين . في حين ان النور يطوى في كل ثانية ثلاثمائة الف كيلومتر اى مائة وستة وثمانين الف من الاميال لو فرض ذلك و فرض ان العلم يكشف اضعاف اضعاف هذه المسافة من الفضاء بالمليارات او بما لا يتناهى بنظرنا ، نرى الاسلام امامه يقول الله اكبر و لو ان ما في الارض من شجرة اقلام و البحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله و قال تعالى قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .

ومن جهات الاعجاز في القرآن انه خالف في الفلك والنبات والحيوان والمعادن والانواء والمطر والهواء والفضاء والطب ومعرفة اعضاء الانسان والحيوان والفلسفة والطبيعات وغيرها من العلوم كلما كان شايعاً في عصره من فلسفة اليونان وعقائد الحكماء وعلومهم ولم يبال بمخالفتهم حتى جاء العلم بعد الف سنة واطلكتشافات فصدقت قوله وكذبتهم فبينما كان علماء عصره يعتقدون بوجود الفلك المحيط بالارض والافلاك المحيطة بعضها ببعض وانها غير قابلة للخرق والالتيام كان النبي ﷺ يقول انه عرج إلى السموات حتى بلغ منها الاقصى فكانوا يسخرون من قوله بقولهم من لزوم الخرق والالتيام في الفلك وهما محالان فما لبث ان سخر العلم منهم وصدقه إذ أثبت انه لا وجود للفلك كما كانوا يزعمون وان الفضاء قابل للسير فيه وهذا هو ما اطعمهم في السفر إلى القمر والسير إلى كرة المريخ وكان علماء عصره يزعمون ان الذكورة والأنوثة مختصتان في جنس الحيوان وبعض النبات فرد زعمهم بقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين فجاء العلم وابطل مزاعمهم وأظهر للحس صحة ما يقول القرآن إذ أثبت ان كل موجود مادي من أصغر ذرة في الارض إلى اكبر كرة وشمس في الفضاء والسماء مركب من زوجين وهذا مثال ما عبّر القرآن عنه ولم ينكشف لجمهور الناس انكشافاً تاماً إلا بعد نزوله بقرون كون الثمار وغيرها أزواجا منها الذكر والانثى قال تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وقال ومن كل شيء خلقنا زوجين ٣٩/٥١ وكانوا يحملون الآيات على المجاز - وكون الرياح تلقح النبات وارسلنا الرياح لواقح وقد جعله بعض المفسرين تلقيحاً مجازياً من أنها تلقح السحاب فيدر كما تدر اللقحة ولكن هذا القول المقتبس من التنزيل بنور الفهم الصحيح لم يزل خفياً في تفصيله حتى عن العرب الذين كانوا يلقحون النخيل - إلى ان اكتشف للناس اعضاء الذكورة والانوثة في النبات وكونها تثر بالتلقيح وكون الرياح تنقل مادة الذكورة من ذكرها إلى انثائها فتلقحها به ولما علم الافرنج بهذا قال بعضهم ان اصحاب الابل قد عرفوا ان الريح تلقح الاشجار والثمار قبل ان يعرفها اروبا بثلاثه عشر قرناً ومثال ما عبّر القرآن عنه مما يشمل ما لم يكن في زمن تنزيله ولا فيما قبله بحسب ما يعلم البشر هذه الآية التي ظهر تفسيرها في هذا

الزمان هذه الحروب الروميّة التي لم يسبق لها نظير فقد ارسل الله على الامم عذاباً من فوقها بما تقدفه الطيارات و المناطيد من المقتذوفات الناريّة التي لم تعرف قبل الحرب فوق مقتذوفات المدافع و غيرها مما كان معروفاً قبلها و لكن بعد تنزيل الآية ، وعذاباً من تحتها بما يتفجّر من الالغام الناريّة و بما ترسله المراكب الغوّاصة في البحر التي اخترعت و لبسها شيعا و أذاق بعضها بأس بعض فحلّ بها من التقتيل و التخريب ما لم يعهد له نظير في الارض ولا شك في ان دلالة الآية على هذه المخترعات مرادة لان الله تعالى منزل القرآن علام الغيوب وفي الحديث المرفوع ما يشير إلى ذلك فقد روى احمد و الترمذى من حديث سعد بن أبي وقاص سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعاً و يذيق بعضكم بأس بعض فقال (أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد) يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة إلى قصعتها - فقال قائل و من قلة نحن يومئذ ؟ قال - بل انتم يومئذ كثير و لكنكم غناء كغناء السيل و سينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقدفن في قلوبكم الوهن - قال قائل - و ما الوهن قال حب الدنيا و كراهية الموت رواه ابو داود في سننه و البيهقي في دلائل النبوة و من تفرّقها شيعاً و وقوع بأسها بينها و غير ذلك و اعلم ان ما اصاب الامة الاسلاميه بسوء فهمها لهذه الاحاديث بعد فشو الجهل فيها هو نحو مما اصابها بسوء فهمها لتلك النصوص و الحكم التي اشرنا إليها في امثال وطن بجاهير المسلمين انفسهم منذ قرون على الرضا بجميع القتن و الشرور التي انبأت الاحاديث بوقوعها في المستقبل فقعدت همهم عن القيام بما امر الله تعالى به من الامر بالمعروف و النهي من المنكرو و دفع المنكروه و الدفاع عن الحق بقدر الاستطاعة معتذرين لانفسهم بان ذلك مقدّر و قد ورد بوقوعه الخبر فلا مهرب منه ولا مفرّ كما يعتذرون لانفسهم عن ترك مجارة الامم العزيزة في اسباب العزة و طرق الثروة بالنصوص و الحكم التي وردت في التنفير عن الطمع و الجشع و تراهم قد تركوا السعى و العمل لما و عدوا به في الآيات و الروايات من الخير و السعادة و السيادة كما كان يسعى سلفهم و من تلك الوعود ما لم يأت تأويله ولا بد من إتيانه و كان وعد الله مفعولاً و حقيقة الامر انهم رزقوا بالجهل

والخمول والكسل. وسقوط الهمة فهم بجهلهم يتعبون ويشقون في اتباع أهوائهم والسعي لحظوظهم الشخصية الدنيئة ولا يفكرون في المصالح العامة ولا يعقلون وجه ارتباط المنافع الخاصة بها بل يتركونها زاعمين انهم قد وكلوا امرها إلى الله و عملوا بهدى دينه فيها بل لا يخطر في بال احد منهم هذا الزعم إلا إذا عدله عاذل او وبّخه موبّخ على تفریطه في حقوق امته و ما يجب عليه ملّته فح يعتذرون بالاقدار او بان الآخرة لهم و الدنيا للكفّار و قال سيّدنا امير المؤمنين عليه السلام انا قد اصبحنا في دهر عنود و زمن شديد يعد فيه المحسن مسيئاً و يزداد الظالم فيه عتواً لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا .

ان لا حوال الامم العامّة تأثيراً عظيماً في فهم افرادها نصوص الدين وغيرها من اقوال الحكماء و الشعراء فهي في حال ارتقائها بالعلم و الحكمة و ما يثمران من العزّة و القوّة تكون اصحّ افهاماً و اصوب احكاماً و اكثر اعتباراً و ادّكاراً و احسن استفادة و استبصاراً و في حال فشوّ الغباوة و الجهل و ما ينتجان من الضعف و الذلّ تكون بالضعف من ذلك و اضرب مثلاً لذلك النصوص و الحكم المنثورة في زم الطمع و الحرص على المال و زينة الدنيا و ما يقابلها من تعظيم امر الآخرة و الترغيب في معالي الامور و بذل المال في سبيل الحق لم تكن تلك النصوص و الحكم و الاشعار و الامثال بصادّة للائمّة في طور حياتها و ارتقائها عن الفتح و الكسب و احراز قصب السبق في جميع ميادين التنازع على السيادة و موارد الرزق بل كانت هي الحافزة لها إلى ذلك بقصد اعزاز الملّة و رفع شأن الامّة لذلك كانوا يبذلون تلك الاموال بمنتهى السخاء في سبيل البرّ و اعمال الخير ولو حفظ المتأخرون منّا ما حبسه المتقدّمون من الاوقاف على جميع المصالح العامّة و انواع البرّ لوجدوا ان جميع ما ملكوه من الارض كان وقفاً بل وقف مراراً لان الخلف الطالح صار يحوّل اوقاف السلف الصالح إلى ملك حتّى يقول السيد رشيد رضا عن قول عم والده ابو الكمال كان يقول على سبيل المبالغة في كل مائة سنة يتحوّل كل وقف في طرابلس الشام ملكاً و كل ملك وقفاً، نعم كانت تلك النصوص و الحكم للائمّة في تلك الحياة كالغذاء الصالح للجسم السليم يزيده قوةً و يحفظ له حياته و يعوّضه عن كل ما ينحلّ منه من الدقيق المميّنة مادّةً حيّية خيراً منها ثم صارت في طور الضعف كالغذاء الجيّد في الجسم

العليل لا يزيده إلا ضعفاً وانحلالاً إذ صاروا يفهمون منها ان الكسل والخمول والتواكل والفقير و الذل من مقاصد الدين فصاروا لا يستفيدون منها إلا ضعفاً وعجزاً ولا يزدادون مع ذلك إلا حرصاً و بخلاً اذا تدبرت هذا المثل فاجعله مرآة لما ورد في الاحاديث من انباء مستقبل الامة الاسلامية كسعة ملكها في مشارق الارض و مغاربها ثم تداعى الامم عليها لم يخبرامته بما سيقع فيها من البدع الا لأجل ان يكونوا على بصيرة في مقاومة ضررها و اتقاء شرها .

لقد اصيب المسلمون بامراض اجتماعية كبرى منها حب الاستبداد بالسلطة والانفراد بالسودد والانغماس في حماة الشهوات ودبت عقارب الخلاف بينهم فانقسموا وتفرقوا و تحاربوا انقياداً لأهوائهم وارضاء لشهوات أنفسهم فدالت منهم الدولة ولعبت بهم الايام و فقدوا استقلالهم و اعتاضوا عنه بالذلة و الهوان قال الله ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و رغماً عما وصلوا اليه من الانحطاط السياسى كانوا يحافظون على كثير من الاخلاق الفاضلة والشيم الكريمة إلى ان داهمهم ابناء الغرب في عقر دارهم و قال سيدنا على فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ، جاؤا من اروبا واكتسحوا ممالكهم واحدة بعد اخرى وهم يريدون القضاء على البقية (لا قدر الله) فانصب عليهم تيار المهاجرين حاملين معهم مالمهم من المساوى فانهم في بلادهم غيرهم في بلادنا ، في اروبا وامريكا محاسن كثيرة و اخلاقاً عالية و علوماً نافعة و اموالا و حريية قانونية ولكن جاؤا بفجورهم و خمورهم و بغاياهم و ساقنا الجهل إلى الإسراع في تقليدهم ، قلدناهم في الازياء و العوائد و الاخلاق التي لا تناسب بيئتنا ولا تلائم مع آدابنا انهمكنا في الفجور و الخمر و خلعنا جلباب الحياء و ارتدنا اثواب الخزي و العار و تجاهرنا بكل رذيلة و نقيصة و بذلك وجد فاسد و الاخلاق في وسطنا مجالاً فسيحاً لترويج آثامهم و غرس بنور الفساد في تربتنا و بث سموم المهلك في وسطنا فاصبحنا على ما يسوء الصديق ويسر العدو فما احتفظنا بديننا و آدابنا و اخلاقنا و عوايدنا ولا اعتضنا عنها بغيرها من آداب تلك الامم و علومهم و جميل سيرتهم في مضمار الحياة ذلك شأننا نحن الايرانيون و ساير الشعوب الاسلامية التي منيت بفقد عظمتها و تحكم الغربى في بلادها كنا لعهد غير بعيد على جانب عظيم من

مكارم الاخلاق من اجلها واسماها الحياء نعم الحياء خلق كريم يبعث النفوس على توقير أهل العلم والفضل وزوى الإسنان ويحمل على المبالغة في التستر وعدم المجاهرة بالقيح حتى في الأمور التي لا يابأها الشرع وإنما تقبحها العادة وينكرها العرف ويصون اللسان عن هجر القول وفاحش اللفظ إلى غير ذلك من فضائل الأوصاف و شريف الخصال انعكست الاحوال وفسدت الاخلاق وارتفع برقع الحياء عن الوجوه واصبح الناصحون والمرشدون محل البعث والازدراء من الاوباش والسفهاء وتجاهر السفهاء بكل وقاحة و دناءة وتفننوا في اساليب المفاصد و تسابقوا إلى ركوب متون المهالك بجرأة و اقدام و اطلقوا لالستهم اخرسها الله - العنان في كل قول بذى و لفظ فاحش حتى قرأت في مقالة لاحد من التوسيين انه صار سب الخالق والدين (نعوذ بالله) من الامور المعتادة التي نسمعها صباحاً ومساءً ولا قدرة لنا على تغييرها والحكام يقولون ان لانس في قانوننا التوسى يوجب العقاب على ذلك فإليك اللهم معذرتنا فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا فجهلهم و فساد تربيتهم و قصر مداركهم جعلهم يحسبون ان ذلك منتهى ما تطمح إليه النفوس من الحرية و غاية ما تجنح إليه من المدنية تعساً لهاته الافهام الضالّة والعقول الزائغة ما ابعد الحرية عنكم وما اضلكم عن طرق التمدن والحضارة . اين الحرية الحقّة فدون الوصول إليها خطر القتاد و اين الحضارة فطريق البلوغ لها شاسع مديد .

طالب بي القول و شاء اليراع ان يجرى في هذا المجال طلق العنان فقد وجد مكان القول ذاسعة أثار منى هذا الموضوع زفرات كامنة و اهاج عواطف طالما غالبتها و اجبج في فودائى الكلم نار الاسف والاسى -كلّما اجلت النظر في حالتنا وما آلت إليه اخلاقنا وما وصلنا إليه من اهمال أوامر الدين وترك ما هدانا إليه من طرق الصلاح والسداد إلا واضطرت نار الحزن بين جوانبي واعترائى من الهمم والغمم ما يجعلني على درجة اليأس والقنوط لولا ان حسن الاعتقاد يملى علي قول الله الكريم ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . نعم أرّ د جهاح اليراع واقف عند هذا الحد من إعلام الخطر ملقناً إلى هذا الأمر الخطير انظار اخوانى قادة الافكار و سادة الاعلام و حملة الأقلام و هداة الدين ونصراء الفضيلة الذين اوتوا العلم و القلم .

الصحافة والحرية ان بعض الصحف كبعض الشعراء يقول الحق في بعض الأوقات وبعضها تقول بعض الحق في كل الأوقات واما التي تقول كل الحق في كل الأوقات فلم نرى في الصحف ولكن سمعنا بعض الشعراء حافظوا على حريتهم وحفظوا قدرهم حتى زينوا كتب الأدب بآثارهم وفي عزمي ان اقول كل الحق لدى الاقلام الثلاثة .

الاقلام ثلاثة قلم يكتب ليعيش ، قلم يكتب ويعيش ، قلم يعيش ليكتب ، لعلمك تنتظرون تعبيراً اوضح من هذا ، قلم تجارى ، قلم سياسى ، قلم حر ، أراكم غير قانعين بهذا تحبون ان القائل يميظ لكم قناع الاجمال عن تمام محيا ا المقال .

الأول قلم يسعى وراء خدمة الذات و يطلب اللذات وراء جمع المال، وراة تمهيد العيش، لنفس كاتبه العريزة ، وراء استدرار الدينار والدرهم فلا ينفك لامحالة من تصديق الكذب الفاضح و تكذيب الصدق الواضح و مدح مستحقى الذم و ذم مستحقى المدح كبعض الجرايد الساقطة التي لا يهمنها إلا ما يكسبها ديناراً تدير به ادارتها و درهماً تقنات به صاحبها كبعض الشعراء الذين لا ينظمون إلا فيمن يظنون به الافادة الفعلية مدحاً او هجاءً فضلاً عمّن لا ينظمون إلا في الخالة والخلخال وشؤون زوات الغنج والدلال كبعض أبناء الوقت و اشباه الرجال وهؤلاء كالذباب يكثرون في امم دنس فنائها الجهل و الخلق الدميم و يقلون في امة العلم والتهديب .

٢ - قلم يكتب و يعيش ، قلم يسعى وراء خدمة النوع في عصر او مصر هو فيه قلم يحب المدح و الشهرة و الاوهام التي تعشقها النفوس السياسية قلم يحفظ الشرافة لذاته قلم يخدم الامّة ولكن في وسط ضيق و زمان محدود قلم يراعى الرأي العالم و ميل الجمهور قلم يبطل الحقوق النوعية و يحقق الاباطيل العمومية فجنانية هذا القلم على المجتمع البشرى لا تقاس ولا تقدر بالنظر الى القلم الاول (حنانيك بعض الستراهون من بعض) فان هذا يهضم حقّ جمّ غفير مقبل بصبغة سياسية مزخرفة كذئب في زيّ شاة وذاك يهضم حق الحاضرين بصورة يفضح نفسه .

والذي يهون الخطب على القلم الأول لأنه يقتضح ايّاما قلائل تجاه عدّة يسيرة ولكن القلم الثانى يشرى لنفسه الفضيحة الدائمة في قرون طويلة لان ما استحسسه لديهم

واستهجنه عليهم في زمانه لم ينطق به نطق ناطق مشفق ناصح يبوح بالحقايق مهتوكة السرب لآقرهم على ما هم اليه نظراً إلى ميلهم اليه حسناً كان اوقيحاً ضاراً او نافعاً ليحمد عنه الجمهور و يروج متاعه الكاسد .

وحينما تنتبه الامّة من رقدتها وتنقشع عن افكارها غيوم جهالة متلبدة وتهرب من الضار وان كان حبيبا وتحن الى النافع ولو كان بغيضا .

تقوم حينئذ ثائرة على من جاملها في شهواتها وسايسها في حركاتها وح تقول ربنا هولاء أضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار . يا ويلتنا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر وح ترى للقلم الحر درجة يغبطها جميع الاقلام .

٣ - قلم يعيش ليكتب فانه قلم يخدم الحق والحقيقة لاغير ولو اضرت نفسه أو أساء جنسه لعلمه ان الحقايق هي التي تبقى و يفنى كل شيء و هي التي تنفع الامم طول حياة العالم فيقاوم القيامة القائمة عليه و مكيد الشدايد المتوجهة اليه طامحاً بالنظر إلى نظارة العالم لمستقبل العالمين مشترياً بسخط الخلق بمرضاة الحق .

و يسمى كالطبيب الذي يمقته المريض لعلاجه بما لا يشتهي اليه او المؤدّب الذي يبغضه الطفل لأمره بما يصعب عليه ولكن سل المريض عن طبيبه اذا برء والطفل عن معلمه اذا بلغ اشدّه و عرف رشده تجد المريض يشكر الطبيب يكاد ان يعبده و ترى الطفل يخضع لمؤدّب به خضوع العبد لسيده او اشد فان الاول قد افاض على صاحبه حياة المادية والثاني افاد الحياة المعنوية لا يخضع لغير البرهان ولا يطمع فيما عدا ثواب الرحمن قلم و اى قلم حر لا تجاري ولا سياسي لاشرقى ولا غربي قلم يعيش ليكتب قلم يخدم الحق والحقيقة ويسعى في تحسين مستقبل الامّة قلم تجرد من العناد والعصبية منزّه من اغراضه الشخصية قلم ترك السياسة لأرباب الرياسة ورفض المصانعة قلم يستعيز من الله و يستعيز بالله من كل مجامل قلم لا يكتب للمدح والشهرة قلم جعل نفسه اضحية في سبيل البشرية قلم أحد من السيف واجدربا لاکرام من الضيف .

هناك انواع من المقالات يصح ان نسميها مقالات علمية بالمعنى الواسع فتشمل المقالات الاجتماعية كما تشمل بحث مسألة ادبيّة بحثاً علمياً . وهذا النوع سهل على

متى تيسرت له ادوات البحث من كتب و مراجع و توفر له حسن الاستعداد من معرفته بمناهج البحث واساليبه فكل وقت صالح لكتابة مثل هذه المقالات واعدادها ما لم يكن الكاتب في حالة استثنائية من مرض و نحوه وهناك نوع من المقالات هي المقالات الادبية بالمعنى الخاص واعنى بها الادبية ادباً إنشائياً صرفاً لا ادب بحث ودرس - وهذه اصعب من الاولى من حيث انها تتطلب - فوق حسن الاستعداد - (والمزاج الملايم) فليس الكاتب في كل وقت صالحاً لها . بل لا بد أن يكون مزاجه ملائماً للموضوع الذي يريد ان يكتب فيه فان كان الموضوع فكهاً مرحاً فلا بد ان يكون مزاج الكاتب من هذا القبيل ولذلك قديمراً على الكاتب الاديب اوقات خلع ضرسه اهون عليه من كتابة مقالة و اذا هو حاول ذلك فكانه يمتح من بثر او ينحت في صخر ذلك لان هذه المقالة الادبية لا بد ان تنبع من عاطفة فياضة و شعور قوى فاذا لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة لا يشعر القارئ بروح ولا يحس منها حرارة وقوة . ولا يكفى - عند الكاتب وجود العاطفة القوية . بل لا بد ان تكون هذه العاطفة من جنس الموضوع الذي يريد معالجته فويل له ان اراد رثاء وقلبه ضاحك مرح او اراد فكاهة وقلبه بائس حزين ومن اجل هذا يحاول الكتاب ان يتهيأوا نفوسهم للموضوع أو لا فيستلهموا كتاباً أو قصيدة او منظراً طبيعياً او نحو ذلك من الوسائل الصناعيه - ان عدموا الوسائل الطبيعية - حتى تهيج مشاعرهم من جنس الموضوع ثم يأخذوا في الكتابة فتندفق معانيهم و تعزز افكارهم و مشاعرهم .

و شأنهم في ذلك شأن كل فنان من موسيقى ومصوّر ورمثال فهؤلاء لا يحسنون الاخراج وخاصة إذا ارادوا الانشاء - إلا في ساعات خاصة هي ساعات هياج مشاعرهم من جنس موضوعهم .

أما البحث في ، لم تهتاج المشاعر في بعض الاوقات ولم لا تهتاج في بعضها؟ وما الوسائل لذلك ؟ فبحث ببيكولوجى لا يعيننا هنا وان كان الباحثون فيد الى الان لم يحيطوا بدقائقه وتفصيلاته واسبابه .

أما موضوع المقالات الأدبية فكل شيء في الحياة صالح لان يكون موضوعاً من الذرة إلى الذرة ومن الطمس الى الشمس ومن الرذيلة الى الفضيله و من كوخ الفلاح الى قصر الملك و من الماضي الغابر إلى المستقبل والحاضر و من اقبح قبيح إلى اجمل جميل و من الحياة الى الموت و من الزهرة الناضرة إلى الزهرة الذابلة و من كل شيء الى كل شيء و الكاتب الفني من استطاع أن يجد من كل شيء نواة يولف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقا تنسيقاً يبهير السامع والقائل و هو في تأليفه قد يضم الشيء إلى الفه وقد يضمه الى نقيضه وقد يصل به الكلام في الذرة الى الكلام في الشمس . وقد يصل به الكلام في النملة إلى الكلام في الله ولكن القارى لا يشعر بمفارقات ولا يشعر بهوة بين اجزاء الكلام و يسير مع الكاتب كأنه في حلم لذيد او قصة محبوكة و الفرق بين كاتب و كاتب في شيئين التلقى و الازاعة فالفرق في التلقى هوان الكاتب قد يكون دقيق الحس يسمع حفيف الأشجار و ديبب النمل و يرى دقيق الأشياء في الظلماء . و يرى قلوب الناس في اعينهم و دخائلهم في صفحات و جوههم وقد يرى باذنه و يسمع بعينه وقد يرى ما لا يرى الناس و يسمع ما لا يسمعون وقد يدرك الجمال لكل شيء فيه و يدرك القبح بكل شيء فيه حتى كأنه قدمنح من الحواس ما لم يمنحه الناس . و كأن حواسه ليست خمسة و انما هي خمسون او خمسمائة او ماشئت على حين اخاه الكاتب الاخر لم يبلغ هذا المبلغ من الذوق قدفاق المألوف من الناس ولكن الى حد و تسامي ولكن بمقدار - و يفضل الكاتب الكاتب ايضاً في التلقى من ناحية ان كاتباً قد تتعدد مناحي ادراكه تعدداً متشعباً فالطبيعة توحى اليه بأسرارها و المجتمع يملئ عليه بواطنه و الحياة كلها لاتضن عليه بخفاياها و الملح و الفكاهات تدخر له احسن ما لديها و الجدل لا يرض عليه بخير ما عنده فهو مستودع الاسرار و ملتقى البحار و الانهار و من يأمنه كل على سره و يفضى اليه كل بما يرض به على غيره - على حين ان اخاه الكاتب قد يصل الى بعض الاسرار و يدرك بعض الاتجاهات و يعجز عن ادراك البعض قد يجيد فهم الطبيعة ولا يفهم للمجتمع سرأوقد يجيد فهم الجدول لا يفهم للدعاة معنى ذكى في امر و غبى في آخر منير في جانب مظلم في جانب اترك ما للحديث من شعب ، فالكاتب قد يسر بقلمه كغرور المرء بماله و حسبه و الحسناء بجمالها

وثياها وثقة الانسان بنفسه تاجراً اوقوي^١ العضل إلى آخر ما يجمع بالمرء من زهو وهوى فاحصر الكلام بالغرور وثقة بالنفس من وجهين العلم والحكم لا اعتقادى ان^٢ في هذين الوجهين شأنًا لتطور في البلاد قريب نحن في فجر هذا العهد الجديد في حاجة الى علم صحيح لالى مظاهر من العلم كاذبة ان^٣ هذه الارض الطيبة هي منبت الادمغة الكبيرة وتلك السماء الصافية هي مجلى القدرة الاكتسابية الواسعة وقد اثبت الايراني في كل أدواره انه كفوا لاجادة اللغات العديدة و تحصيل العلوم الواسعة المختلفة وان له ميزة في ذلك الاستعداد الطبيعي على سواه من ابناء الامم الاخرى فلا عذر للايراني - و الحالة هذه - يبرر تقصيره ولا سبب يفسر ضعفه إلا اكتفاؤه بالتقليل زهوا و غرور ذلك الغرور الذي يسقط مستوى الاممة الادبي وما مستواها الادبي إذا كان رفيعاً الاحجر الزاوية في استقلالها وعبثاً تطلب اممة مركزاً لها بين الامم اذا هي لم تقم دعائمه على العلم الصحيح والعلم محترم بذاته فالعاقل لا يستعبد عالماً . و العالم لا يكون عبداً مهما كانت الانظمة ان فريدريك كان يتملق لفولتر ولويس الرابع عشر كان يقف على باب المراسح لاستقبال المدعوين الى رواية من راسين نعم العلم الناقص يؤدى الى الغرور وهو من مقومات البناء في مقدرات الأمم والعلم الصحيح يولى الثقة بالنفس . وهي من المقدمات البائنه في تطور الامة .

الثقة بالنفس هي ان يشعر الطفل في بداءة مشيه انه اذا وقع في المرة الاولى عليه ان يستعيد قواه و يستعد لوقعة ثانية و ثالثة ورابعة حتى يمشى ولا يقع .. تلك الثقة تكفل للطفل فعلية القوة والعزيمة ولولاها لما عرف للمشى سبيلاً .

الثقة بالنفس هي ان يستعد الطالب المجتهد لامتحانه فيقحمه غير هيأب وقد تكون قلة ثقة الطالب بنفسه سبباً كافياً اما لاجامه واما لسقوطه .

الثقة بالنفس هي ان يكد الجراح و يحيى الليل حتى يشعر من علمه كفاءة لحمل المسؤولية فيقدم على تسير مبضعه في جسم مريضه واثقاً ان ذلك المبضع يحيى ولا يميمت .

الثقة بالنفس هي ان يعلم الشعب ان الامر له لاسواه - و ان الحكم له للغيره فانما سئل لا يسجل على ذاته انه غير كفوء - و اذا لم يسأل طالب هو بحقه .

ولا يقال للطالب ليس في الامتحان خطر السقوط فاقدم لا يقال للطفل لا تحاول المشي وحدك فتقع ولا يقال للجراح ان المبضع الذي يحيى يميت فلا تستعمله .

ولا يقال للشعب انت ضعيف تقع او تخازل فلا تستلم حكمك بنفسك بل يقع الطفل حتى يمشي بل يشعر الطالب بالخطر حتى ينجح ، يميت الجراح حتى يحيى و الشعب الشعب وحده له اجنحة و تقص له همة و تخدم له حقوق و تهضم له حياة يريدنا الشرق مهبط الوحي و الحكمة و عنه اخذ الغرب مبادئ العلوم و المعارف فعند ما كانت مدارس الشرق زاهية كان الغرب يتسكع في دياجير الجهل غير ان الزمان قلب ان دان يوما لشخص ففى غد يتغلب ، فكما اهتدى الغرب بانوار تهذيب الشرق و علومه قديماً اصبح اليوم من واجب الشرق ان يهتدى بالأساليب العلمية الجديدة التي يكتشفها علماء الغرب فان طلب العلم فريضة على كل شخص من مسلم و مسلمة مهما كانت مصادرها قال النبي ﷺ : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها » .

على ان الشرقيين تنبّهوا إلى هذا الامر منذ نحو نصف قرن وزاد نشاطهم وتألفت نهضتهم العلمية الادبية مؤخرًا ولاسيما بعد الحرب العالمية التي احدثت ثورة فكرية في العالم عموماً وفي الشرق خصوصاً فازدادت النوادي العلمية وانتشرت الصحف والمؤلفات وتعددت المدارس الوطنية واطهر مديروها ومعلموها مقدرة في تعليم الاحداث بالاساليب الجديدة ربما فاقت مقدرة الاجنبي لان ابناء الشرق (الأدنى) مشهورون باقتدارهم على اقتباس الاساليب الجديدة و مباراة اهلها فيها - و لقد كثر القائلون بوجود تعليم المرأة و تهذيبها لانها مربية الجيل و هذه الفكرة لا بد ان تتسع دائرتها ولا تسأل عن البركات التي يحصدها الوطن من ذلك ان يخرج من مدارسه مئات سنوياً باستطاعتهم ان يرفعوا شأن البلاد بشرطها و شروطها اهمها ان نعلم ما نتعلم ، اى ما يجب ان نتعلم قلت ان الشرقى بارع في اقتباس طرق التعليم وسوف لا يمر زمن طويل حتى تصبح اساليب مدارسنا في تلقين العلوم كمدارسها غير انه يعترض امامنا فكر و هو ما الذي يجب ان نعلمه لاحداثنا وكيف نربى شباننا حتى يعرفون الاسلام كما هو و يعلمون انه دين الشرف و الفضيلة و المساوات و الحرية و التاريخ شاهد و مشهود لنا .

كان المسلمون إذا همّوا بفتح أمة خيروا أهلها بين الإسلام أو الجزية أو الحرب و ذلك هو أقصى ما يبلغ إليه التسامح - فاذا أدخل الإسلام بلداً تحت ظلاله خلّى بين المحكومين و بين حرّيتهم الدينية و ما يكلفهم إلاّ بجزية يؤدّونها صيانة لأنفسهم و محافظة على أمنهم في ديارهم و زوداً عن عقايدهم و معابدهم ، لهم مالنا و عليهم ما علينا - من آذى زمياً فليس منا - انّ المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم ، ذلك هو شعار الإسلام في معاملة الذميين روى البلاذري انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع . و بلغ المسلمين اقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردّوا على اهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، و قالوا قد شغلنا عن نصرتكم و الدفاع عنكم فانتم على امركم . فقال اهل حمص لولا يتكم وعد لكم احبّ الينا ممّا كنّا فيه من الظلم و الغشم . و لندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم و نهض اليهود و قالوا . و التورية لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلاّ ان نغلب و نجهد فاغلقوا الابواب و حرسوها ، من ذلك يعلم ان الجزية كانت تؤخذ مقابل الدفاع ، يقولون انا في عصر الذرّة و الأتم و مضى عهد الاحلام و الحاطين ، بل نحن في عصر مادي فترت فيه حرارة الناس في التعلّق بالمثل العليا و انعدم ايمانهم بالمبادئ السامية او كاد واصبح من يتشبّث فيهم بتلك المبادئ يسمى خيالياً يعيش في السحاب .

وترى خصوم الديمقراطية يهاجمونها بعنف و شدة ، فهذا يهاجمها باسم العلم و ذاك باسم الواقع و غيرهما يتكلم عن ازمة الديمقراطية ، و رابع يخوض في حديث إفلاسها . يقولون ان النواميس الطبيعية لا تعرف المساواة و ان الارستقراطية هي دعامة الحضارة و الرقي ، و ان من الناس من يجب ان يعمل بيده و منهم من يجب ان يتوافر على الاعمال العقلية و ان حكماء اليونان لهم بعض العذر حين ذهبوا إلى تبرير الرق لضرورة ان يتفرّغ الحكماء لادارة شؤون الدولة و لاشك ان الديمقراطية تعاني اليوم ازمة شديده . بدليل ان الديكتاتورية قد غلبتها على امرها على ان البقاء الاصلح من المبادئ و الفوز معقود بلواء الديمقراطية في النهاية - فالذين بنوا الحضارة هم من الطبقات الشعبية لامن طبقات الاشراف .

و الاسلام الذي وقف طوال العصور في وجه العواصف الهوج كالجبل الأشم هو

الاسلام الذى يقف اليوم معقلاً حصيناً يردُّ عن الاسلام عادية خصوم الديمقراطية .
 فإذا دعونا للتشبيث بمبادئه و التعلق بتعاليمه فانما ندعو إلى الاحتفاظ بمعقل
 الديمقراطية إنمّا ندعو إلى الذود عن الحرّية و الاخاء و المساوات .
 لما سيرّ العرب جيوشهم على مصر وعلى رأسها عمرو بن العاص ارسل ملك مصر
 من يستطلع طلع تلك الحملة فمارعه إلا ان يرى عمرو القائد للجيش يتبسط في تناول
 الطعام مع جنوده على الارض . فلما ارتد الرسول فاعطى الملك تلك الصورة الرائعة قال:
 ان قوماً ذلك شأنهم و تلك حال كبارهم مع صغارهم محال ان تجد الهزيمة إلى صفوفهم
 سبيلاً .

هؤلاء قوم سمعوا اورأوا من رسول الله ﷺ يوم فتح مكة و هو في امنع أيامه
 حيث قال لرجل اظهر الخوف منه وما يقدر على التكلم لما اخذته ابهة النبي و روعته
 فقال ﷺ هوّن عليك انالست بملك بل إنني ابن امرأة كانت تأكل القديد .

اذا اعتبرنا ميلاد الديمقراطية الغربية اعلان حقوق الانسان في الانقلاب الفرنسى
 الكبير عام ١٧٨٩ بعد ان كانت ثلاثة قرون كاملة حفلت بالثورات الدموية في سبيل تقرير قواعد
 الديمقراطية العصرية في اوروبا . شهدت انجلترا انقلابين في سنة ١٦٤٢-١٦٨٨ وفي عام
 (١٧٦٦) وقعت حرب استقلال امريكا لخلع نير الاستعباد البريطانى واضطرت نيران الثورة
 في فرنسا و كأن شجرة الحرّية كانت لاتزال في حاجة لدماء لترويتها ، والديمقراطية بضحايا
 و شهداء لتغذيها فتاججت نيران الثورة في ١٨٣٠ و ١٨٤٨ و تواصلت الثورات في
 اوروبا بين ١٩٠٦ و ١٩٢٠ فانتم ترون ان النصر لم يعقد بلواء الديمقراطية إلا في القرن
 التاسع عشر .

وفي اواسط القرن الثامن عشر في فرنسا لم تكن حرّية سياسية ولامساواة اجتماعية
 حتى هب فوليترو روسو يبشران بمبادئ الحرّية و المساواة . و تشبع لافايت بتعاليم
 الديمقراطية فلما عادورفاقه إلى فرنسا حملوا اليها بذورها الصالحة وجعل روسو براعة
 الاستهلال في كتابه (العقد الاجتماعى) ولدا لانسان حرّاً على انا نراه في كل مكان يرسف
 في القيود و اعلنت الثورة الفرنسية حقوق الانسان في عام ١٧٨٩ و جرت المادة الاولى من

اعلان الحقوق : يولد الناس احراراً و يبقون احراراً ومتساوين .

وقد جاء الاسلام في اربعة عشر قرون قبل فاعلن حقوق الانسان اى قبل الثورة الفرنسية باكثر من ١٢٠٠ سنة ولانسى ان الفيلسوف الرياضى الاديب الفرنس باسكال اعلن وقال في النصف الاول من القرن السابع عشر يجب ان ننظر الى سلسلة البشر خلال عصور التاريخ كانه رجل واحد يعيش ابداً وتعليم بدون انقطاع وكانت ايطاليا وفرنسا المر كزين الرئيسين و انطلقت الشرارة المباركة الى اروبا وقد شهد هذا العصر حركة الاصلاح الديني الذي تحقّق على يد الراهب مارتن لوثر و هي ناجمة عن مطالبته و جماعته بترجمة التوربية للغة الشعب حتّى تتاح له قراءتها و يستقيم له ان يقف بنفسه على محتوياتها وكانت ترجمتها ممنوعة وكان من حقّ رجال الدين وحدهم الاطلاع عليها ثمّ يبلغوا مافيها إلى الشعب على ما يطيّب لهم وخلاصة الخبر ان خلافاً حدث في المانيا بين طبقتين من رجال الدين فوقع اختيارهم جميعاً على الراهب مارتن لوثر ليذهب الى روما فيسجد امام البابا ويشرح له الامر ويتلقى منه الحل ، ذهب الراهب إلى روما وكانه وقع تحت السحر لما يشاهد من الامبراطورية .

لقد شاهد عدداً عظيماً من الكرادلة والاساقفة يرتدون من الملابس ما لم يحلم بمثله فباله هذا الثراء و هذا البذخ على اكتاف المجموعة الاروية الفقيرة و شاهد حجاب البابا يمشون و يحملون مراوح من ريش الطاووس وآخريين يحملون صلباناً من الذهب والفضة وآخر يحمل تاج السدة البابوية وهو مزين بما يكفى لإطعام شعب جايع من الماس والجواهر النادرة أمّا البابا فقد شاهد عدداً من الرجال يحملونه فوق اكتافهم جالساً في كرسى صنع من الذهب الخالص و إلى جانبه رجل يحمل الصولجان الذهبى و وراءه الكرادله والاساقفة و الامراء و الوجهاء .

و عرف كذلك قبل وصوله إلى روما ان هذا البابا نفسه كان قد ألف جيشاً عظيماً حارب به فرنسا كما عرف أنّه كان قد هاجم بجيشه مدينة ميراندولا الايطالية وحاصرها وشدّد الحصار ثمّ اصدر اوامره كقائد عام لهذه الحملة بتحطيم جدران المدينة بالمدافع وما لبث ان امشق سيفه ودخل المدينة يتبعه جنوده الذين فتكوا بالاهلين ثمّ عرف ايضاً

ان البابا عاد الى محاربة فرنسا ثانية والتقى الجيوش الفرنسية في احدى ساحات ايطاليا حيث وقع الالوف من القتلى .

عاد لوتر الى المانيا وقلبه يفيض بالاسى ! ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ كان ان توفى البابا جوليوس الثانى و خلفه البابا ليون العاشر الذى صرف همه الى تزيين كنائس روما . وكان ازدهار الحركة التجارية في اروبا والذهب الذى يتدفق عليها من امريكا المكتشفة حديثا قد شجعا البابا الجديد على طلب المزيد في سوق من يزيد من ائمال فاوفا راهبا آلمانياً من ليزيك يدعى جون تيزل لجمع اموال جديدة من الاروبيين تضم الى كنوزها .

و راح صاحبنا لايترك بلداً إلا ليدخل في آخر طلباً للمال يواكبه الحرس و النافخون بالأبواق الذين يعلنون نبأ وصوله الى هذه المدينة أوتلك فيخرج اليه الناس بالالوف وهم يحملون الأعلام و الشموع الموقدة و يحرسونه في مركبته الذهبية التي يجرها ثلاثة أحصنة و يعزفون له الموسيقى و ينشدون الأناشيد حتى اذا بلغ الكنيسة واستوى إلى جانب المحراب أنصت القوم و حنوا رؤوسهم ليستمعوا اليه و هو يقول « تعالوا ايها الناس واشتروا منى صفحى و غفرانى ! بامكانكم اليوم ان تنجوا : انتم و اصدقاؤكم من عذاب الجحيم » ! .

و يلاحظ تيزل هذه الموجة العاطفية التي غمر بها القوم فيصمت قليلاً و يعبس طويلاً و يتفرس في الوجوه استرعاء للانتباه من جديد ويتابع قائلاً .

في اللحظة التي تشترون بها الغفران و تضعون المال في هذا الصندوق تطير ارواح اصدقاؤكم المذنبين من النار الى الجنة !

و واصل الراهب الألماني سيره حتى بلغ مسقط رأسه ليزيك في ألمانيا . و اقبل الناس بمئات الالوف يشترون الغفران من رسول البابا و هدد الراهب من لا يشتري الغفران بالحرمان فهلع الناس و أسرع المتخلفون إلى سوق خلاص النفوس يشترون البطاقات الموصلة إلى الجنة و من الناس من اشتروا الغفران مراراً .

وفي ليزيك جرت حادثة طريفة أروبوها هنا لما فيها من ظرف و خفة ظل ، ثم لما تحويه من مغزى عميق الدلالة في هذا الشأن .

جاء رجل ألماني يشتري الغفران من رسول الباقائلاً له :

هل يمكنك أيها الأب المقدس ان تغفر لي منذ الان خطيئة أنوى ان اقترفها في المستقبل؟ فاجاب الراهب : استطيع ذلك دون شك فان البابا سيّد الارض وحامل مفاتيح السماء قد أعطاني القوة الكاملة لكي افعل ما اريد . فقال الرجل : إذا كان ذلك فأنى سوف اعاقب رجلاً عقاباً بسيطاً جداً لا يؤذيه ولا يسيء إليه إلا قليلاً فكم تطلب ايها الاب لغفران خطيئة بسيطة كهذه ؟ اطلب ثلاثين دولارا - أنا فقير و المبلغ كثير غير أننى استطيع ان ادفع لك عشرة دولارات - لا كيف يمكننى أن اغفر لك ما تنوى ان ترتكبه من الإثم - ولو بسيطاً بمثل هذا المبلغ القليل ؟ وعلى كل حال استطيع ان ابيعك الغفران بخمسة و عشرين دولارا .

- قلت إننى فقير و اننى لا املك هذا المبلغ كله سوف اعطيك خمسة عشر دولارا فقط فقال الراهب - لا تكثر من المجادلة ان غفران الذنوب له ثمن معروف فاذاشت ان اغفر لك ما سوف تقترفه من ذنب بسيط فادفع عشرين دولارا على الأقل فقال الرجل - هل تعتقد ايها الاب ان هذا المبلغ كاف لان يمنحني الغفران في الارض و في السماء ؟ - لا شك في ذلك . ألتعلم أننى رسول البابا و أننى افعل ما يريد و ان ارادته هي ارادة الارض و السماء - اذن لقد اطمأن قلبي خذ المال وذهب الرجل وقد حصل على وثيقة الغفران و على حماية القانون له من كل عقاب فيما سوف يقترفه من ذنب بسيط !

و واصل الراهب بيع الغفرانات وجمع الاموال الكثيرة ثم رحل إلى مدينة اخرى تدعى زو تربوك . و فيما كان في طريقه إليها مرّ بغابة كثيرة الشجر . فخرج عليه أفراد عصابة من قاطعي الطريق برزواله من بين الاشجار و قبضوا عليه و اوثقوه ثم أخذوا صناديقه و استولوا على ما فيها من اموال طائلة و فروا هاربين في شعاب تلك الغابات .

و طار صواب الراهب فقداً خدمته المال الذي حصل عليه ثمناً لألوف الغفرانات و هرع إلى محافظ المنطقة و هو من الدوقات ساخطاً لاعنا منقطع النفس وصاح ! سرقت ؟!

ولما وقف المحافظ الدوق على تفاصيل الحادث ثار و خار و نبح و هدر و اصطككت أسنانه و جحظت عيناه و تورم خده فكيف يعتدى اللصوص على رسول البابا سيّد الارض و حامل مفاتيح السماء ؟ ثم كيف يسطون على اموال البابا في منطقة هو حافظ الامن فيها و هو الحسيب النسيب الدوق بن الدوق ؟ و ا زاد شخيره و نخيره و رفع قبضته مهدداً قائلاً - سوف أقبض على اللصوص و أحرقهم جميعاً .

و تمّ القبض على اللصوص و أحضروا امام هذا الدوق فقال لزعيهم - لقد اقرت انما عظيماً بالاعتداء على رسول البابا و سرقة امواله فماذا تقول ؟ فاجابه زعيم العصاة . لقد اشتريت الغفران سلفاً من رسول البابا ، و أخبرته انني انوى ان أقر ان اثمنا فباعني الصفح راضياً مختاراً و قبض الثمن و هذا هو الاثم الذي كنت عازماً على ارتكابه و اليك و وثيقة الغفران ! و قرأ المحافظ الدوق وثيقة الغفران فاذا هي تغفر لحاملها انما سوف يرتكبه و تجعله في حلّ من كل عقاب في الارض و في السماء !

و نظر كل من الدوق و الراهب إلى الآخر نظرة تدل على الخيبة ذلك ان وثيقة الغفران لها صفة القانون فالحاكم لا يستطيع معاقبة السارق الذي غفر له ذنبه سلفاً . و هو فوق ذلك لا يمكنه ان يسترجع المال المسروق لان في استرجاعه ما يفقد الراهب هيئته و يحمل الناس على الاعتقاد بان وثيقة الغفران لا قيمة لها ؟ و في مثل هذا الاعتقاد ما يدفع الناس في طريق الحرية التي يكره الدوق و الراهب اسمها .

و هكذا حصل الرجل الفقير الذكي الظريف على الاموال التي جمعها الراهب و هو في مركبته الذهبية من الجماعات الجاهلة و عاش بها عيشة مترفة !

وراح الراهب يبيع الغفرانات من جديد في الأراضى الالمانية .

و أقبل احد الاعياد و رسول البابا في مدينة غوتريبرغ و كان الراهب الدكتور مارتين لوثر في المدينة ذاتها . فاقبل الناس على لوثر بمناسبة العيد ليعترفوا له بخطاياهم و يستمنحونه الغفران . فقال لهم : لا استطيع ان أمنحك الغفران . إن منح الغفران تدجيل و الطريق الوحيدة التي عليكم ان تسلكوها للحصول على الغفران هي ان تقلعوا عن ارتكاب الآثام و تعيشوا في رضي من ضمائرهم .

فتعجب الناس من هذا الراهب الغريب و قالوا له - ان لنا الحرّية التامة في
اقتراف ما نشاء من الآثام - من أعطاكم حرّية ارتكاب الاثم هذه ؟ اشتريناها من رسول
الابا و اليك و ثائق الغفران و دفعهم لوثر عنه مؤنباً ساخطاً قائلاً . هذه الوثائق لاقيمة
لها ! و عرف رسول الابا بأمر هذا الراهب فبلغ منه الغضب مبلغاً عظيماً و اعتلى منبر
الوعظ في كنيسة المدينة و اشتعلت شفتاه بنار القداسة الربانية و زعق في الناس قائلاً -
ان هذا الراهب ملعون على كل شفة و لسان - انّ لدّى اوامر من سيّدنا و سيّد الارض
بأن أحرق في الحال كل مارق يجرؤ على معارضة و ثائق الغفران و نزل عن المنبر و الناس
خائفون و اجحون ! ثمّ مالبت أن أمر با شعال نار عظيمة في الساحة العامة لكي يعرف جميع
الناس اي مصير ينتظر المارقين و الهرطقة و انه سوف ينفذ تهديده اذا فكّر احد الناس
بمعارضة و ثائق الغفران .

و اشتعلت النار في الساحة طول النهار و في الوقت ذاته الذي ارتفع فيه اللهب حتّى
ملاّ الفضاء كان الراهب مارتين لوثر يعلق على باب الكنيسة ورقة كتب عليها بخطّ يده
سطوراً كثيرة رآها الناس فهرعوا اليها مسرعين و قرأوا في جملة ما قرأوا .
انّ الذين ندموا على ما فعلوا من آثام و كانوا في ندمهم صادقين و الذين أقنعوا
ضمايرهم بضرورة الكفّ عن الذنوب منذ الآن نالوا المغفرة كاملة و ليست بهم حاجة
لوثائق الغفران !

يقول جولد تزيهر في ص ٢٢٢ من الترجمة الانجليزية ان من الحقايق الاوليّة
ان مسألة الخلافة قسمت المسلمين الى فرقتين : اهل السنة و الشيعة ، و كان لاهل البيت
فريق يعترف سرّاً بحقوقهم حتّى في عهد الخلفاء الثلاثة الاولين ، ولكن هذا الفريق
لم يكن يجاهر بالخصام . و بعد عصر هؤلاء الخلفاء صار يعارض كل من حكم من غير أبناء
عليّ ، و كانت هذه المعارضة موجّهة اوّل الامر الى الأمويّين . ثمّ الى من بعدهم ممّن
لم تتوفر فيهم الشروط التي يوجبها الشيعة في الإمام وهم حين يبيسون و جوه النقص
في هؤلاء الحكام يقرّون الحقوق الشرعيّة لأبناء النبي ﷺ ممثلة في ذريّة عليّ و
فاطمة عليها السلام و كما اتهموا الخلفاء الثلاثة الاولين سرّاً بانهم معتصبون ظالمون

فكذلك عارضوا النظام السياسي في الدولة الاسلامية سرّاً وجهرّاً في كلّ العصور .
وقد اذات طبيعة هذه المعارضة إلى ظهورها في صورة تغلب عليها الصبغة الدينية .
وعلى حين انّ الشيعة يرفضون تنصيب الخليفة بالطرق العادية الانسانية فانهم يقولون
إنّ الرئيس الشرعيّ الوحيد من الناحية الروحية و الزمنية هو الامام المعصوم الذي
يعين تعييناً ويكون من ابناء النبي ﷺ وفي ص ٢٣٠ تكلم جولدتزيهر عن الفرق الأساسية
بين الخليفة عند اهل السنة والامام عند الشيعة ، اوجب اهل السنة تنصيب خليفة مهمته
تنفيذ احكام الشريعة وفروضها . وحماية بلاد الاسلام والدفاع عنها والإشراف على تعبئة
الجيوش ، وأخذ ما فرض على المسلمين في اموالهم و تقسيم غنائم الحرب بينهم بالعدل
وغير ذلك من المهام ، وبالاختصار فالخليفة هو ممثل السلطة القضائية والادارية والحرية
وهو مجرّد خليفة لمن تقدّمه ويختاره المسلمون بالطرق العادية (بالانتخاب او بتعيين
سلفه له) لسياستهم . ولا يشترط فيه ان يكون أعلم المسلمين .

اما الامام عند الشيعة فهو رئيس المسلمين و معلمهم بفضل ما وهبه الله من الصفات
و بحكم وراثته للنبي ﷺ و روح الامام أنقى من ارواح سائر الناس لانه مبرراً
من بواعث الشرّ متحلّي بالفضائل الالهية و هذه هي صفات الامام عند المعتدلين من
الشيعة .

و في ص ٢٥٤ وما بعدها ينبه جولدتزيهر على أخطاء شائعة فيما يتعلّق بالشيعة .
١ - يذهب البعض إلى ان الفرق بين مذهب اهل السنة و مذهب الشيعة ان
الاولين يعترفون بانّ السنة اصل من اصول العقائد والاحكام الدينية بعد القرآن وانّ
الشيعة يرفضون السنة !

يقول جولدتزيهر : انّ هذا خطأ جوهرى في فهم مذهب الشيعة ، و منشؤه
اختلاف التسمية بين الفريقين . فليس بين الشيعة من ينكر السنة بل هم يقرون بالسنة
التي حملها اهل البيت و يذهبون الى ان خصوم الشيعة يعتمدون في اخذ السنة على
الصحابة و ثمّ احاديث مشتركة بين الشيعة واهل السنة لاختلاف الإثبات في السند ، والشيعة
يقبلون الاحاديث التي رواها اهل السنة و التي تؤيد الشيعة او على الأقل لاتعارض

مذهبهم ، ومن امثلة ذلك ان من الشيعة المتشددين من يعتمدون على احاديث البخاري ومسلم و يقرؤونها أيام الجمع . و نستطيع معرفة شأن السنة عندهم من ان كثيراً من قول علي في القرآن و السنة يؤخذ مما رواه الشيعة عن علي عليه السلام فاحترام السنة من مستلزمات مذهب اهل السنة و الشيعة على السواء و مما يدل ايضاً على اعتداد الشيعة بالسنة النبوية انهم كتبوا الكثير في السنة و ما يتعلق بها و انهم وضعوا احاديث كثيرة و اناعوها؟ فالشيعة لا يعارضون اهل السنة بصفتهم منكرين للسنة بل بصفة انهم اولياء اهل البيت او الخاصة الذين يمتازون على العامة .

٢ - و من الاراء الخاطئة^(١) القول بأن منشأ التشيع يرجع إلى مذاهب الفرس و تأثيرها في الاسلام وهذا ناشئ عن خطأ تاريخي و قد رفضه فلها وزن في بحث له و ذلك ان حركة التشيع نشأت على تربة عربية خالصة ، هذا إلى ان الاصول النظرية الإمامية بما تضمنته من النظر إلى الدولة نظرة دينية لادنيوية .

وقد ذهب إلى قول الشيعة اهل النظر العقلي بين العرب و كذلك الفرس و قدرحّب الفرس بمعارضة الشيعة لاهل السنة و أخذوا بمذهب الشيعة و لكن الاصول الاولى للتشيع لا ترجع إلى أثر أجنبي بل هي عربية في صميمها .

٣ - ان الشيعة هم اصحاب الفكر الحرّ خلافاً لاهل السنة الجامدين و هو ما ذهب إليه اخيراً البارون كرادقو . و هذا الرأي لا يقبله من له علم بمذهب الشيعة فمن المؤكد ان تقديس علي عليه السلام هو محور الاعتقادات الدينية عند الشيعة ، و كل ما عدا هذا فهو ثانوي المرتبة و ان الشيعة بتفضيلهم الامام المعصوم من غير اعتماد على قوة الرأي العام قد نبذوا ما نراه في مذهب اهل السنة من عناصر التفكير الحرّ و على هذا فان خضوع الشيعة لمذهب يتلقونه عن سلطة معصومة لا تقبل معارضة هو ما يتميز به الحياة الدينية

(١) إشارة إلى النظرة الخائفة التي صرح بها احمد امين الجاني بالادب العربي و النخائن بالدين الاسلامي أما جنابته بالادب فقد كشفها مصطفى الراعي في سلسلة مقالات في (الرساله) . و أما خيانتة بالدين و تعامله على المسلمين و على الشيعة الايرانيين فمشهورة تحكى عن خيب النفس و لا تخفى حتى على المصر بين أنفسهم و سنتكلم فيها إن شاء الله تعالى .

عندهم وقد نقل جولد تريهر في آخر الفصل الخاص بالزهد و التصوف من كتابه المتقدم ما ذكره الغزالي في فيصل التفرقة من ان أساس الايمان الاعتقاد بالأصول ، اما الخلاف في فروع العقائد و العبادات ولو كان فيه إنكار الخلافة التي يقول بها اهل السنة . كما فعل الشيعة فلا يكفي لاعتبار صاحبه زنديقا . وقد اوصى الغزالي بامساك اللسان عن تمزيق اعراض اهل القبلة وقد افاد وأجاد و لعمري أن في تكفير المؤمن من غير تفكير جرأة عظيمة على الاسلام لأن الحكم على انسان مؤمن بالكفر معناه ان الحاكم بذلك قد علم علماً يقيناً ليس بالظن .

ان المحكوم عليه انظفاً نور الايمان من قلبه و انقطع الربط بينه و بين الخالق فليس في قلبه إلا الظلمات و الضلالات و بهذا اصبح المحكوم عليه كافراً مباح الدم ليس له و ماله حرمة فاذا قتل لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين و تقطع الصلة بينه و بين اخص الناس به ولا تجوز لاحد ان يستغفر له .

و هذا هو معنى الحكم على احد بالكفر و لذلك تجد علماء هذه الامة من اوليائها لليوم يتحرجون اشد التحرج من الحكم على احد بالكفر ولا يكادون يصدرون هذا الحكم إلا إذا ظهر لهم ظهور الشمس ان المحكوم عليه ليس عنده أدنى تأويل او شبهة فيما يقول و يفعل من كفر هذا عملهم المحفوظ عنهم قرناً بعد قرن . ولشدة حرصهم على حفظ دماء الناس علموا من بعدهم كيف يكون حالهم إذا عرض عليه متهم بالكفر فلا يصدرون على مؤمن حكماً بالكفر إلا إذا اغلقت في وجوههم ابواب الايمان فلا يجدون منها باباً واحداً ينفذون منه إلى الحكم بالايمان و لكن منى الاسلام باناس غلب عليهم سوء الظن بالمؤمنين او الجهل بالايمان ، هين عليهم جداً الحكم بالكفر على المؤمنين فتسابقون إلى الحكم بالكفر ولو تمكنوا من قتله لفعلوا ذلك بل يتقربون إلى الله بدمه و بهذا يفهمون في انفسهم انهم اعظم الناس ايماناً و غيره على ربهم و دينه و رسوله و هذا كما قلنا هو الجهل بدين الله اما العلماء بهذا الدين فحالهم كما سمعت من التحقيق في امر من قال او فعل ما يبرههم الكفر فاذا ظهر لهم ما ينفي ذلك الوهم و فرحوا بهذا الفهم من قول او فعل ما يدرء عنه و احياناً يعلمونه ما يبعد عنه سوء الظن و الاتهام و ان ظهر لهم انه

واقع في مكفر نظروا في امره فان بدالهم انه جاهل لا يقصد ما يفهم من قوله او فعله لا يكفرونه ابداً وان بدالهم انه عالم فاهم يعلم ما يقول ولكن عنده شبهة عاجوه حتى يزيلوا هذه الشبهة فان نفع العلاج ورجع عما هو عليه حمدوا ربهم الذي انقذهم من الضلال عبداً من عبيده .

انحجب النور و استولت الظلمة ، اشدت الحلك اختفت الاشباح

و علا الصياح نعق البوم و سرحت الوحوش و دبّت العقارب و

سرى الفساد و تكاثرت البلايا و كان الليل مستودع الويل و الظلام

اشعة و ظلمات

الظلمة و النور

مستقرّ السقام - الظلمة الظلمة ما اضرّها بالعيون و ما ارهبها على القلوب و ما اقربها

رمزاً إلى الجحيم و العذاب الدائم . العياد بالله من الظلمة و اهل الظلمة و مخبئات

الظلمة - بزغ الصباح و طلع النور فتلاشى الظلام و ظهرت الاشباح و باتت الكواسر و

زقزت الطيور و دمدمت الحشرات و قام الانسان لاعماله و السعى وراء رزقه فما احلى

النور و ابهاه للعيون و ما أحقه رمزا للطهر و العفاف و النعيم الدائم فالسلام على النور

و اهل النور و مظاهر النور .

لننتقل ايها السادة من مكان الخيال إلى مكان الحقيقة و من حيز الطوهوم إلى

حيز المعقول ما من لغة مهذبة الا و تعنى بديار الظلمة تلك الديار التي تكاثرت فيها

الشور و تضاربت فيها الويلات و حجبت عن سطحها انوار التمدن و الحرية ، انوار

العلم و الادب .

تلك الديار التي ضل ساكنوها و اوى ضلال مبين ضلّ الجميع فمامن أحد يطلب الصواب

تاه الجميع فمامن أحد يطلب الهداية . لعبت بالعقول ايدي الطمع و حب الذات و الدناءة

و الرذيلة و عدم الشفقة و فعل المنكر و القتل و نهب اليتيم و سلب حقوق الضعيف فرمتها

و مارمية شرّاً من تلك في وهدة جهنمية يا لله ما اهلها تلك والله حالة تستلزم الشفقة و

الرحمة يا بن آدم خلقت بارض النور فلم اخترت ارض الظلمة مرتعاً خلقت ملاكاً فلما

اخترت ان تكون شيطاناً خلقت صالحاً و اراك هجرت الصلاح خلقت ذا احساس و

اراك فقدت الاحساس خلقت انسانا واراك وحشا ضاريا . خلقت من لحم ودم لادم فيك ولا . خلقت لعمار الكون و اراك تسعى لدماره . خلقت لنفع البشريه و اراك تعمل على ضررها .

ارتعدى أيتها الجبال واضطربى أيتها الارض . و ارتجفى أيتها البحار فان السموات حزينة و معتظة للغاية . هاهى سمعت صوتاً بشريا ينادى إلى الهلاك ونظرت إلى اسفل فرأت اولئك الاقوام للاشرار فحرقتم الارم غيظا و بكت عليهم بكاء الشفقة و الحنان قم يا بن آدم و ارجع إلى الارض التي خرجت منها هناك ترويك ينابيع مائها الصافية . هناك يا بن آدم تشبع نفسك بالمن والسلوى . وتستنشق الهواء النقي الخالى من الفساد ، هناك يا بن آدم تظلك راحة الضمير وتريك الارض خصبها والطبيعة جمالها . هناك يا بن آدم يشرق عليك نور الله فتنتشع عنك الظلمة . كثيرون هم الذين يجهلون حقيقة ما هم عليه كثيرون هم الذين يحسبون تأخرهم تقدما و جهلهم تعقلا و ظلمتهم نورا فلينتبه اولئك القوم لمعرفة نفوسهم فان خير الناس من عرف الداء و تطلب الدواء .

لا تكن كمن يغمض عينيه لئلا يرى زلاّته فيشق عليه الأمر بل فلتكن عينك نقادة تخرق الحجاب فتري ما وراء الحجاب و ايقن ان الانسان مهما يكن زاحسنا و افعال و صفات ممدوحة و مزايا جليلة مما تكن منزلته من الآداب و حسن السريرة فلا بد من زلاّت يرتكبها و وصمات يقع بها مازال الانسان انسانا . غير ان من الناس من يرون السيئة التي صدرت عنهم فلا يفكرون برفعها فتأخذ تلك البزرة الصغيرة بالنمو الخفي إلى ان تصير شجرة كبيرة تعشش فيها القبايح و يصعب استئصالها و منهم من يرون السيئة الصادرة عنهم فيشق عليهم الامر و تمر الساعات و الايام و هم يقبلونها في مخيلتهم إلى ان يصمموا على عدم ارتكابها ثانية لانها تسبب لهم ألما في النفس و انقباضاً في الفؤاد يعرف اولاد النور بالاستقامة و حرّية الضمير في جميع معاملاتهم لا مؤاربة عندهم ولا رثاء ولا خداع ولا شيئاً من الامور التي تحط بشرف الانسانية . تحت حجاب الليل يسرق السارق و يجنى الجاني اولئك يا موم وادي ظلال الظلمة ليخبثوا انفسهم عن اعين اخوتهم

بنى الانسان ليخبيئوا انفسهم عن عين الله وما شيء بخفي عنه . ليخبيئوا انفسهم . عن ذواتهم عن عين الضمير نفسه وهذا لا ينحصر في الانسان بل يتناول الحيوان أيضاً . ألا ترى أن الحيوانات المقترسة تربض في عرينها سحابة النهار ولا تبدىء تجوُّلاتها المهلكة الا بعد الغروب في حين ان الحيوانات الأليفة وهى الأ نفع والأ حب إلى الانسان تعمل اعمالها في النهار وتستريح في الليل .

يعرف اولاد النور بالتواضع والدعة . بالاعمال الصالحة التي تنبعث عنهم كما تنبعث الأشعة من الشمس بخلاف اولاد الظلمة الذين لا نور عندهم سوى ما يتولد من احتكاكهم في المظالم والمنكرات .

يعرف اولاد النور بالاجتهاد والقيام بالواجب حق القيام فهم كالشمس تسير ابدأ على الخط المرسوم لها منذ البدء بيد مبدع الكائنات لأهم لهم سوى التفانى في سبيل الواجب النافع للقريب .

يعرف اولاد النور بالنقاوة والطهارة فهم كالنور لا يفسده طارئ ولكن يظهرا الاشياء الفاسدة وينقيها .

يعرف اولاد النور باشراق الوجوه وخفة الروح . اوليس النور علّة فرح الطبيعة بكما لها أولات ترى كيف ان الطبيعة تبتهج ابتهاج العاشق بملاقة الحبيب عند ما تبرز تلك الغزاة من خدرها تبتسم لقدومها واى ابتسام .

الطيور تحييها باحسن نغماتها واوراق الأشجار تصفق تيباً ودلاً . الغيوم الحزينة الحاملة الدموع بعينيها تزيّن بحللتها الملونة بالوان قوس السحاب الباهرة حين ترمى بلمعانها عليها والأ زهار تهب من نومها وتعدّ نفسها للقيام باستقبالها الابسة افخر الملباس ومتحلية بابهى الحلى والآلى .

اخيراً يعرف اولاد النور بالتروى والتبصر، عيونهم ترى ما لاتراه عيون الاخرين يشعرون في داخلهم بما لا يشعر به غيرهم من نبى جنسهم ينظرون إلى البحار فيعلمون ما وراءها و الى الغيوم فيعلمون ما فوقها . يجوبون الارض طولاً وعرضاً وهم جالسون يقبلون صفحات الكتب يصعدون تارة الى الجو وينزلون طوراً إلى قعر البحار واعماق

الأرض أفكارهم وراء الصالح المفيد وآمالهم على التقدم والنجاح في اعلاء شأن البشريه .

الحكم و الامثال

ان للعارف تحت كل نقطة نكتة وفي ضمن كل قصة حصّة وفي اثناء كل إشارة بشارة وفي طي كل حكاية كناية و لذلك تراهم يستكثرون من الحكايات في تضاعف محاوراتهم ليأخذ كل من السامعين ما يصيبه ويحظى بما هو نصيبه على حسب الاستعداد وقد علم كل اناس مشربهم و على هذا ورد ان للقرآن ظهراً و بطناً إلى سبعة ابطن فلا تظنن ان المراد بالقصص والحكايات الواردة في القرآن العزيز القصة والحكاية لاغير فإن كلام الحكيم يجعل عن ذلك .

قال الراغب في الذريعة اعلم ان كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاختيار فليس كذباً في الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرّزون عن الكذب من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطّف في خدمة الملوك ان أسداً وزئباً وثعلباً اجتمعت على عير وطمبي وارنب فقال الأسد للذئب اقسم فقال العير لك و الطمبي لي و الارنب لثعلب فوثب عليه فادماه ثم قال للثعلب اقسم فقال هو مقسوم، العير لغدائك و الطمبي لمقيلك و الارنب لعشائك ، فقال الاسد من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب الأحمر الذي البسته الذئب وعلى المثل قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفنيها و عزني في الخطاب وقد أذن لنا أن نضرب الأمثال كما ضرب في القرآن الحكيم و صرح بأن المقصود هو الاعتبار تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقد افاد الادباء في اروبا و اجادوا في أمريكا و خدموا العلم و إليك يا أيها العاقل هذا المثل الكامل حكمة فافهم و اغتتم .

ولد جاكوب كانس في زيلند من اعمال هلند سنة ١٥٧٧ وكان
بقدر الصعود
محامياً و سياسياً و سفيراً و شاعراً و بعد ما جال في اوربا ووقف
يكون الهبوط

على ما شاء من شؤون الناس و اطوارهم عاد إلى بلاده و اشتغل بالمحاماة .

ومع شدة انكبا به في حياته الطويلة على العمل بصناعته هذه كان من وقت إلى

آخر يتفرغ لنظم ما يعرف بالشعر الغنائي ووضع القصص الادبية المغزى بالسنة الطيور و الحيوانات على مثال كتاب كليله ودمنة المشهور فلقبت قصائده وقصصه استحساناً عظيماً عند قرائها .

وكان الهولنديون لفرط شعورهم بمحبته لهم وعطفه عليهم وتحريه عمل كل ما فيه خيرهم وصلاحهم يلقبونه بالاب وكانت قصص الاب كاتس مع قصرها تمتاز ببساطتها ووضوح معانيها وكونها موضوعة لتثقيف العقول وتهذيب النفوس كالقصة الآتية

ران الغرور على قلب غيلم (ذكر السلحفاة) كما يرين على قلوب كثير من الناس . فخيئ إليه انه ليس كمثل في عظمة الأهمية وخطورة الشأن . و سولت له نفسه ان يراعي النظر بين حالة عقله و صورة جسده فيستبدل بجبته الترابية جبلة اكرم مادة و اسمي عنصراً وكان عشراً و اصداقاً قد أمعنوا في التأمل فلم يستطيعوا ان يتبينوا فيه أقل شيء من ادلة التفوق والنبوغ . ولكنهم عزا حكمهم هذا إلى عجزهم عن إدراك ما بلغته قواه العقلية من السمو والارتقاء . واصر كل الاصرار على السعي في إقناعهم باستطاعته ان يتألق في كرة لا يقدر على بلوغها مهما تشرئب اعناقهم إليها وحدث ذات يوم انه رأى نسرأ واقعاً على شجرة يستريح من عناء طيران طويل المدى قضاء في اعلى طبقات الجوّ . فدنا منه . وبعد ما تلطف في تحيته والسلام عليه سأله أن يحمله على منكبيه و يوغل في الارتفاع به إلى اسمى درجة يستطيعها لكي يبرهن لأبناء جنسه (الغيالم والسلاحف) - انه أهل للارتقاء إلى مقام ارفع جداً من مقامه على الأرض ويتمكن من الاشراف علي مجالي الأرض الرائقة ومظاهر البحار الشائقة و يراقب بزوغ الغزاة من خدرها في الاء لي ووقوع أنوارها الباهرة وعلى سطح الأرض حيث الغيالم والسلاحف يخبطون في ليل الجهل و يسقطون إلى أسفل دركات الانحطاط فلما فرغ من كلامه أدرك النسر ما كان عليه ذلك المأفون من شدة الزهو والغرور فبش به وقال له انه بملاء الارتفاع مستعد ان يضيب سؤله و ينيله ما تصبه نفسه اليه - وما عتم أن أقله و طار به محلقاً في عنان السماء حتى يبلغ من الإرتفاع مبلغاً اعيا الغيلم ان يرى منه وجه الأرض أو يتبين اثرأ لما يدب على سطحها ، وما ابطأ أن اصابه دوار شديد جسأت به نفسه و

و تملك الانزعاج فؤاده فودّ لو انه كان باقياً على الارض ولم يطع نفسه الأمانة بالسوء ولم تكن حالته هذه بخافية على النسر لكنّه تجاهلها و ظل يمعن في الصعود به قائلاً . له انه عامل بما اراد و بالغ به ذروة الرفعة والسودد - وظل النسر يسموبه و يعلوحتى ارتقى إلى حيث لا ترى العين سوى ضياء الشمس ولا تسمع الأذن غير حفيف النسيم . و حينئذ التفت إلى الغيلم و سأله هل طابت نفسه وقررت عنه بهذه الرحلة الجوية و نال فيها ما شاء من الارتقاء إلى اعالي السماء و هل يودّ الصعود إلى ما هو اسمى و ارفع ؟ و هل يعدّ السكنى هنا افضل منها على سطح الارض ولكن الدوار و الهلع كانا قد اخذا من الغيلم كل مأخذ و بات من جرأتهما ينظر فلا يرى و ينصت فلا يسمع و يحاول الكلام فلا يستطيعه . و إن ذاك زعق به ابوالبرد زعقة الهزء و الاحتقار و قذف به من على ظهره فهوى متخبّطاً في انحداره حتى سقط على صخرة صماء فتحطم و ذهب ضحية غرور أطمعه بالمحال و علّله بنيل ما لا ينال .

و في كل زمان و مكان اناس كهذا الغيلم يخدمهم الحظ او يصعدهم مع ضعة اصلهم و خسة نفوسهم و ضعف عقولهم فيرتقون بغتة إلى أعلى المناصب و المراتب بلا شيء من الاهلية و الاستحقاق و كثيراً ما يعقب هذا الصعود السريع هبوط أسرع منه ينحدرون فيد اشدي انحدار إلى قرارة الذلّ و العار ولله درالقائل .

بقدر الصعود يكون الهبوط فايك و الرتب العالية

و كن في مكان إذا ما سقطت تقوم و رجلاك في عافية

نعم كلما ازدادت الخساسة والعبودية ازداد الطغيان والجور وكلما ازدادت الحرية ازداد التساهل لذلك كان على ^{عليه السلام} مظهر العفو والرحمة و سيادته سيادة الحب ولو تكلم كلام ذى سلطان فهو العليّ العظيم و الصراط المستقيم قام أو قعد ، هبط أم صعد . و العيان بالله من الاندال الذين يرفعهم الزمن و لك في الحجّاج بن يوسف الجزار طاغية القرن الأوّل الاسلامي و في كافور صاحب المتنبي اوضح البراهين .

الانسان يجب ان يبقى حرّاً لاحياله السادة فقط بل حيال العبيد أيضاً لأن أخطر ما يهدد حرّيته ميله إلى التحكّم و حب السلطان ولو في الامور التافهة فيتحكّم الاب في

أُسرته و صاحب الدكان في دكانه و من الغرابة ان يزداد زهو الانسان و ميله إلى الامرة كلما صغرت وظيفته و حقرت ينظر إلى الناس من عليائه الشاهق كأنهم بعض ديدان الأرض .

فرييس المحكمه اكثر تواضعاً من حاجبها و رئيس الشركة أودع من جابى الشركة ولا بأس ان نقص على القارى تجسيداً لهذه الفكرة النادرة التالية واقعية كانت أم قصصية .

قيل إنه كان في حلب على عهد العثمانيين موظف تركي ربطته بأحد وجوه الحلبيين صداقة وثيقة و نقل التركي إلى مجلس المطالبين الهمايوني و اصبح ذا نفوذ عظيم . و توفى صديقه الحلبي بعد سنين تاركاً و لداً و حيداً عرف من أمه نباهة الصديق القديم و عظم شأنه . فقص الأستانه و واجه الرجل فرحب به كثيراً و سأله عن حاجة يقضيها له فاجابه الشاب انه جاء يطلب وظيفةً و توقع التركي ان يسأله ابن صديقه القديم مركزاً نابهاً كالتقائمقامية مثلاً ، و لشدتها كان عجبه عند ما طلب ان تسند اليه وكالة المسجد الجامع في حلب و تم الامر على أيسر ما يكون فعاد صاحبنا إلى الشهباء و استهل مهمته بأن كسر الابريق الموجودة التي يستعملها المصلون للوضوء و اشترى عشرين ابريقاً جدداً نصفها أحمراً و نصفها أبيض صفها بجانب الماء و ركز كرسيه على مقربة منها فكان إذا جاء قاصد الوضوء و امسك الابريق الاحمر يأمره بالعدول عند إلى الابيض فان امسك الابيض أمره بالعدول عنه إلى الاحمر و هكذا اغتبط صاحبنا بانه يأمر و ينهى و يطاع في الحالين .

وقف احنف بن قيس و محمد بن الأشعث بباب معاوية بن ابي سفيان فاذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث فاسرع محمد بن الأشعث حتى دخل قبل الأحنف فلما رآه معاوية قال إنى والله ما أذنت له قبلك و انا اريدان تدخل قبله . و إنما كما نلى اموركم كذلك نلى ادبكم و ما تزييد متزييد إلا لتقص يجده من نفسه .

فهذا الذي لا حظ له معاوية على محمد بن الأشعث يسمى عند علماء التحليل النفسى (مركب النقص) و هو شعور بالضعف و المهانة منشأه نقص في بعض الكفايات و المؤهلات ينقلب إلى التظاهر بضد ذلك و انتحال الرفعة و الكمال فيه .

لكل إنسان مهما كان عظيماً قوياً الإرادة والرأي جانب ضعيف من جوانب مداركه يؤخذ به وينقاد بزمامه فتراه ثابت الجاش باهر الحزم محسناً مجيداً في أكثر أعماله وأقواله ولكنك ترى هو الشيء قد غلب عليه فاقتاده كما يقاد الطفل الصغير ولولا يكون ذلك الشيء أو هو يكون على الغالب مما يحتقر لاجله حتى أدنى العوام لو ارتكبه وعلق به ولكن ذلك العظيم يفعله ويأتيه جهاراً مضطراً إليه بحكم ذلك الجانب حتى يقال إن نلسن العظيم الرأي والتدبير الذي كان يقود أساطيل إنجلترا جميعاً ويهزم بها أساطيل نابليون الكبير كان ذا جانب ضعيف شين به قدره في أواخر أيامه وابتذلت من أجله كل عظمته وقد يكون أكثر العظماء مثله كان الطبيعة تريد أن تصرف عنهم عين السوء بسوء تلصقه بهم أو أنها تريد الزيادة من تحقيق القول بأن الكمال لله وحدويكون لهؤلاء الذين ضعفت إحدى جوانبهم تعبير آخر وهو مركب النقص سال أحد من علماء النفس تلاميذه وقارئيه هل فيك مركب النقص ؟

اعرف نفسك بنفسك لقد ابتكر الفرد أدلر ليدل به على شعور المرء بقصوره عن مجاراة من يعيشون في بيئته . و عجزه عن التوفيق بين نفسه وما حوله من ظروف وكل مناً يحس أثر هذه العقدة في نفسه . ولكن قوة تختلف أثرها باختلاف الأفراد . وهذه طائفة من الأسئلة أجب عنها بالإيجاب أو النفي ، تبيين مقدار ما فيك من مركب النقص .

- ١ - هل أنت عنيد لجوج ! تصمد لمن يصادك ، وتلحف على من يخالفك ؟
- ٢ - هل أنت لين العريكة فتقبل أن تعمل ما يقترح عليك ولو ناقض ما كنت تريده ؟
- ٣ - أم هل أنت شديد المراس : فتأبى إلا أن تعمل نقيض ما يطلب اليك لمجرد الرغبة في المخالفة ؟

- ٤ - هل تخجل أو تضطرب إذا قابلت رئيسك ، أو لقيت من هو أعلى منك ؟
- ٥ - هل تشعر أنك تحب أن تعرض نفسك أمام الناس وتلفت إليك أنظارهم .
- ٦ - هل تفاخر بنجاحك و تباهى بمقدرتك ؟ وهل تذكر كثيراً ما تستطيع عمله لو أتحت لك الفرصة أو أفسح لك المجال .
- ٧ - هل تتحدث عن نفسك كثيراً . مما ينتابك من أمراض ! عما تصادف من عقبات !

عماً يشيعه الناس عنك من أقاويل .

٨ - هل تظن أن الناس لا يفهمونك فهماً صحيحاً ، فهم لا يقدرونك حق قدرك ؟ .

٩ - هل تشعر ان بعض الناس يسيء معاملتك فتجلس منقبضاً مكتئباً ؟ .

١٠ - هل تحاول ان تسيطر على زوجتك و تشعرها بتفوقك عليها و

تملكك إيها .

١١ - هل تحلم في يقظتك ان تكون عالماً رياضياً اوادياً سياسياً .

١٢ - هل كنت تتمنى ان تظل طفلاً يدلل ويداعب : لان تشب رجالاً مكافحاً مسؤولاً ؟

١٣ - هل تشعر بالغيرة اذا ارتقى أحد زملائك في العمل وتخلقت انت عنه ؟

١٤ - هل كنت تود ان تولد شخصاً آخر : اكثر مالا أو ذكاً او وسامة ؟ .

قارن اجابتك بما يلي :

١ - لا يعاند ولا يلحف غالباً الا من يريد ان يلفت النظر اليه مما يدل على شعوره

بنقصه وقصوره .

٢ و ٣ - الرجل الذي تلين عريكته جداً كالرجل الذي يشتد مراسه جداً مصاب

بمركب نقص قوى .

باقي الاسئلة الاجابة عنها بالاجاب يدل على سيطرة هذه العقدة على نفسك و

الاجابة عنها بالنفي ينبىء عن خلوص نفسك من شعور النقص والقصور .

و إذا تحقق لك عشر اجابات من نوع واحد دل على اتجاهاك اتجاهاً واضحاً وان

قلت الاجابات المتشابهة عن ذلك فانت عادى اى مبرأ من مركب النقص الذى يفتر

العزيمة و يضعف الامل وينغص الحياة مبرأ من اسباب الغرور التى تبث الخيلاء وتعمرى

البصيرة وتدفع الى المغامرة الخطرة .

ان درس نواحى من الادب العربي على ضوء التحليل النفسى يساعدنا لفهم

الشخصيات الفنية والادبية و يعين على كشف الاسرار وحل معضلات الآثار التى ورثناها

لان العقل الانسانى ينمو تدريجاً في مراحل معينة و الادب و الشعر والفنون ليست إلا

تعبيراً عن الشخصية شخصية الفنان او الكاتب والشاعر و رجال الاعمال كمنابئون - من

سيرتهم و مساعيهم و جهودهم و من نتایج ما احدثوه ناجحين او فاشلين و تدرس شخصية الشاعر من حياته و شعره و المثل من سيرته و تماثله و بالمثل يوضح الادعاء .

ابو الطيب شاعر مجيد فحل بين البلغاء و الدارس لحياته يلاحظ ظاهرتين هما ادعاء النبوة و شعوره بالعظمة شعوراً يقترن بمحاولته فرض هذه العظمة على الناس فما تعليل ذلك و ما اثره في شعره .

نبت ابو الطيب في البادية من ابوين فقيرين و نشأ في هذه البيئة المجذبة من الخيرات و لد عمقياً على مواهب تميزه عن اترابه و تضعه فوق مستوى قبيلته فاحس ان كفاياته تضيق عنها البيئة و تنهار من حوالها حواجز الزمان و الملكان و البون شاسع بينه و بين اعظم المعاشرين فهو اذن مبعوث لهدايتهم اذن هو نبي و هكذا أيقن ابو الطيب في صباه و ملأ يبلغ اشد بل رشده ظهر بصورة نبي فقبض عليه الوالي و سجنه فلم تقع معجزة تحل و ثاقه و تخرجه من الحبس فطلب العفو بقصيدة مدح بها الوالي و استعطفه و تاب منذ خروجه من السجن تنازل ابو الطيب عن النبوة لكن مركب النقص ظهر بشكل آخر . ظهر في صورة خيلاء لا تطاق و اعتقاد بانه رجل الساعة جاء ليصلح الدنيا بالسيف :

و من عرف الايام معرفتي بها و بالناس روي رمحه غير راحم

بلا كبير عناء تستطيع ان تدرك من قراءة ديوان المتنبي انه مدح السيف الدولة على اعتبار انه يمدح نفسه - بمدح آخر ان المتنبي كان يصور في مدحه سيف الدولة بطلاً خيالياً لا وجود له معتقداً انه هو ذلك البطل وان الظروف لا بد ستتهيأ لظهوره يوماً من الأيام .

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير ما تسعى به قدم

هو يشعر بعقريته و عظمته . ويشعر ايضاً على الدوام بأنه حقير الاصل و ضيع المرتبة فيكابد من شعوره - او من النزاع بين الشعورين - مضاضة و أملاً و يزيد في ألمه و مضاضته انه يحس احتقار الكبراء و الامراء و الخاصة لأصله و نشأته فيتحرر مركب النقص للدفاع بالتمويه و بالبرجة و من اجل ذلك يقول في رثاء جدته :

ولولم تكوني بنت اكرم والد
ولا يقتصر تعسف هذا الانسان وجوره على من بكره بل يتعداه إلى من يحب أيضاً . و
ليست غيرة الحب القاتلة الا من هذا القبيل . و كثيراً ما يرتدَّ جوره على ذاته فيخلق
المخاوف والبغضاء والحسد والكبرياء كما يستعبده الشعور بالنقص وحب البطش
واستعباد الاخرين وفي طليعة العبيد اولئك القواد الطغاة فانهم عبيد الرعية التي اوصلتهم
إلى الاريكة وكثيراً ما يبطلون فلا يقفون عند حدِّ قال خليل مطران :

كلُّ شعب خالقو نيرونهم
قيصر قيل له أم كسرى

و يجرُّهم حبُّ السلطان إلى الهاوية المحتمومة .

ومن هؤلاء العبيد في زي السادة القيصر وتيمور الأعرج جنكيز نابليون وهتلر و
موسوليني وهلم جرراً .

ومن المتظاهرين بالقوَّة على حين أنهم ضعفاء فريدريك نيتشه^(١) اذ لم يكن في الناس
أضعف منه فقد كان خالياً من قوَّة الارادة و بين فكر تك عن الشيء وتمتعك به فرق
عظيم . و ليس في مظاهر الضعف مثل العسف والاكراه لذلك كان نرون في طليعة الضعفاء
الطغيان اذن عدوُّ الحرية واداة العبودية ولكن الناس لا يفتنون الا للاعتداد المادى .
وهناك انواع من العدوان أخطر على الحرية منه . وفي طليعتها الاخلاق والعادات
وانواع التربية التي تحجرت في الراى العام بما انطوت عليه من ضلالات شوَّهت الآراء
وحرقت حرية الانسان في تيارها ومنها الصحافة والمنشورات وما فيهما من سموم وأدهى
من ذلك كله داء قتال يعصف بالحرية فيخنقها خنقا وهو المال قلنا ان الطغيان والجرايم
والموبقات من مظاهر الضعف لان القوَّة هي الخلق والحب والتجدد .

(١) وكان مصاباً بالزهرى الوراثى الذى ابتلاه فى اخريات حياته بالجنون ، فمات
ذاهلاً لا يعنى شيئاً و نحن نعرف كيف شد هذا المفكر بأرائه وكيف كانت قسوته على الضعفاء ومقته
لمن يستحقون الاخذ بيدهم ويستأهلون الرفق الذى لم يذقه هو والجنان الذى احتياج إليه على
سرير الموت فلم يظفر به و الذى لون تفكير هذا الفيلسوف بذلك اللون الدموى الوحشى ،
هو ألمه الدخيل الناشى من سريان الزهرى فى جسمه و ضغطه على مخه و أعصابه . والمعروف
الثابت هو ان جرثومة الزهرى تستمرىء الجهاز العصبى وتعيث فيه إلتلهاً وفساداً .

و لكن الموضوعيه تقلب القيم فتجعل سافلها عاليها و عاليها سافلها فالأقوياء في نظر الموضوعية هم الشرطي و الدركي و الصيرفي و سمسارة الوظائف و رؤساء البلديات و حملة المسدسات الذين يتحكمون في صنا ديق الاقتراع - اما اضعف الضعفاء في نظر العالم فهم الشعراء و الفلاسفة و الانبياء و القديسون لذلك صلب المسيح بقولهم و سم سقراط و رجم الانبياء و اضهد المكتشفون و نجح عبيد المادة و العاديون و السخفاء و الدساسون نجح السادة و العبيد في نظر المجتمع . و اخفق الرجل الحر اخفق على و افلح معاوية صرع الحسين و تنعم يزيد قطع رأس يوحنا و تنعم هيرودس الغاية تبرر الوساطة في نظر الموضوعية من اجل هذا قدست الجاسوسية و مجد القتل و الاغتيل و الافناء على هذا المعراج للدموى رقي الجزأرون السفاحون اولئك الذين يحسبهم الناس عظماء يعظم الناس نابليون و باستور اعظم منه و يمجدون كرومويل و شكسبير اعظم منه و قد قدسو آهر هيتلر و غوته اعظم منه فالرجل العظيم هو من ينفع الانسانية هو العظيم بتخفيف مجارى الدموع و الدماء هو البازل حبة قلبه فدى قلوب المساكين و البؤساء .

اما اعتقاد الناس فهو بعيد عن الحقيقة و العدل فان الذي يقف في ساحة الوغى الذي تسرع قدماه لسفك الدم و جر الولايات يعده العالم شريفاً نواب الامة اركان الملة و اعيان الدولة و اكابر المملكة يمحضونه خالص شكرهم و دول باجمعها تتحد على اقامة التماثيل له . اما مجفف الدموع و حاقن الدماء فيموت دون ان يذكره احد فاذا اردت ان تكون رجلاً بكامل معنى الكلمه و بجميع حقايق الرجولة فانهب إلى اليتيم و الأرملة بما ينقذهما من مخالب الأسي انهب إلى الساقط في حماة الرنايل و ارفعه ، إلى التائه في الجهل و الكبرياء و أرجعه إلى الفضيلة ، انهب إلى الأثيم و اهمس في أذنه كلمات الحيات حياة الخلود السامية .

لما كان الانسان انما يصير انساناً بالعقل . ولو توهمنا العقل مرتفعاً عنه لخرج عن كونه انساناً ولم يكن إذا تخطينا الشبشح المائل إلا ببيمة مهملة او صورة ممثلة و العقل لن يكمل بل لا يكون عقلاً الا بعد اهتدائه بالشرع كما تقدم و لذلك نفى

من لم يتخصص بالشرع
و عبادة الله فليس
بانسان (راغب)

العقل عن الكفار لما تعرّوا عن الهداية بالشرع في غير موضع من كتابه و الاهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالى فالانسان إذاً في الحقيقة هو الذي يعبد الله و لذلك خلق كما قال الله تعالى و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق و ما أريد ان يطعمون و كما قال تعالى و ما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . فكل ما وجد لفعل فتمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدم و لذلك كثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصاً كقولهم للفرس الرديء ليس هذا بفرس و للانسان ليس هذا بانسان ، و يقال فلان لا عين له و لا اذن له إذا بطل فعل عينه و أذنه و إن كان شبحهما باقياً و على هذا قال الله تعالى صم بكم عمى ، فيمن لم ينتفع بهذه الاعضاء فالانسان يحصل له من الانسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية و من رفضها فقد انسلخ من الانسانية فصار حيواناً او دون الحيوان كما قال تعالى في وصف الكفار ان هم الاكالا نعام بل هم اضل سبيلاً . و قال إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، فلم يرض ان يجعلهم انعاماً و دواباً حتى جعلهم اضل منها و جعلهم من أشرارها و اخرج كلامهم عن جملة البيان فقال تعالى و ما كان صلاتهم عند البيت الأمكأ و تصدبة تنبيهاً على انهم كالطيور التي تمكو و تصدى و نبه تعالى بنكته لطيفة على ان الانسان لا يكون انساناً الا بالدين و لا زياناً الا بقدرته على الايتيان بالحقايق الدينية فقال تعالى الر حمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان و لم يدخل الواو فيما بينهما و كان الوجه على متعارف الناس ان يقول خلق الانسان و علمه البيان و علمه القرآن فان ايجاد الانسان بحسب نظرنا مقدّم على تعليم البيان و تعليم البيان مقدّم على تعليم القرآن لكن لما يعد الانسان انساناً ما لم يتخصّص بالقرآن ثم قال خلق الانسان تنبيهاً على ان بتعليم القرآن جعله انساناً على الحقيقة ثم قال علمه البيان تنبيهاً على ان البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص و ترك حرف العطف منه و جعل كل جملة بدلاً ممّا قبلها لاعطفاً على ان الانسان ما لم يكن عارفاً برسوم العبادة و متخصّصاً بها لا يكون انساناً و ان كلامه ما لم يكن

على مقتضى الشرع لا يكون بياناً . فان قيل فعلى ما ذكرته لا يصح ان يقال للكافر انسان وقد سماهم الله بذلك في عامة القرآن قيل إننا لم نقل اننا لانسمى الكافر انساناً على معارف الكافة بل قلنا قضية العقل والشرع تقتضى ان لا يسمى به إلا مجازاً ما لم يوجد منه العقل المختص به ان سمى به على سبيل تعارف العامة فليس ذلك بمنكر فكثير من الاسماء يستعمل على وجه فيبين الشرع ان ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم الغني فانهم استعملوه في كثرة المال و بين الشرع ان الغنى ليس هو كثرة المال قال صلى الله عليه وسلم ليس الغناء بكثرة المال وإنما الغناء غنى النفس . فيشير إلى ان الغناء ليس هو كثرة المال وقال تعالى ومن كان غنياً فليستعفف اي كثير الاعراض فاستعمله على ما هو متعارف . و جملة الامر ان اسم الشيء اذا اطلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول الأشرف منه .

كقول الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك و قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك و ان كان الذكر قديقال للمحمود والمذموم وعلى هذا يمدح كل شيء بلفظ نوعه فيقال فلان هو انسان وهذا السيف سيف ولهذا قيل الانسان المطلق هو نبي كل زمان وقد قال صلى الله عليه وسلم الناس اثنان عالم ومتعلم وما عداهما همج و قال بعض العلماء قول من قال الانسان هو الحي الناطق الميئت صحيح و ليس معناه ما توهمه كثير من الناس من انه من الحياة الحيوانية و اموت الحيوانى و النطق الذى هو في الانسان بالقوة و انما اريد بالحي من كان له الحياة المذكورة في قوله تعالى لينذر من كان حياً و بالنطق البيان المذكور بقوله علمه البيان و بالميت من جعل قوته الشهوانية و الغضبية مقهورتين على مقتضى الشريعة فيكون حينئذ ميتاً بالارادة حياً بالطبيعة كما قيل مت بالارادة تحيى بالطبيعة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام من امات نفسه في الدنيا فقد احياها في الآخرة وهذه المقالة الراغبية تلخص في المثل السائر بالفارسية انه في تحصيل العلم تسهيل على من يريد و لكن الاشكال في معنى الانسانية و حقيقتها وقد عبرنا فيما كتبنا بالفضل و الفضيلة و الماسرف أنه لا ذاك ولا ذلك .

قال ابن الجوزى : في نقد العلماء في تلبيس ابليس على الفقهاء كان الفقهاء في قديم الزمان هم اهل القرآن و الحديث فما زال الامر يتناقض حتى قال المتأخرون

يكفينا ان نعرف آيات الأحكام من القرآن و ان نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن ابي داود و نحوها ثم أهونوا بهذا الامر ايضا و صار احدهم يحتج بأية لا يعرف معناها و بحديث لا يدر أصحيح هوام لا و ربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلّة التفاته الى معرفة النقل و انما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه و من القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا نعوز بالله من شرور أنفسنا .

ان أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب و محمد بن الحسن الشيباني صاحبا ابي حنيفة وتلميذاه اخذا عنه اكثر فتاويهما وما قيل فيه من خطل الرأى القياسية وعدم معرفته بالعربية يقال فيهما و يضاف إلى ذلك تملقهما للملوك و صحبتهما لهم فان ابا يوسف صحب ثلاثة من الخلفاء المهدي، والهادى، والرشيد، وكان يقتى على مقتضى ميلهم و يتبع في فتواه اهواءهم قال أبو يوسف آويت الى فراشي ذات ليلة واذأ بالباب يدق دقاً عنيماً فخرجت فاذا هرثمة بن اعين فقال اجب اميراً... فركبت بغلتي ومضيت خائفاً إلى ان وصلت دار الخلافة فاذا أنا بمسرور فسألته من عند الخليفة؟ فقال عيسى بن جعفر فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت عليه وجلست فقال الرشيد أظن أننا روينا عنك فقلت اى والله و من خلفى كذلك فسكت ساعة ثم قال أتدرى يا يعقوب لم دعوتك قلت لا . قال دعوتك لأشهدك على هذا إن عنده جارية وقد سألته ان يهبها لى فأبى و والله لئن لم يفعل لأقتلنه قال فالتفت إلى عيسى و قلت له ما بلغ من قدر الجارية حتى أنك تمنعها من امير... و تنزل نفسك هذه المنزلة من اجلها ثم هى زاهبة من يدك على كل حال فقال عجلت على بالتوبيخ من قبل ان تعرف ما عندى قلت و ما هو قال ان على يميناً بالطلاق و العتاق و صدقة ما املكه ان لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها .

فالتفت الي الرشيد فقال هل لك في هذه من مخرج قلت نعم قال و ما هو قلت يهبك نصفها و يبيعك نصفها فيكون لم يهبها ولم يبيعها قال عيسى أيجوز ذلك قلت نعم قال فاشهد أنى و هبته نصفها و بعته نصفها الباقي بمأة الف دينار فقال الرشيد قد قبلت الهبة و اشترت النصف بمأة الف دينار ثم قال على بالجارية و المال فاتى بالجارية و

والمال فقال خذها يا امير... بارك الله لك فيها فقال الرشيد لابي يوسف يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هي فقال . إنها مملوكة ولا بد ان تستبرء ووالله لئن لم ابت معها ليلتي هذه اظن ان نفسي تخرج فقلت يا امير... تعقها و تزوجها فان الحرّة لا تستبرء قال فاني قد اعتقتها فمن يزوجنيها قلت له أنا فدعى (بمسرور) فخطبت وحمدت الله و زوجته بها على عشرين الف دينار ثم قال عليّ بالمال فيجئني به فدفعه إليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف و قال لمسرورا حمل إلى يعقوب مأتى الف درهم وعشرين تختاً من الثياب فحمل ذلك إليّ .

خالف ابو يوسف في هذه الفتاوى صريح القرآن والسنة وروج الزنا والفسوق طمعاً بصحبة الخليفة والمال وهذا هو السر في أنه والشيباني وامثالهما بقوا للإقتناء وغيرهما من الامثال لم يحفظوا ممن لم يغير الشريعة ولم يرتكب القبائح كسعيد بن جبير الذي قتل و الشعبي هدد و اخيف و الامام احمد بن حنبل ضرب وحبس و الامام مالك ضرب في المدينة سبعون سوطاً و خاعت كتفه و الامام الأعظم أبو حنيفة حبس و ضرب إلى أن توفى في حبس السندی .

قال صاحب العروبة خطاباً لصاحب الكتاب الموسوم بالفلسفة الإسلامية (١) ما نصّه ايها الاخ الراوى، انكم ذكرتم في كتابكم الفلسفة الاسلامية ما نصّه الفصل السابع في ما دخل على الديانة النصرانية من الخلل قال القراقى (ره) في كتابه الأجوبة الفاخرة و اعترف بذلك مجملأً بعض مورخى النصارى (كارانسيت دى برتس) الألمانى وغيره ان اعظم ثلثة وقعت في دين النصرانية هي جناية بولس و يقال له تولى فانه اخرج النصارى من دينهم الاصلي كما تخرج الشعرة من العجين و أوقعهم في ظلمات الضلال و أليم الوبال بسبب انه كان يهودياً و كان شديد القتل و القتال للنصارى فلم يشف بذلك قلبه فأعمل الحيلة فحفظ الانجيل و عمد إلى راهب عظيم فسأله خدمته فأجابه و أظهر الاجتهاد و النصيحة و المبالغة في وجوه البرّ و الاحسان إلى ان طال الزمان فاستيقظ في بعض الليالي و صاح و اظهر الهلع بما رآه في منامه فسأله الراهب فقال رأيت المسيح

(١) سيد علوى اسماء الاخ الراوى نقلته من كتاب العروبة .

و نفث في فمي و بارك عليّ و انا أجد في نفسي كلاماً لا ادري ما هو من نفثته فذكر بعض الكلام فوجدوه من الإنجيل بجملة فاعتقدوا ان ذلك بعناية المسيح و عظم بركته فقال الراهب أنا أحق بالخدمة وانت أحق بالتصديق فتصدّر و تقدّم و اشتهر إلى ان صار ملوك النصراني تزوره يوماً في السنة فلما تحقق تمكنه من قلوبهم قال لهم في بعض زياراتهم له ان المسيح قد أمرني ان انزل غداً من هذه القبة و انبج نفسي في سفح هذا الجبل قرباناً للمسيح فعظم ذلك عند الملوك لفوات بركته و ألم مفارقتها و كيف يذبح نفسه بيده و باتوا تلك الليلة و عيونهم باهرة و قلوبهم من الجزع طائرة إلى ان اصبح الصباح و دخلوا اللوداع فتقدّم اكبر الملوك منزلة و اعلاهم رتبة ليتقدّم بتوديعه فقال له بولس اني ذاهب الآن إلى المسيح و ان عندى سرّاً عظيماً اودعك إيّاه قبل الممات فاعلم مقداره و ارفع مناره فقال له و ما هو ايّها الاب القدّيس فقال له ان المسيح هو ابن الله فقال له ابن الله الله فقال له نعم ابن الله و لولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر فصمّم الملك على ذلك و لم يكن سمعه قبل ذلك اليوم ثم دخل عليه الملك الاوسط فقال له عندى سرّاً عظيم و اني ذاهب إلى المسيح او او ترك به فاحفظ و اعمل به . فقال له و ما هو قال له : مريم زوجة الله فاعتقد الملك ذلك و لم يكن سمعه قبل ذلك الوقت ثم دخل عليه الملك الاصغر فهوّل عليه و طوّل مثل الأولين و اودعه ان الله ثالث ثلاثة ، ثم خرج عند تعالي النهار و الناس قيام ينظرون ما يكون من أمر بولس فخرج من قبته و عليه ثياب القربان و معه سكّين مرهفة و نزل الى سفح الجبل و ذبح نفسه بيده و العالم ينظرون اليه فابتدره الملك الكبير بعد زهوق روحه و اخذه ليحمله الى وطنه لتكون بركة في مملكته فنازعه الملكان الآخران فقسّمه اثلاثاً و اخذ الثلث الذي فيه رأسه فنازعه الملكان في ذلك الثلث لاشتماله على اشرف الجسد فاقتضى الحال ان أحرقوه و سحقوه و قسّموه اثلاثاً ليحصل العدل و التنصاف ثم ذهبوا إلى بلادهم فظهر الملك الاكبر معتقده الذي اسره اليه و كذلك الملكان الآخران فانكر كل منهم على صاحبه مقالته و قال ان الراهب بولس لم يقل هذا و لا جاءت به النبوءات و الكتب فهو كفر و قاتل كل منهم الآخر ديانة و تقرّباً و صار بأسهم بينهم و القتل فيهم بسيوفهم و سيوف اليهود و ذلك مراد بولس ثم ذكرتم ايها الاخ الراوي بعد ذلك حيلة لبولس تمكّن

بسببها من ابطال النصرانية والقاء الاختلاف بين النصارى وتشتيت كلمتهم بحيث بادت النصرانية عن آخرها وجاء بالعب مخزية وخرافات مردية حسبها النصارى دين المسيح جهلاً والمسيح منها بريء وحاشا لمثله أن يدعى لنفسه الألوهية او حل كل ما دب و درج من التبعة إلى القيل لان في ذلك اضرار عام للبشر و الشريعة الالهية منزّهة عنه مهما كانت الاضطراب و الاختلال في النصرانية من جهة العقائد و الاباحة المطلقة في الاعمال انما كانت من بولس اليهودى ولم يات من طريق العداوة إنما جاءهم من طريق الصداقة والمحبّة حتى لم تشك النصارى في قدسه وطهارته و بذلك تمكّن من خيائته و عداوته .

يقول الراهب أغستين ان الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد و يهزأون بهم في دور التمثيل فقد فقد الدين الرومى سلطانه الروحى على معتنقيه وبردت العاطفة الدينية في قلوب الناس و يظهر من التاريخ انه لم يكن للرومان ايمان راسخ في دينهم فان النظام الدينى الوثنى الخرافى الذى كان سائداً في رومية يقتضى بطبيعته الشك والضعف في الايمان فكلمة تقدّموا في العلم و تنوّرت افكارهم ازدادوا استخفافاً به وقد قضا من اوّل يوم ان الآلهة لا دخل لهم في السياسة وامور الدنيا وكانوا يقرأون ابياتاً في هذا المعنى في ادبيّاتهم و يصغى الناس بكل رغبة فلم يكن للدين تاثير في اخلاق الامّة لانه ما كان حاكماً على ارواحهم و ينبعث من اعماق قلوبهم بل كان تقليداً من التقاليد وقد اجاد العالم الامانى المسلم تمدّاد وصف الرومانيين^(١) وقال ان الفكرة التى كانت تسيطر على الامبراطورية الرومانية هي احتكار القوة لها واستغلال الامم الاخرى لمصلحة الوطن الرومى فقط لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من اى ظلم وقسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة، اما ما اشتهر من عدل الروم فلم يكن الا للروم فقط ان هذه السيرة لا يمكن ان تقوم إلا على ادراك ما دى محض للحياة و الحضارة وان كانت ما يتهم قد هذبت بدوق عقلي ولكنها بعيدة عن جميع القيم الروحانية ، ان الروم لم يدينوا بالدين جيداً أبداً .

(١) الاسلام على مفترق الطرق

كانت آلهتهم التقليديَّة محاكاة شاحبة لاساطير الاغريق وخرافاتهم ، وقد آمنوا بهذه الارواح محافظة على الرابطة الاجتماعيَّة التي كانت تربطهم وتوحدهم فلم يكونوا يسمحون لهذه الالهة بالتدخل في حياتهم العمليَّة . كان لها ان يأذنوا تتكهن بالغيب - اذا سئلت عن ذلك - على لسان الكهان - ولكن لم يحلوا لها أبداً . ان تقرض شرايع اخلاقيَّة على الناس و لما بلغت الدولة الروميَّة في القوَّة الحربيَّة و النفوذ السياسي أوجها و وصلت في الحضارة اقصى الدرجات هبطت في فساد الاخلاق و انحطاط إلى اسفل الدرجات ادرك الجمهور انه انكان هنالك شيء يستحق العبادة فهي القوَّة لانه بها يقدر الانسان ان ينال الثروة التي يجمعها اصحابها بعرق الجبين وكد اليمين و إذا غلب الانسان بقوَّة ساعده فحينئذ يملك قوت صاحبه و يمكن له ان يصادر الاموال و الاملاك و هاهنا حادثة عظيمة يجب ان يسجلها المورخ و ينوّه بها وهي اعتلاء النصرانيَّة عرش الوثنيَّة بجلوس قسطنطين الذي اعتنق النصرانية على سرير الاباطرة. و نالت ما لم تكن تحلم به من ملك عريض و دولة قويَّة و لما كان الفاتح توصل إلى الملك على جسر من اشلاء النصارى و انهار من دمائهم التي اُرِقت في النصر له و الذب عنه عرف لهم الجميل و بذل لهم وجهه و قلدهم مفاتيح ملكه - ولكنهم انتصروا في ساحة القتال و انكسروا في معترك الاديان ربحوا ملكاً عظيماً و خسروا ديناً جميلاً لان الوثنيَّة مسخت المسيحيَّة يقول درابر .

دخلت الوثنيَّة و الشرك في النصرانيَّة بتاثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة و مناصب عالية في الدولة الروميَّة بتظاهرهم بالنصرانية ولم يكونوا يحتفلون بامر الدين و لم يخلصوا له يوماً و نشأ من ذلك دين جديد تنجلي فيه النصرانيَّة و الوثنيَّة سواء بسواء و ان هذا الامبراطور الذي قضى عمره في الظلم و الفجور و كان عبداً للدنيا والذي لم تكن عقايد الدينيَّة تساوى شيئاً رأى لمصلحته الشخصية و لمصلحة الحزبين المتنافسين النصراني و الوثني ان يوحدهما و يؤلف بينهما حتى ان النصراني الراسخين أيضاً لم ينكروا عليه هذه الخطة و لعلمهم يعتقدون ان الديانة الجديدة ستزدهر إذا طمست و لفتحت بالعقايد الوثنيَّة القديمة و سيخلص الدين النصراني من ادناس الوثنيَّة و قديماً

قالوا وافق شن طبقه وهذا مثل عربي^١ وفي الفرس يقولون العسل و البطيخ توافقا
واليك هذه القصة اخذتها من كتاب (الصراع في الوجود) للعلامة العزيز المحترم
بولس سلامة .

زعموا انه كان في قرية مافتاة اسمها زهر و كانت على جانب عظيم من الدمامة .
إناجتمع لها فطس الأنف واحد يد اب الظهر ، و صلح الرأس . وكان في القرية لمقابلة
البعيدة مسخ قزم لثيم ، يربى على (زهر) دمامة ، حتى لا يقع النظر على أبشع منه
خلقاً و خلقاً و سعى احدهم لتزويجه منها وتمت الخطبة غيابياً . و ضرب موعد الزفاف
فذهب وفد العريس لجلب العروس ، و كان بين القريتين و ادعميق يتوسطه نهر فرافق
العريس إلى ضفة النهر وهي منتصف الطريق ، و لبث هناك منتظراً .

و لما خرجت العروس من بيت ابيها ، شيعها اهلها إلى طرف القرية شاكرين الله
على الصفة الرابعة ، يقيناً منهم بأنه ليس في الفتيات أقبح من زهر مهما يكن من شأن
صهرهم . وأخذوا يكررون على مسمع الوفد عبارات المبالغة و يردفونها : بورك لكم
بزهر و ضاعة بورك بوضيئة بورك لكم بوصيفة بورك لكم بريحانة ، و ضاق صدر أصحاب
العريس بهذا التهكم المبطئن فصاح بهم و يحكمم أتحسبون انكم غبتمونا (بزهر) فآه
لوعرقتم الذي على النهر .

التاريخ كالمصور الماهر ان فاتته دقائق من اصل الصورة لم يفته شكلها العمومي و
على هذا الوجه ابيسن للناس ان دوام الحال محال وان الحرب سجال . وان نوبة الغرب
هذه كانت بعد نواب . و نائبة الشرق كانت بعد نيل الرغائب . والمستقبل يعرف بالماضي و
هما اشبه من الماء بالماء فانعكاس الدورة معقول . و لكن زمنه مجهول . (سنة الله في
الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً فكما كانت شامخة وهوت واخرى كانت
في الحضيض و علت . ولكل دولة مجد تدعيه . و تجتهد في السعي إليه . ولا يزال ينبتنا
التاريخ عن مجد اليونان . و عزّة الرومان . و ملك فارس و تمدن مصر من قبل و ظهور
الاسلام من بعد بمدينته الغريزة وسرعتها المدهشة . و الحق ان لكل زمان دولة و تلك
أمم قد دخلت فلتنظر اليوم ما اصاب الشرق و اهله من الازلال و الإهانة . والخضوع و

الاستكانة لأعدة ولا عدد بل نصب و نكد . تعب كلها الحياة ، لا مال ولا جاه . تقاطع و تباعد . و تخاذل و تقاعد حسد و شقاق . و زبذبة و نفاق . كل ذلك أصله الجهل . وعدم تربية العقل و يتبع ذلك ترك العمل و الخلود إلى الكسل ثم يعقبه الحرص على المال و البعد عن موارد الكمال .

اما الغرب فقد بلغ متمناه . من الغز و الجاه و نزل في كل واد و مد يده بكل ناد لا يوقفه بحر ولا يعوقه نهر ، كأنه السيل او كسف من الليل . قد زلت له الصعاب و دانت له الرقاب و استأثر بالمنافع و استخلص لنفسه الخالص النافع و ترك لغيره القشور من الأمور حتى أصبحنا نعص أنامل الندم جذازاً و نقول بماذا حصلوا على هذا ؟ حصلوا بالعلم والعمل والنشاط والحزم ساروا و غيرهم قعد ، فوجدوا و غيرهم فقد ، عرفوا للعلم قيمة . و للعمل نتيجة بل عرفوا للمدارس غايتها و للمعارف بيجتها فاكثروا منها و ما تقاعدوا مدة عنها حتى شملت الكبير و الصغير و نفعت العظيم و الحقير . فسهل عندهم الاختراع و تيسرت لهم سبل الانتفاع فعمت العالم صناعاتهم و انتشرت في الدنيا بضاعتهم و هكذا يا حبذا . و من لنا بذا .

نعم الحرب سجال ، و الحق يقال . قد كان للشرق صولة و لاهله جولة ما بزغت شمس العلم إلا منه ولا صدرت رسل العدل إلا عنه ، قد كان مهبط الوحي واصل كل نبي مضي زمن وله السلطان و الجاه و الرأي ما يراه ، وهو الذي انقذ الغرب من ظلمة الكرب و هو تائه في مهامه الجهل و الوحشية متخبط في ظلمات الهمجية و البربرية فكان كالمعلم المؤدب و المرشد المهذب ارسل له اشعة من نور او جذوة من نار فار تجفت له الافئدة و شخصت له الابصار فاجمعوا امرهم بينهم . وهاجموه بخيلهم و رجلهم . واكثروا من العدد و العدد و نزحوا من كل بلد . و شنوا غارة شعواء . رجعوا منها بالعفاء و صاروا يهمسون ولا يتكلمون بعدان سجلوا على انفسهم في التاريخ ذلك التعصب و الصقوا بها عار الخيبة بعد ذلك التائب اللهم إلا ما عرفوه من حرية الفكر و خلاص العقول من الأسر و ذلك اول سعدهم و أعظم حاد حدايهم كل ذلك و الشرق في مجده مستتير بطالع سعده ثم ما زجرى ياترى ثمل هولاء بخمر الانتصار ، واتقد اولئك بجمر الاضطرار

و الحاجة ام العمل وقيمة كل امرىء ما عمل . فالشرق أخذ ونام ، و الغرب نشط وقام فأخذ العلم هنا يتقهر و هناك أخذ يزهر ويزهر فتحوّل الطالع و تغيّرت المطالع . و طلعت الشمس من المغرب و أظهر للناس ما يدهش و يعجب هكذا الامر جرى حتى وصلوا إلى ماترى ووصلنا إلى مايرى .

و لكن في النفوس آمال و هل يدوم على حالة حال نعم وصل الشرق في الجهل إلى حال مضر ، و لكنّه نحس غير مستمرّ تبشّرنا بوادر الحال بحسن الاستقبال عواطف جديدة و همم شديدة كأننا تيقظنا اليوم من ذلك النّوم فقد علم للعلم قدره و للعمل فخره بعديات طويل . كثر فيه علينا القال و القيل فمن قائل يقول أهل الشرق وسط بين الانعام و الانسان و قائل يستحيل عليهم التقدم في اي ميدان إنّه لحكم حق و قول صدق مادام المثرى شديد الحرص على ماله و العالم مكثفياً بشقاشق مقاله .

و ما ذا يقولون و قد جاد الرجال بالمال و بذلوا النفيس و الغال لتربية الاطفال عن همة و روية و غيره و هميّة قد علموا ان التربية حلى الجمال و اساس الكمال بل هي منبع الفضائل و مطلب كل عاقل و هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون و الشاعر يقول و ليس سواء عالم و جهول ، العلم سمير في الخلوة و معين على البلوى بل هو عدّة في البلاء و معونة على الاعداء و سعادة الدّين و الدنيا و به الحياة الحقيقية و الدرجة العليا ان لا تتمّ بغير العلم عبادة و لا طاعة و لا تحسن بسواء تجارة و لا صناعة فهو منار الهدى و علم به يهتدى و ليس المرء يولد عالماً و لا يشبّ الطفل مقوماً بل يحتاج إلى التربية و التهذيب و التقويم و التأديب فالعاقل من يرّى ابنه صغيراً لينتفع به كبيراً و يلبسه من العلم حلالاً فينشأ رجلاً معتدلاً . ينفع نفسه و اصله و وطنه و أهله و ماذا يقولون فقد قام نبيننا الأظم قيام الشمس في العالم و ظهر برنامجه للعرب و العجم و قرء باسم ربه الاكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم طلع نور العلم في الشرق و اطلّع قومنا فاستنار لانّ هذا القرآن يهتدى للتي هي أقوم و قديماً قالوا انّ العلم و الدّين فوق الوطن و لذا لا وطن لهما لا سيّما الاسلام دين العلم و العقل دين الدليل و البرهان و هذا غير قابل للانكار حتى للمخالفين إنّ ايران كان مهداً للحضارة و التمدّن و لهذا سبق الملل

واعتنق الاسلام و نقول كما قلنا في كتبنا الفارسية أخذوا القرآن صميمه و من اهله فكل من سمع قول الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام و من يتبع غير الاسلام دنيا فلن يقبل منه و آمن بان الاسلام خير الاديان و دين القرآن هو الحق و غيره ضلال فالاسلام دين العقل و الفطرة و دين الطبيعة و الفكرة لا وطن له ولا نسب كما قال سيدنا علي عليه السلام لا تفاخروا بالاباء فالعاقل من كان يومه خيراً من امسه .

ساعة الدهر تفرع أيها الصاحب فاسمعوا كل يوم أضعتم راحل ليس يرجع ان الله يقول يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم و قال انما المؤمنون اخوة و قال نبينا الاعظم ﷺ لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى و يقول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليتته! ظن بعض العرب انهم حماة الاسلام و حملة الدين و ان عليهم دعوة الناس كافة ليتخلوا عن افكارهم القديمة و ليتحلوا بمبادئ الاسلام و شعائره القويمة ظفروا بفارس و ايران و دكوا عرشها و انتصروا على الروم و هزموا جيشها و استولوا على كثير مما في ايديهما و الخلاصة انهم رأوا ان السيادة و الامبراطوريه في العالم كانت للفرس و الروم و انتقلت فجأة اليهم و ان هؤلاء الفرس الذين كان العرب بالامس يخشون بأسهم فاصبحوا تحت حكمهم و هؤلاء الروم الذين كان العرب يتمنون ان يفتحوا لهم باب الشام و مصر ليتاجروا فيها قد هزموا و فروا امامهم الى عقر دارهم . كل هذا رفع من نفسية العرب و غلا كثير منهم في ذلك ظنوا ان الدم الذي يجري في عروقهم دم ممتاز ليس من جنس دم الفرس و الروم و تملكهم هذا الشعور بالسيادة و العظمة . فنظروا الى غيرهم من الامم نظرة السيد الى المسود و هذا كما يقول بعض المستشرقين هو الفارق بين العربي قبل الاسلام و بعده اى ان العربي بعد ظهور الدعوة كان السماء قد ارسلته الى هذه الارض ليملك كل ما عليها و ليمتع ناظره بجمالها و لينعم باطايبها فانها شهية لذينة و مطلوبة بالغريزة و ليعبر عن جمالها بشعره فهو يقول عن الجوزة :

و مطبقة الفقيين احسن ما يرى

ويقول عن اداء الرسالة الغرام :

تكلم مناً في الوجوه عيوننا

فنحن سكوت و الهوى يتكلم

وإذا اراد الشراب قال :

اشرب على السوسن الغض الذي نعما وياكر الانس والورد الذي نجما

وفي التاريخ الاسلامي امثلة على هذه تعد بالالوف - ان حياة الانسان تتغلغل في عالم الاشياء المحيطة به ، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذا العالم المرئي المحسوس عن طريق الحواس فاذا صدقت الحواس في نقلها التأثيرات الى العقل وصدق العقل في أحكامه واعتدلت الارادة في شهواتها تولد عن هذه الغريزة و الصفة الاصلية كثير من الصفات الفرعية الرفيعة كالشرف والكرم والصدق والشجاعة والعدالة والالفة والمودة وسائر الصفات الحسنة التي فيها راحة الانسان منفرداً ومجتمعاً وبخلاف ذلك اذا انخدعت الحواس في نقلها وكذب العقل في حكمه وضلت الارادة في شهواتها فيتولد منها ملكات رديّة وصفات قبيحة واخلاق رذيلة ودينية كالدنائة والكبر والكذب والجبن والظلم والاستبداد وسائر الصفات الرديّة المخربة للاجتماع انظر الى الكبرياء والشرف فهما صفتان متولدتان عن محبة الذات اوليهما زميمة ناشية من الجهل والثاني من أحسن الصفات ومتولدة عن اتحاد محبة الذات بالعلم ما الفرق بينهما ؟ ولما ذاتبت هذه في الكرايم وتلك في الذمايم ؟ بم صار احدهما من الفضائل والاخرى من الرذائل ؟ ان الشريف يحب نفسه ما يحبه لغيره ويكره لغيره ما يكرهه لنفسه ، لما كان الشرف واحترام الذات محبوباً ومطلوباً بالذات ولا يرضى الشريف بان توهن نفسه وتمس كرامته ويصغر شأنه وشخصه يحترم النفوس ولا يقول ولا يفعل ما يهد إهانة ويؤذي نفساً ويمس كرامة كيف لا وان له جسماً ونفساً يشترك مع سائر الأجسام والارواح فكما أنه يتألم من الأذى ولا يرضى إلا باحترام نفسه وشخصه كذلك سائر النفوس وذوات الارواح ولذا يكرم الناس ويحب النوع ويحترم البشر فحب الذات يحمله على حب النوع والاحترام نفسه يسوقه إلى احترام غيره فصاحب هذه الفكرة الصائبة ومن له هذه الفطرة السليمة يسمي شريفاً و كريماً ويعبر عن أنانيته وحب ذاته بالكرم والشرف وأما الآخر فراكب مركب النقص وهو صاحب الرذيلة لأنه يريد احترام نفسه باحتقار غيره فالغاية واحدة في الامرين كما قلنا وهي الأنايية واحترام الذات إلا ان طريق الحصول والوصول مختلف و

هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف العلم بالأسباب و الوسائط فلو علم صاحب الكبرياء ان الطريق الذي يسلكه في احترام نفسه هو السبيل المحقّر لعدل عند إلى احسن منه لأن " محبة الذات لا يجوز ان يسلك السبيل الذي يؤدّي الى مالا يسرها كما ان صاحب الاستبداد لو علم ان استبداده لا يأتي عليه بما تتمناه محبة ذاته لما صبر عليه دقيقة وكما ان صاحب الرياء لو علم انه يوجد سبيل آخر غير ريائه لاستحصال رضي سيده لعدل الى الصداقة و خلوص النية واستعمال الحرية في تأدية خدمته ولذا كان سلطان الرياء قوياً جداً حيثما قوى الاستبداد متمتعاً بما يمكن تحصيله من خيرات ! الظلم ! ومن لم يتدّرع بهذه الصفات بل لبث مصرّاً على الصدق و خلوص النية واستعمال الحرية ليس له ان يطمع بالتقرّب من المستبدين بل عليه ان يتبعدهم ما أمكن قبل ان يبعده و له لان صفاته لا تحسن في اعينهم ولا ترجع عليه إلا بالوبال .

و الانسان الذي لم تهذب به التجارب ولم تتوسع دائرة عقله العلوم الصحيحة إلا ما كان قريب الغاية و يحسب ان سعاده قائمة باسباب لا تعدّاه ولا يمكن ان يتأتّى له مع سعادة سواه بل بخلاف ذلك قديظن ان سعادة غيره تعود عليه بالشقاء فيسعى في تحصيل سعاده بمضادة غيره و هذا ناتج عن جهله الاسباب و الوسائل التي تمكّنه من تحصيل السعادة والحصول إلى المطلوب على سبيل العادة فاذا زاد اختباره وكثرت معارفه رأي في الانضمام و التعاون واشتراك المصالح مزايا اخرى تفيد و لا توجد له منفرداً فتنتقل من محبة الفردية إلى حب البشرية نعم كانوا يقولون عدو المرء من يعمل عمله و في عهدنا يقبلون أن عون المرء من يعمل عمله فالرجل المتمدن هو جزء من كل وقيمه تتوقف على صلته بالكل وذلك الكل هو النظام الاجتماعي . ماهي قيمة الرجل للاخرين اذا كان سعيه وعمله قاصرا على نفع ذاته .

مر كسرى على رجل كهل قد اشتعل رأسه شيباً بلغ أوجاوز الثمانين .

ان الثمانين و بلغتها قد احوجت سمعي إلى ترجمان

ينغرس شجراً يثمر بعد زمن طويل فقال له يا هذا انك قد بلغت من العمر ما بلغت فهل ترجو ان تدرك الثمر و تأكل من ثمر ما تنغرس فقال له يا بني قد زرع لنا آباءنا فأكلناه

ونحن نزرع لآبائنا لياكلوا من بعدنا فسر المملك من جوابه وقال زه بمعنى أحسنت وامر له بصلة مبلغها الف دينار فضحك الشيخ وقال قد اثمرت هذه الشجرة الطيبة في الساعة ثمراً طيباً بما وصلنتني به وانتفعت به في حياتي فقال كسرى زه^(١) فوصله ثانياً فاخذ ألفين وضحك حتى استلقى على ظهره فسأله كسرى ممّ تضحك قال انها شجرة طيبة اثمرت مرتين في ساعة واحدة فمضى كسرى ولم يتكلم بشيء فقالوا له ان هذه اللطيفة أحسن من سابقته صواباً لما ذا لم تحر جواباً ومضيت عنه فاجاب بأنى رأيت زخارفي معدودة ومعارف الشيخ محمودة وغير محدودة فالسكوت احجى والذّهاب اولى هلموا بنا فقد القى الشيخ علينا درساً نافعاً ينبغي لنا أن نستفيد منه دائماً في حياتنا فالعاقل من يعمل العمل المفيد لآته في نفسه مفيد ولو لم ينتظر منه فائدة لنفسه .

وفي القرآن الشريف سورة موسومة بسورة الانسان ولها اسمان آخران ولكن كما قلت في بعض كتبي بالفارسيّة تسمى سورة هل اتى او الدهر ولكن الذوق القرآني يقتضى ان نسميه سورة الانسان لانها تصوّرنا بصورة الانسان و يعلمنا درساً اذا عملنا به نكون انساناً ففيها قصة يكون بطل القصة امير المؤمنين عليه السلام هو واهل بيته يوثرون المسكين واليتيم والاسير على انفسهم ثلاثة أيام متوالية يبيتون على الجوع و يصومون ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و اسيراً . و يقول الله عز وجل انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً .

ان الله تعالى اختار رسوله الأمين محمداً ليبلغ دينه إلى الناس كافة فالدين الاسلامي هو دين الانسانية و الاسلام العالمى لا دين العربى او العجمى و ان من اكبر قواعده

(١) قال عمر بن عبد العزيز فى بعض اسفاره لرياح بن المغترف غنى فغنى

أتعرف رسماً كالطراز المذاهب لعمرة قفراً غير موقف راكب

فقال له عمر اجدت بارك الله عليك فقال المغنى يا امير . . . او قلت زه كان أعجب إلى قال وما زه قال كلمة كان كسرى إذا قالها اعطى من قالها له الف دينار قال ان شئت ان اقولها لك فعلت فاما اعطاء الف دينار بل الف درهم فلا يجوز اى من أموال المسلمين قال فبعضها من مالك فاعطاه أربع مائة درهم .

الديمقراطية انه لم يجعل الفضل للجنسية بل جعله للعمل الصالح المنتج فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال الرسول ﷺ خير الناس انفعهم للناس الاسلام هو الدستور البشرى السليم الذي يعطى كل ذي حق حقه ولا يبغض الناس اشياءهم .

نحن نرتبط مع جيراننا من الأمم الاسلامية بروابط كثيرة منها رباط اللغة و الدين فيجب ان نحرس عليهما اشد الحرس ونعمل على تمكين هذه الروابط وتوثيق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بيننا وبين الامم الشرقية كافة والاسلامية منها خاصة . ان الايران من العالم الاسلامي القلب النابض والرأس المفكر والعراق وسوريا ولبنان وباكستان و افغانستان و طرابلس و تونس و الجزائر و مرآكش وما إليها اليد اليمنى و التركية وما إليها يده اليسرى فيجب ان لا يشغل إيران حالها عن احوال جيرانها فانهم حصونها الطبيعية المكيئة وان كل عدوان على اى بلد اسلامي عدوان علينا فيجب ان نخذر سياسة الغاصبين المستعمرين و هي سياسة التمييز و التفريق و قيام الحوائل الجنسية و القومية بين المسلمين خصوصاً و الشرقيين عموماً ليشغل كل منهم بنفسه فيدوم إنزالهم و خضوعهم كما كانت سياسة الخائنة الاموية شمخت العنصرية العائلية و القبليّة و القومية على نحو يصرّفهم عن الاسلام فاذا القيسى غير اليمنى في الحقوق و العربي غير العجمي و لقد كثر المترهلون المقرّبون الذين ياكلون ولا يعملون او الذين ينعم عليهم البيت المالك بالوظائف الاسميّة فيفرغ في جيوبهم اموال العامّة و يثيبهم على غير جهد فراحوا ينهبون بيوت المال نهباً و يوسعون لحاشيتهم في كل ملك و كل مال و على ايديهم انهارت قواعد العدل العلوى او الاسلامي و خلقت في المجتمع الطبقيّة الغاشمة فاشرى قوم و جاع آخرون و استبدت فئة و ظلمت فئات ففيما كان في الناس من لا يأكل الرغيف كان احد ملوك بنى امية يهب اثني عشر الف دينار لمعبد لان تنعم معبد يرضيه و فيما كان الناس يطمحون لان يعيشوا احراراً كان من العبيد و الارقاء قبيل خلافة سليمان بن عبد الملك عشرات الألو فاعلّة في الفرد و الملة واحدة و هو الجهل إذا نحن لم نستفد من التاريخ ما نقابل به بين الماضي و الحاضر ليكون ذلك عبرة لنا فكاننا لم ندرس التاريخ ان جماعة النخاسين و الذين ملكوا عدداً غيراً من العبيد

الارقاء في الولايات الامير يكية الجنوبية قبل تطوُّع لنكون لن إلى تحرير الارقاء و الغاء النخاسة ارادوا ان يضمنوا بقاء اولئك الارقاء في خدمتهم وتحت تصرفهم المطلق. ارادوا ان يرضى العبيد بعبوديتهم وان يستعبدوهم واولادهم واحفادهم من بعدهم فيكونوا آلات عاملة لفايدة سادتهم . ليكونوا ارقاء إلى الابد لا ارادة لهم ولا هممة ولا أمل .

ماذا فعلوا قرروا ان يعدّ مجرماً ويعاقب عقاب مجرم كل من يعلم عبداً القراءة ، علموا ان الانسان يبقى جاهلاً ، علموا ان الانسان لا يقدر ان يصبر على العبودية والرق متى تعلم ، علموا ان عظمة الامة تتوقف على معدّل القوة العقلية في افرادها وهذه القوة تتوقف مطلقاً على التعليم ، علموا ان المدارس العمومية اهم عامل في كل بلاد لرقيتها وانها محل رياضة للعقول وان الاساتذة هم اعظم الوطنيين مكانة و اخلاصاً لانهم يقدمون للوطن رجالا اكفاء لاهم لهم إلا رفع شأن الوطن بتحكيم الوحدة وتحطيم.

قاعدة فرق تسد : التي هي من وصايا الحكيم اليوناني ارسطو للاسكندر حينما تغلب على الممالك الفارسية قبل الميلاذ وقتل (دارا) واركان الأكاسرة وهم بقتل الرؤساء الباقين عن بكرة ابيهم فمنعه ارسطو و اشار عليه بتقسيم تلك البلاد إلى عشرين مقاطعة وتمليك عشرين ملكاً من اولئك الرؤساء عليها فقبل الاسكندر وصيته وهم المسمون بملوك الطوايف الاولى فتجزأت قواتهم و لم يجتمعوا على المصلحة العامة وبذلك أمن الاسكندر من غائلة الانتقام واستمر الحال في البلاد الفارسية على هذا المنوال بتنازعهم خلف عن سلف زهاء خمسمائة عام حتى قام اردشير بابك من احفاد ساسان فخلص الممالك الايرانية من ملوك الطوائف المختلفين وجدّد عهد الاكاسرة .

المجوسية ديانة تمثل احلام الروح الارية التي تستهويها مناظر الطبيعة وتخلبها فنون الكائنات ، كما انها ديانة رمزية اي ترمز إلى المعاني والفضائل من طريق قريب إلى فهم الانسان و تقوم على فكرة الخير و الشر ثم مضت في الرمز إلى ابعد من هذا فاتخذت النار رمزاً للضوء والضوء رمزاً للخير وبتعبير آخر قالت ان النور من الشمس و الشمس من النار فاصل النور اذن هي النار فرمزوا بها عن الخير واتصلت ببلاد العرب من الجهة الشرقية فقد وجدت في قبائل هجر و قبائل البحرين و كتاب افستالزرادشت

عرفه العرب عن قرب فقد نقل اليهم وتأثروا به الى حد ما .

وكذلك الصابئة هي ديانة بابلية بقيت بعد زواء ينبوعها الاقدم اجيالاً طويلاً ، و تقوم على عبادة الاجرام السماوية وتسند إليها القدرة على تسيير الناس انتقلت الى بلاد اليمن من اقدم الدهر وقصة بلقيس في القرآن شاهد على انها كانت الدين الرسمي او القومي في دور من ادوار التاريخ القديم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس، ولعل التسمية بعبد شمس التي كانت شائعة عند العرب تدلنا على مبلغ سيطرة تلك الديانة العتيقة كعقيدة وعلى درجة رسوخ اصباغها كمراسيم وطقوس^(١) وجميع اهل الممالك يعترفون للفرس و يقرّون لهم بالرئاسة وحسن التملك و تدبير الحروب ودقيق الألوان وتأليف الطعام والطب واللباس وترتيب الاعمال و وضع الأشياء مواضعها والترتيل والخطابة و وفور العقل وتمام النظافة والشكل وهيبه الملوك هذا كلّه لهم فيه السبق .

ومن كتب سيرتهم استعمال من جاء من بعدهم من رسوم الملك وتدبير الرئاسة و أمرهم اشهر من أن يستقصى في هذا المكان والعدل الاسلامي ناطق بفضلهم .

مجلس الاعرابي و العجمي بحضرة أبي عبدالله قال العجمي للعربي انا افضل منك وفضلي عليك بين في كتاب الله فقال العربي اين هذا قال ولو نزلنا على بعض الأعجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين وقد نزل عليكم فآمننا به فسكت العربي و دخل العجمي إلى أبي عبدالله فقال له يا فلان فيم كنتم قال كنا في كذا وكذا قال خصمته ثم قال أفلا أزيدك قال بلى جعلت فداك قال ان الله يقول فان يكفر بها هؤلاء ، يعني العرب ، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين ، يعني العجم ، ثم قال ألا أزيدك قلت بلى جعلت فداك قال فان الله عز وجل يقول وان تتولوا (يامعشر العرب) يستبدل قوماً غيركم (يعني العجم) ثم لا يكونوا امثالكم ، ثم قال ابو عبد الله لا يزال الدين ذليلاً ما عزت العرب !

وقال رسول الله يا جويبر ان الله قد وضع بالإسلام من كان بالجاهليه شريفاً و

(١) علايلي في المحلث الثاني من سهو المعنى في سمو الذات . (تاريخ الحسين)

(٢) ص ٧٨ اخبار الزمان مسعودي

(٣) التراث العربي (٩) ص ١١٣ - ١١٢ طبع كويت .

شرف بالاسلام من كان في الجاهلية وضعياً واعز بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً وازهد بالاسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفآخرها بعشايرها وباسق انسابها فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم وقريشهم وعريتهم وعجميهم من آدم و آدم خلقه الله من طين ان أحب الناس الى الله أطوعهم له وأتقاهم وما اعلم يا جووير لاحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلا لمن كان اتقى لله منك واطوع وهذا الحديث أطول من هذا الذي نقلنا قد أخذنا طرفاً منه .

وقال النبي ﷺ لا تسبوا فارساً فما سبه احد إلا انتقم الله منه عاجلاً واجلاً وحضر عند النبي ﷺ مجوسي حسن الهيئة وضيء الوجه فجعل تحته وسادة حشوها قزاً واكرمه فلما نهض قال بعضهم هذا مجوسي قال قد علمت ولكن أمرني جبرئيل ان اكرم كريم كل قوم .

قال سليمان بن عبد الملك عجباً من هذه الاعاجم احتجنا اليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا .

لعمرك ما الانسان الابدينه فلا تترك التقوى اتكالا على الحساب
فقد زين الايمان سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبالهب

وتأثير ادب الفارسي في ادب العرب اكبر و اظهر من تأثير ادب اليونان و الروم فيه لان اليونان و الرومان لم يدخلوا في الدين ولا في العربية حتى يكون تأثيرهم مباشراً بل ظلوا مستقلين غير متصلين إلا بمقدار الصلات الاقتصادية .

و العرب لقرب عهدهم بالبداوة وجهلهم باللغات واشتغالهم بالفتوح والخصومات وتعصبهم لآدابهم ام يفكروا في نقل شيء من ادب هؤلاء واولئك .

و أمّا الفرس فقد اتقلوا إلى العرب ذاتاً ومعنىً ووطنياً ، فاندمجوا فيهم وامتزجوا بهم و آثروا بأنفسهم في دينهم و لغتهم من غير طلب ولا واسطة و انصرف العرب إلى سياسة الملك و قيادة الجند واقصوا عنهما الفرس فعكف هؤلاء على تحصيل العلوم الشرعية و اكتساب الفنون الادبية فكان منهم رواة الحديث و حملة الفقه و كتبة الدواوين وقالة الشعر و علماء النحو و اللغة و لذلك قال ابو هلال العسكري من تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى و كان

عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها إلى اللسان العربي وقد ألف الجاحظ رسالة في فضل الموالي وعدد مناقبهم .

موسى الاسوارى وعمرو بن قائد الاسوارى ، و كان أوّلهما من أعاجيب الدنيا فكانت فصاحته بالفارسيّة في وزن فصاحته بالعربيّة وكان يجلس في مجلسه المشهور ، و يقعد العرب عن يمينه و الفرس عن يساره ثم يقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها بالعربيّة للعرب ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسيّة . فلا يدرى باى اللسانين هو أين يقول الجاحظ و اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبها إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الاسوارى اما عمرو بن قائد الاسوارى فكان يفصل في التفسير حتى انه قص ستاً و ثلاثين سنة ، فابتدء بتفسير سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتى مات لانه كان حافظاً للسير و لوجوه التاويلات فر بما كان كان يفسر الآية الواحدة في عدة اسابيع من ادب المورخ و الكاتب ألا يفضي على الحوادث عقيدته الخاصة و انما يذكرها كما حدثت و يذكر البواعث عليها و يدع الحكم فيها ولكن الكاتب لا يلتزم هذا الادب بل الادب عنده سب الشيعة و شتم الفرس يقول أمينهم في فجره ! و الحق ان التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من اراد هدم الاسلام لعداوة او حقد و من كان يريد إدخال تعاليم آباءه من يهوديّة و نصرانيّة و زردشتيّة و هندية و من كان يريد استقلال بلاده و الخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت اهواءهم قال العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

ان من يريد ان يكتب في موضوع يلزم عليه أولاً ان يستحضر العدة الكافية و يستقصى استقصاء التام حتى لو ان رجلاً في اقاصى الصين كتب عن الشيعة في هذا العصر لا يكتب و الحق ان التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من اراد هدم الاسلام (نعم القوم لا علم لهم من الشيعة بشيء و يكتبون عنهم كل شيء) لعداوة أو حقد ، و من يريد إدخال تعاليم آباءه من يهودية و نصرانية و زردشتية فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة و قال الشيعة ان النار محرمة على الشيعة الا قليلاً كما قال اليهود لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة ، و النصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم ان نسبة الامام إلى الله كنسبة

المسيح إليه وقالوا ان الالهوت اتحد بالناسوت و تحت التشيع ظهر القول بتناسخ
الارواح وتجسيم الله و الحلول و نحو ذلك من الاقوال التي كانت معروفة عند البراهمة
والفلاسفة و الملحوس و هنا يقول العلامة كاشف الغطاء .

لولا محافظتنا على مياه الصفا ان لاتعكر و نيران البغضاء ان لا تتسعر وان تنطبق
علينا فلسفة القائل .

لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
لعرّفناه من الذي يريد هدم الاسلام و تخريب قواعده بمعاول التقطيع والتفرقة
و لكننا نريد ان نسأل من ذلك الكاتب (١) أي طبقات الشيعة اراد هدم الاسلام .
الطبقه لاولى هم اعيان الصحابة و ابرارهم كسلمان و ابي ذر و المقداد و عمّار
و خزيمه ذو الشهادتين و ابن التيهان و حذيفة اليمان و الزبير و الفضل بن العباس و
اخوه الحبر عبدالله بن عباس و هاشم بن عتبة المر قال و ابو أيّوب الانصاري و أبان و
اخوه خالد إبننا سعيد بن العاص الأموي و ابي بن كعب سيّد القراء و انس بن الحرث
الذي سمع من الرسول ان ابني الحسين يقتل في ارض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم
فلينصره فخرج انس و قتل مع الحسين (كما في الاصابة و الاستيعاب) و لو اردت ان اعد
الشيعة من الصحابة و اثبات تشيعهم من نفس كتب السنة لا حتجت إلى كتاب ضخّم و قد
كفاني مؤنة هذا علماء الشيعة راجع الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة للسيد عليخان
صاحب السلافة و طراز اللغة الذي هو انفس كتب اللغة و قال العلامة مَجْرُ الحسین آل كاشف
الغطاء رضوان الله عليه اني جمعت ما وجدته في كتب تراجم الصحابة كالاصابة و اسد الغابة
و الاستيعاب و نظائرهما من الصحابة زهاء ثلثمائة رجل من عظماء الصحابة من غير بني هاشم
كحمزة و جعفر و عقيل بل عثمان بن حنيف و سهل بن حنيف و ابي سعيد الخدري و
قيس بن سعد بن عبادة رئيس الانصار و بريدة و البراء بن مالك و خبّاب بن الارت و
رفاعة بن مالك الانصاري و هند بن ابي هالة و جعدة بن هيرة المخزومي و بلال بن رباح
المؤذن و لكن ما درى أهولاء كانوا ارادوا هدم الاسلام ام امامهم و سيّدهم امام الشيعة
و اخو النبي علي بن ابيطالب الذي يشهد الثقلان انه لولا سيفه و مواقفه في بدر و احد و

حنين و الأحزاب لما اخضر للاسلام عود و ما قام للدين عمود حتى قال احد العلماء من المعتزلة ولا يخفى على القارى أنني لست إلا الناقل والراوى .

الا انما الاسلام لولا حسامه كعقطة عنز او قلامة ظافر

نعم لولا حسامه و موافقه بعد الهجرة و حماية ابيه قبل الهجرة هذا في المدنية و هذا في مكة لقضت قريش و ذؤبان العرب على الاسلام في مهده و خنقته و هو في حجر امه و لكن جزاء ابي طالب من المسلمين ان يحكموا بانه مات كافراً اما ابوسفيان الذي ما قامت راية حرب على النبي الا و هوسائقها و قائدها و ناعقها و الذي اظهر الاسلام كرها و ما زال يبطن بكفره و عدائه للاسلام هذا بحكم المسلمين مات مسلماً و ابوطالب مات كافراً ! انتهى قد اشرنا الى قول بعض المستأجرين و صرنا باننا من الخائنين المعروفين في الأدب و الدين و العجب أنه وصف بالجنانية في مصره على لسان زكى مبارك شريك عصره . و يقول بل يتقول و مما كان يتصل بعقائد الفرس الدينية و كان له اثر في بعض المسلمين انهم كانوا ينظرون الى ملوكهم كأئمة الهبة اصطفاهم الله للحكم بين الناس و خصهم بالسيادة و ايدهم بروح منه فهم ظل الله في ارضه ، اقامهم على مصالح عباده . و ليس للناس قبلهم حقوق و للملوك على الناس السمع و الطاعة - و هو معنى يشبه ما عرف في اروبا بنظرية (الحق الالهى) و سادت فيها في القرنين السادس عشر و السابع عشر و يقول الاستاذ (برون) لم تعتنق نظرية الحق الالهى بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الملوك الساسانية و قد كان الأكاسرة يزعمون ان لهم الحق و حدهم ان يلبسوا تاج الملك بما يجرى في عروقهم من دم الهى و من هنا نعلم ان اولى الأمر هم ذوو القدرة و السلطة .

و يستدل الاستاذ نولدكه على اعتناق الفرس لهذه النظرية بحكاية وردت في كتاب الأخبار الطوال و هي ان بهرام جوبين لم يكن من بيت الملك و قد طلب الملك و حارب كسرى أبرويز فهزمه كسرى فهرب ، مر في طريقه بقرية فنزلها في اصحاب له و نزلوا في بيت عجوز فاخرجوا طعاماً لهم فتعشوا و اطعموا فضلته العجوز ثم أخرجوا شرا باً فقال بهرام للعجوز ما عندك شيء نشرب فيه ؟ قالت عندي قرعة صغيرة فاتمهم بها فجبوا راسها و جعلوا يشربون فيها ثم أخرجوا نقلاً ، و قالوا للعجوز أما عندك شيء يجعل عليه

النقل؟ فأتتهم بمنسف^(١) فآلقوا فيه ذلك النقل فأمر بهرام فسقيت العجوز ثم قال لها - ما عندك من الخبر أيتها العجوز؟ قالت الخبر عندي ان كسرى أقبل بجيش من الروم فحارب بهرام فغلبه واسترد منه ملكه قال فما قولك في بهرام؟ قالت: جاهل احمق يدعى الملك وليس من اهل بيت المملكة فقال بهرام ولهذا يشرب في القرع ويتنقل من منسف فجرى مثلاً في العجم يتمثلون به .

فالآن استمعوا من أم العروس تستر بعض الفرس وحاربوا الدولة الاموية: وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم ثم نقل عن المقريزي واعلم ان السبب في خروج اكثر الطوائف عن ديانة الاسلام . ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث انهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد وكانوا يعدون ساير الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدي العرب وكان العرب عند الفرس اقل الامم خطراً . تعاضمهم الأمر وتضاعف لديهم المصيبة . وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله الحق .. فرأوا ان كيده على الحيلة انجع فآظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا اهل التشيع باظهار محبة اهل البيت واستشباع ظلم علي ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى اخرجوه عن طريق الهدى أقول ما أقل حياءك وأصلب وجهك إنما اشكو بشى وحزنى إلى الله .

قل لمن مل هوانا وتولّى وجفانا
و لمن أعرض عنا بعد ما كنا وكانا
من تبدلت علينا ومن اخترت سوانا
نحن لاندرى انك بهم اخترت فلانا وفلانا
نحن لانعجل بالآخذ على عبد عصانا
قل لنا اي قبيح قد جرى منا و بانا
كم تتبعنا مراضيك ولم تتبع رضانا
كم دعوناك الينا وعلينا تتوانا
كم امرناك وخالفت هوانا في هوانا
هكذا الحر المواني هكذا كان جزانا
ثم خرج من جلده وعرف استاذة فلها وزن فانّه ذهب إلى ان العقيدة الشيعية
نبعت من اليهودية اكثر مما نبعت من الفارسية مستدلاً بأن مؤسسها عبد الله بن سبا^(٢)

(١) كمنبر الغربال الكبير .

(٢) رجل مصنوع مخلوق افكارا ساذجة الخائنين بالاسلام و صار هذا المدبر مدير اذاعتهم

وناشر أفكارهم و امينهم .

ويميل استأذنه الآخر دوزى إلى ان أساسها فارسي فالعرب تدين بالحرية و الفرس بالملك و لا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات محمد ولم يترك ولداً فاولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب فمن أخذ الخلافة منه كابي بكر وعمر وعثمان والامويين فقد اغتصبها من مستحقها وقد اعتاد الفرس ان ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى الهى فنظروا هذا النظر نفسه الى علي وذرئته وقالوا ان طاعة الامام اوّل واجب وان اطاعته اطاعة الله و لعلك مللت أيها القارى ولعلى ضللت بنقل الترهّات .

قيل ان مجرماً تقدّم إلى منبر التوبة واخذ يسرد خطاياہ . فقال يا ابا نا لقد قطعت الطريق السالبة . فقتلت خمسة رجال و سلبتهم مالهم . ولكن هذه خطيئة بسيطة لاتعلق على خنصري ثم احرقت بيتاً بما فيه . وفي جملة المحروقات ثلاثة أطفال ، ولكن هذه ايضاً لاتعلق على خنصري .

ثم هاجمت ابنة منفردة في الحقل و كانت ترعى بقرة أبيها فافترعها بالجبر ولكن هذه ايضاً بسيطة لاتعلق على خنصري . وتابع الرجل سرد أمثال هذه الواقعات معقّباً على كل منها بعبارة لاتعلق على خنصري . و بعد ان تعب من السرد ، و تعب الكاهن من استكشاف تلك الحياة الزاخرة بالفضائل . . . اعطاه الكاهن الحلّة و غادر كرسي الاعتراف . فلما توسطت الكنيسة لحق به المجرم و قال يا ابا نا نسيت خطيئة لم أبح بها فقال وما هي أجاب لقد اكلت لحماني أثناء الصوم فقال يا بني اذا كانت الخطايا الباهظة لم تعلق على خنصرك فهذه لاتعلق على رجلى اذهب بسلام .

للنهار عين واحدة و هى الشمس انما لليل الوف الالوف من العيون للجسد عينان انما للعقل الف عين قد يحلّ ظلام حالك على عيون العقل فيثقل نظامه و تبقى عين الجسد تنظران ما حولهما وقد تنزل ظلمة ابدية على عيني الجسد فتبقى عيون العقل على حالها بل قد تزداد قوتها اضعافاً فتخرق حجب الظلام الكثيفة وترى من عجائب هذا الكون ما لا يراه الفلكي الحاد البصر ولا النسر المحلق في اعلى طبقات الجو ان الناس يزعمون ان حياة الاعمى هى حياة ظلام دامس و كآبة مستديمة يقولون هل لمن فقد

بصره من ينابيع فرح يروى منها غليله ؟ وهم في هذا وذاك واهمون .
 الدنيا مرآة إذا نظرت فيها وانت مكفهر الوجه وجدت نفسك عابساً وإذا ضحكت
 رأيت نفسك ضاحكاً فمبعث السعادة انت وانت مبعث الشقاء فلا تلومن الدهر إذا كنت
 ساخطاً فاين الدهر ومتى كان هناك دهر ومن هو هذا الدهر قال النبي الأعظم لا تسبوا
 الدهر فان الدهر هو الله وفي الامالى قال الشريف المرتضى فان الله هو الدهر .

فالسعادة امامك مديك إليها وخذها ، الوف من البشر لهم عيون تنظر ولكنهم
 حقيقة عميان و الوف لهم عيون لا تنظر ولكنهم ينظرون قد تستغرب هذا و تزعم عكس
 ذا ما اسهل النقودوا كثر النقاد طجراً دالاً انتقاد لكل مسألة في الحياة وجهان وجه قائم
 مظلم و اخر نير بهي وانا اعتقد ان لا مندوحة لنا عن النظر إلى احد هذين الوجهين .
 ما من عمل حسنا كان اورديئاً الا و يجد انصاراً مستحسنيين و خصوصاً مهجنين
 فالحسنة لا تعدم ذا ما كما ان الفولة المسوسة تجد كمالها الاعمى فانا لم استغرب قيام
 بعضهم للرد على بعض ولا أنا ممن يكرهون الانتقاد او يدعون العصمة ولا أنا أجهل المثل من
 صنّف فقد استهدف و انما الذي استغربته صرف كلامي إلى غير وجهته و تأويله على
 غير مفهومه فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيه القتال رايت الذين في قلوبهم مرض تزيهم
 ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم طاعة و قول معروف .

هذا هو الحق احببنا ام كرهنا فلما ذا اذاً ننظر العليقة و نتعالمى عن الزنبقة ؟
 لما ذا نحدق بالغراب الناعب و نسمع صوت البوم و النعيب و نغض طرفنا ونصم آذاننا
 عن سماع اغاني الهزار و العندليب كل ذلك بارادتنا و في عهدتنا و قدرتنا ان نسير
 انفسنا في الطرق الجميلة ، ألا ترى ان كليهما شمعة ، تلك التي تقنى بسكينة امام الجامع
 و الجامعة و تلك التي يد اللص يستنير بها ليسرق .

اقول هذا للشبيبة و الناشئة فانهم في ريعان الشباب يميلون للنظر إلى الوجهة
 السوداء و لكن إذا يرجعون البصر كرتين و يجدون النظر مرتين لا يهتمون بما
 يرون أن بعض ابناء الحياة يسودون صفحاتها بمنكراتهم و ينكرونها فانهم قسم من
 ابناء الحياة الشاذين و ليسوا الكل في الكل .

الابتسامه علامه الابتهاج وبشيرة الارواح الحساسة، الابتسامه عدوة لجيوش الهموم تهاجمها فتمزق شملها شذر مذر، الابتسامه مرآة الباطن ، الابتسامه لسان القلب ، كل شي في الكون ابتسامه الابتسامه سبب لتعارف القلوب الابتسامه واسطة فعالة تجعل العدو صديقاً، الابتسامه دواء للقلوب المنكسرة الابتسامه امضى سلاح للنساء ، رب ابتسامه ينكسر بها القلب وابتسامه ينجز بها الابتسامه موهبه الهيئه يتفجر فيها ينبوع السعادة لكافة البشر، في لمعان البروق ورعد الصواعق وخريرا الماء وتغريد الطيور ابتسامه النور والضوء واللون والجمال والروض والربيع والورد وروض الورد كلها ابتسامه - جميع الكائنات تبتسم - السحر بنسيمه و الصباح بفجره و الشمس بطولوعها و امساء بشفقته و الليل بضوء قمره و لمعان نجومه ، والشبيهة بغضارتها والشبيهة بياضها و السماء ، بامطارها والارض بمراعيها و الكلام بمعناه والبصر بغمزه والغناء بوزنه و الموسيقى بتوافق الحانها، ضحك الاطفال كنغمات البلابل و ضحك النساء كرائحة الرّياض العطرة و ضحك الرجال كأصوات الصواعق اذ في ضحك الاطفال عصمة و في ضحك النساء شفقة و في ضحك الرجال عزم وثبات ، الابتسامه هي التي تستقبل الآتين إلى عالم الوجود الا ابتسامه هي التي تودع الراحلين إلى عالم البقاء فالعالم هو الذي يجعل حياته ابتسامه و ضحكاً و يتعد عن إراقة دمعة في زمانه الضحوك المبتسم .

فيسكن في البيت الضحوك ، ويشارك في حياته من نضحك وبتسم و يتخذ احياء يضحكون و يمضى سحابة حياته في الضحك و الابتسام (١) .

عني التاريخ بالبحث عن علوم ايران قبل الاسلام و ذكر المورخون مكتباتها الشهيرة كمكتبة اصطخر التي كانت ام مكتبتنا و معدن علومنا و ذخائرنا في الفلسفة والطبيعات و الرياضيات و كانت كتبها موضوعه بالفهلوية و منقوشة على احجار خاصة و لما استولى الاسكندر على اصطخر امر بترجمة ما ارتبط منها بالنجوم والطب و الطبيعة إلى القبطية و الحقها بمكتبة اسكندرية في مصر .

و مكتبة قهندز و كانت كتبها بالفهلوية منقوشة على الواح الشجر دفنت بامر ظههورث

ملك الفرس و عثروا عليها في اوائل القرن الرابع الهجرى و كان من جملةها زيغ قيّم
استخرج منها زيغ الشهر يار المعروف حسب ما جاء في كتاب اختلاف الزيجات لابي معشر
البلخى و مكتبة اردشير بابك و ابنه شاپور فانهما امرا بجمع كتب الفلسفة اليونانية
و الهندية و كتب ساير العلوم و ترجمتها إلى الفهلوية فانتعشت النهضة العلمية في عهدهما .
و مكتبة جنديشاپور للملك انوشيروان الذي استظلت الفلسفة بلوائه - لقد
كانت الفلسفة و الدين في بدء تكونهما متآلفين لانهما متحدين في الغاية و كانت معرفة
مبدء العالم و مصيره و دراسة الالهية و صفاتها و افعالها و آثارها من اهم عناصر الفلسفة
و هذا سرّ ما يترآى في الفلسفة الشرقية و في الفلسفة اليونانية التي تكوّنت على التحقيق
من العناصر الشرقية من مظاهر الانعطاف نحو العقيدة فان مزج الدين بالفلسفة إنما هو
من مقتضيات الطبيعة الانسانية و الفطرة البشرية و غريزة العقل و لذلك لا يخلوا من
هذا الانعطاف و هذا المزج دور من ادوار الفلسفة حتى فلسفة دكارت و كانت ، و غيرها
من اعلام الفلسفة الحديثة .

وقد اثبت التاريخ قبل الاسلام ان الفلسفة اعانت على اعداد الشعوب المسيحية
لان المسيحية الخالصة و الفلسفة الصحيحة كانتا متآلفتين و متعاظمتين ما دامت المسيحية
ثابتة على ناموس الفطرة و لما تغيرت و انحرفت عن الفطرة انكرت الفلسفة إنكاراً شديداً
و انتهى الأمر بالفلسفة إلى ان التمس لها مقرأ لا يتسلط فيه حزب المسيح فهاجرت
إلى الفرس و استظلت بلواء الساسانيين .

واكرم انوشيروان مثنوى الفلاسفة المشردين من روما و أمرهم بتأليف الكتب في
المنطق و الفلسفة و ترجمت مؤلفاتهم إلى الفهلوية و عنى بمطالعتها انوشيروان و عقد لهم
مجلساً للمناظرة و امر أيضاً بترجمة جملة من الكتب السانسكرتية إلى الفارسية و احدث
البيمارستان في جنديشاپور و احضر له الاطباء من الهند و اليونان لتدريس الطب الهندي
و اليوناني و اجتمعوا فيه الطالبون من النواحي و برزوا في الطب قال جمال الدين القفطي

في اخبار العلماء بأخبار الحكماء

حارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب في وقته اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل إلى ارض فارس و اخذ الطب عن اهل تلك الديار في جنديشابور في الجاهلية و قبل الاسلام و جاد في هذه الصناعة و طبَّ بارض فارس و عالج و حصل له بذلك مال هناك و شهد اهل بلد فارس ممَّن رآه بعلمه و كان قد عالج بعض اجلائهم فبرأ و أعطاه مالا و جارية ثمَّ ان نفسه اشتاقت إلى بلاده فرجع إلى الطائف و اشتهر طبه بين العرب قال عبد الرحمن بن ابي بكرة قال الحارث بن كلده و كان من اطبَّ العرب من سرَّه البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء و ليخفف الرِّداء و ليقبل غشيان النساء .

قال محمد بن زياد الاعرابي و كان له تقدم في النحو و اللغة خفة الرداء ان لا يكون عليه دين قال ابو عمرو و مات الحارث بن كلدة في اول الاسلام ولم يصح اسلامه كذا وهو سهو قال وامر رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص بأن يأتيه فيستوصفه في مرض نزل به فيدل على انه جاز ان يشاور اهل الكفر في الطب إذا كان من اهله و كان الحارث ابن كلدة يضرب العود تعلم ذلك أيضاً بفارس و اليمن و بقى إلى زمن معاوية فقال له معاوية ما الطب يا حارث فقال الأزم يا معاوية يعنى الجوع^(١) سمية جاريته هي ام زياد بن ابيه الذي الحقه معاوية بنسبه و ذكر ان اباسفيان و طمها بالطائف سفاحا فحملت به منه و ولدت قبل زياد و لدين احدهما ابو بكرة و نافع اخوه فاتسبا إلى الحارث و ادعيانه و طى مولاته فولدتهم منه و ادرك الحارث بن كلدة الاسلام و كان رسول الله ﷺ يأمر من كانت به علة ان يأتيه فيسأله عن علته .

قال سعد مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال انك رجل مفؤدايت الحارث بن كلدة اخا ثقيف فانه يتطبب و روى محمد بن اسحق عن اسحق عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال مرض سعد و هو مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فعاده رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما اراني إلا لما بي فقال ﷺ اني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضربك قوم و ينتفع بك آخرون

(١) والمراد الحمية كما قال (ص) البطنة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء .

ثم قال للحارث بن كدة عالج سعداً ممّا به فقال والله انى لأرجو شفاؤه فيما معه في رحله هل معكم من هذا التمر العجوة شيء قالوا نعم فخلط له التمر بالحلبة ثم أوسعها سمناً ثم احساه اياه فكانمّا انشط من عقال .

إيران والعلم هذه السلالة الاصيلة التي تنتمى إليها إيران وهذه البيئة القويّة غدت التي ملكاتها الموروثة هيأ لها ان تفاخر بفلاسفة ومفكرين اضاءوا من طريق الانسانية المظلم اشواطاً فسيحة فقليل من الشعوب من له ان يسامها بمفكرين نظروا في الوجود قبل ستمائة قرن ونقل عنهم الحكيم السبزواري بقوله :

الفهوليون الوجود عندهم حقيقة ذات تشكك تعم
مراتباً غنيّ وفقرأً تختلف كالنور حيثما تقوى وضعف

و بشعراء وادباء ما برح يهتف باسمائهم قلب كل ذى قلب يهفو للحكمة و يشيد بالجمال وأين الحكمة ان لم نجدها في بستان السعدى وديوان الحافظ وافكار النظامى و أشعار الفردوسى وحكم الخيام و امثال الناصر خسرو والالوف من نظاهرهم وأمثالهم من علماء وفقهاء والادباء الذين انبثقت من عقولهم الحضارة الاسلامية البازخة التي اتخذت من شيخ الطائفة مؤسس حوزة النجفية دعائمها الراسخة ولكن اخصب نزاحي هذه الثقافة الرفيعة التي غدت الانسانية اجيالاً تلوا جيال هي ناحية الفنون الجميلة ففيها اعتزّ الشرق بإيران قدر ما فاخر الغرب بالاغريق .

يرجع تاريخ الفن الايراني الى نيّف و خمسة و عشرين قرناً حين ازدهر في عهد الدولة الهخامنشية ٥٣٦ - ٣٣٠ ق م التي شادت ملكا امتدت من اقصى الهند إلى اقصى مصر . فقد قام ملوك هذه الدولة - كورش و دارا... قصوراً بازخة البناء رفيع العماد عاشوا فيها عيشة المجد والنعيم فكانت سقوفها مصفحة بالمعادن النفيسة مطعمة بقطع متقابلة من العاج والآبنوس ، تنبعت مما فيها من احجار كريمة اضواء مختلفة الالوان فوق جدر غطيت بستائر موشاة باسلاك الذهب والفضة ، وارض فرشت بالخزف الملوّن النفيس . ومع أنّهم استعانوا في بناء هذه القصور بمن استقدموهم من مصر واستخدموهم من غيرها إلا ان لها طابعاً خاصاً يميّزها عن المعابد الفرعونية فلم تكن أعمدتها ضخمة

مقاربة تكتظُّ بها الردهات بل دقيقة متباعدة قريبة الشبه بالعمائر الأغرقيّة . ذلك ان نظرة الايرانيين إلى الجمال اقرب إلى نظرة الاغريق منها الى نظرة المصريين فلم يحفلوا بالضخامة الباذخة التي تضي روعتها على معابد مصر و تماثيلها بل تلمسوا الجمال في الدقة المتناسقة التي امتازت بها آثار اليونان ثم ذوى الروح الفنّي كثيراً بعد ان قضى الاسكندر على الدولة الهخامنشيّة ولم يستعد مجده إلا بعد ان قامت الدولة الساسانيّة حين اتخذ طابعاً قومياً واضحاً معبراً عن الشعب الذي اخذ ينضو عنه ثوب الهزيمة و المهانة و يثار لكرامته ممن عدا عليها . فظهرت النقوش الوطنيّة التي تخلد امجاد الشعب ومفاخره ، مثل نقش رستم . الذي يمثّل امبراطور الروم و لرين (فالبريان) راعياً امام قاهره كسرى شاه بور الاول .

وقد حفلت أمصار الدولة الساسانيّة بقصور رائعة حسبانان نذكر منها ايوان كسرى الذي اتخذه العرب في صدر الاسلام رمزاً للبخذ والثراء و السطوة . فحجرة العرش فيه يمتد طولها ١٢١ قدماً وعرضها ٨٥ قدماً . وتفرش كلها بقطعة واحدة من السجاد هي بساط كسرى وكان رسم البساط يمثّل حديقة في فصل الربيع . رسمت ورودها و ازهارها بقطع من الذهب و الفضة ، و مثلت جداولها و طيورها بقطع من الاحجار الكريمة وهذا يدل على ان الفنون الفرعيّة قد بلغت في ذلك العهد ذروة الدقّة والاتقان و بزّ الفن الايراني ساير الفنون في الصناعات اليدوية الدقيقة تجلت فيه دقة الذوق الايراني و كذلك ازدهر فنّ صناعة الخزف فابدعوا منه تحفاً محكمة الصنع دقيقة الزخارف متناسقة الالوان و بلغت هذه الصناعة ذروتها منذ الفتح الاسلام حتى غزا المغول ايران في اواسط القرن السابع وبلغوا في فن نقش المعادن ما بلغوه في صناعة الخزف فخلّفوا من الأواني والسيوف والدروع المنقوشة ما ينبيء عن ملكة بالغة في التنسيق والتعبير . رغم ان اكثر نقوشهم كانت اوراقاً نباتيّة اوصوراً آدميّة اورسوماً هندسيّة و ربما كان فنّ اخراج الكتب اهمّ الفنون الفرعيّة في ايران فكان نوابغ الخطاطين الذين ارتقوا بفنّ الخط إلى درجه فنّ الرسم - يفتنون في كتابتها ، ثمّ تجمل بصور صغيرة بديعة التسميق والتكوين تمثّل ماتروي من قصص و وقايع ، ثمّ تذهب و تجلد فتخرج آية تدعو الى

الإعجاب والواقع ان الخطَّ الفارسي فنٌ رائعٌ بهيمٌ بلغ من تفنُّنهم فيه ان صار عنواناً للفن الإسلامي وقد أنجبت ايران جماعة من نوابغ الخطاطين حتى اعترف العرب بان اشهر خطاطيهم وهو ابن مقلة لم يكن الا تلميذ خطاط ايراني ولفلاسفة ايران من قديم الزمان حتى الان اقوال مأثورة وآراء مسطورة وهي مما يعقده الشاعر فيحلو به نظمه ويتمثل به الخطيب فيؤثر كلامه ويستشهد به المتجادل فتقوى حجته ولا تزال تلك الحكم من قديم الدهر باقية للان دالة بحفظ الناس لها على مكاتها من نفوسهم ولزومها لتحلية كلامهم وتقوية حججهم وزيادة التأثير بها على سامعيهم ولذلك ترى أنه اذا اصيب احد بنكبة مثلاً وارتدت تعزيتة بما شئت من ضروب الملاهي وشتى المسليات فلا يبلغ ذلك من فؤاده بعض ما تبلغه حكمة مأثورة قيلت في شأن المصائب . و من أجل هذا عد القول من اشرف موهوبات الله للانسان ومن اجل مميّزاته عن ساير المخلوقات كما عد التفاوت في مراتبه من جهة التأثير من اجل مميّزات الانسان عن سواه من بنى نوعه على خلاف ساير المواهب المكتسبة والعزيمية التي يقلّ به التفاوت وتتداني معها المراتب . وكثيراً ما سمعنا عن الرجل الفرد في موارد مختلفة انه كان يلقي العبارة الواحدة فيقتاد بها الاولوف ويزحف بها الصفوف إلى الصفوف ولقد صدر عن الحكماء بين متقدمين ومتأخرين اقوال كثيرة هي ملء الاوراق ملء الاسماع منتشرة بين اثناء الكتب و ساير في الافواه وإليك بعض الامثال الفارسية او الحكم المنثورة نظمت بالعربية لأجل أن تكون أجمع للحفظ واسرع بالحافظة منهم احمد بن محمد ابوالفضل السكري المروزي ترجم امثال الفرس بالمزدوج:

من رام طمس الشمس جهلاً خطاً	الشمس بالنطين لا تغطي
احسن ما في صفة الليل و جد	الليل جبلي ليس يدري ما تلد
من مثل الفرس ذوى الابصار	الثوب رهن في يد القصار
ان البعير يبغض الحشاشا	لكنه في أنفه ما عاشا
قال الحمار من سقوط في الوحل	ما كان يهوى و نجامن العمل
نحن على الشرط القديم المشترط	لا الزرق منشق ولا العير سقط
في المثل الساير للحمار	قد ينفق الحمار للبيطار

العنزلا يسمن إلا بالعلف
البحر غمر الماء في العيان
لاتك من نصحي ذا ارتياب
من لم يكن في بيته طعام
كان يقال من أتى خوانا
و مما احتويه من ذلك بعد المزدوجه

إن الماء فوق غريق طما
إن اوضعت على الراس التراب فضع
في كل مستحسن عيب ولا ريب
ما كنت لو اكرهت استعصى
طلب الاعظم من بيت الكلاب
من مثل الفرس سارفي الناس
تبخر اخفاء لما فيه من عرج
و له أيضاً

ما اقبح الشيطان لكنه
اتهمز الفرصة في حينها
يطلب اصل المرء من فعله
فررت من قطر إلى منقب
ان تأت عورا فتعاور لهم
خذه بموت تغتم عنده
الباب فانصب حيث ما يشتهي
الكلب لا يذكر في مجلس

و اما الايران بعد الفتح الاسلامي إلى استقلالها السياسي في سنة ٢٥٣٣ فقد سارت
على ضوء التعاليم الاسلامية في الحالات الاجتماعية و الخلقية و الادبية و الثقافية حسب
ناموس الارتقاء و كانت مراكزها العلمية كالبخارى و نيشابور و بغداد خاصة بمكتبات

خصوصية و عمومية و كانت مكتبة أبي الوفاء في الهمدان تحتوى على مختلف انواع الكتب و كان فيها ثلاثمائة ديوان لأشهر مشاهير شعراء الجاهلية جمع منها أبو تمام الطائي كتابه المعروف بديوان الحماسة و نبغ منها في هذا العصر ائمة المذهب و ائمة الادب منهم احمد بن حنبل المرزى و محمد بن اسمعيل البخارى و ابن المقفع و ابو حنيفة النعمان ابن ثابت بن زوطى بن ماه الاصفهاني ثم تجلّت آثار هذا النبوغ الثقافى في اكمل مظاهرها بعد استقلال ايران السياسى إذ تأسست مكاتب ضخمة و كثر المؤلفون و تغير منهاج التأليف و زيدت مواد الدراسة و قد الف الفضل بن شاذان المتكلم النيسابورى مائة و ثمانين كتاباً و الف احمد بن محمد بن خالد البرقى القمى كتاب المحاسن في اخبار الامامية من الف كتاب كما ذكر في اول كتابه و جمع ابو عبد الله البخارى كتابه الجامع في الحديث من ستمائة الف حديث في ستة عشر سنة .

و نبغ لهذا العصر في ايران ائمة الفلسفة و الادب و الدين منهم الفارابى و ابن سينا و الخيام و الزمخشرى و الغزالى و الفردوسى و محمد بن زكريا الرازى و نعمان بن محمد بن منصور (ابو حنيفة) الشيعى قاضى مصر و مؤلف دعائم الاسلام و أبو ريحان البيرونى رفعوا راية العلم و الادب و اخذوا بالابتكار و اكتسبوا الافتخار و كانت بغداد عاصمة الممالك الاسلامية لهذا العصر عاصمة العلوم و مهتمة بجميع مظاهر التمدن و تاسيس المكتبات العمومية و الخصوصية على طراز جديد اتخذه هرون في بيت الحكمة و حسن تكميله في ايام ابنه المامون و بعده بجمع الكتب من اليونان و الهند و الفهلوى و احضار المترجمين لها من الاقطار قال الطبرى عنى بتولاه تعالى يستبدل قوماً غيركم العجم من عجم فارس مستدرك الحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لو كان الايمان معلقاً بالثريا لنا له رجال من العجم و ان تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعنى الموالى و انهم خيراً منهم فان يكفر بها هؤلاء فقد و كلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين قال المجلسى فسر القوم بالشيعه او اولاد الاعاجم و في تفسير الطبرى عن أبي هريرة كان سلمان إلى جنب رسول الله فقالوا يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين أن تولينا استبدلو ابنا ف ضرب النبي ﷺ على منكب سلمان فقال من هذا و قومه و الذي نفسى بيده لو أن الدين

تعلق بالثريا لثالثه رجال من أهل فارس و فيه عنه لتناوله رجال من الفرس .

روى سليم بن قيس الهلالي قال كان لزياد بن ابيه صديقاً تشيعاً فاقرا نى كتاب معاوية إلى زياد اما بعد فانك كتبت تسألنى عن العرب من اكرم و من اهين ومن اقرب و من ابعد و من اومن و من اخيف و انى يا اخى ، لأعلم الناس بالعرب إلى ان قال و انظر إلى الموالى و من اسلم من الأعاجم فخذهم بسنة ابن الخطاب فان في ذلك خزيهم وذلهم لن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم وان يرثهم العرب ولا يرثونهم وان تقصر بهم في عطائهم و أرزاقهم وان يقدّموهم في المغازى يصلحون الطريق و يقطعون الشجر ولا يؤمّ منهم العرب في صلاة ولا يتقدّم احد منهم في الصف الاّ اول اذا احضرت العرب الاّ ان يتمّ الصف ولا تولّ احداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من امصارهم ولا يلى احد منهم قضاء المسلمين ولا لحكامهم فان هذه سنة عمر فيهم ! وسيرته فيهم ! ولعمري يا اخى لولا ان دية الموالى على النصف من دية العرب لما كان للعرب فضل على العجم فاذا جاءك كتابى هذا فانزل العجم واهنهم واقصهم ولا تستعن بأحد منهم ولا تقض لهم حاجة فوالله انك لابن ابي سفيان خرجت من صلبه و لا يخفى على احد كذب معاوية .

عن رجل عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن هذه الآية فسوف ياتى الله بقوم يحبهم و يحبونه قال عليه السلام الموالى و في مجمع البيان ان رسول الله صلى الله عليه و آله سئل عنهم ف ضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا و زووه ثم قال لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس . و فيه ايضاً في قوله تعالى مخاطباً للمقصرين من مسلمي العرب وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

ان ناساً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله قالوا ليارسول الله من هؤلاء الذين ذكرهم الله في كتابه ؟ و كان سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و آله ف ضرب يده على فخذه سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس .

عن كتاب الغارات عن عباد بن عبد الله الاسدي قال كنت جالساً يوم الجمعة و على عليه السلام يخطب على منبر من اجر و ابن صوحان جالس فجاء الأشعث فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء ^(١) على وجهك فغضب فقال لبيبيّن اليوم من امر العرب ما كان يخفى فقال

علي عليه السلام من يعذرنى عن هؤلاء الضيافة (١) يقيل احدهم بتقلب على حشاياه (٢) ويهجر قوم لذكر الله فيأمرني ان اطردهم فاكون من الظالمين و الذي فلق الحبة و براء النسمة لقد سمعت يوماً عليه السلام يقول ليضربنكم والله على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدأ قال مغيرة (٣) كان علي عليه السلام اميل إلى الموالي والطف بهم وكان عمر اشد تباعداً منهم و توضيح هذا القول وبيانه جاء بقلم جبران خليل جبران في عقيدتي ان علي بن ابيطالب اول عربي لازم الروح الكليّة وجاورها وسامرها وهو اول عربي تناولت شفتاه صدي أغانيها فردّها على مسمع قوم لم يسمعوها مثلها من ذي قبل فتأهوا بين مناهج بالاغته و ظلمات ماضيهم فمن اعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفترة و من خاصمه كان من ابناء الجاهليّة .

مات ابن ابيطالب شهيد عظمتة مات و الصلوة بين شفتيه مات و في قلبه الشوق إلى ربّه و لم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام بين جيرانهم الفرس أناس يدركون الفرق بين الجوهر والحصى .

مات قبل ان يبلغ العالم رسالة كاملة وافية غير أنني أتمثله متبسماً قبل ان يغمض عينيه من هذه الارض مات شأن جميع الأنبياء العباقرين الذين يأتون إلى بلد ليس يبلدهم و إلى قوم ليس بقومهم في زمق ليس بزمنهم ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم .

امالي طوسي باسناده ان طايفة من اصحاب امير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام مشوا إليه عند تفرق الناس عنه وفرار كثيرهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا فقالوا يا امير المؤمنين اعط هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن يخاف عليه من الناس وفراره إلى معاوية فقال لهم امير المؤمنين أأمروني ان اطلب النصر بالجور (٤) وهذا دين الله كما جاء به النبي صلى الله عليه وآله روي الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال جاء قيس بن

(١) ضيافة هم الضخام . (٢) حشايها الفرش .

(٣) هو صاحب معاوية والشاهد لما يريد والمعروف ان شاهد الثعلب ذنبه .

(٤) مضى في اول الكتاب .

مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ (يعني هذا المنافق بالرجل النبي ﷺ و ان الاوس والخزرج من قومه العرب ينصرونه لانهم من قومه ، فما الذي يدعو الفارسي و الرومي والحبشي إلى نصره ؟ فقام إليه معاذ بن جبل فاخذ بتلبينه ثم أتى النبي ﷺ فاخبره بمقاتلته فقام النبي ﷺ مغضباً يجر رداءه حتى دخل المسجد ثم نودي : ان الصلوة جامعة - قال ﷺ :

يا ايها الناس ان الرب واحد والاب واحد وان الدين واحد وليست العربية باحدكم من اب ولا ام وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي فقام معاذ ، فقال فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال دعه إلى النار .

أرأيت لو ظل المسلمون على هذه التربية المحمديّة و التعاليم العلويّة أكان وقع بينهم من الشقاق و الحروب باختلاف الجنس واللغة كل ما وقع و أدّى بهم إلى هذا الضعف العام أرأيت لو حافظوا على هذه الأخوة الاسلاميّة أكانت هذه الفئة الخائنة بالانسانية أن تستعمر الشرق و البلاد الاسلاميّة ستمائة مليون اوزهاء سبعمائة كما يقولون مسلم لوقاموا على الطريقة و استقاموا على الصراط لسادوا على الناس كما ساد آباؤهم على الدنيا ، قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله .

ان القرآن شرع دين التوحيد و توحيد الدين لجميع البشر وهذا مالا بد منه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله دعا الاسلام البشر كلهم إلى دين واحد فكانوا يدخلون فيه افواجا حتى امتد في قرن واحد ما بين المحيط الغربي إلى الهند و لولا ما طرأ عليه من الابتداع و على حكوماته من الظلم و الاستبداد و على شعوبه من الجهل و الفساد و التفرق بالاختلاف لدخلت فيه البشرية بأسرها قال رشيد رضا صاحب المنار في ج ١١ من تقريره لتفسير المفتي السابق اعنى المرحوم الشيخ محمد عبده قال احد كبار علماء الألمان في الآستانه لبعض المسلمين و فيهم احد شرفاء مكة : انه ينبغي لنا ان نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين قيل له لماذا ؟ قال لانه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية

إلى عصبية الغلب ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله ولكننا نحن الآلمان و ساير شعوب
اوربة مسلمين فالاسلام محجوب^(١) بمكتبته وفي كامل المبرد^(٢) عن محمد بن المنتشر الهمداني قال :
دفع اليّ الحجاج آزاد مرد بن هرمزو أمرني ان استخرج منه و اغلظ عليه فلما
ناطقت به قال لي يا محمد ان لك شرفاً و ديناً و اني لا أعطى على القسر شيئاً فاستاذن
و ارفق بي قال ففعلت فادى إلى بي اسبوع خمسمائة الف قال فبلغ ذلك الحجاج فاغضبه
و انزعه من يدي و دفعه إلى رجل كان يتولى العذاب فدق يديه و رجليه ولم يعطهم
شيئاً قال محمد بن المنتشر فاني لأمر يوماً في السوق إذا صائح بي يا محمد فالتفت فانا به
معرضاً على سمار مدقوق اليدين والرّجلين فنخفت الحجاج ان آتيته و تدممت منه فملت
إليه فقال لي انك وليت مني ما ولي هؤلاء فاحسنت وانهم صنعوا بي ما ترى ولم اعطهم
شيئاً و هيينا خمسمائة الف عند فلان فخذها فهي لك قال فقلت له ما كنت لا آخذ منك
على معروفى اجراً ولا الارزاق على هذه الحال شيئاً قال اما إن ابيت فاسمع أحدك، حدثني
بعض اهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وآله انه قال (إذارضى الله عن قوم امطرهم في وقته وجعل
امال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم و إذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل
امال عند بخلائهم و امطرهم المطر في غير حينه) قال فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى
أتاني رسول الحجاج فامرني بالمسير إليه فالتقيته جالساً على فرشه والسيف منتضى في يده
فقال ادن، فدنوت شيئاً ثم قال ادن ادن، فدنوت شيئاً ثم صاح ثالثاً ادن لا ابالك، فقلت ما بي
إلى الدنوت من حاجة و في يد الامير ما ارى فاضحك الله سنه و اعمد سيفه عنى فقال لي
اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له ايها الامير والله ما غششتك منذ استنصحتني
ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته الحديث فلما صرت إلى ذكر
الرجل الذي الامال عنده اعرض عنى بوجهه و اوماً إلي بيده وقال لا تسمه ثم قال ان
للخبيث نفساً وقد سمع الاحاديث .

و نظيره و في معناه ما قال النبي صلى الله عليه وآله إذا كانت امراءكم خياركم و اغنياءكم
سمحاءكم و اموركهم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها و إذا كانت امراءكم

شراكم و اغنياءكم بخلاءكم و اموركم بيد نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .
و قال ابن خلدون في مقدمته للتاريخ العربى فصل في ان حملة العلم في الاسلام
اكثرهم العجم إلا في القليل النادر و ان كان منهم العربى في نسبه فهو عجمى في لغته و
مرباه و مشيخته مع ان الملة عربيه و صاحب شريعته عربى و السبب في ذلك ان الملة
في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة و البداوة و انما احكام
الشريعة التي هي اوامر الله و نواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا ما أخذها
من الكتاب و السنة بما تلقوه من صاحب الشرع و اصحابه و القوم يومئذ عرب لم يعرفوا
امر التعليم و التأليف و التدوين ولا دفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة و جرى الامر على
ذلك من الصحابة و التابعين و كانوا يسمون المختصين بحمل ذلك و نقله القراء اي
الذين يقرؤن الكتاب و ليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامّة في الصحابة (١) بما كانوا
عربا فليل حملة القرآن يومئذ قراء اشارة إلى ذلك هذا فهم قراء لكتاب الله و السنة
المأثورة عن الله لأنهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية إلا منه و من الحديث الذي هو في
غالب موارد تفسير له و شرح فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج إلى
وضع التفاسير القرآنية و تقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج إلى معرفة الاسانيد و
تعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد و مادونه ثم كثر استخراج احكام الوقعات
من الكتاب و السنة و فسد مع ذلك اللسان فاحتيج إلى وضع القوانين النحوية و صارت
العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطات و الاستخراج و احتاجت إلى علوم اخرى و
هي وسائل لها من معرفة قوانين العربية و قوانين ذلك الاستنباط و القياس و الذب عن
العقائد الايمانية بالأدلة لكثرة البدع و الإلحاد فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات
ملكات محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة الصناعات و قد كنا قد منا أن الصناعات من
منتحل الحضرة و أن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضريّة و بعد عنها
العرب و عن سوقها و الحضرة لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالي و اهل

(١) قلنا في السابق ان التدوين و كتابة الاخبار و الاحاديث في الاسلام شرع و شرع

من اوائل القرن الاول و في حياة النبي صلى الله عليه وآله .

الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة و أحوالها من الصنایع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحوسيويه و الفارسی من بعده و الزجاج من بعدهما و كلهم عجم في أنسابهم و أن أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي و ضبط اصوله و تأسيس فنونه كالرضى و عبد- القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القرآن و فهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية اول من عنى بالبيان العناية الواجبة و وضع له القواعد و القوانين الشيخ عبد القاهر الجرجاني فوضع كتابيه اسرار البلاغة و دلائل الاعجاز .

و قام بعده السكاكي و ألف كتاب مفتاح العلوم و لكنه لم يدرك شأوه في لطف الحس و صفاء الديباجة و براعة الكلام . و تلا السكاكي جلال الدين بن عبد الرحمن القزويني فهذب ما وضعه السكاكي و ضم إليه تنقاً مما وضعه الجرجاني فخرج الكتاب و تخرج منه الكتاب و سماء تلخيص المفتاح و استفاد بعضهم من هذا الفصل كثيراً من الفاظه . قال الفاضل الجلبلي صاحب كتاب كشف الظنون و من الغريب الواقع ان علماء الملة الاسلامية في العلوم الشرعية و العقلية أكثرهم من العجم و قليلهم من العرب و السبب في ذلك ان الملة في أولها لم يكن فيها علم و صناعة لفصاحتهم و عدم احتياجهم إلى ذلك و تعنتهم في احوال البداوة و إنما الاحكام الشرعية كان الرجال يحفظونها في صدورهم و قد عرفوا مأخذها من الكتاب و السنة بما تلقوه من صاحب الشرع صلى الله عليه و آله و أصحابه و القوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التدوين و لادعتهم إليه حاجة إلى عصر التابعين فكانوا مختصين بحمل ذلك و نقله عنهم القراء و الرواة و احتيج إلى التدوين فدون في دولة الرشيد كثير من ذلك ثم بدا في وضع ما ورد في التفسير القرآني و الاحاديث النبوية خوف الضياع ثم احتيج بعد ذلك إلى معرفة الاسانيد و تعديل الرواة ثم كثر استخراج احكام الوقعات من الكتاب و السنة و كان فسد مع ذلك اللسان فاحتيج إلى وضع القوانين التحوية و صارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط و النظر و القياس و احتاجت إلى علوم اخرى تكون وسيلة لها كقوانين العربية و قوانين الاستنباط و القياس و الذب عن العقائد بالادلة القاطعة فصارت هذه الادلة كلها علوماً محتاجة إلى التعليم

فاندرجت في جملة الصنایع والعرب أبعد الناس عنها و صارت العلوم لذلك حضرة والعجم و من في معناهم حضر لان جميع الحضر تبع للعجم في الحضارة و أحوالها من الصنایع و الحرف لانهم اقوم على ذلك للمحاضرة الراسخة فيهم فمنهم بعد دولة الفرس صاحب صناعة النحو سيويه و الفارسی و الزجاج كلهم عجم في انسابهم اكتسبوا لسان العرب بمخالطتهم العرب و حرروا قوانين بعدهم و كذلك المحدثون و الحفاظ أكثرهم عجم و مستعجمون باللغة و كذلك علماء اصول الفقه كلهم عجم و أكثر المفسرين من العجم و لم يقم احد بحفظ العلم و تدوينه مثل الاعاجم اما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة و خرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية و ما رفعوا إليه من العناء ما يملك عن القيام بالعلم مع ما لحقهم من الانفة عن القيام بالعلم لكونه من جملة الصنایع والرؤساء منهم يستكفون عن الصنایع واما العلوم العقلية فلم تظهر في تلك الدولة وجملتها صناعة فاختصت بالعجم فهم سباق حلبة العلوم و فرسان معركة المنطوق و المفهوم فنا لوان الحكم اعلاها و تناولوا من العلوم اسناها .

مُجَرَّم رستم الساعاتی - اصله من خراسان قدم دمشق و أقام بها و كان اوحد أهل زمانه في علم الفلك قال ابن أبي اصبيعه و صنع الساعات التي عند باب الجامع بدمشق صنعها في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى و كان له الانعام الكثير و الجامكية و الجراية ملازمته صنع الساعات إلى ان توفى .

على حين أننا لا نجد بين قواد الجيش إلا أسماء قوم من الموالى فان وظائف الدواوين كانت وقفاً على الاحرار و كان الفرس هم شحنة دواوين الخلافة ... فمنهم البرامكة و آل ذي الرياستين يقول الاصطخرى و إلى يومنا هذا منهم المدارائيون و الفريابيون و لما كانت الصبغة الغالبة على عمال الدواوين هي الصبغة الاقتصادية المالية فقد كان لابد للواحد منهم من ان تتوفر لديه بعض خصال التاجر . و كان الفارسی أمير تاجر في المملكة الاسلامية و لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام و اوصاهم بالتجارة اتجروا و بارك الله لكم ولا تزال الكفاية الادارية مورثة في الفرس إلى يومنا هذا فيحد ثنا الخبير النمساوى الذي قام بتنظيم البريد في فارس ان كل فارسي يحس من نفسه الصلاحية لكل عمل و هو لا

يتردد في ان يدخل اليوم عملاً ادارياً مديناً . و يقوم به . ثم يكون غداً في منصب حربى و هذه من خصال الفرس القديمة و يحكى انه كان لمختارين معز الدولة كاتب فارسى و كان مستولياً عليه ثم تحقق بالجنديّة و ادعى الشجاعة . و اعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقرّ بأإليه ثم عزم أخيراً على تقلد الجيش والتسمية بالاسفيسالار . و كانت الاساتذة كلهم تقريباً فرسا هاجروا إلى العراق او استوطنوا اصفهان بل يقال ان الجبائى المتوفى عام ٣٠٣ الف تفسيراً للقرآن بالفارسيّة .

لم يكن يرى فرقاً بين الاشراف و غيرهم ولا بين الموالى و غيرهم ولا بين العرب و من سواهم و هذا هو الاسلام قتل عبيدالله بن عمر بن الخطاب الهرمزان بعد قتل عمر ابن الخطاب و قد كان من اشراف ايران أسلم طوعاً فلم يقدر عثمان عبيدالله وطالبه على ^{عليه السلام} بان يقتل عبيدالله قصاصاً فلم يفعل و قال بالامس قتل أبوه فلا نقله اليوم و هذا التعصب الاموى الذى ظهر من عثمان كان ضربة قاضيةً على الاسلام فإن من سمع من الامم بان امرء امسلمين لايجرون على محض المساوات و لسنا بأمنين في بلاد المسلمين بل كانوا كاذبين في دعويهم بانا لانفرق بين العرب و العجم و نفروا اشدّ النفرة و تأخر كثير من أهل فارس و غيرهم عن الدخول في الاسلام لذلك وطعن كثير من المسلمين على عثمان و لم يزل على يتطلب عبيدالله بن عمر بدم الهرمزان احقاقاً للحق واجراءً لقانون الاسلام حتى قتله بصفين و قال هذا بدم الهرمزان و علم النائون أن دين الاسلام دين العدل و لكن أقرباء عثمان كانوا متعصبين لامساس لهم بالاسلام .

شبه الجزيرة تقع جزيرة العرب بين مدينتين كبيرتين ومدينتين عظيمتين اى مدينة الفرس في و مدينة رومان في غربها والاختلاط فيها من قديم خلف بعض الآثاري اللغة والادب من طريق التبادل المال والمعنوى ولكن هذا الاختلاط صار بعد الاسلام امتزاجاً شديداً تداخلت به اللغات و الافكار و العقائد و صار مورداً فياً في الأدب فقد دخلوا في دين الله افواجاً و اختلطوا في بيوت العرب وتكلموا في الادب يفكرون بالفارسيّة و الرومية و يتكلمون و يكتبون بالعربيّة لغابهم مرسومة القواعد ولا دأبهم مناهج واضحة و لحضاراتهم جوانب مشرقة فبالطبع تأثروا بالأداب والعادات فقد اتسعت مادة اللغة بما

اقتبست من الالفاظ الفارسيّة للتعبير عما لم يعرفه البدو في تدوين الدواوين وفي التشكيلات الاداريّة وتنظيم الحكومات و سياسة المملكة و مقتضيات التمدن و الحضارة وقد عقد جلال الدين السيوطي في كتابه المزهر فصلاً لما اخذه العرب من الفارسية والرومانية و السريانية والقبطيّة ولكن اللغويّين خلطوا في ذلك لجهلهم بهذه اللغات فنسبوا إلى بعضها ما ليس منها وقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ان أهل المدينة عرفوا ألفاظاً من قوم من الفرس نزّلوا فيهم فيسمّون البطيخ خربز والسميط اي الممتوف الصوف روذق وان اهل الكوفة يسمون المسحاة بال والسوق بازار وقد حكى أبو مهبدة الاعرابي بعض الفاظ اعجمية كانت فاشية في عهده وذكر منها على سبيل الامثال :

يقولون لي شنبذ ولست مشنبذاً
ولا قائلًا زود آليعجل صاحبي
ولا تاركا لحني لاتبع لحنهم
طوال الليالي ما اقام ثبير
ويشтан في قولي علىّ كبير
ولو دار صرف الدهر حيث تدور

فاصبح العنصر العربي وغيرهم ممتزجين تمام الامتزاج في فارس والشام ومصر و المغرب حتّى جزيرة العرب نفسها لم تعد جزيرة العرب بل صارت جزيرة المسلمين جميعاً . في فتوح البلدان للبلاذري ان ابرويز كان وجهه إلى الديلم فاتى باربعة آلاف . وكانوا خدمه وخاصته . ثم كانوا على تلك المنزلة بعده ، وشهدوا القادسيّة مع رستم . فلما قتل وانهزم المجوس اعترضوا . وقالوا ما نحن كهؤلاء . ولاننا ملجأ وأثرنا عندهم غير جميل ! والرأي لنا ان ندخل معهم في دينهم فنعزّ بهم فاعترضوا ، فقال سعد مال هؤلاء ؟ فأتهم الطغيرة بن شعبة فسألهم عن امرهم ، فاخبروه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم فرجع إلى سعد فاخبروه فأمنّهم . فاسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد ، وشهد وافتح جلواء ثم تحوّلوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين .

ولما كان يسكن العراق امم مختلفة وتداولت عليه دول خلفت فيه مدنيّتها وثقافتها وكان يسكنه قبيل الفتح الاسلامي بقايا من الامم القديمة مثل الكلدان و السريان وهم الذين يلقّبون بالأراميين وكان يسكنه العرب من إياد وربيعة و كان يقيم به المناذرة الذين أسسوا ملك الحيرة . وكانت مدينة الفرس غالبه عليه لأن آخر من حكمه قبل

الاسلام هم الساسانيون من الفرس وظل في ايديهم زمناً طويلاً إلى ان استولى عليه المسلمون في ايام عمرو كانت فيه المدائن عاصمة الساسانيين كل هذا جعل العراق أكثر ما يكون اصطبغاً بالفارسيّة فلما كان العباسيون . وكان الفرس هم الذين أعانواهم كان من هذا وذاك نفوذ للفرس عظيم في المناصب وفي الثقافة من نواحيها المختلفة فأول ذلك الالفاظ : ذلك ان العرب لما تحضروا وجدوا انفسهم امام اشياء كثيرة ليس لهم في الالفاظ ما يدل عليها وكان ذلك في جميع مرافق الحياة من ادوات الزينة وانواع المأكول والملبس وآلات الغناء والدواوين ونظامها فسلكوا خيراً طريق لذلك وهو ان يتوسعوا في مدلولات الكلمات العربية احياناً و يأخذون الكلمات الاجنبية احياناً و مصقولة بما يتفق و لسانهم احياناً وكانت اللغة الفارسيّة منبعاً كبيراً من المنابع التي تستمد منه اللغة العربيّة وتوسع بها مادتها .

حكى الصولي قال حدثنا علي بن الصباح قال سمعت الحسن بن رجاء يقول ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي ، ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في اعمالكم ولا لغتكم ، حتى ان طبيخكم واشربتكم ودواوينكم وما فيها على ماسميننا . ماغير تموه كالاسفيداج والسكباج والدوغباج ، وامثاله كثيرة وكالسكنجبين والخلنجبين و الجلاب وامثاله وكالرز و زاناج والاسكدار و الفراونك وان كان رومياً ومثله كثير - فسكت عنه العربي . فقال له يحيى ابن خالد قل له اصبر لنا نملك كما ملكتم الف سنة ، بعد الف سنة لا نحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم .

ويقول الجاحظ الا ترى ان اهل المدينة طمأ نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من الفاظهم ولذلك يسمون البطيخ بالخربز و كذا اهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة بال واهل البصرة اذا التقت اربعة طرق يسمونها مربعة يسميها اهل الكوفة بالجهارسو ويسمون السوق أوالسويقة و ازار و يسمون القشاء خياراً . من قديم تسربت الفاظ فارسية إلى اللغة العربيّة وكان ذلك بطريق التجارة او الاختلاط ولكنها تعد قليلة اذ اقيست بالالفاظ التي دخلت في العصر العباسي للسبب

الذي ذكرنا وهو ان العرب كانوا اكثر شعوراً باسباب الحضارة في العصر العباسي فكانوا اشد احتياجاً للاقتباس من الفرس ، ولان اللغة العربية لم تعد ملكاً للعرب وحدهم بل كانت ملكاً للعالم الاسلامي جميعه والعالم الاسلامي لا يتعصب للغة العربية تعصب العرب فهو يفتح صدره للغات الاخرى مادعا داع إليها .

فلما نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي أخذ طائفة ممن يجيدون اللسانين الفارسي والعربي ينقلون الكتب من الفارسية إلى العربية وقد عقد ابن النديم في كتابه الفهرست فصلاً لاسماء النقلة من الفارسي عبدالله بن المقفع آل نوبخت موسى و يوسف إبنى خالد أبو الحسن علي بن زياد الحسن بن سهل البلاذري جبلة بن سالم اسحق بن يزيد محمد بن الجهم البرمكي هشام بن القاسم موسى بن عيسى الكردي زادويه بن هاشويه الاصفهاني محمد بن بهرام بن مطيأ الأصفهاني بهرام بن مردان شاه عمر بن الفرخان . وقد ترجم عبدالله بن المقفع كتاب خدای نامه و هو في تاريخ الفرس من اول نشأتهم إلى آخر أيامهم وقد سماه ابن المقفع تاريخ ملوك الفرس و الظاهران الطبري اعتمد عليه في تاريخه عند كلامه على الساسانيين و ترجم كتاب آئين نامه و معنى آئين النظم و العادات و العرف و الشرايع فالكتاب وصف لنظم الفرس و تقاليدهم و عرفهم و ذكر المسعودي أنه كتاب كبير يقع في آلاف من الصفحات كذلك ترجم ابن المقفع عن الفارسية كتاب كليلة و دمنة ذكر الزمخشري في كتابه ربيع الابرار^(١) أن الصحابة رض لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد ملك الفرس فباعوا السبايا و أمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً فقال علي بن أبي طالب أن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوق ، فقال كيف الطريق إلى العمل معهن ^{عليه السلام} قال يقو من و مهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن ! فقو من فاخذهن علي بن ابيطالب فدفع واحدة لعبدالله بن عمرو واخرى لولده الحسين واخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فاولد عبدالله ولده سالمًا و اولد الحسين زين العابدين و اولد محمد ولده القاسم

(١) من نفائس الكتب الادبية التي رأيتها في المكتبات الداخلية والخارجية ومن العجب انه لم يطبع بعد وقد ترجم تلخيصاً بالفارسية قديماً و نسختها موجودة في مكتبة عارف حكمت وهذه المكتبة من اعظم المكتبات الاسلامية في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله زرقنا الله العود

فهؤلاء الثلاثة بنوخالة و أمهاتهم بنات يزدجرد و يشك بعض الباحثين في نسبة هؤلاء البنات الى يزدجرد و لكن يظهر أن ليس هناك شك في أنهن من خيرة بنات الفرس .
 جاء في كتاب الكامل للمبرّد و كان أهل المدينة يكرهون اتّخاذ أمهات الاولاد حتّى نشأ فيهم على بن الحسين و القاسم بن محمّد و سالم بن عبدالله ففاقوا أهل المدينة فقهاً و ورعاً فرغب الناس في السراري .

لما أتى بالهرمان أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم و صاحب رئيسهم فقال له عمر أعرض عليك الاسلام نصحاً لك في عاجلك و آجلك قال يا أمير المؤمنين انى أعتقد ما انا عليه ولا ارجب في الاسلام فدعا له عمر بالسيف فلما همّ بقتله قال يا أمير ... شربة من ماء افضل من قتلى على ظمأ فامر له بشربة من ماء فلما اخذها قال انا آمن حتّى اشربها قال نعم فرمى بها وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج قال صدقت لك التوقف عنك و انظر في امرك إرفعا عنه السيف فلما رفع عنه قال الان اشهد ان لا اله إلا الله و أن محمّداً عبده و رسوله و ما جاء به حقّ من عنده قال عمر اسلمت خير اسلام فما اخرّك قال كرهت ان تظنّ انى اسلمت جزعاً من السيف و اتيان الرتبة بالرهبة فقال عمر ان لاهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ثم أمر به ان يبرّ و يكرم فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر و الجيوش لاهل فارس .

ذكروا أن ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً ببعده الغور و يقظة الفطنة و حسن السياسة و كان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجهه إليه من يبحث عن أخباره و أخبار رعيته قبل أن يظهر محاربتة فيكشف عن ثلاث خصال من حاله فكان يقول لعيونه انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقايقها ام يخدعه عنها المبهدى ذلك إليه . و انظروا إلى الغنى في أي صنف هو من رعيته أفيمن اشتدّ أنفه و قلّ شرهه أم فيمن قلّ أنفه و اشتدّ شرهه . و انظروا في أي صنف رعيته القوام بامرهم أمن نظر ليومه و غده أم من شغله يومه عن غده فان قيل له لا يخدع عن أخباره و الغنى فيمن قلّ شرهه و اشتدّ أنفه و القوام بامرهم من نظر ليومه و غده قال اشتغلوا عنه بغيره و ان قيل له ضد ذلك يقول اغتتموا الفرصة فان هذا زمانه و أوانه .

لما ورد سبى الفرس إلى المدينة اراد بعض الاعارب أن يبيع النساء و أن يجعل

الرجال عبيد العرب و عزم على أن يحمل العليل و الضعيف و الشيخ الكبير في الطواف و حول البيت على ظهورهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه و آله قال أكرموا كريم كل قوم و أن خالفوكم و هؤلاء الفرس حكماء كرماء فقد القوا إلينا السلام و رغبوا في الاسلام وقد اعتقت منهم لوجه الله حقى و حق بني هاشم .

سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبي قال نعم أما بلغك كتاب رسول الله إلى أهل مكة أن اسلموا و إلا نأخذتكم بحرب فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه و آله أن خذ منا الجزية و دعنا على عبادة الاوثان فكتب إليهم انى لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه زعمت انك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثم أخذت الجزية من مجوس هجر فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله أن المجوس كان لهم نبي فقتلوه و كتاب احرقوه اتاهم نبينهم بكتابتهم في اثنى عشر ألف جلد شور و في اثناء القرن الرابع الهجرى اعترف للمجوس بأنهم أهل ذمة إلى جانب اليهود و النصارى و كان لهم كاليهود و النصارى رئيس يمثلهم في قصر الخلافة و عند الحكومة و كانوا كثيرين بالعراق ^(١) و أكثر ما كانوا في جنوب فارس و في سنة ٣٦٩ وقعت فتنة عظيمة بينهم و بين شامة شيراز من المسلمين و نهبت في هذه الفتنة دور المجوس و ضربوا فسمع عضد الدولة الخبر و جمع كل من له اثر في ذلك و بالغ في تأديبهم و زجرهم و لكن شيراز كانت مدينة هادئة في العادة و قد عجب المقدسى من انه لم يرفيها على مجوسى غياراً يميزه و من ان الاسواق تزين في اعياد الكفار و في عام ٣٧١ مات احد كبار الصوفية فمشى في جنازته المسلمون و اليهود و النصارى و كانت في المفازة التي بشرق فارس مدينة و أهلها مجوس و كسبهم من كرى محيرهم ^(٢) .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا نشكو إليك هؤلاء العرب ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطينا معهم العطايا بالسوية و زوج سلمان و بلالا و صهيباً و أبوا علينا هؤلاء و قالوا لانفعل فذهب اليهم امير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيه فصاح الاعارب أيينا ذلك يا أبا الحسن أيينا ذلك فخرج وهو مغضب يجر

(١) عقد الفريد ج ١ .

(٢) حضارة الاسلام نقلا عن المقدسى .

رداءه وهو يقول يا معشر الموالي ان هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون إليكم ولا يتزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتجروا وبارك الله لكم فأنتي سمعت رسول الله ﷺ يقول الرزق عشرة اجزاء تسعة اجزاء في التجارة و واحدة في غيرها .
قال الصادق عليه السلام في بيان ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقراء عليهم ما كانوا به مؤمنين لو نزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب وقد نزل على العرب فأمنت به العجم فهذه فضيلة العجم .

عن ابن نباته قال سمعت علياً عليه السلام يقول كاتى بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل .

مدح الموالي أي الاعاجم وانه كان رسول الله ﷺ مولاهم وانه لما سمع بعض العرب من النبي ان أنصار علي وأهل بيته عليهم السلام يكونون من العجم لذا حكم بقتل العجم جميعاً لما استولى على بلاد فارس فمنعه على عليه السلام عن ذلك .

قال رجل لابي عبد الله عليه السلام ان الناس يقولون من لم يكن عربياً صلباً أو مولى صريحاً فهو سفلى فقال وأي شيء المولى الصريح فقال له الرجل من ملك أبواه قال ولم قالوا هذا قال لقول رسول الله ﷺ مولى انقوم من أنفسهم فقال سبحان الله أما بلغك ان رسول الله ﷺ قال أنا مولى من لا مولى له أنا مولى كل مسلم عربيها وعجميها فمن والى رسول الله ﷺ أليس من نفس رسول الله ﷺ ثم قال أيهما أشرف من كان من نفس رسول الله ﷺ أو من كان من نفس أعرابي جلف بايل على عقبه ثم قال من دخل في الإسلام رغبة خير ممن دخل رهبة ودخل المنافقون رهبة والموالي دخلوا رغبة .

وهذا أحسن ما يقال في مدح الإيرانيين فأنهم عرفوا الدين وقد روه حق قدره نظير ما نقل هبة الدين الشهرستاني في كتابه ما هو نهج البلاغة عن أحد رجال الإيرانيين ومن فضلائهم في شأن نهج البلاغة وتفوقه على كل كلام عربي ثم قال ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتهم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الافرنج للاستسقاء من بحر علمه الزاخر .

الرجل الكبير في الشرق

انَّ الكبار من الرجال هداة في أممهم وانما يظهر أثرهم في ارشادها والسير بها في الطريق المؤدّية إلى الغاية التي تطلبها وليسوا بخالفين ولا ناشرين من موت وانما تنجح الهداية فيمن رمي بفكره إلى المطلب وعرف انه أبعد عما فيه قتهياً للسفر وتحفز للرحلة واخذلامره أهبتّه واعدله عدته واستقام على أوّل الطريق .

نعم الرجل الكبير موقظ من نوم او منبه من غفلة وليس بمحيي الموتى ولا بمسمع من في القبور فان كانت الامة في منخفض من المنازل قد ضاقت افقها فلا تعرف جواً غير جواها ولادواً غير دواها كأن كان هواؤها وبيئاً وكان مسكنها وبيلا فهي تتملئ في مكانها وتعتقد ان لا منفذ لها من هوائها فاذا وجد الرجل الكبير فأول ما يخطر له ان يفعل هو ان يمدّ بصره إلى ما وراء أفقها حتى يعرف أن وراء منزلتها مذهباً لمن يريد النجاة ممّا هو فيه .

الرجل الكبير يحس و يتألّم و يدفعه الألم إلى أن يتكلّم بل تحمله شدة الألم على أن يجاهد قومه وهم احبّ الناس إليه و يقاتلهم ليدفعهم عن موارد الهلكة وهم اعزّ الخلق عليه و لكن قد يبلغ بهم العمي او قصر البصر أن يعدّوه عدواً لهم فاذا جاء عدوهم الحقيقي و احسّوا شدة الصدمة صاحوا و لكن صياح الثالكة العاجزة فينتهي بهم الامر إلى الاضمحلال و ما بعد الاضمحلال إلا الزوال .

وإن كان ما بالامة ليس نوماً فيزول بالايقظ ولا غفلة فتذهب بالتنبيه و إنما هو خدر شكّت به الاعصاب و زبلت به العقول فما ذا يكون فعل الرجل الكبير .

يجهد عقله بالبحث عن الهواء ويستعمل ما لديه من قوّة في معالجة الداء وهيئات أن يشعر به المريض بل هو تارة يضحك ضحك المستهزى و اخرى يبكي بكاء اليأس و نالته يضرب الطبيب بما حضر لديه حتى يقضى عليه إذن فما الذي يصنعه الرجل الكبير يسعى و يجد و يدأب و يكد ثم يموت محروماً من ثمرة عمله باكيا على خيبة امله و لكن هل ذلك كلّه يقضى على الكبير بان يصغر و هل يحكم على العظيم في نفسه بأن

يحقر كلاً فهو انما يؤدّي واجباً عليه وعلى الله ما وراء ذلك و المرجع إليه (١).
 السيد جمال الدين الاسدآ بادى كان اسمر اللون بما يشبه أهل الحجاز ربعة ممتلىء
 ألبنية أسود العينين نافذ اللحظ جذّاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه
 و لكنه لم يستخدم النظارات و كان خفيف العارضين مسترسل الشعر بجبة و سراويلات
 سوداء تنطبق على الكاحلين و عمامة صغيرة بيضاء على زى علماء الآستانة .
 كان قانتا قانعا قليل الطعام لا يتناوله إلا مرة في النهار و يعتاض عما يفوته من
 ذلك بما يشربه من الشاي مراراً في اليوم و العفة في الطعام لازمة لمن يعمل اعمالاً عقلية
 لان البطنة تمتت الفطنة و كان يدخن نوعاً من السيكار الأفرنجي الجيد و لشدة ولعه
 بالتدخين و عنايته في انتقاء السيكار لم يكن يركن إلى أحد من خدمه في ايتاعه فيتاعه
 هو بنفسه .

مجلسه و خطابه ، كان أديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم
 ينهض لاستقبالهم و يخرج لودائعهم ولا يستنكف من زيارة أصغرهم على امتناعه من
 زيارة أكبرهم إذا ظن في زيارته تزلفاً . و كان ذاعارضة و بلاغة لا يتكلم إلا اللغة الفصحى
 بعبارات واضحة جليّة . و إذا آانس من سامعه التباسا بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان
 السامع عامياً تنازل إلى مخاطبته بلغة العامة ، و كان خطيباً مصقلاً يقم في الشرق اخطب
 منه . و كان قليل المزاح رزيناً كتوماً قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم فيبحث مع
 كل منهم في موضوع يهيمه فاذا خرج جلسه كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى
 يعود هو إليه بشأئه .

اخلاقه ، كان حرّ الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديعاً معانفة
 و عظمة ثابت الجاش قد يساق إلى القتل فيسير إليه سير الشجاع إلى الظفر و هذا أعظم
 مما يقول المتنبي .

فالم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تكون جباناً

و كان كريم النفس راغباً عن حطام الدنيا لا يدخر مالاً ولا يخاف عوزاً و مما رواه أحد تلاميذه أن جمال الدين لما أبعده من مصر أنزل في السويس خالي الجيب فاتاه السيد النقادی فنصل إيران في ذلك الثغر و معه نفر من تجار إيران قدموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية أو القرص الحسن فردّه و قال لهم (أحفظوا المال فأنتم إليه أحوج أن الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب) و كان مقدماً حائثاً على الاقدام فلا يخرج جلسه من بين يديه إلا و قد قام في نفسه محرض على العلى حاث على السعى في سبيلها و لكنّه كان على فضله لا يخلو من حدّة المزاج و لعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية .

كان يقيم في أواخر أيامه بقصر في شان طاش بالاستانه و فيه الاثاث و الرياش و عربة من الاصطبل يجرّها جوادان و أجرى عليه السلطان رزقاً مقداره خمس و سبعون ليرة عثمانية في الشهر .

فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار في منزله فاذا كان الاصيل ركب العربة لترويح النفس في متنزه كاغذ خانة بضواحي الاستانه و كان كثير القيام لايام الاقليات . و كان يقول أن الشرق لا يصلح إلا بمسئد عادل و بيانه أن الاحزاب في الغرب دواء في الشرق تستحيل إلى داء و إليك قسماً من مقاله في عروة الوثقى .

ليس ببعيد على همم الايرانيين و علو افكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية و تقوية الصلات الدينية كما قاموا في بداية الاسلام بنشر علومه و حفظ احكامه و كشف اسراره و ما قصروا في خدمة الشرع الشريف بأية وسيلة نعم البخارى و مسلم و النيسابورى و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابوداود و البغوى و أبو جعفر البلخى و الكلينى و غيرهم ممن أنبتهم أراضى ايران - أبو بكر الرازى الطبيب الشهير و الامام فخر الدين الرازى ممن نشأوا في طهران أبو حامد محمد الغزالى حجة الاسلام و أبو اسحق الاسفراينى و خواجه نصير الدين الطوسى و البيضاوى و الابهرى و عضد الملة و الدين و غيرهم من علماء الاصول و الكلام و التفسير ممن تفتخر بهم بلاد فارس و هو فخار المسلمين - الفيلسوف الشهير أبو على بن سينا و شهاب الدين المقتول و من على

شاكثرهم ممن جبلوا من تراب فارس أن أهل إيران كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط اصوله وتأسيس فنونه منهم سيبويه وابو علي الفارسي والرضي وعبداقاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان أعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية وصاحب صحاح الجوهر من أحدي قراهم ومجد الدين الفيروز آبادي من أحدي القراء في فارس والزمخشري والسكاكي و ابو الفرج و بديع الزمان وغيرهم ممن بينوا دقائق القرآن وشيدوا معالم الدين كلهم من أرض فارس والطبري أول المورخين والاصطخري والقزويني أول الجغرافيين كانوا من بلاد إيران الشبلي كان من نهاوند ابو يزيد البسطامي والعارف المعروف الاستاذ الهروي من إيران هل ينسى صدر الشريعة وفخر الاسلام و الامدى والمرغيناني و الرضي و السعد التفتازاني والسيد الشريف والايوردي كلهم من إيران من أين كان القطب الشيرازي و الصدر الشيرازي و رأس الحكمة مير محمد باقر الداماد وميرفندرسكي وان شئت الاطلاع على نبوغه فعليك بمكتوبه للشيرازي .

قال السيد شرف الدين الموسوي قدس الله سره ان للمؤمنين في تعظيم شعائر الله عز وجل بتشييد المعابد والمشاهد والمعاهد ايادي بيضاء غراء تستوجب الحمد والثناء ولاسيما وما ادريك ما إيران شعب أخلص الله عز وجل في طاعته وانقطع إلى رسول الله و أهل بيته في ولائه ينهج في الدين سبيلهم و يقفوا فيه إثرهم ولا يطبع إلا على غرارهم وله في تعظيم شعائر الله ومشاعرهم التي اذن الله ان ترفع بالقيام عليها غاية تتراجع عنها سوابق الهمم ولاسيما ما كان منها في العراق وخراسان (١) .

و ان تعجب فعجب قول الفاضل المعاصر وهو الدكتور عبد القادر عميد الكلية الشريعة بجامعة الازهر و يعجبني نقله بعين عباراته (٢) اول ما يلاحظ من ذلك الناحية الوطنية للحياة الحكومية ، فنرى ان الوطنية العربية في الإدارة الاسلامية قد اختلفت بمجيء العباسيين فقد برزت إلى الميدان عناصر اجنبية . ولم يكن ظهورها مضعفاً لامر الدين في الواقع ، بل على العكس من ذلك قد اعطت الامور الدينية قوة جديدة

(١) عقيلة الوحي .

(٢) نظرة عامة في التاريخ الفقه الاسلامي ص ١٩٢ نقلا عن كتاب احسن التقاسيم للمقدسي .

لا يستهان بها ذلك ان تلك العناصر الاجنبية التي ظهرت الآن لا أول مرة لم تكن أقل من غيرها استعداداً للدين فالموالي الفرس ولا نذكر عناصر اخرى جاؤا معهم بالتقاليد الدينية التي كانت عندهم إلى هذه الدائرة الجديدة و أخذوا يترجمون إلى الاسلام اطعاني الدينية الموروثة لديهم فمن اجل هذا كانوا في هذا الشأن من غير شك اقرب استعداداً من العناصر العربية الذين خاصموا الاسلام أول الامر ولم يكرنوا بماضيهم على استعداد له و يحكى عن ابن قتيبة انه قال : خراسان اهل الدعوة و أنصار الدولة لما أتى الله بالاسلام كانوا فيه أحسن الامم رغبة و أشدهم إليه مسارعة منّا، من الله عليهم اسلموا طوعاً دخلوا فيه أفواجاً وهكذا أخذ اولئك يتصورون في الاسلام من أجل النواة الاولى التي كانت عندهم فكرة عالية عن الحياة الاجتماعية والعادية

وقال السيد جمال الدين الاسدآبادي بعد ذكر الاسماء أي فضل كان ولم يكن للفرس فيه اليد الطولي أي مزية من الله بها على المسلمين ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها نعم وفيهم جاء من قول النبي ﷺ لو كان العلم في الثريالنا له رجال من فارس .

فيأتيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم وانظروا إلى آثاركم في الاسلام و كونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية .

أنتم بما سبق لكم احق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم في فتوة الاسلام أنتم أجدد المسلمين بوضع اساس للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم .

وقال ابن خلدون و كذا حملة الحديث الذين حفظوه عن الاسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة و كان علماء اصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف و كذا حملة علم الكلام و كذا أكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم و تدوينه إلا الاعاجم و ظهر مصداق قوله ﷺ لو تعلق العلم باكناف السماء لنا له قوم من اهل فارس .

و أنا أقول ان أبا حنيفة و أحمد بن حنبل كليهما من إيران فالأول يسمى الامام الاعظم والثاني هو الاستاذ الاكبر عسى أن تأتي إن شاء الله طرفاً من أحوالهما وأخلاقهما في فرصة أخرى و كان أبو حنيفة قوي الحجّة حتى قال عنه الامام مالك إنه رجل لو كلمته في هذه

السارية أن يجعلها زهبا لتمام بحجته وهو أول من بوّب الفقه وحرّر فصوله ورتّب قياسه وقال فيه بالرأي لكثرة الموضوعين من الزنادقة .

وقد حذر الامام الاعظم أبوحنيفة عن الأخذ بروايات أبي هريرة قال أبو يوسف قلت للامام أبي حنيفة الخبر يجيء عن رسول الله ﷺ و يخالف قياسنا ما نصنع ؟ قال أبوحنيفة إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به و تركنا قياسنا فقلت : ما تقول في رواية أبي بكر و عمر رضي الله عنهما قال ناهيك بها قلت و عليّ و عثمان فقال ناهيك بها فلما رأني اعدّ الصحابة قال : الصحابة كلّهم عدول ، ما عدا رجلاً و عدّ منهم أباهريرة و أنس بن مالك . وقد ثبت كذب أبي هريرة قديماً و صرح بها رجال التاريخ و الادب .

قيل أنّه كان لأبي حنيفة جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنّه الليل رجع إلى منزله بلحم و سمك فيطبخ اللحم و يشوى السمك فاذا دبّ فيه السكر انشد أضعوني و أيّ فتى اضعوا ليوم كربيته و سداد ثغر ولا يزال يشرب و يردد البيت إلى أن يغلبه السكر و ينام و كان أبوحنيفة يصلّي الليل كلّّه و يسمع حديثه و إنشاده ففقد صوته بعض الليالي فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام و هو محبوس فصلّى الامام الفجر و ركب بغلته و مشى و استأذن على الامير فقال ائذنوا له و أقبلوا به راكباً حتى يطأ البساط فلما دخل على الامير أجلسه مكانه و قال ما حاجة الإمام فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم و كلّ من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا ثم أمر بتخليته و تخليتهم أجمعين فركب الامام و تبعه جاره الاسكاف فلما وصل إلى داره قال له أبوحنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت و رعيت جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار و رعايته و لله عليّ أن لا أشرب بعدها خمراً فتاب من يومه و لم يعد إلى ما كان عليه - و لهذا البيت قصة أخرى ألطف من هذه حكاه الأصمعي و قال مررت بكناس يكنس كنيفاً و هو يغنى و يقول أضعوني آه فقلت له أما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه و أمّا سداد الكنيف فمعلوم قال الاصمعي و كنت حديث السنّ فارتد العبت به فأعرض عنّي ملياً ثم أقبل عليّ و أنشد .

و حَقِّقْ لِمَ تَكْرَمُ عَلَيَّ أَحَدٌ بَعْدِي

وَأَكْرَمُ نَفْسِي إِنَّنِي أَنْ أَهْنَتَهَا

فقلت وأي كرامة حصلت لها منك و ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بلى والله من الهوان ما هو أكثر و أعظم مما انا فيه فقلت له و ما هو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فإ نصرفت وأنا أخزى الناس ولا بأس أن تأتي بما في مجمل التواريخ. هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ سأله سلمان وصيتاً باخيه ماهان بن فروخ و أهل بيته و عقبه من بعده ما تناسلوا من أسلم منهم و من أقام على دينه سلم الله أحمد إليك الذي أمرني أن أقول لا إله إلا هو وحده لا شريك له أقولها و أمر الناس بها و أن الخلق خلق الله و الامر كلمة الله خلقهم وأماتهم و هو ينشرهم وإليه المصير و ان كل أمر يزول و كل شئى يبئد و يفنى و كل نفس ذائقة الموت من آمن بالله و رسوله كان له في الآخرة دعة الفائزين و من أقام على دينه تركناه فلا أكره في الدين .

فهذا كتاب لأهل بيت سلمان أن لهم ذمة الله و ذمتي على دماءهم و أموالهم في الارض التي يقيمون فيها سهلها و جبلها و مراعيها و عيونها غير مظلومين و لامضيق عليهم فمن قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين و المؤمنات فعليه أن يحفظهم و يكرمهم و سرهم و لا يتعرض لهم بالاذى و المكروه و قد رفعت عنهم جز الناصيه و الجزية و الحسر و العشر إلى ساير الطون و الكلف ثم أن سألوكم فاعطوهم و أن استعانوا بكم فاعينوهم و أن استجاروا بكم فاجيروهم و أن أسأوا فاعفروا لهم و أن أسئى إليهم فامنعوا عنهم و لهم أن يعطوا من بيت مال المسلمين في كل سنة مأتي حلة في شهر رجب و مائة في الاضحية فقد استحق سلمان ذلك منا و لان فضل سلمان على كثير من المؤمنين و أنزل في الوحي على أن الجنة إلى سلمان أشوق من سلمان إلى الجنة وهو ثقتي و اميني و تقى و نقى ناصح لرسول الله و المؤمنين و سلمان منا أهل البيت فلا يخالفن أحد هذه الوصية فيما أمرت به من الحفظ و البر لأهل بيت سلمان و ذرايرهم .

من أسلم منهم و من أقام على دينه و من خالف هذه الوصية فقد خالف الله و رسوله و عليه اللعنة إلى يوم الدين و من أكرمهم فقد أكرمني وله عند الله الثواب و من آذاهم فقد آذاني و أنا خصمه يوم القيمة جزاؤه نار جهنم و برئت منه ذمتي و السلام عليكم و كتب علي بن أبي طالب بامر رسول الله في رجب سنة تسع من الهجرة و حضر أبو بكر و

عمر و عثمان و طلحة و الزبير و عبدالرحمن و سعد و سعيد و أبوزر و عمار و عيينه و بلال و المقداد و جماعة اخر من المؤمنین .

و في تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠ عن عبدالله بن سلمان الفارسی أن النبي ﷺ أملاً الكتاب على علي بن أبيطالب هذا ما فادى محمد بن عبدالله رسول الله فدى سلمان الفارسی من عثمان بن الأشهل اليهودی ثم القرطی بغرس ثلثمائة نخلة و أربعين اوقية ذهباً وقد برىء محمد بن عبدالله رسول الله لثمن سلمان الفارسی و ولاؤه لمحمد بن عبدالله عبدالله رسول الله و أهل بيته فليس لاحد على سلمان سبيل شهد على ذلك و كتب على ابن أبيطالب يوم الاثنين في جمادى الاولى من سنة مهاجر محمد بن عبدالله رسول الله ثم قال الخطيب في هذا الحديث نظر ذلك أن أول مشاهد سلمان مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق و كانت في السنة الخامسة من الهجرة ولو كان يخلص سلمان من الرق في السنة الاولى من الهواه لم يقته شيء من المغازی مع رسول الله . و أيضاً فإن التاريخ بالهجرة لم يكن في عهد رسول الله ﷺ و أول من أرّخ بها عمر بن الخطاب في خلافته .

أتي رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير ... عائذ بك من الظلم قال: عدت معاذاً : قال : سأقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط و يقول انا ابن الاكرمين . فكتب عمر إلى عمر و يأمره بالقدوم عليه و يقدم بابنه عليه فقدم فقال عمر اين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط و يقول عمر اضرب ابن الاكرمين ثم قال للمصري ضع على صلعة عمر و قال الرجل يا أمير .. انما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمر و مذكم تعبتم الناس و قد ولدتهم امهاتهم احرارا قال يا أمير ... لم أعلم و لم يأتي اراد بعض الملوك أن يتعرف شخصية عمر و يتبين العوامل التي جعلت حفنة من العرب تدوخ الممالك و تبسط سلطانها على الامبراطوريات الضخمة العظيمة فبعث برسول فتلمس الرسول طريقه إلى عمر ، و إذا سأل الناس عنه أشاروا إلى رجل نائم إلى جانب جدار و هو يتوسد عصاه . فقال عدلت فامنت فممت و في تلك الواقعة يقول الشوقي في عمر ياته .

وراع صاحب كسرى ان رأى عمرا بين الرعية عطلاً و هو راعيا

و عهدہ بملوک الفرس أن لها
 رآه مستغرقا في نومه فراى
 فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
 فهان في عينه ما كان يكبره
 و قال قولة حق" اصبحت مثلاً
 امنتم لما اقامت العدل بينهم

في الوسائل عن كتاب الغارات عن أبي اسحق الهمداني ان امرأتين أتتا علياً عليه السلام
 عند القسمة احديهما من العرب والاخرى من الموالي فاعطى كل واحد خمسة وعشرين
 درهماً وكرراً من الطعام فقالت العربية يا امير المؤمنين اني امرأة من العرب وهذه امرأة
 من العجم فقال علي عليه السلام والله لأجد لبني اسمعيل في هذا الفيء فضلاً على بنى اسحق
 وفيه عن محمد بن الحسن عن أبي عبدالله عليه السلام سئل عن قسم بيت المال فقال أهل الاسلام
 هم أبناء الاسلام اسوي بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله اجعلهم كبنى رجل واحد
 لا يفضل احد منهم لفضله وصلاحه في الميراث على آخر .

وفيه أيضاً عن محمد بن الحسن عن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به امير المؤمنين
 قال مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين عليه السلام ما هذا قالوا يا امير المؤمنين
 نصراني فقال عليه السلام استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال
الاسلام هو الاسلام بين الانسان وحرية وحرية الله لكل عباد الله ماميزت يوماً
 ولن تميز بين سيد قرشي وعبد حبشي اما ادعاء الانسان بان في قدرته ان يزوج الحرية
 من العبودية لتعيشا في سلام فهو قاتل السلام .

لوانفتت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم كل ما تسمعونه
 أو ترونه عن مساعي الامم والممالك و ساستها في مسالك السلام ليس اكثر من زيادة بلة
 في طين لانهم يحاولون اقتناصه بقانون يسنونه في مجلس او ميثاق يرمونه في مؤتمر و
 يدعون حمايته بمدفع أو مدرعة وما كان السلام يوماً عنقاء تقتنص بشراك ولا شيخاً عاجراً
 يحتاج إلى عصي ولا طفلاً قاصراً يحتاج إلى حمى لو أن السلام يحيى في اقفاص المواثيق

لما عرف العالم غير السلام ولو انه يعيش في افواه المدافع واحشاء المدرعات لما كانت المدافع ولا المدرعات انه لاقل بلاهة أن لاتأمن هراً على فارة أو تكل حراسة الجنة لا بليس من ان تأمن مدفعا على السلام أو تجعل مدرعة حارسه له .

السلام الذي أحدثكم عنه هو غير ماتعود الناس الكلام عنه باسم السلام فهو لا يبتدي وينتهي بقولكم السلام هو ان في النفس واثلاف في القلب هو شقيق المحبة بل هو المحبة روح الحيوة فتشوا عنه في قلوبكم أما في غير القلب فعبثاً تفتشون هناك في ذلك العالم المتناهي بحجمه اللامتناهي بقوته لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن هناك اعقدوا موتمراتكم للسلم فاذا وقعتم بين ما فيكم من نزعات تشدكم إلى فوق واخرى تجذبكم إلى أسفل وشهوات تسير بكم شرقاً واخرى تقودكم غرباً عرفتم السلام وكنتم في سلام مع العالم حتى وان كان العالم في اضطراب وإذا ما همست نفس احدكم في أنه قائلة فلان عدوى لا حذفه من الوجود إنتهرها قائلاً فلان منى وأنامنه أن حذفته حذف ذاتي وكيف ا حذف ذاتي بذاتي هل الوجود يحذف الوجود هكذا تتحول حربكم مع العالم إلى حربكم مع أنفسكم هي حرب ضروس أين من هولها حروب الجيوش والاساطيل و لصعوبة معالجة النفس وانتزاع صفاتها الذميمة سمى النبي ﷺ هذا النوع بالجهاد الاكبر لانه مقاومة العدو الداخلي ومكافحة الجهل والجبر والجور والظلم والكبر والغرور والحسد والشح أعدى عدوى يك نفسك التي بين جنبيك كلما ربحت معركة من معاركها اقتربت من السلام والظفر حليف كل من حارب ويحارب نفسه بثبات وقوة حتى النهاية .

مالم تعتقد و اسلمنا مع أنفسكم فعبثاً تطلبون السلام فحيثما كانت المحبة كان السلام وحيث لا محبة لا سلام لقد يتذرع بعضكم بالطبيعة فيقول لي جميل هو السلام الذي تحد ثنا عنه ولكنه لا وجود له إلا في الخيال ها هي الطبيعة لا تقوم إلا بالنزاع وقد جعلت الضعيف طعاماً للقوى الذئب يبتطش بالحمل والصقر يمزق العصفور وقديماً قالوا الحق مع القوى والحكم لمن غلب وهذا هو القانون الذي يسمونه بتنازع البقاء .

ليت من يقول هذا يتفحص الطبيعة ببصيرته لا يبصره اذن لخاطب نفسه هكذا الطبيعة جسد واحد يحيى بروح واحد وأنا ماسمعتها يوماً تقول هذا لي وهذا ليس لي

بل كلما فيها لها وهي لكل ما فيها فلا مالك ولا مملوك وهي ما جعلت الضعيف طعاماً للقوى إلا جعلت القوى طعاماً للضعيف فلا ضعف فيها ولا قوة ولا محاباة ولا تمييز وهي تستخدم كل قواها لتخلق البرغشة وتحببها .

ذاك شأن الطبيعة في كل أعمالها مظهر منها وما استتر فلا نزاع فيها ولا خصام أنت تبخل بكسرة من خبز أنت يامن لا يدين جاره المعوز فلساً إلا ليسترده فلسين أنتى لك أن تدرك عفة قلب الطبيعة وسخاء روحها السموح عند ما تعطيك وتعطى كل أبنائها من ذاتها و بغير حساب .

الوجود معناه الحرية و الشعور بالحرية هو الشعور بالوجود و الحرية اختيار بين الكائنات ولكنه اختيار غير مبنى على أسباب وعلل بل ينبثق انبثاقاً بديهيّاً من الذات لانها الامكان للحرية و الارادة و العمل وكما ان الظل و صاحبه متلازمان فكذلك تنبثق الحرية و تلازم الذات و لا معنى للوجود بدون الحرية و ربما يخطر لك ان الوجود شيء ظاهر لا يحتاج إلى بيان و شرح قيل أن أحد التلاميذ خرج من بين يدي الفاحص عابساً كثيراً . فسأله رفيقه المنتظر خارجاً عن سبب تجهمه . فاعلمه أنه تعذر عليه الجواب عن سؤال لفاحص واستفسره عن الموضوع الذي استعصى عليه فقال سألتني عن ماهية العظم . فضحك الرفيق ماشاء الضحك هازئاً برفيقه وتمنى لو يسأل مثل هذا السؤال البسيط .

واتفق أن دعى صاحبنا الساخر في تلك اللحظة إلى قاعة الامتحان وسأله الفاحص نفسه عن تركيب العظم . فاجاب أتحسبني غباً مثل رفيقي أغرق في كوبة ماء ؟ العظم ألا تعرف العظم ؟ ألا تأكل اللحم ألم تأكل راس الدجاج و تستخرج منه النخاع ألم تكسر العظم إنذاك ؟ وطبعاً فقد استحق صاحبنا علامة الصفر و لا تعجلن علينا يا القارى فتحديد الوجود اصعب من تحديد العظم مفهومه من أبده الاشياء وكنهه في غاية الخفاء يقول أبو البركات الوجود أظهر من كل ظاهر وأخفى من كل خفي أما ظهوره فلان من يشعر بذاته يشعر بوجوده و الحرية تحمل حقيقتها معه مباشرة كما يحمل الزنجي لونه في وجهه فلا حاجة لشهادة خطه بانه أسود فللوجود ومعرفة الوجود متلازمان وهذا

ما يستعصى على الموضوعية التي تفرق بين الشاهد والمشهود عليه فحريتك هي ذاتك بعينها
 قيل ان قروياً لبنانياً بسيطاً هاجر إلى أمريكا فمكث فيها بضع سنوات واقبلت
 عليه الدنيا فجمع ثروه مادية تنحني لها رؤوس الرعايع . و خطر له ان يعود ففكر في
 أهل قريته . و في السهرة الاولى الحافلة التي سيتألب فيها عليه اترابه و رفاق شبابه .
 و توقع أن يسألوه عن أمريكا وأن يدور الحديث على النوادر و الأحاجي . و كان يود
 الظهور بمظهر الذكي الذي تلاعب عبقريته مع ثروته فلا يتفوق عليه ابناء قريته الصغيرة
 بل يتحتم عليه أن يبذلهم جميعاً لأنه سكن الطبقة الاربعين من إحدى ناطحات السحاب
 في نيويورك . و شهد جسر بروكلن و معامل فورد . و في الحقيقة أن صاحبنا قد ازداد جهلاً
 على جهل في أثناء هجرته و أصابه ما أصاب الغراب فلجأ إلى صديق له يشغل وظيفة في
 دائرة جوازات السفر . و اخبره عن اعتزازه العودة و سأله أن يعلمه نادرة أو أحجية
 فاجابه إلى ما طلب و قال له باللغة العامية (أحذر شخص من أمي و بيئي لاهواختي
 ولا هو خي) و فصيحها من هو الشخص المتحدر من أمي و أبي وليس باختي ولا بأخي؟
 فأطرق صاحبنا الغبي ساعة و قال عجزت عن الحل فضحك صاحبه و قال عجباً كيف لم
 تحرز هذا الشخص هو ، انا . فطرب المغمفل لهذا الجواب و قام يصفق بيديه فرحاً و يقول
 نعم هو هو : و استعاد الأحجية و حلها مرات و ودع صاحبها شاكراً و جاء لبنان فهرع
 أهل قريته للسلام عليه ليلة وصوله اظهراً لشوقهم و سألوه مسائل شتى و أنصتوا إليه و
 كان من الطبيعي أن يبادرهم بالأحجية كنزه الفكري الوحيد ! و لما رأى حيرتهم أرثى
 لجهلهم و قال مساكين أنتم فمتى تتمدنون . بارك الله بأمريكا . أن الشخص الذي من أمي
 و بيئي ولا هواختي ولا هو خي هو مأمور جوازات السفر في نيويورك أما بعد فحريتك
 أيها القارى هي أنت لامأمور الجوازات في نيويورك^(١) .

وقل الفصل و جانب من هزل
 فلايام الصبا نجم افل

اعتزل ذكر الاغانى و الغزل
 ودع الذكرى لايام الصبا

انَّ أهني عيشة قضيَّتها
 و أترك العادة لا تحفل بها
 و اهجر الخمرة أن كنت فتى
 و اتق الله فتقوى الله ما
 ليس من يقطع طرقاً بطلا
 كتب الموت على الخلق فكم
 أين نمرود و كنعان و من
 أين من سادوا و شادوا و بنوا
 أين أرباب الحجى أهل النهى
 سيعيد الله كلاً منهم
 أي بني أسمع وصايا جمعت
 أطلب العلم ولا تكسل فما
 و أحتفل بالفقه في الدين ولا
 و أهجر النوم و حصَّله فمن
 لا تقل قد زهبت أيامه
 في ازدياد العلم إرغام العدى
 إطرح الدنيا فمن عادتها
 عيشة الراغب في تحصيلها
 لا تقل أصلى و فصلى أبداً
 قد يسود المرء من دون أب
 إنَّما الورء من الشوك و ما
 قيمة الإنسان ما يحسنه
 بين تبذير و بخل رتبة
 ليس يخلوا المرء من ضد ولو

زهبت لذاتها و الإثم حل
 تمس في عز و ترفع و تجل
 كيف يسعى في جنون من عقل
 جاورت قلب أمريء إلا وصل
 إنَّما من يتقى الله البطل
 فلَّ من جيش و افنى من دول
 ملك الارض و ولى و عزل
 هلك الكل و لم تغن القل
 أين أهل العلم و القوم الأول
 و سيجزى فاعلاً ما قد فعل
 حكماً خصت بها خير الملل
 ابعث الخير على أهل الكسل
 تشتغل عنه بمال و خول
 يعرف المطلوب يحقر ما بذل
 كل من سار على الدرب وصل
 و جمال العلم إصلاح العمل
 تخفض العالى و تعلو من سفل
 عيشة الجاهل فيها أو أقل
 إنَّما أصل الفتى ما قد حصل
 و بحسن السبك قد ينفى الزغل
 ينبت النرجس إلا من بصل
 أكثر الإنسان منه أم أقل
 و كلاً هذين إن زاد قتل
 حاول العزلة في رأس جبل

دار جنب السوء بالصبر وإن
جانب السلطان واحذر بطشه
غم وزغباً تزد حباً فمن
حبك الاوطان عجز ظاهر
لم تجد صبراً فما أحلى النقل
لا تعاند من إذا قال فعل
أكثر الترداد أضناه الملل
فاغترب تلق عن الأهل لبذل
وسرى البدر به البدر اكتمل
فبمكث الماء يبقى آسنا

الملوك كسرى في إيران قيصر في الروم هرقل في الشام خاقان في الترك تبّع في اليمن قيل في حمير مأرب في سبا نجاشي في الحبشة قال بعض الفضلاء في كتاب ألف باء وأما ابرويزو وتفسيره المظفر^(١) كان له ألف فيل و خمسون ألف فرس وثلاثة آلاف امرأة فيما ذكره الطبري وهو الملقب كسرى .

لما قدم عبدالله بن حذافة بامر رسول الله ﷺ على كسرى قال يا معشر الفرس إنكم عشتُم باحلامكم لعدة أيامكم بغير نبي ولا كتاب ، ولا تملك ! من الأرض إلا ما في يديك ، و ما لملك منهم أكثر وقد ملك الأرض قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة أخذ أهل الآخرة بحظّها من الدنيا و ضيّع أهل الدنيا حظّهم من الآخرة فاختلفوا في سعي الدنيا و استووا في عدل الآخرة و قد صغر هذا الامر عندك إنّنا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت و ما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي سيخرجك عنه و في وقعة ذي قار على ذلك دليل فأخذ الكتاب فمزّقه ثم قال لي ملك هنىء ولا أخشى عليه أن أعلب ولا أشارك فيه وقد ملك فرعون بني إسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعني أن أملككم و أنا خير منه فاما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب و أنتم أولئك تشبع بطونكم و تأبى عيونكم فاما وقعة ذي قار فهى وقعة بالشام قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزّقوا كل ممزّق فكان ذلك .

ثم كتب إلى فيروز أن يذهب إلى مكة فيجئني بهذا العبد الذي دعاني إلى غير ديني

(١) هذا الكتاب مثل فضلاء المعاصرين تلامذة المساتير و المسميات : تعلموا الفارسي من اوروبا و امريكا كما يأخذون الكاتيون في مصر يعدون انفسهم من اهل السنة عقايد الشيعة من اعدائنا الفجرة أو النفوس المستاجرة خلط الفاضل البروين واشتهه به فيروز .

وقدّم اسمه في الخطاب على اسمي فجاء فيروز إلى رسول الله فقال أن ربّي أمرني أن أمهلك إليه فقال له رسول الله ﷺ أن ربي أخبرني أنه قد قتل ربك البارحة فاقم حتى تعلم فإن كان ما قلت حقاً وإلا فانت من وراء أمرك ففزع فيروز وهاب أن يقدم عليه ثم وردت الاخبار من كل ناحية بان كسرى قدثار عليه ابنه شيرويه فقتله^(١) تلك الليلة بعينها فاسلم فيروز و حسن اسلامه و هو الذي قتل الأسود العنسي و أنه تنبأً بصنعاء اليمن ولا بأس بان نذكر بعض خرافاته و سخافاتة لان الأشياء تعرف باضدادها فلو لا الحمقى لم يعرف العقلاء و لولا الجهال ما مميّز العلماء هو اسود بن كعب يلقب عبهله و يقال له ذو الخمار لانه كان يغطّي رأسه بخمار و كان يتلو و المائسات ميسا و الدارسات درسا يحجون غضبا و فرادى على قلايص بيض و صفر و هذا الكلام ما اشبهه بالعي و أقربه من الغي ومثله كلام نضر بن الحارث الذي عارض القرآن العظيم بكلام حادث والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخايزات خبزا فاللاقمات لقما .

قدم على النبي ﷺ النعمان السباق و كان من أحبار يهود اليمن فاسلم وتعلّم سورا من القرآن ثم رجع إلى قومه و حذره النبي ﷺ الاسود هذا و خافه عليه فكان ما خافه ﷺ أخذه الاسود و آمنه حتى تعلم ما كان يحفظ من القرآن ثم قتله و ادعى ذلك لنفسه و كيفية قتله قطعته عضواً عضواً و هو يقول أشهد أن محمداً رسول الله و انك كذاب مفترى على الله الكذب ثم حرقه بالنار و قد فعل بابي مسلم الخولاني مثل هذا وقد نجاه الله .

(١) من عجائب الاتفاق ما حكاه بعض أصحاب التواريخ أن المنتصر لما أصبح في الخلافة و جلس للبيعة فرش في الدار بساط جليل كسروي ، فوقف أحد رجال المنتصر على بعض صنائه و قد نظر إلى دائرة فيها صورة رجل هيت مسيحي على سريره و قدماه ملك منتصب على سرير الملك على رأسه التاج و المرابطة قيام بين يديه و على رأسه سطور بالفارسية فلما نظر الرجل إلى الصورة و قرأ ما عليها دمعت عيناه فدعا به و قال له . ما هذا الذي تنظر إليه ؟ قال لا شيء يا امير . . . قال فلم بكيت ؟ قال طرفت عيني بثوبى . قال لا بد من الصدق عما رأيت . قال وقعت عنى على هذه الصورة فبقيت اعجب من حسن تصويرها ثم قرأت ما عليها مكتوب فاذا هو (هذه صورة شيرويه بن كسرى قتل اباه فلم يعش بعده إلا تسعة اشهر فانخذل المنتصر و وجهه ولم يعش إلا هذا القدر .

و كان آخر أمره أن المرزبانة وهي من أبناء الذين كانوا باليمن احتالت في قتله و كانت ممن ثبت على الاسلام مع قومها و أنها لما بلغها موت النبي ﷺ شقت درعها و جمعت النساء فبكين على رسول الله و كانت امرأة جميلة فغلب عليها الاسود العنسى و استنكحها فجمعت تشكو أمرها إلى قومها إلى أن ذكرت ذلك لفيروز الديلمي و كان رجلا صالحاً جلدأ فقالت له الاتريخني من هذا الخبيث و تنقذني مما أنا فيه قد غلبني على نفسي و هو مع ذلك لا يغتسل من جنابة و يستحل الحرام و يشرب الخمر ولا يتورع من الفواحش يقتري على الله عز وجل و يدعى رسالته فقال لها وكيف ، فقالت أنا أحتال فاعمل نفقا في البستان حتى تدخل علي في ساعة يسكر فيها ففعلت ذلك و دخل عليها فيروز و ليس في البيت غيره و المرزبانة وهو قد ثمل من الخمر قال و نشبت سيفي فأ تبرك عليه و كان طويل العنقون فكسرت عنقه و جعلت وجهه في قفاه ثم خرج من ذلك النفق و أخرج معه المرزبانة و اراح الله منه العباد و البلاد و اصلاه جهنم و بئس المهاده و يروى أيضاً أن قيس بن مكسوح و زويه دخلوا مع فيروز المذكور من ذلك السرب فزبوه باسيا فيهم حتى قتلوه و هو سكران (١)

ومما يحكى بين الاصمعي والكسائي في مجلس الرشيد أن الاصمعي سأل الكسائي

في معنى قول الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ☆ و دعا فلم ار مثله مقتولا

قال الكسائي كان محرماً بالحج قال الاصمعي فقوله قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يتمتع بكفر فهل كان محرماً بالحج فقال هرون للكسائي يا على إذا جاء الشعر فياك و الاصمعي قال الاصمعي قوله محرماً أى في حرمة الاسلام و من قيل مسلم محرماً أى لم يحل من نفسه شيئاً يوجب القتل و قوله محرماً في كسرى يعنى حرمة العهد الذي كان له في عنق أصحابه - وقال الأنبارى يجوز أن يكون محرماً في بيت عثمان أى داخلاً في أشهر الحرم يقال أحرم الرجل إذا دخل في الأشهر الحرم وقد كان قتل عثمان في ثمان

عشرة خلت من شهر ذى الحجة سنة خمس و ثلاثين و كان الاصمعي على سعة محفوظاته فقد كان بعض ما يروى من الشعر مما لم يسمعه أحد قال أبو عبدالله بن الاعرابي شهدت الاصمعي وقد أنشد نحواً من مأتي بيت ما فيها بيت عرفناه وكان صدوقاً في الحديث ولذلك كان محدث القوم أو شاعرهم إذا أراد أن يجعل لروايته نصيباً من الصدق عند السامعين عزّأها إلى الاصمعي وقد وضعت روايات كثيرة اعتمد فيها على نسبتها إليه و هو برىء منها اللهم إلا أن يقال كما تقدم أن هذا اللقب وضع وضعاً اصطلاحياً لكل مؤلف في السير و الاخبار و من غريب ما كان عليه الاصمعي هو عدم قدرته على معرفة الشعر علماً فكان يجهل اوزانه و ضروبه حتى أنه أراد أن يتعلمه فاتي الخليل و صار يتلقني عليه ما لم يتصرف فيه بشيء ولا يعقل له معنى حتى يشس منه الخليل و أراد التخلص منه فقال يا أبا سعيد كيف تقطع قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه و جاوزه إلى ما تستطيع

فعلم الاصمعي أن الخليل قد تأذى منه فترك العروض ولم يعاوده .

و كان الاصمعي من أهل البصرة و قدم بغداد أيام الرشيد قال في تقرّب به إلى الرشيد بعث إليّ الأمين ، و كان وليّ عهده ، فصرّت إليه فقال أن الفضل بن الربيع يحدث عن أمير . . . أنه يأمر بحملك إليه على ثلاث دواب من دوّاب البريد و كان الرشيد حينئذ بالرقّة فجهزت و حملت إليه فلما وصلت الرقّة أوصلت إلى الفضل بن الربيع فقال لاتلقين أحداً ولا تكلمه حتى أوصلك إلى أمير . . . و أنزلتني منزلاً قمت فيه يومين ثم استحضرتني فقال جئني وقت المغرب حتى ادخلك على أمير . . . فجئته فادخلني فاذا هو الرشيد جالس منفرد فسلمت عليه فاستدنانني وأمرني بالجلوس فجلست فقال يا عبد الملك وجهت إليك بسبب جاريتين أهديتا إليّ أخذتا طرفاً من الأدب أحببت أن تبور (تختبر) ما عندهما و تشير فيهما بما هو الصواب عندك ثم قال ليمض إلي عاتكة فيقال لها احضري الجاريتين فحضرت و معها جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحدهما ما إسمك قالت فلانة قلت فما عندك من العلم قالت ما أمر الله به في كتابه ثم ما تنظر فيه من الآداب و الأشعار و الأخبار فسألته عن حروف من القرآن فاجابتنى كأنها تقرأ الجواب من كتاب وسألته

عن النحو و العروض و الاخبار فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه قلت فان كنت
تقرضين من الشعر فانشدينا شيئاً فاندفعت في هذا الشعر :

يا غياث البلاد في كل محل ☆ ما يريد العباد إلا رضا
لا و من شرف الامام و اعلى ☆ ما أطاع الاءله عبد عساكا (العيان بالله)
فقلت يا أمير ... ما رأيت امرأة في مسك رجل مثلها و سألت الاخرى فوجدتها
دونها إلا أنها إن و أظمت لحقتها فقال يا عباس فقال الفضل ليك فقال ليرد إلى عاتكة
ثم أن الخليفة قال يا عبد الملك أنا ضجر قد جلست أحب أن أسمع حديثاً انفرج به
فحدثني بشيء فقلت لاي الحديث يقصد أمير ... فقال لما شاهدت و سمعت من أعاجيب
الناس و طرائف أخبارهم فقلت يا أمير ... كان صاحب لنا في بدو بني فلان كنت أغشاه
و اتحدثت معه و قد أتت عليه ست و تسعون سنة أصح الناس زهنا و أجودهم أكلوا و أفواهم
بدناً فغبرت عنه زماناً ثم قصده فوجدته ناحل البدن كسف البال متغير الحال فقلت
ماشانك أصابتك مصيبة قال لا قلت فمرض عراك قال لا قلت فما سبب هذا الذي أراه بك
فقال قصدت بعض القرابة في حي بني فلان فالفيت عندهم جارية قد لاثت رأسها و طلت
بالورس ما بين قرنها إلى قدمها و عليها قميص و قناع مصوغان و في عنقها طبل توقع
عليه و تشد .

محاسنها سهام للمنايا
تري ريب الزمان لهن سهما
مريشة بانواع الخطوب
يصيب بنصله مهج القلوب فاجبتها
قفي شغفى في موضع الطبل يرتقى
هبيني عوداً أجوفاً تحت سنه
كما قد ابحث الطبل في جيدك الحسن
تمتع فيما بين نحرک و الذقن
فلما سمعت الشعر منى نزع الطبل و رمت به وجهي و بادرت إلى الخباء فلم
أزل واقفاً حتى حميت الشمس على مفرق رأسى لا تخرج ولا ترجع إلي جواباً فقلت
أنا لله أنا والله معها كما قال الشاعر :

فوالله يا سلمى لطل إقامتى ☆ على غير شيء يا سلمى أراقبه
ثم أنصرفت سخين العين فرح القلب فهذا الذى ترى من التغير عشقى لها قال فضحك

الرشيد حتى استلقى و قال ويحك يا عبد الملك ابن ستة و تسعين سنة يعشق قلت قد كان هذا يا أمير ... فقال يا عباس قال الفضل لبنيك قال اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردّه إلى مدينة السلمه فانصرفت فاذا خادم يحمل شيئاً و معه جارية تحمل شيئاً فقال أنا رسول الجارية التي وصفتها و هذه جاريتها وهي تقرأ عليك السلام و تقول لك أمير.. أمرلي بالف دينار وهذا نصيبك وهي تقول لن نخليك من المواصلة بالبر فلم ترل تتعهدني بالبر حتى كانت فنية محمد فانقطعت أخبارها عنى . وأمرلي الفضل بن الربيع من ماله أيضاً بعشرة آلاف درهم و حكى أبو العباس المبرّد قال دخل الاصمعي على الرشيد بعد غيبة كانت منه فقال يا اصمعي كيف أنت بعدنا قال ما لاقتني أرض بعدك فقال ما استقرت بي أرض فقال هذا حسن ولكن لا ينبغي أن تكلمنى بين الناس إلا بما أفهمه فاذا خلوت فعلمنى فانه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً لانه لا يخلو ما ان أسكت أو أجيب فاذا سكّت فيعلم الناس أنى لا أعلم إن لم أجب و إذا أجبت بغير الجواب فيعلم من جوابى أنى لا أفهم ما قلت قال الاصمعي فعلمنى أكثر ممّا علمته .

طالما تقلّب هذا اللقب على موارد الادب و ذكر على منصات الرواية و ذكره الشعراء في الاسناد حتى صار علماً بالغلبة على كل رواية و اخذ الناس يضربون به المثل لكل تحرير كبير و عليم خبير وما ذلك إلا لشهرة صاحب هذا اللقب أبى سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الله بن اصمعي كان على كعب عال في النحو واللغة و الغريب و الملح فكان يحفظ آلاف ارجوزة و كذلك ترى لاسمه شان في كافة ضروب الادب . قال الاخفش فيه مارأينا احداً أعلم بالشعر من الأصمعي و خلف و كان الاصمعي أعلم من خلف في الشعر لانه كان نحوياً كبيراً و عنده من الشواهد ما قد جمع به قواعد النحو .

و قال أبو اسمعيل بن القاسم كان أبو بكر الانبارى يحفظ ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن قال أبو الحسن العروضى قلت لابي بكر الانبارى قد اكثر الناس في حفظك فكم تحفظ قال احفظ ثلاثة عشر صندوقاً .

و روى ان حبيباً أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف ارجوزة غير القصايد و المقاطيع وان أبا الطيب كان من المكثرين من نقل اللغة و المطلعين على غريبها ولا يسأل

عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب من النظم و النثر وقد خلد شعر الاول و الثاني
لما انهما قد ايقنا بان لن يبرزا على غيرهما و ينزلا حيث ينزلا حتى يحالفا العناء و
الصبر و ينققا في سبيل العلم افضل العمر قال المتبني او المتنبه كما تسميه المغاربة
دعيني انل ما لا ينال من العلا فصعب العلى في الصعب و السهل في السهل
وقال ابوالمعمر يحيى العلوى و كان من اجلة اهل الادب و السود :

حسود مريض القلب يخفى أئينه و يضجى كئيب البال عندى حزينه
يلوم على ان رحى للعلم طالباً أجمع من عند الرواة فنونه
و يزعم ان العلم لا يكسب الغنى و يحسن بالجهل الذميمة ظنونه
فيا لائى دعنى أغالى بقيمتى فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وكان خليل بن احمد الذي أقام في خص من اخصاص البصرة لا يقدر على فلسين
واصحابه يكسبون بعلمه الاموال وهو زاهد فيما يرغب فيه واستاذ سيبويه و يقول انى
لا أغلق على بأبى فما يجاوزه همى ولسان حاله ينشد قول الشافعي :

علي ثياب لويباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
و فيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت اعز و اكبرا

وحكى عن المبرد ايضاً قال مازح الرشيد ام جعفر فقال لها كيف أصبحت يام
نهر فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه فانذت إلى الأصمعي تسأله فقال . الجعفر النهر الصغير
فطابت نفسه و يحكى عن الأصمعي انه قال كلمت أبا يوسف القاضي بحضرة الرشيد في
الفرق بين عقلت القليل وعقلت عنه فلم يفهمه حتى فهمته عقلت القليل إذا أدت ديته
وعقلت عنه إذا ألزمته دية فأديتها عنه .

وكان للأصمعي مع أبي عبيدة في مجلس الفضل مكاتبة في كتاب الخيل الذي ألفه
كل منهما وكان الأصمعي فائز الفرس في هذا المضمار و مما يحكى للأصمعي في الذكاء
انه لما قدم الحسن بن سهل العراق احب أن يجمع بين جماعة من أهل الأدب فاحضروا
فاخرج الحسن رقاعاً للناس في حاجاتهم فوقع عليها وكانت خمسين ورقة ثم أمر فدفعت
إلى الخازن ثم أفيض في ذكر الحفظ فذكر جماعة فالتفت أبو عبيدة وقال ما الغرض من ذلك

أيها الأمير في ذكر من مضى . هاهنا من يقول انه ماقرأ كتاباً قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء و خرج منه فالتفت الأصمعي وقال انما يريدني هذا القول وقد نظر الامير في خمسين رقعة و انا أعيد وما وقع به على كل رقعة فاحضرت الرقاع فقال الأصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا و وقع له بكذا و هكذا رقعة بعد رقعة حتى وفي نيفاً وأربعين فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل إبق على نفسك من العين فكف الأصمعي .

شهادة الشافعي له كان الشافعي ره يقول ماعبّر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي وقال عمرو بن مرزوق رأيت الأصمعي و سيبويه يتناظران فقال يونس الحق مع سيبويه و هذا يغلبه بلسانه دل ذلك على بلاغة عبارته وقوة تأثيره و بيانه .

وقال الحريري كان أهل البصرة منهم صاحب الاهواء إلا أربعة فانهم كانوا اصحاب سنة أبو عمرو بن العلاء و الخليل بن أحمد و يونس بن حبيب و الأصمعي و قال محمد بن إبراهيم سمعت أحمد بن حنبل يثنى على الأصمعي بالثقة و قال سمعت علي بن المديني يثنى عليه و سمعت أحمد بن حنبل و علي بن معين يثنيان عليه في السنة و روي عن أبي حشمة قال سمعت من يحيى بن معين ، الأصمعي ثقة و سئل ابوداود عن الأصمعي فقال صدوق .

و لما ثبت و تحقق من مجموع الشهادات التي ادواها هؤلاء الأعاظم و كان الشيء بالشيء يذكر نأتي منه برواية تاريخية ما تخلو عن فائدة دينية .

في سنة ١٧٢ وقعت العصبية بأرض الشام بين المضربية و اليمانية فتحاربوا حتى قتل بين الفريقين بشر كثير و حجّ الرشيد في ذلك العام بالناس و معه ابناه محمد و عبدالله و كتب بينهما كتاباً بولاية العهد لمحمد و من بعده لعبدالله المأمون و علق الكتاب في جوف الكعبة ثم أنصرف إلى مدينة السلام و استعمل على خراسان الغطريف بن عطاء .

قال علي بن حمزة الكسائي و لاني الرشيد تاديب محمد و عبدالله فكانت اشدّ عليهما في الادب و أخذهما به أخذاً شديداً و بخاصة محمداً فاتنتني ذات يوم خالصة جارية ام جعفر فقالت يا كسائي أن السيدة تقرأ عليك السلام و تقول حاجتي إليك أن ترفق بابني محمد

فانه ثمرة فؤادى وقرّة عيني وأنا أرق رقّة شديدة فقلت لخالصة أن محمّداً مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز التقصير في بابه فقالت خالصة أن لركة السيّدة سبياً أنا مخبرتك به أنها في الليلة التي ولدته أريت في منامها كان أربع نسوة أقبلن إليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله وأمامه وورائه فقالت التي بين يديه ملك قليل العمر ضيق الصدر عظيم الكبرو اهي الامر كثير الوزر شديد العذر وقالت التي من ورائه ملك قصاف مبذرم تلاف قليل الانصاف كثير الاسراف وقالت التي عن يمينه ملك ضخم قليل الحكم كثير الاثم قطع للرحم و قالت التي عن يساره ملك غداً كثير العثار سريع الدمار ثم بكت خالصة وقالت يا كسائي وهل يغنى الحذر . لقد جفّ القلم بما هو كائن ، لارادّ لقضائه .

هي المقادير فما تغنى الحذر	ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
إذا أراد الله أمراً بامرئ	وكان ذا عقل و ذا سمع بصر
اصمّ أذنيه و أعمى عينه	فسلّ عنه عقله سلّ الشعر
و بعد ما أنفذ فيه حكمه	يردّ عقله له ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى	فكلّ شىء بقضاء و قدر

وهذه أبيات حفظتها من قبل أوردتها هنا للمناسبة والمقصود بيان ما ذكر عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد و كنت غبت عنه حولين بالبصرة فاوماً إليّ بالجلوس قريباً منه فجلست قليلاً ثم نهضت فاوماً إليّ أن أجلس فجلست حتى خفت الناس ثم قال لي يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمّداً وعبدالله قلت بلي يا أمير المؤمنين إنني لأحب ذلك وما أردت القيام إلا إليهما لأسلم عليهما قال تكفي ثم قال عليّ بمحمّد و عبد الله فانطلق الرسول و قال احببنا أمير ... فأقبلا كأنيهما قمرا أفق قد قاربا خطاهما و ضربا ببصرهما الارض حتى وقفا عليّ أبيهما و سلّما عليه بالخلافه و أوماً إليهما فدنيا منه فاجلس محمّداً عن يمينه و عبدالله عن شماله ثم أمرني بمطارحتهما فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الادب إلا أجابا فيه وأصابا فقال كيف ترى أدبهما قلت يا أمير .. ما رأيت مثلهما في ذكائهما و جودة ذهنهما فاطال الله بقاءهما و رزق الامّة من رأفتهما و معظمتهما فضمّهما إلى صدره و سبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه ثم أذن لهما حتى إذا

نهضا وخرجا قال كيف بكم إذا ظهر تعاديهما و بدا تباغضهما و وقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء و يود كثير من الاحياء أنهم كانوا موتى قلت يا أميرا ... هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما أو شيء آثرته العلماء في أمرهما قال بل شيء آثرته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء في أمرهما قالوا فكان المأمون يقول في خلافته قد كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر عليه السلام فلذلك قال ما قال :

لما صارت الخلافة إلى المنصورهم بنقض ايوان المدائن فاستشار جماعة من أصحابه و كلهم أشار بمثل ما هم به و كان معه كاتب من الفرس فاستشاره في ذلك فقال له : يا أمير ... أنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من تلك القرية (يعنى المدينة) و كان له بها مثل ذلك المنزل ، و لأصحابه مثل تلك الحجر ، فخرج أصحاب ذلك الرسول حتى جاؤا مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزته و صعوبة أمره فغلبوه و أخذوه من يديه قسراً و قهراً ثم قتلوه ، فيجيء الجائي من أقاصي الارض فينظر إلى تلك المدينة و إلى هذا الإيوان و يعلم أن صاحبها قهر صاحب هذا الإيوان فلا يشك أنه بأمر الله و أنه هو الذي أيده و كان معه و مع أصحابه ، و في تركه فخر لكم فاستعشبه المنصور و اتهمه لقرابته من القوم ثم بعث في نقض الإيوان فنقض منه الشيء اليسير ثم كتب إليه هو ذا يغرم في نقضه أكثر مما يسترجع منه و أن هذا تلف الاموال و زهابها فدعا الكاتب و استشاره فيما كتب به إليه فقال لقد كنت أشرت بشيء لم يقبل مني ، فأما الآن فاني آنف لكم أن يكون أولئك بنوا بناءً تعجزون أنتم عن هدمه و الصواب أن تبلغ به الماء ففكر المنصور فعلم أنه قد صدق . ثم نظر فاذا هدمه يتلف الأموال فأمر بالامساك عنه بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول اللهم اني أشكو إليك ظهور البغي و الفساد في الارض و ما يحول بين الحق و أهله من الطمع فجزع المنصور ؟ فجلس بناحية من المسجد و أرسل إلى الرجل فصلمى ركعتين واستلم الركن و أقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد البغي في الارض و ما الذي يحول بين الحق و أهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرني فقال أن آمنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالامور من أصولها و إلا احتجرت منك و اقتصرت

على نفسي فلي فيها شاغل قال فانت آمن على نفسك فقل فقال يا أمير (١) ... أن الذي دخله الطمع و حال بينه و بين ما ظهر في الارض من الفساد والبغي لأنت فقال فكيف ذلك و يحك يدخلني الطمع و الصفراء و البيضاء في قبضتي و الحلو و الحامض عندي قال و هل دخل أحداً من الطمع ما دخلك إن الله استرعاك أمر عباده أموالهم فاغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك و بينهم حجاباً من الجص و الآجروا بواباً من الحديد و حرراً ساءاً معهم السلاح ثم سجنك نفسك عنهم فيها و بعثت عمّاً لك في جبايات الاموال و جمعها و أمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال الا فلان و فلان نفر أسميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجايح العارى اليك ولا أحد إلا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيتك و أمرت أن لا يجحبوا دونك تجبي الاموال و تجمعها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فائتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل الاخو نوه عندك و نفوه حتى تسقط منزلته عندك فلما انتشر ذلك عنك و عنهم عظمتهم الناس وها بوجههم و صانعوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا و الاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو المقدره و الثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله بالطمع ظلماً و بغياً و فساداً و صار هؤلاء القوم شركؤك في سلطانهم و أنت غافل فان جاء متظلم حيل بينك و بينه فان أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك و اوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك فلا يزال المظلوم يختلف إليه و يلون بهو يشكو و يستغيث و هو يدفعه فانما اجهد و أخرج ثم ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره و أنت تنظر فما تنكر فما بقاء الاسلام و قد كنت يا أمير أسافر إلى الصين فقد متهمارة و قد اصيب ملكهم لسمعه فبكي يوماً بكاء شديداً فحشه جلساؤه على الصبر فقال أما انني لست ابكي للبلية النازلة و لكنني ابكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمع

(١) منصور كملعون لفظاً و معنى وهو دوانيقى لدنائته و أخذه بالدايق .

صوته ثم قال اما إن قد ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب نادوا في الناس ان لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم ثم كان يركب الفيل طرفى النهار و ينظر هل يرى مظلوماً فهذا يا أمير ... مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وانت مؤمن بالله! من اهل بيت نبيّه! لا تقبلك رأفتك بالمسلمين على شحّ نفسك فان كنت إنّما تجمع المال لولدك فقد اراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن امّه ماله على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له ولست الذي تعطي بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء فان قلت إنّما تجمع المال لشديد السلطان فقد أراك الله عبراً في بني امية ما اغنى عنهم جمعهم من الذهب وما اعدوا من الرجال و السلاح و الكراع حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما تجمع المال لطلب غايه هي اجسم من الغايه التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة ما تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير ... هل يعاقب من عصاك باشد من القتل فقال المنصور لاقال فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الاليم .

قدراي ما عقد عليه قلبك و عملته جوارحك و نظر إليه بصرك و اجترحته يداك ومشت إليه رجلاك هل يغنى عنك ماشحت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب قال فبكى المنصور ثم قال ليتني لم اخلق ويحك كيف احتال لنفسي فقال ان للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم و يرضون بهم في دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم في امرك يسدّ دوك قال قد بعثت اليهم فهربوا مني قال خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن إفتح بابك وسهّل حجابك وانظر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والصدقات على حلها واقسمها بالحق و العدل على أهلها و أنا ضامن عنهم أن يأثوك يساعدوك على صلاح الامّة وجاء المؤمنون فآذنوه بالصلاة فصلّى وعاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد .

هذا السنو الزاهد والهرّة العابدة وصاحب الدّعة الساكبة كان يجلس ويجلس إلى جنبه واعظاً ثم تأتى الجلاوزة في أيديهم السيوف . يضربون اعناق الناس فاذا جرت الدماء حتى تصل إلى ثيابه يلتفت إلى الواعظ ويقول له عظني ! فاذا ذكره الواعظ بالله

أطرق المنصور كالمُنكسر ، ثم يعود الجلاوزة إلى ضرب الاعناق ، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانية قال لواعظه عظمى حاول بعض الكتاب تفسير أمثال هذه التظاهرات بازدواج الشخصية ، و أن المنصور يخضع في تصرفاته لأمرين خلق التدين و حب الملك فهو يستمع للواعظ بدافع الايمان وهويسفك الدماء بدافع حب الجاه و توطيد الحكم و هذا مثل ما قاله الأصوليون من أن قيد الحيثية مكثراً للموضوع و هذا التفسير خطأ و غلط . فليس في الواقع إلا شيء واحد و هو الذات الخبيثة و النفس الاثيمة ظهرت في مظهر الظلم و القتل . و يظهر التمويه و الدجل رأى أن الناس يعجبهم أن يتصف خليقتهم بالدين و أنه يستمع أرشاد المرشدين و يصغى كلمات الواعظين و أن تظن به الرغبة في نصح الناصحين وقد بلغ الناس من البلاهة حدّاً يلبس عليهم بان الليل نهار و النهار ليل (١) قد يخلق الكذب و يلفق قصة لتحقيق غاياته و مآربه و من استقرأ أسيرة المنصور يرى الاساطير من هذه القبيل التي حاكها حول شخصيته و ليس بصحيح ما قاله الموزخون من أن أخلاقه كانت نزيحاً من الخير و الشر بل كان فلما بطبايع الناس و قال على عليه السلام في أخباره بالملاحم و لما بلغ إلى بني العباس قال ثانيهم أفتكهم وهذا هو الثاني ولم يفترقوا عن بني امية في شيء لافي الظلم و القسوة و لا في الفسوق و لا في الاستهتار و الزندقة فالعباسيون هم الامويون سياسة و عقيدة و عملاً منصورهم كمعاوية و رشيدهم في الهاوية قطعوا الروس .

و نصبوا المشانق كانوا يقتلون على الظنة و يأخذون على التهمة و أشقى منهم من كان يخدمهم و يجعل أنفسهم جسراً لا يصلحهم مقاصدهم و العجب أنهم في كل الادوار و الاعصار جربوا و وقعهم في الأحفار التي حفروها و لقد صدق النبي الاعظم حيث قال من أعان ظالماً فقد سلطه الله عليه و من حفر بئراً لآخيه فقد وقع فيه .

و قال سيدنا على عليه السلام ما أصف من دار أو لها عناء و آخرها فناء في حلالها حساب و في حرامها عقاب و في الشبهات عتاب من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن من أبصر بها بصرتة و من أبصر إليها اعمته و قال عليه السلام و من غيرها أنك ترى المرحوم

(١) الشيعة و الحاكمون محمد جواد مغنية .

مغبوطاً و المغبوط مرحوماً ومن أحسن العبرات قصة البرامكة في تاريخ الاسلام بعدان دالت دولتهم وزالت قدرتهم وتلخيصها ما قال يحيى في هذه الايات (١)

قل للخليفة ذي الصنعة والعطايا الفاشية
ان البرامكة الذين رموا ليدك بداهية
فكأنهم ممّا بهم اعجاز نخل خاوية
بعد الامارة و الوزارة و الامور السامية
اضحوا وجلّ مناهم منك الرضا والعافية
يكفيك ما ابصرت من ذلّي و ذلّ مكانيه
و مقالها بتوجّع ياسوأتي وشقائيه
يا لهف نفسي لهفها مال الزمان و ماليه
بعد ان قضى هارون الرشيد على نفوذ البرامكة قضاء مبرما اختار للوزارة الفضل

ابن الربيع الذي كان يميل للعرب ويكره الفرس وكان الحزب العربي من انصار الامين لانه كان عربياً محضاً وامّ المأمون فارسيّة ولاّ بنها لياقة و لباقة ارسل هرون خادمه المسرور إلى السجن ليأتي بيحيى ذلك الشيخ الكبير فابدى حزنه على مقتل جعفر وشاوره فجعل ولده الامين ولياً لهده و ولي المأمون المقاطعات الشرقية حيث يسود العنصر الفارسي وكانت المأمون إيرانيّة الاصل و في حالة موت الامين أو المأمون يتولّى الآ خر امور المملكة باجمعها - و بعد تسع سنوات أي في سنة ١٩٢ خرج هارون إلى خراسان مع ابنه المأمون و كانت قد حدثت عدّة ثورات في خراسان و كانت غاية الرشيد القضاء على الثورة و تثبيت المأمون في مركزه و بقى المأمون في العراق غير ان صديقه الساهر على مصلحته الوزير الفضل بن الربيع ذهب مع الرشيد و كان مع المأمون الفضل بن سهل و بعد ان ساروا في طريقهم الطويل الممتد بامتداد سلسلة البرز وقطعوا المسافة بلغوا مدينة نوقان مرض الرشيد فجأة مرضاً شديداً ومات في ليلته و عاد وزيره

(١) يحيى بن الخالد البرمكي .

الفضل بن الربيع مسرعاً إلى بغداد وأعاد الجيش وغضب المأمون على الفضل غضباً شديداً لعمله هذا وكان الفضل بن سهل الذي اشتهر بميوله الفارسيّة بدرجة لا يعادلها الا بغضه لسميّه وزير الامين . فإشار هذا على المأمون ان يتهيأ لكفاح حاسم فان أخاه قد جرّده بعمل وزيره من جيشه وهو لابد يريد النكث للعهد والاستئثار بميراث أبيه وذكره بفضل ايران في توطيد حكم بني العباس على زمن أبي مسلم وحشّه على تقوية مركزه بالتقرب من الشعب الايراني ثم العمل على الاستئثار بالسلطة في جميع الاقطار فوطد المأمون السلم في خراسان وباع أخاه بالخلافة ولكن الامين جعل ابنه موسى ولياً للعهد باغراء من وزيره واخذ المأمون يعدّ العدة لتسيير الجيوش إلى العراق لتثبيت حقه في الخلافة وانضم الوف من الايرانيين الذين يفضلون المأمون على الامين إلى هذه الجيوش التي كانت بقيادة قائدين قديرين هرثمة وطاهر وانتهى الامر بحصار بغداد وإنفاذ رأس الامين برهاناً على إنتهاء الحرب وبويع المأمون بالخلافة وكان خلال هذه المدة تحت تأثير شديد من وزيره الفضل بن سهل الذي اشتهر بميوله الفارسيّة والشيعيّة! وقرراً خيراً ان يتقرب من الشيعة بتعيين الامام علي بن موسى عليه السلام ولياً للعهد فارسل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وآله ان يأتيه الرضا عليه السلام والمقصود من المأمون ان يكتسب صداقة الشيعة! وإن شئت فقل اجتذاب قلوب الفارسيين . وقد كتبنا في بعض كتبنا بالفارسيّة ما هو التحقيق في هذا الامر وينبغي لنا ان ننظر إلى أعمال رجال السياسة بمنظارهم حتى لا تقع في الخطأ ولا ننسى ان للفارسيين اليد الطولى . طاهر بن الحسين الخراسانيّ ذو شرف النفس و بعد الهمة و ذلك أنه لما قتل محمد بن زبيدة المعروف بالامين و خاف من غدر المأمون امتنع عليه بخراسان ولم يظهر خلعه و قال .

أيسو منى المأمون خطة عاجز	أو ما رأى بالامس رأس محمد
يوفي على رأس الخلايق مثل ما	توفي الجبال على روس الفدند
انني من القوم الذين هم هم	قتلوا أخاك و أقعدوك بمرد
وهو القايل	
غضبت على الدنيا فانهب ما حوت	واعقبته منى باحدى المتالف

قتلت أمير المؤمنين و انما

بقيت فناء بعده للخلائف

وقد بقيت في أمراسى فتكة

فاما لرشدأو لراى مخالف

لما انقبض و أخذ حذره ادب له امامون وصيفا بأحسن الآداب و علمه فنون العلم

ثم أهداه إليه مع الطاف كثيرة من طرائف .

وقد و اطاه على أن يسمه و أعطاه سم ساعة و وعده على ذلك باموال كثيرة فلما

انتهى إلى خراسان و أوصل طاهر الهدية قبل الهدية و أمر بانزال الوصيف في دار و

أجرى عليه ما يحتاج إليه من التوسعة في النزالة و تركه أشهراً فلما برم الوصيف بمكانه

كتب إليه يا سيدى أن كنت تقبلنى فاقبلنى وإلا فردنى إلى أمير... فارس إلى و أوصله

إلى نفسه فلما انتهى إلى باب المجلس الذي كان فيه أمره بالوقوف عند باب المجلس وقد

جلس على لبد ابيض و قرع رأسه و بين يديه مصحف منشور و سيف مسلول فقال قد قبلنا

ما بعث به أمير... غيرك فانا لا نقبلك وقد صرفناك إلى أمير... و ليس عندى جواب اكتبه

إلا ما ترى من حالى فكن كتابا ناطقاً و مخبراً صادقاً فالبلغ أمير... السلام و أعلمه

بالحال التي رأيتنى فيها فلما قدم الوصيف على المأمون و كلمه ما كان من أمره وصف له

الحالة التي رآه فيها شاور و زراه في ذلك و سألهم عن معناه فلم يعلمه أحد منهم فقال

المأمون لكنى قد فهمت أما تقريره رأسه و جلوسه على اللبد الابيض فهو يخبرنا أنه عبد

ذليل و اما المصحف المنشور فانه يذكرنا بالعهود التي له علينا و أما السيف المسلول فانه

يقول أن نكثت تلك العهود فهذا يحكم بينى و بينك اغلقوا عنا باب ذكره و لا تهبجوه

في شي مما هو فيه فلم يهجه المأمون حتى مات طاهر و قام عبدالله بن طاهر مكانه فكان

احكم الناس على المأمون قلنا انه يلزم في شرع السياسة النظر بمنظارهم السياسي و

هذا أى المأمون اعلم ملوك بنى العباس و هو قبل كل شيء رجل سياسي و في انتخابه إمامنا

على بن موسى الرضا لولاية عهده ما يدل على هذا و حققنا هذا في محله و الذي تأتي به هنا

نقلاً عن جمال الدين القفطي و يستند إلى النوبختي و فيما يرفع الستار عن وجه الاستار .

عبدالله بن سهل بن نوبخت المنجم هذا منجم مأموني كبير القدر في صناعته يعلم

المأمون قدره في ذلك و كان لا يقدرم الا عالماً مشهوراً له بعد الاختبار و كان المأمون قدرأى

آل امير المؤمنين علي بن أبي طالب متخشين مختفين من خوف المنصور وقد جاء بعده من بني العباس ورأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء فظنوا بهم ما يظنون به بالأخبار و يتفوهون في صفتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التعالى فاراد معاينة العامة على هذا الفعل ثم فكر أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به فنظر في هذا الامر نظراً دقيقاً و قال لو ظهروا للناس و رأوا فسق الفاسق منهم و ظلم الظالم لسقطوا من أعينهم ولا تقلب شكرهم لهم ذمماً ثم قال إن أمرناهم بالظهور خافوا و استتروا و ظنوا بنا سوءاً و إذا فالرأى أن نقدّم أحدهم و يظهر لهم اماماً فاذا رأوا هذا أنسوا و ظهروا و أظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين فيتحقق للعوام حالهم و ما هم عليه مما خفي بالاختفاء فاذا تحقق ذلك أزلت من أقمته و رددت الامر إلى حالته الاولى و قوى هذا الرأي عنده و كتم باطنه عن خواصه فاخذ الفضل بن سهل في تقرير ذلك و ترتيبه و هو لا يعلم باطن الامر و اخذ في اختيار وقت البيعة الرضا فاختر طالع السرطان و فيه المشتري قال عبد الله بن سهل بن نوبخت هذا ، أردت أن أعلم نية المأمون في هذه البيعة و أن باطنه كظاهرة أم لا لأن الامر عظيم فانفذت إليه قبل العقد رقعة مع ثقة من خدمه و كان يجيئني في مهم أمره و قلت له ان هذه البيعة في الوقت الذي اختاره ذوالرياستين لا تتم بل تنقض لان المشتري وان كان في الطالع في بيت شرفه فان السرطان برج منقلب و في الرابع وهو بيت العاقبة المريخ وهو نحس وقد اغفل ذوالرياستين هذا فكتب اليّ قد وقفت على ذلك احسن الله جزاءك فاحذر كل الحذر أن تنبّه ذوالرياستين على هذا فانه أن زال عن رأيه علمت أنك انت المنبّه لفهم ذوالرياستين بذلك فما زلت أصوب رأيه الاول خوفاً من اتهام المأمون لي وما أغفلت امرى حتى مضى أمر البيعة فسلمت من المأمون عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي قال كنت من حرس المأمون بحلولان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين و استئناف الخلافة له فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليالي فعرفته و لم يعرفني فاغفلته وجاء من ورائي حتى وضع يده على كتفي فقال من أنت فقلت أنا عمرو وعمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سلم سلمك الله فقال أنت الذي كنت تكلوننا في هذه الليلة فقلت الله يكلوك فانشأ المأمون .

أن أخاك الحق من يسعى معك و من يضر نفسه لينفك
 و من اذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك
 ثم قال يا غلام اعطه لكل بيت الف دينار قال عمرو فوددت لو كانت الايات
 طالت فاجد الغنى فقلت يا امير ... وازيدك بيتاً فقال لي هات فقلت
 وان غدوت ظالماً غدامك
 فقال يا غلام اعطه لهذا البيت الف دينار فما برحت من موضعي حتى اخذت خمسة
 آلاف دينار .

١ - يونس بن حبيب النحوي مولى ضبة من أهل (١) جبل اخذ الادب عن عمرو
 بن العلاء وحماد بن سلمة روي سيبويه عنه كثيراً وسمع منه الكسائي والفرّاء . كانت
 حلقة بالبصرة ينتابها الادباء وفضحاء العرب و أهل البادية قال ابو عبيدة معمر بن المثنى
 اختلفت الى يونس اربعين سنة املاً كل يوم الواحى من حفظه وقال يونس قال لي روبة بن
 العجاج حتام تسئلني عن هذه البواطل وازخر فها لك أما ترى الشيب قد بالغ في لحيته
 وعاش يونس ثمانياً وثمانين سنة لم يتزوج ولم يتسر ولم يكن له همة الاطلب العلم و
 محادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت ان اقول الشعر لما تمنيت ان اقول الأمثل قول
 عدي بن زيد العبادي (٢) :

أيها الشامت المعير بالدهر	أأنت اطبراً الموفور
أم لديك العهد القديم من الايام	بل انت جاهل مغرور
من رأيت المنون جازته أم من	ذاعليه من اين يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك نوشر	و ان ام أين قبله سابور
وبنوا الصفر الكرام ملوك الروم	لم يبق منهم مذکور
واخو الخضر اذبناء وان	دجلة تجبى إليه والخابور

(١) بفتح الجيم و ضم الباء المشددة و هي بليدة على دجلة بين بغداد و واسط و كان
 لايوثر ان ينتسب اليها فلقبه رجل وقال له يا ابا عبد الرحمن ما تقول في جبل أنتصرف أم لا فشتمه
 يونس والتفت العمري ولم ير احد يشهده عليه حتى اذا كان من الغد و جلس للمناس اتاه الرجل
 فقال ما تقول في جبل فقال الجواب ما قلته امس .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٤١٦ .

شاده مرمرأ و جليله
لم يهبه صرف الزمان فباد
املك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق إن
شرف يوماً و للهدى تفكير
والبحر معرضا و السدير
حي إلى الملمات يصير
وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق
جف فالوت به الصبا والدبور

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن سليمان العباسى من عند المهدي الخليفة فبعث إلى يونس وقال له انا والامير اختلفنا في هذا البيت :

والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
فما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذي تعرف والنهار النهار الذي تعرف
فقال . زعم المهدي ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الجبارى فقال ابو عبيدة القول
في البيت ما قاله يونس و الذي قاله المهدي معروف في غريب اللغة قال يونس لم يقل
لبيدي الاسلام سوى بيت واحد وهو الحمد لله إن لم يأتيني أجلي حتى لبست من الاسلام سر بالا
هناك جماعة اخرى كانت في بغداد كان على رأسها الاستاذ ابو سليمان المنطقي يجتمعون في
بيت الرئيس من مسلمين و وثنيين و نصارى و يهود مثل ابن زرعة و ابن الخمار و ابن
السمح و انقوسى و مسكويه ، و يحيى بن عدى و عيسى بن عدى و أبي حيان التوحيدى
يثيرون في المجالس مسائل سياسية واجتماعية ولغوية و دينية و كل يبدى رأيه والكلمة
الاخيرة لابي سليمان - وقد دون في المقابسات محاضر بعض هذه المجالس و يصفأ بوحيان
هذا المنطقي بقوله و كان أبو سليمان أدقهم نظراً و أقرهم غوثاً و أصفاهم فكراً و أظفرهم
بالدررو أوقفهم على الغرر . مع تقطع في العبارة و لكنه ناشئة من العجمة و قلة نظري
الكتب ، و فرط استبداد بالخاطر ، و حسن استنباط للعويص ، و جرأة على تفسير الرمز
و بخل بما عنده من هذا الكنز و هذا تحليل دقيق من التوحيدى لشخصية أبي سليمان
فهو قوي الفكر ، الكن العبارة يعتمد على قوة عقله أكثر مما يعتمد على نقله و واثق

بصدق رأيه أكثر مما يثق بقول غيره و هو بخيل بعلمه لا يذكر بعضه إلا لبعض الخاصة لدواعٍ مخصوصة وقد دعته الدواعي أن يقيم رهين بيته فهو اعور مصاب بالبرص مشوه الخلق يقول فيه الشاعر .

أبو سليمان عالم فطن ☆ ما هو في علمه بمنتقص
لكن تطيرت عند رؤيته ☆ من عور موحش ومن برص
و بابنه مثل ما بوالده ☆ وهذه قصة من القصص

و كان فقيراً يمدّه عضد الدولة من الحين بعد الحين بنفقة قليلة مألوفة يسدّ بها رمقه و يتكلم أحياناً في السياسة ككلامه عند ماشكا ابن سعد ان الوزير البويهى شكى من كثرة كلام الناس في السياسة و محاولتهم معرفة كل صغيرة و كبيرة يضعها الوزراء و الامراء فرد على ذلك ردّاً لطيفاً و من مثل ما حكى أمامه من أن كسرى لما تقاد املك عكف على الصبوح و الغبوق فكتب إليه وزيره رقعة يقول فيها - ان في ادمان الملك ضرراً على الرعيّة و نرجو تخفيف ذلك و النظر في أمر المملكة فوقع كسرى على نفس الرقعة إذا كانت سبلنا آمنة و سيرتنا عادلة و الدنيا باستقامتنا عامرة و عمالنا بالحق عاملون فلم نمنع فرحة عاجلة ؟ فعلق أبو سليمان على هذا الخبر .

لقد اخطأ كسرى من وجوه أولاً أن الادمان افراط و الافراط مذموم ثانياً انه جهل إن أمن السبل وعدل السيرة و عمارة الدنيا والعمل بالحق مالم يوكل بها الطرف الساحر ، ولم تحط بها العناية التامة ولم تحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام دب إليها النقص ، و ثالثاً . أن الزمان اعزّ من أن يبذل في الاكل و الشرب و التلذذ و التمتع فان في تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشد لها ما يستوعب اضعاف العمر فكيف إذا كان العمر قصيراً ، و رابعاً . ان الخاصة والعامة إذا وقفت على استهتاره باللذات ، وإنهماكه في طلب الشهوات ، قلدته و قلّت هيبته وحشتمهامنه . و ارتفاع الحشمة باعث على الوثبة و الوثبة غير ما مونة من الهلكة و ما خلا الملك من طامع راصد قط .

جاء الاسلام و التكبس بالشعر حرفة عرفتها العرب و اصطبغ بصبغتها أشرافها و وضعاءها فلم يأنف زهير و النابغة الذبياني و حسّان و هم من الاشراف أن يمدحوا

السادات و الملوك و يتقبّلوا جوائزهم و شرف بها سفهاؤها و احلاسها . فنعموا بها أحياناً و شقوا بها أحياناً من أمثال اعشى قيس و الحطيئة العبسى . فاقراً الاسلام هذه الحرفة إذا كانت دفاعاً عن الحق و ردعاً للباطل و دعاء إلى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة و نهى عن استماع المرء مدح نفسه و حمل استماع رسول الله ﷺ إلى مديح كعب بن زهير و حسان و غيرهما من شعراء الصحابة على انه اعلاء لشأن الاسلام الآتى على لسان رسوله و القرآن نفسه مدح لرسول الله و ثناء عليه و كل انواع العبادة من الصلوة و الاذان و الاقامة لا تخلو من مدح رسول الله و مدحه هو مدح الاسلام فالثناء عليه مأمور به من الله تعالى لم يكن للعرب قبل الاسلام شعور قوى بانهم امة : إنّما كان الشعور القوى عندهم شعور الفرد بقبيلته ذلك أنّنا إذا رجعنا إلى ما ترجح صحته من الشعر الجاهلى وجدناه مملوءاً بالشعور القبلى فالشاعر يمدح قبيلته و يتغنى بانتصارها و يعدد محاسنها و يهجو القبيلة الاخرى من أجل قبيلته قلّما كان تجد شاعراً يفخر على غيره من الامم وهذا يدور على فكرة أنّه هل المملل يؤسسون الدول و بعبارة اوضح هل المملة توجد العظيم و النابغة أو النوابغ و العظماء يؤسسون و يوجدون المملة العظيمة و الدولة الفخيمة و الحق أنّ الامة موجودة بوجود الرأس و أوّل شرط لوجود المملة و عظمة الامة وجود شخص أو هيئة مكوّنة من عدّة اشخاص لها قوة تنفيذ أو امرها على كافّة أفرادها و حملهم على طاعتها أضف إلى ذلك أنه لم يكن هناك ما يشجع العرب على هذه الفكرة لانهم إذا نظروا إلى الفرس من ناحية و الروم من جانب آخر و علاقة العرب بهم ليست علاقة الجار بجاره أو تبادل الصداقة كالندى إلى الندى بل تقابل الضد إلى الضد أو علاقة الفقير بالغنى و الضعيف بالقوى و من تاجر منهم و انتقل إلى فارس و الروم و رأى عظمتهم استضعف نفسه و يخبرنا الطبرى . أنه عند ما أراد عمر فتح فارس تخوفوا من الفرس و عجبوا كيف يستطيعون أن يحاربوهم و كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم و أثقلها عليهم لشدة سلطانهم و شوكتهم و عزّهم أنّ العربى كان يعتزّ بقبيلته و المحمّدة التي يقتخر بها هي التي يأتي بها أفراد قبيلته فلما رهن حاجب ابن زرارة قوسه عند كسرى و وفى ابنه بالرهن كان الذي يقتخر بذلك قبيلة تميم و الذي يقتخر بالشاعر أو الشجاع

قبيلته وقل أن يتجاوزوا ذلك إلى عد المكرمة مكرمة امة .

انتصرت قبيلة بني بكر بنصرة قبائل اخرى اشتركت في الحرب وهم الشيبانيون والعجليون واليشكريون يوم ذى قار على فرقة من الجيش الفارسي فعدت ذلك فخراً عظيماً مع انه ليس بشيء ذي خطر فاي فرقة لا يه امة عرضة للانزمام لكن العرب أحسوا بالفخر العظيم لاتصارعهم كأنهم ما كانوا يتوقعون ان تهزم حملة فارسية . وهناك من الشعر في الشجاعة والشجعان ما يفعل في النفوس فعل السحر فيستنزلها من الخوف على الحياة و الهرب بها إلى الخوف على الشرف حتى تهون النفس في سبيله تقول الخنساء . نهين النفوس وبذل النفوس يوم الكريهة أبقى لها

اضف الى ذلك ان الشعر ديوان العرب وهذا الفتح اضاف يوماً على ايام العرب قال بعضهم وقد يظن أن شجاعة العرب وبأسهم لم يكن إلا فيما بينهم وحسبنا ان ندل القارى على ما كان من بأس العرب يوم ذى قار اذا أراد كسرى ان يوقع سوءاً بيني بكر بن وائل وجهز إليهم جيشاً كثيراً ليهلكهم به و بلغهم خبره فتجهزوا له و اعانهم قبائل اخرى فتوافوا بواد اسمها ذوقارو كانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم العرب إلى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار وظهر فيها مال للشجاعة من الفضل في كسب الفخار وحمي الذمار واتقاء العار و في هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر :

وجند كسرى غداة الخيل صبحهم	مناغطاريف ترجوا الموت وانصرفوا
لقوا مللمة شهباء يقدمها	للموت لاعاجز منا ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة	موفق حازم في امره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم	مثل الاسنة لاميل ولا كُشف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا	ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم	ولا بقية إلا السيف فانكشفوا
لوان كل معد كان شاركنا	في يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم	ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
ازاعطفنا عليهم عطفة صبرت	حتى تولت وكاد القوم ينتصفوا

بطارق و بني ملك مرازبة
من كل مرجانة في البحر أحرزها
كأنما الال في حافات جمعهم
مافي الخدود صدود عن سيوفهم
سن الاعاجم في آذانها الشنّف
تيارها و وقاها طينها الصدف
و البيض برق بدا في عارض يكف
ولا عن الطعن في اللبات منحرف

وفيه يقول بكير الاصم أحد بني قيس بن ثعلبة :

هم يوم ذي قار وقد حمي الوغى
ضربوا بني الاحرار يوم لقوهم
خلطوا لها ماجحفاً بلهام
بالمشرفى على صميم الهام

و في هذه الواقعة يقول العديل بن الفرّج العجلي :

ما اوقد الناس من نار لمكرمة
وما يعدون من يوم سمعت به
جئنا باسلا بهم والخيّل عابسة
لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل :

ان كنت ساقية يوماً زوى كرم
واسقى فوارس حاموا عن زمارهم
فاسقى الفوارس من ذهل بن شيبا با
واعلى مفارقهم مسكاً وريحانا

وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية اكمل مظهر وكان المنذر لهم نبية
كسرى و عزمه لقيط الايادى اذ كتب إلى بنى شيبان يخبرهم بذلك في شعر مشهور غاية
في البلاغة والتحميس واستثارة الغرائم وفيه يقول :

قوموا جميعاً على امشاط أرجلكم
وقلدوا أمركم لله درّ كمو
لامترفاً ان رخاء العيش ساعده
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره
ثم أفز عواقدينال الامن من فزعا
رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
ولا اذ اعضّ مكروه به خشعا
يكون متبعاً طوراً و متبعا
مستحكم الرأى لافحما ولاضرعاً
عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرّ على شزر مريته
وليس يشغله مال ينوره

أطفال اليوم رجال الغد

دعا الحسن بن علي بنيه و بنى اخيه فقال يا بني^١ و يا بني^٢ اخي إنكم صغار قوم وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليجعله في بيته .

قلنا في أوّل الكتاب ان صاحب الرسالة العظمى أوّل من دعا إلى التعليم العام وما فرق بين الصغير والكبير و بيننا في بعض كتبنا بالفارسيّة أنّ التدريس للأكابر بصورة الصف المدرسيّ من مفاخر الاسلام وإذا كان طلب العلم واجباً على كلّ مسلم ومسلمة فلزوم إعطاء حقوق الاطفال على الالباء فكما انّ الطفل لا يطول امره حتّى يتعلّم كيف يأكل ولكن ماذا يأكل هي مسألة من الاهميّة بمكان . فان الصغار كثيراً ما يأكلون أشياء لا تناسب معدهم فيصابون بعسر الهضم وترافقهم هذه العلة كباراً .

وهذا يصدق على الامم الحديثة العهد في التهذيب فانها عرضة لتناول كلّ ما تراه امامها قبل ان تميّز غنّها من ثمينها . فعلى المفكرين ان يهتّموا بأمر ما تغذّي به عقول الاحداث و بالكميّة التي يجب ان تعطى لهم من ذلك الغذاء وهذه قضيّة تشغل اليوم علماء فن التهذيب في اوربا وامريكا ولكلّ بلاد ظروف واحوال تختلف عن غيرها .

عندما اشاهد الصغار زاهبين صباحاً إلى مدارسهم و على كتف كل منهم محفظة تحتوي كتباً عديدة في فروع متعدّدة تقضي عليهم الواجبات المدرسية بان يفهموها و يستظهروها . عندئذ يداخلني شي من الشفقة على أولئك الاحداث و أقول في نفسي أن تعدّد الفروع على الطالب تنهك قواه الجسديّة التي هي أساس لجهاده في الحياة وتجعل التعلّم سطحيّاً و تقلّل في المستقبل عدد المفكرين في الامّة و تكثر عدد المتقلبين المتقللين في أعمالهم فيصبحون .

كريشة في مهبّ الريح طائفة لا تستقر على حال من الغلق

انا لا ادعى الان أني قادر على الجزم في ما يجب أن نعلّمه في مدار سنا و فيما يجب أن نرفضه وانما الغاية من هذا التلميح أن أوجه افكار رجال العلم المفكرين إلى

البحث في هذه القضية الحيويّة لعلمهم يستطيعون بمساعدة أولى الامر إلى الحل الذي يناسب رجال الغد من هذا القبيل . وقد أخذ الادباء بقول إمامنا المجتبي عليه السلام فإنه أوّل من خاطب الأطفال بهذه الكلمة الجامعة التي اتخذها اليوم رجال الغرب شعاراً لهم ويقول بعض ادباء العرب .

و قال لنا أبو علي يوماً قال لنا أبو بكر إذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه فانكم إذا حفظتموه فهمتموه وكذلك الشعر النفس له احفظ و إليه اسرع الا ترى أن الشاعر قد يكون راعياً جلفاً أو عبداً عسيفاً تنبو صورته و تمجُّ جملته فيقول ما يقوله من الشعر فلاجل قوله و ما يورده عليه من طلاوته و عذوبة مستمعه ما يصير قوله حكماً يرجع إليه و يقتاس به ألا ترى إلى قول العبد الاسود .

أن كنت عبداً فنفسي حرة كرما
و قول نصيب :

سودت ولم املك سوادى و تحته
قميص من القوهى بيض بنائقه
و قول الاخر :

أني و أن كنت صغيراً سنى
و كان في العين نبوءة عنسى
فان شيطاني اميرا لجن
يذهب بي في الشعر كل فن
حتى يزيل عني التظنى

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها فلا تترين ان العناية انما هي بالالفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني و تنويه و تشریف و نظير ذلك إصلاح الوعاء و تحصينه و تزكيتة و انما المبعي بذلك الاحتياط للموعى عليه و جواره بما يعطر بنشره و لا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة الساميّة ما يهجنه و يفض منه كدرة لفظه فكان العرب إنّما تحلّى ألفاظها و تدبجها و تشيها و تزخرها عناية بالمعاني و مطالبها و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله أن من الشعر لحكماً و ان من البيان لسحراً و الإخبار في التلطف بعذوبة الالفاظ إلى قضاء الحوائج أكثر من أن يؤتي عليها أو يجشم للحال تعب بها ألا ترى إلى قول بعضهم وقد سأل آخر حاجة فقال المسئول عنه إن عليّ يميناً أن لأفعل هذا فقال

له السائل أن كنت أيدك الله لم تحلف يميناً قط على أمر فرأيت غيره خيراً منه فكفرت عنها له و أمضيته فما أحب أن احثك ، و إن كان ذلك قد كان منك فلا تجعلني أدون الرجلين عندك فقال له سحرتني ، و قضى حاجته . وهذا هو الأدب بالمعنى الحقيقي .

و في سيرة العلماء و الفحول من العظماء ما يكون أكبر عون على تربية الرجال و إليك ما جاء عن الغزالي قرء في صباه طرفاً من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الرانكاني في بلدة (طوس) ثم سافر إلى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان و علمق عنه كتاب التعليقة و عاد إلى طوس . قال الامام اسعدالمهيني فسمعتة يقول قطعت علينا الطريق و أخذ العيارون جميع مامعي و مضوا فتبعتهم فالتفت إليّ مقدّمهم و قال أرجع ويحك و إلا هلكت فقلت له اسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد عليّ تعليقتي فقط فما هي شيء تنتفعون به . فقال لي و ما هي تعليقتك ؟ فقلت كتب في تلك المخلاة ماهاجرت لسماعها و كتابتها و معرفة علمها . فضحك و قال كيف تدعى أنك عرفت علمها و قد أخذناها منك فتجردت من معرفتها و بقيت بلا علم ؟

ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليّ المخلاة قال الغزالي هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمرى فلما وافيت طوس أقيمت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علّمته و صرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لم اتجرد من علمي قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضاً الوزير نظام الملك و فيها من العبرة لمثل طلاب الجامعة ما لا يخفى ثم أن الغزالي قدم نيسابور و لازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برع على يديه في فقه الشافعي والمنطق و قرء الحكمة و الفلسفة و احكم كل ذلك و صنّف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها و أجاد وضعها و ترصيفها قال معاصره عبد الغافر بن اسمعيل الفارسي خطيب نيسابور لم تر العيون مثله لساناً و بياناً و نطقاً و خاطراً و زكاءً و طبعاً قدم نيسابور مختلفاً إلى درس امام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس حتى تخرّج في مدّة قريبة و بذّ الاقران و حمل القرآن و صار أنظر أهل زمانه و أوحد اقرانه في ايتام امام الحرمين و كان الطلبة يستفيدون منه و يدرس لهم و يرشدهم و يجتهد في نفسه و بلغ الامر به إلى أن أخذ في التصنيف و كان

الامام مع علو درجته و سمو عبارته و سرعة جريه في المنطق و الكلام لا يصفى نظره إلى الغزالي سراً لإربائه عليه في سرعة العبارة و قوة الطبع . ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان متخزجاً به منتسباً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ولكنه يظهر التبعجج به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف ما يضمرة ثم بقي كذلك إلى انقضاء ايام الامام فخرج من نيسابور إلى العسكر واحتل من مجلس نظام الملك محل القبول واقبل عليه صاحب لعلو درجته وظهور اسمه وحسن مناظرته وجرى عبارته . وكانت تلك الحضرة محط رحال الرجال والفحول من العلماء ومقصد الأئمة والعظماء فوعدت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقة الخصوم اللدومناظرة الكبار وظهر اسمه في الافاق وارتفق بذلك أكمل الارتفاق حتى أدت الحال به إلى ان رسم للمصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية بها فصار إليها واعجب الكل تدريسه ومحاضراته ومناظراته و صار بعد امامة خراسان امام العراق ثم عاد إلى نيسابور و ترك بغداد مع كثرة الطلبة لطلب العلم لنفسه و تربية شخصه يقول إنما مطلوبي العلم بحقائق الامور فلا بد من العلم اليقيني وهو الذي انكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط ولا يكون العلم موصوفاً بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات فاقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات أيضاً فقلت من أين الثقة بالمحسوسات واقواها البصر وهي تنظر إلى الظل فتراموا قفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف انه يتحرك تدريجاً وتنظر إلى الكوكب فترام في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية تدل على انه اكبر من الارض فظهر لي انه لا مطمح في السعادة إلا بالتقوى و كف النفس عن الهوى والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه واملال والهرب عن الشواغل والعلايق . لمأسئل رسول الله عن الشرح ومعناه في قول الله فمن شرح الله صدره للاسلام قال صلى الله عليه وآله هو نور يقذفه الله في القلب فقيله وما علامته فقال صلى الله عليه وآله التجا في عن دار الغرور والاناة إلى دار الخلود ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلايق وقد احدثت بي من الجوانب ولاحظت اعماله واحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم

غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيّتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله بل باعشها ومحر كها طلب الجاه وانتشار الصيت فلم أزل أتفكر مدةً لصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوماً وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمأة ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدر آخر الإقدار الكفاف وقوت الاطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ثم دخلت الشام وأقمت به قريباً من سنتين اشتغلاً بتهديب الاخلاق وتركية النفس ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة فسرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال إلى الوطن فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه وآثرت العزلة على الذكر وتصفية القلب ودمت على ذلك مقدار عشرين واثني عشر سنة وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاءها واستقصاؤها

وكان ما كان مما لست اذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وهذه صورة كتاب كتبه الغزالي من طوس إلى الوزير نظام الملك جواباً عن كتابه الذي استدعاه فيه إلى بغداد يعده فيه بتفويض المناصب الجليلة إليه وذلك بعد تزهدّه وتركه تدريس النظامية بسم الله الرحمن الرحيم ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اعلم ان الخلق في توجههم إلى ما هو قبلتهم ثلث طوائف :

احاديثها : العوام الذين قصروا نظرهم على العاجل من الدنيا فمنعهم الرسول ﷺ بقوله ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم باكثر فساداً من حب المال والسرف في دين المرء المسلم .

وثانيها : الخواص وهم المرجحون للآخرة العالمون بأنّها خير وأبقى العاملون لها الاعمال الصالحة فنسب اليهم التقصير بقوله ﷺ الدنيا حرام اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله .

ثالثها : الأخص وهم الذين علموا أن كل شيء فوقه شيء آخر فهو من الآفلين والعاقل لا يحب الآفلين وتحققوا ان الدنيا والآخرة من بعض مخلوقات الله

تعالى واعظم امورها الأجو فان المطعم والمنكح وقد شاركهم في ذلك كل البهائم
والدواب فليست مرتبة سنينة فاعرضوا عنها وتعرضوا لخالقهما وموجدهما وهالكهما
وكشف عليهم معنى والله خير وأبقى وتحقق عندهم حقيقة لا إله إلا الله وان كل
من توجه إلى ما سواه فهو غير خال عن شرك خفي فصار جميع الموجودات عندهم قسمين الله وما سواه
واتخذوا ذلك كفتى ميزان وقلوبهم لسان الميزان فكلموا رأوا قلوبهم مائلة إلى الكفة الشريفة
حكموا بثقل كفة الحسنات وكلما رأوها مائلة إلى الكفة الخسيسة حكموا بثقل كفة
السيئات وكما ان الطبقة الاولى عوام بالنسبة إلى الطبقة الثانية كذلك الطبقة الثانية
عوام بالنسبة إلى الطبقة الثالثة فرجعت الطبقات إلى طبقتين وح اقول قد دعاني صدر الوزراء
من المرتبة العليا إلى المرتبة الدنيا وانا ادعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا التي
هي أعلى عليين والطريق إلى الله تعالى من بغداد ومن طوس ومن كل المواضع واحد
ليس بعضها أقرب من بعض فاسأل الله ان يوقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل
أن يخرج الأمر من يده والسلام . فالصدق والإخلاص في أدب النفس كالدرية للرواية
وقد كان علماء السنة لا يعدون مجدثاً إلا من يروى عشرين ألف حديث من حفظه
وفيه من بلغت روايته أربعين ألف أو أكثر وأكثرهم مع ذلك إمام في اللغة والشعر والفقه
بل ليس براوى وعندهم من لم يرو من اللغة وإنما كانوا يقيمون آراءهم في غريب الحديث
ومشبه الأثر بما يحتجون به من الشعر مروياً بسنده أو مأخوذاً عن سنده وهذا
الشافعي مستنبط المذهب وراوي شعر الهذليين ويروي عنه من قوة الحافظة انه تصفح
كتاباً لأبي حنيفة ذات ليلة وقد أتى عليه حفظاً وبلغه وعياً والرواية مرادفة الحفظ فكل
رواية حافظ وليس كل حافظ براوية لان الأخذ قديكون من صحيفة منقطة السند أو
لا سند لها ولا ثقة به لأنهم لا يقبلون من صحيفة ولا يأخذون عن صحفي وكانوا يقولون.

ليس بعلم ماحوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

بل لا يكون عالماً إلا أن يكون العلم صفة من صفاته لأن يفهم ما يأخذ عن العلماء
فينبغي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لأجل أن يكون له فيه حكم ورأي ولا يكفي
بأن يكون راوياً لاقوال العلماء ولو مع الفهم ولا يصير هكذا إلا إذا هو أشرب العلم

فالعالَم يكتب أحسن ما يسمع و يحفظ أحسن ما يكتب ويتكلم بأحسن ما يحفظ .
 لا تود عن علمك يا حازق بل صدرك أجعله وعاءً له
 في صحف يسرقها السارق مفتاحه مقولك الناطق
 حينئذ ان قال عنك امرؤ بالله قل لي يافتى أن تسل
 انك تدري فهو الصادق وقال عجل قل لنا شرحها
 عن قصة صاحبها طارق والعلم في بيتك مستودع
 الركب عنى ذاهب زاهق كيف ترى حالك هل فوق ذا
 في كتب منظرها رائق من خجل يرمقه الراق
 و هو بما يحفظه واثق لآخر في صدره علمه
 لكل ما يقتنه رائق ان سيل كان القول في شدقه
 العلم ضعيف وهو الفائق شتان ما بينكما أنت في
 و ربك اسأل فهو الراق فادرس ولا تغفل وكن حافظاً

قال أعرابي حرف في تامور قلبك أحسن من عشرة في كتبك وفي مثل هذا ينشد :

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك لكتب لا ينفع
 أتحضر في مجلس جامع و علمك في الدار مستودع

من كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا أكثره
 المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط واجتناب الشعر
 اولى بمن لم يكن له محفوظ قال بعض أئمة الأدب وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين
 يفضل أصحابه برواية الشعر و معرفة الاخبار و التلمذة لمن فوقه من الشعراء فيقولون
 فلان شاعر راوية ولذا قال ابن خلدون العلم بقوانين الاعراب إنما هو العلم بكيفية
 العمل و ليس هو نفس العمل و لذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة
 العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذ اسئل في كتابة سطرين إلى أخيه أوزى مودته
 أو شكوى ظلامه أخطأ فيها عن الصواب و حصول ملكة اللسان إنما هو بكثرة الحفظ
 من كلام العرب حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه فينسخ هو عليه وقال الاصمعي

لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروى اشعار العرب ويسمع الاخبار و يعرف المعاني و تدور في مسامعه الالفاظ .

والدهر يقول لن تنال الراحة إلا بالتعب ولا بد دون الشهد من ابر النحل ومقاساة السلاء قبل الظفر بالرطب و جاء في كتاب الجاحظ الانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بدان تكون كتبه أكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم حتى يكون الاتفاق عليه من ماله الذّ عنده من الاتفاق من مال عدوّه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب الذّ عنده من ساير النفقات لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيعاً و اعلم انه لا يعطيك العلم و الأدب إلا على حساب ما تعطيهما من نفسك و لن يجودا و أنت باعطائه ضنين و كان أبو يوسف يقول العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك . وقال الزمخشري :

سهرى لتنقيح العلوم الذّلى	من وصل غانية و طيب عناق
و تمايلي طربا لحل عويصة	أشهى و احلى من مدامة ساق
و صرير اقلامي على أوراقها	أحلى من الدوكاه و العشاق
و الذّم من نقر الفقاء لدّفها	نقري لالقي الرمل عن اوراقي
أبيت سهران الدجى و تبيته	نوماً و تبغى بعد ذاك لحاقي

عن عنوان البصرى و كان شيخاً قداًتي عليه أربع و تسعون سنة قال كنت اختلف إلى مالك بن انس فلما قدم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كنت اختلفت إليه و احببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك فقال يوماً لي أني رجل مطلوب و مع ذلك لي أورد في كل ساعة من آناء الليل و النهار فلا تشغلني عن وردى و خذ عن مالك و اختلف إليه كما كنت تختلف فاغتمت من ذلك و خرجت من عنده و قلت في نفسي لو تفرّس لي خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه و الأخذ عنه فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه و آله و سلمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الرّوضة و صلّيت فيها ركعتين و قلت أسألك يا الله يا الله ان تعطف عليّ قلب جعفر و ترزقني من علمه ما اهتدى به إلى صراطك المستقيم و رجعت إلى دارى مغتماً و لم اختلف إلى مالك بن انس لما أشرب قلبي من حبّ جعفر عليه السلام فما خرجت من دارى إلا إلى الصلوة المكتوبة حتى عيل صبرى فلما ضاق صدرى تنعلت

و تردت وقصدت جعفرًا عليه السلام وكان بعد ما صليت العصر فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال ما حاجتك فقلت السلام على الشريف فقال هو قائم في مصلاه فجلست بحداء بابه فمالبت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال أدخل على بركة الله فدخلت وسلمت عليه فرد علي السلام وقال اجلس غفر الله لك فجلست فاطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال ابومن قلت أبو عبد الله قال ثبت الله كنيته و وفقتك يا أبا عبد الله ما سألتك فقلت في نفسي لو لم يكن لي في زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً ثم رفع رأسه فقال ما سألتك قلت سألت الله عز وجل أن يعطف علي قلبك ويرزقني من علمك وارجو أن الله تعالى أجايني في الشريف ما سأله فقال يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم وإنما هو نوريق على قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه فان اردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك قلت يا شريف قال : قل يا أبا عبد الله قلت يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية قال ثلثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً أن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله به ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً و جعل اشتغاله فيما امره الله و نهاء عنه فاذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الانفاق فيما امره الله تعالى أن ينفق فيه و إذا فوض العبد تدبير نفسه إلى مدبره هان عليه مصائب الدنيا و إذا اشتغل العبد بما امره الله تعالى و نهاء لا يتفرغ منهما إلى المرء والمباهاة مع الناس و إذا اكرم الله العبد بهذه الثلثة هان الدنيا و ابليس و الخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً و تفاخراً ولا يطلب ما عند الناس عزاً و علواً ولا يدع ايامه باطلاً فهذا أول درجة التقى قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً و العاقبة للمتقين قلت يا أبا عبد الله أوصني فقال أوصيك بتسعة أشياء فانها وصيتي لم يندى الطريق إلى الله تعالى والله اسأل أن يوفقك لاستعماله ثلثة منها في رياضة النفس و ثلثة منها في الحلم و ثلثة منها في العلم فاحفظها و اياك و التهاون بها قال عنوان ففرغت قلبي له قال اما اللواتي في الرياضة فاياك أن تأكل ما لا تشتهييه فانه يورث الحماسة و البله ولا تأكل إلا عند الجوع و إذا أكلت فكل حلالاً و سم الله و ذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله ماملاً آدمي

وعاءٍ شراً من بطنه فان كان ولا بد فثلث لطعامه و ثلث لشرا به و ثلث لنفسه فأما اللواتي في اللحم فمن قال لك ان قلت واحدة سمعت عشراً فقل له إن قلت عشراً لم تسمع واحدة و من شتمك فقل ان كنت صادقاً فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لي وان كنت كاذباً فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لك ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء و أمّا اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت و اياك أن تسألهم تعنتاً و تجربةً و اياك أن تعمل برايك شيئاً و خذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً و اهرب من الفتيا هربك من الاسد ولا تجعل رقبتك في الناس جسراً قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد عليّ و ردي فاني امرء ضنين بنفسى والسلام على من اتبع الهدى .

الجوانب القويّة : ذكرنا الاميال و العواطف و العادات الدينيّة التي تصاحب كبار النفوس فتحطّ من كرامتهم و تسفل بمقامهم قد يكون لضعف احدى جوانبهم و سميهاها في الفارسية بنقطة او نقاط الضعف كما تسميه الاعراب بالجوانب الضعيفة .
ونحن الان نذكر شيئاً عن الجوانب القويّة التي تصاحب رجالاً كنّا نعدّهم من الاشرار و اولى الاذى و الفساد فتكون على شيء من تكفير لسيئاتهم كيف وقد قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات كما كانت الجوانب الضعيفة عوزة لاولئك المحسنين المتفضلين .

يروى ان اوساً و حاتماً و فدا على عمرو بن هند فدعأ اوساً و قال له أنت أفضل أم حاتماً فقال أبيت اللعن لوملكني حاتم و ولدى ولحمتي لو هبنا في غداة واحدة ثم دعا حاتماً فقال أنت أفضل أم اوس فقال أبيت اللعن انما ذكرت بأوس ولا أحد ولده أفضل مني فقال عمرو والله ما ادري ايكما افضل وما منكما الا سيّد كريم .

و من محاسن اوس ان النعمان بن المنذر دعا بجلّة نفيسة و عنده وفود العرب من كل حيّ و فيهم اوس فقال لهم احضروا غداً فاني ملبس هذه الحلّة أكرمكم فحضروا القوم إلا اوساً فقيل له لم تتخلّف فقال ان كان المراد غيري فاجمل الأشياء بي أن لا أكون حاضراً و ان كنت المراد فساأطلب فلما جلس النعمان ولم ير اوساً قال اذهبوا إلى اوس فقولوا له احضر آمناً ممّا خفت فحضرت فلبس الحلّة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه

ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف أهجو من لأرى في بيتي أناثاً ولا مالا إلا من عنده ثم قال :
 كيف الهجاء وما تنفك صالحة
 من آل لام بظهر الغيب تأتيني
 فقال لهم بشر بن أبي حازم أنا أهجوهم لكم وفعل فاخذ الابل فاغار أوس عليها
 واكتسحها و طلبه فجعل لا يستجير حياً من أحياء العرب إلا قالوا قد آجرتك من الجن
 والانس إلا من أوس فكان في هجائه آياه ذكر أمه فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتى به اسيراً
 فدخل اوس إلى أمه واستشارها في امره فقالت أرى ان تردّ عليه ماله وتعفو عنه و تحبوه
 وافعل أنا مثل ذلك فانه لا يغسل هجائه إلا مدحه فاخبره بما قالت فقال لاجرم والله
 لامدحت أحداً حتى اموت غيرك .

إذا قام اليوم فينا شاعر و قال انه ينظم القريض بغية الحصول على المال
 نحقره و إذا اعلن اليوم رجل دين أو علم او ادب انه يباشر مهنته للإثراء فذلك
 الرجل مشتبّه بمواهبه مجتنب من الجميع . و سيأتي يوم - وما ذلك اليوم ببعيد -
 يعتبر فيه التاجر عمله لا واسطة لمجرد كسب الدينار بل لخدمة الجمهور بتقديم
 السلع و الحاجات التي يحتاج إليها هذا الجمهور للقيام بمقتضيات حياتهم المادية . و
 الجمهور بالتالي يعوّض عن خدمة التاجر بان يقدم له معاشه . وهو ما نسميه الآن ربحاً
 وكذلك صاحب الصناعة سيعد عمله وسيلة لتقديم الكساء والمأكل و المشرب الضرورية
 لحفظ كيان الأمة الجسدى لوقايتها من الحرّ و البرد و الامة تعوض عن خدمته بأن
 تقدم له معاشه وهو ما نسميه الآن ربحاً هذه هي فلسفة الحياة الاجتماعية ، إن المقصود
 الرئيسي من عمل الطبيب حماية جسم المجموع من المرض و من عمل المعلم ترقية عقل
 المجموع و من عمل التاجر والصانع و العامل حفظ كيان المجموع الجسدي . هذا هو
 المقصود بالذات وما الاجرة سوى تعويض ناله عن خدمتنا وقد قال بعض العلماء من
 المتنبهين بأن سيأتي يوم إذا ما قال فيه تاجر أو عامل أو معلم أو طبيب أني في هذه المهنة
 لأجمع ثروة ، لأربح مالاً ، عدّ ذلك القائل عدواً للإنسانية وخصماً للبشرية ولما ذا ؟
 لأنّ الأشياء التي تتمتع بها الآن ليست من نتاج أيدينا بل هي ميراث وراثته من
 آباؤنا و أسلافنا (قلنا في السابق زرعوا فاكلنا نزرع و يأكلون) وقال بعض الكتّاب .

ان الرجل العادى في اروبا ديمقراطياً كان اوفاشيستاً رأسمالياً كان أو اشتراكياً عاملاً باليد اورجلاً فكرياً يعرف ديناً واحداً وهو عبادة الرقي المادى و الاعتقاد بانه لا غاية في الحياة غير ان يجعلها الانسان أسهل وبالتعبير الدارج حرّية مطلقة من قيود الطبيعة أمّا كنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية و دور الرقص و مراكز توليد الكهرباء . و أمّا كهنتها فهم رؤساء الصيارف و المهندسون و الممثلات و كواكب السينما واقطاب التجارة و الصناعة و الطيارون و المبرزون الذين يضربون رقماً قياسيماً و نتيجة هذه النهامة للقوة و الشره للذة و النتيجة اللازمة ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح و الاستعدادات الحربية مستعدة لآبادة بعضها بعضاً إذا تصادمت اهاؤها و مصالحتها . أما في جانب الحضارة فنتيجها ظهور طراز للإنسان يعتقد الفضيلة في الفائدة العملية و المثل الكامل عنده و الفارق بين الخير و الشر هو النجاح المادى لا غير - ان الحضارة الغربية لا تجحد الله في شدة و صراحة ولكن ليس في نظامها الفكرى موضع لله في الحقيقه و لا تعرف له فائدة و لا تشعر بحاجة اليه و لم يزل سائداً على عقليّة اروبا منذ قرون شره المال و التملك و كانت رغبة نيل الثروة أقوى عامل في حياة البلاد و أكبر باعث على العمل لأن الثروة وسيلة للتملك و ضخامته و وفرته مقياس لكفاة الانسان و لم يزل الناس يتلقون من طرق السياسة و الأدب و التمثيل و السينما و الاذاعة اللاسلكية و من منبر الكنيسة في كل عام و شهر التحريضات على جمع المال و اقتنائه و الاقناع بأن الامة المتمدّنة هي التي ارتقت فيها عاطفة الشره و المال ان هذه العبادة للمال تناقض عقايدهم الدينية لان المسيح يمدح الفقر و يذم الغنى و يقول ان الفقير اقدر على الصلاح من الغنى و مع ان الحكمة و النعيم الدينى متفقان على ان الفقر أوفق لعبادة الله و دخول الجنة و لكن الناس لا يرغبون إلى تصديق الدين في ذلك و العمل بأحكامه و لم يزلوا يؤثرن الثروة الحاضرة على نعيم الجنة الموعود و قد اعرب بعضهم عن الفكرة هذه بأن بعض المؤلفين يقولون انا لا نستطيع أن نجتمع بين عبادة الله و عبادة المال ، وأنا أسلم أن الأمر ليس بميسور و لكن متى تكون المهمات في الدنيا ميسورة سهلة ؟ فمهما اختلفنا في المبادي فان الحقيقة الراهنة أن كلنا مشغوفون بحب المال و عقيدتنا ان الثروة هي

المقياس الصحيح لعظمة الفرد والحكومة ، و كانت سبباً لظهور مبدأين لهما الأهمية التاريخية الكبرى أحدهما . مبدء عدم التدخّل الاقتصادي الذي كان سائداً على القرن التاسع عشر ويدّعي اصحاب هذا المبدأ ان الانسان يبني عمله على اعظم نفع يجلبه و أن ليس الباعث على الاعمال الالتذان بالعواطف القلبية بل الالتذان بالثروة - والمبدأ الثاني الذي يسود القرن العشرين : هو مبدء التنظيم الاقتصادي المنسوب إلى ماركس و يقوم هذا المبدأ على أن نظام الانسان الاقتصادي انما يتأسّس على حوائج الانسان المالية وهذا النظام هو الذي يخلق الادب و الأخلاق و الدين والمنطق ونظام الحكومة ولم يكن هذان المبدءان لينالا القبول الذي ناله لولا شغف الناس في بلادنا بالمال و الاهتمام الزائد به .

و يقول في مكان آخر - أن نظرية الحياة التي تسود على هذا العصر و تحكم عليه : هي النظر في كل مسألة و شأن من ناحية المعدة و الجيب وقد أجاد الصحفي الامريكي المشهور Jhengunther تمثيل هذه النفسية في كتاب داخلاروبا ان الانجليز انما يعبدون بنك انجلترا ستة ايام في الاسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة . ان هؤلاء الذين لا يؤمنون بحياة اخرى ولا يعتقدون وراء اللذة والتمتع بالحياة والعلو في الارض غاية عليا ولا يذكرون الله إلا قليلاً نادراً ولا يرجون لله و قاراً كيف يرجى منهم ان يتضرّعوا إلى الله إذا مسهم الضر ؛ و يخبتوا إليه و ينيبوا إذا دهمهم الخطر كما ذكر الله عن الكفار الذين كانوا إذا غشهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين لئن أنجبتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ولكن هؤلاء - با معانهم في المادية و التمسك بالاسباب الظاهرة و التعلل بها واستغنائهم عن الله - قد وصلوا من القسوة و الغفلة إلى حيث صدق عليهم قول الله ولقد ارسلنا إلى امم من قبلك فاخذناهم باللباس والضرء لعلهم يتضرعون فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلا تكاد تشعر في خطب الزعماء والامراء في اروبا و امريكا رقّة قلب وانكسار و إخبات إلى الله . وللمادية لاسباب حتمية طبيعية وتاريخية و علمية قد اصبحت شعاراً

لحضارة الغربيّة وقد لاحظ هذا الشاعر كثير من علماء الغرب و الشرق و من علماء الشرق الاستاذ الامعي الرّحالة عبد الرحمن الكواكبي في مستهل هذا القرن فقد قال في كتابه طبائع الاستبداد .

الغربي مادّي الحياة قويّ النفس شديد المعاملة حريص على الاستئثار حريص على الانتقام كأنه لم يبق عنده شيء من المبادي العالية و العواطف الشريفة التي نقلتها له مسيحيّة الشرق فالجرماني مثلاً جافّ الطبع يرى ان العضو الضعيف الحيات من البشر يستحقّ الموت و يرى كلّ الفضيله في القوّة و كلّ القوّة في المال فهو يحبّ العلم ولكن لاجل المال و يحبّ المجد ولكن لاجل المال واللاتيني منه مطبوع على العجب والطيش ، يرى العقل في الإِطلاق والحياة في خلع الحياء و الشرف في الزينة واللباس و العزّ في التغلب على الناس وهذا تصوير صادق للطبيعة الارويّة وتحليل صحيح للنفسية الغربيّة واليك خطابة تاغور شاعر الهند في نيويورك . قبل أربعين سنة :

برهن تاغور للغربيين أن تلك الروح التي عرف بها الشرق
عموماً روح التأمّل والنظر إلى ما وراء الكائنات لم تزل متقدّمة فيه
كلمة مقدميّة لرئيس المؤتمر (١) قالها في مفتتح الجلسة

شاعر الهند بين شعراء
أمريكا

معرفاً لتاغور شاعر الشرق . مهما اختلف الشرق عن الغرب فان هناك مكانا يلتقيان فيه
ان روح الغرب هي روح العمل والاقدام والفتوح وعلى هذه الروح بنيت مدنيته الحديثة
اما روح الشرق فروح السكون والتأمّل والنظر إلى ما وراء المادة . و عندي
أن الغرب في حاجة إلى شيء من روح الشرق كما ان الشرق في حاجة إلى شيء من روح
الغرب فالمدينة لن تبلغ كما لها إلا بامتزاج الروحين على ان بيننا الآن شاعراً جمع بنفسه
بين هاتين الروحين و قرن في حياته هذين المبدأين فاذا قدّمته إليكم فاني اقدم شخصاً
كريماً نكرمه نحن في الغرب كما يكرمه أيضاً أهل الشرق اقدم إليكم الشاعر المشهور
تاغور الشاعر الهندي فقام وقال (٢) .

(١) دكتور مورغان .

(٢) ترجمة أنيس المقدسي من أعلام الادب في لبنان .

انتم أيها السادة - اهل الغرب - رجال القوة والعلم - لديكم الاموال وفي أيديكم العدد وقد سخرتم الطبيعة و استخدمتموها لبناء مدينتكم الحديثة و نحن أهل الشرق ضعفاء ، ضعفاء في المال والعلم ، ضعفاء في الصناعة و الحرب ، و قدحا ولتم ان تفتحوا لنا أبواب العلم الطبيعي و تنيروا لنا سبيل الحيات الحديثة و لذا فاني بالنيابة عن أهل الشرق اشكر لكم ما لكم علينا من الجميل .

و لكن مهلاً إخواني أن قوتكم قد هملتكم على الاستبداد باهل الشرق نظرتم الينا نظراً خارجياً فلم تروا غير الضعف و المسكنة فاحتقرتم مالنا و ازدريتم حضارتنا هوذا الغرب القوي لا يزال قابضاً على عنق الشرق الضعيف يحرث عليه و ينتفع به .

أفما آن لكم ان ترمقونا بنظرة احترام واحدة ام تبقى المدنية الحديثة تمثل بنا دور المتحكم القاهر - نعم عندكم كل شيء عندكم المال و القوة و العلم و اسباب الحرب - فيا ليت شعري . أليس في مدينتكم غير ذلك ؟ اننا إلى الآن لم نتعلم منكم غير مبدء واحد و هو ان الانسان لن ينال حريته و حقوقه إلا بالسلاح و الدم أفهذه نهاية تعاليمكم ؟ اجل نحن ضعفاء و انتم اقوياء ولكن تعالوا إلى بلادنا وانظروا إذا كان فيها شيء يستحق الكرامة تعالوا لالتفتحوا المناجم ولا لتمدوا السكك أو تناولوا الامتيازات بل لتروا روح الشرق في الحقيقة و لتسمعوا ضربات قلبه النابض و لتطلعوا على اسرار مدينته الروحانية و حينئذ ترون ان لدينا شيئاً نفاخران نقدّمه لكم .

انتم تقدّمون لنا اسباب الحياة الجديدة و نحن نقدم لكم مبادئ الروح الازلية بالله نظروا ، افكروا ، ألا يستطيع الشرق أن يقدمه لكم غير مناجمه و حقوله و رقاب ابنائه . إلى متى ينظر الغرب الينا نظرة الاحتقار و الأناية .

إلى متى يعمى الجشع ابنائه عن رؤية الحقايق الروحية .

لا تصدقوا عنّا كل ما تسمعونه من أهل الاستعمار و بعض دعاة التبشير فان هؤلاء يخدعونكم و يموهون عليكم و يصورون لكم الشرقى بصورة تستوجب احتقاركم بل تعالوا أنتم ، أنتم الاحرار ، و ادرسوا حياة الشرق تعالوا بروح الحرية التي بنيتم عليها حضارتكم الجديدة فترؤا حينئذ كما نرى نحن الآن أن الشرقى أهل للحرية و الحياة القومية

و ان في روحه و مبادئه ما هو اسمى من الحياة المادّية .

رابندرانات تاگور شاعر الهند و اديبها السياسى و فنائها العظيم الرجل الذي خدم الهند بشهرته العالميّة في دولة الآداب و قد جاء طهران بدعوة الدولة الايرانية و ألقى خطابته في وزارة المعارف و كنت دعيت لملاقاته و كان رجلاً و سيماً و في شعره البيضاء و اشعاره الغراء غناء الروح و اقناع القلب و بلسم القلوب الجريحة و شفاء النفوس الكليمة و أغانيه هي هتاف تؤدّب النفس بما فيها من طلاوة الاسلوب و حلاوة الروح الشعري الجميل الأخاذ و كان يمقت من غاندى عدائه للجسم و تبهينه له و تهريجه للروح لانه يرى انّ الجسم نصف الانسان و الروح نصفه الآخر و ينبغي الاعتناء بهما جميعاً لأن نوهن الجسم و نعدّ به لأجل كمال الآخر فليس روح سليم إلا في جسم سليم و هذا هو الحق فانّ الفطرة الانسانية تقتضى أن يحفظ الجسم و الروح كما في الدين الفطرى الاسلامى و من كلماته على ما نقل جرداق العالم المعاصر لو كان صحيحاً ان ما يمكن عمله الآن قد عمل في الماضى لما كان بقاؤنا على الارض لازماً و لكن في اطراء الحياة من الأعباء ما لا يطاق و هذا ما قاله أبو العلاء المعرى في مصرع من البيت كم ترك الأوّل للآخر . و من كلماته أيضاً .

لا تطلب من المخلوق اكثر ممّا يستطيع أن يعطى . لا تطلب حباً كاملاً و اخلاصاً تاماً و ولاء مطلقاً و الاخيبت الحياة ظنك و ابتلتك بالحسرة و الأسى فاعرض عن المخلوق و اتّجه نحو الخالق و عندئذ تأمن الخديعة و تدرك معنى الراحة و الصفا .

و هذا مقاله ابو الفتح البستى من استعان بغير الله في طلب . و قد مضى .
ولا شك أن طبقة الشعراء المتكسبين ادنى طبقات الشعراء نفوسا و أبعدا عن الصلاح و التقوى و هي طائفة تتخذ الشعروسيلة لجمع المال و لا تطمح نفوسها إلى وظيفة كوظيفة النبوة تكلفها من الكمال الروحى ما ليس في طبيعتها و لو أنّ لهم بعض العذر في حب المال و ان هذه الحادثة لتدل على مقدار ما بلغ إليه المتنبى في ذلك قال اذكر و قد وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد فاخذت بجانب منديلى خمسة دراهم و خرجت أمشى في اسواق بغداد فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فاستحسنتها و نويت ان اشتريها بالدرهم

التي معي فتقدمت إليه وقلت بكم تبيع هذه الخمسة بطايع فقال بغير اكتراث اذهب
فليس هذا من أكلك فتماسكت معه وقلت يا هذا دع ما يغيظ و اقصد الثمن فقال ثمنها
عشرة دراهم فلشدة ما جبهني ما استطعت أن اخاطبه في المساومة فوقت حائراً و دفعت
له خمسة دراهم فلم يقبل . و إذاً بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره
فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان و دعا له و قال يا مولاي بطيخ باكور . باجازتك
أمله إلى البيت فقال الشيخ ويحك بكم هذا قال بخمسة دراهم قال بل بدرهمين وملهما إلى
داره و عاد إلى دكانه مسروراً بما فعل فقلت له يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك استمت
علي في هذا البطيخ و فعلت فعلتك التي فعلت و كنت اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته
بدرهمين محمولاً فقال اسكت ، هذا يملك مائة الف دينار ، قال المتنبّي فعلمت أن الناس
لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة ألف دينار . و أنا لا أزال على
ما تراه حتى اسمع الناس يقولون أن أبا الطيب قد ملك مائة الف دينار . (١)

حدثنا يحيى بن عروة بن اذينة قال أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبدالمك
فنسبهم فلما عرف أبي قال أنت القائل .

ان الذي هو رزقي سوف يأتيني	لقد علمت وما الاشراف ^(٢) من خلقي
ولو قعدت أتانى لا يعنينى	اسعى له فيعنينى تطلبه
لا بد لا بد ان يحتازه دوني	وان حظ أمرى غيرى سيبلغه
وغفّة من كفاف العيش يكفيني	لا خير في طمع يدني لمنقصة
ولا يعاب به عرضي ولا ديني	لا أركب الأمر تزرى بي عواقبه
و من غني فقير النفس مسكين	كم من فقير غني النفس تعرفه
لم يأخذ النصف مني حين يرميني	كم من عدو رماني لو قصدت له

(١) هذا الاعتذار الذي نقول فيه اسوء من الذنب لان الشاعر لسان الطبيعة والاجتماع

فكيف يؤثر فيه قول بقال إلا على قاعدة مركب النقص

(٢) و الاسراف خطأ يرويه بعض الغالطين أراد بالاشراف أنى لا استشرف ولا اطلع .

و من أخ لي طوى كشحاً فقلت له
 إني لأنطق فيما كان من أربي
 لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي
 ولا ألين لمن لا يشتهي ليني
 فقال له ابن أذينة نعم أنا قائلها ، قال أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك ، وغفل
 عنه هشام فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصوراً ثم افتقده هشام فعرف خبره فاتبعه
 بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك فمضى الرسول فلحقه وقد نزل
 على ماء يتعدى عليه فأبلغه رسالته وودفح إليه الجائزة فقال قل له قد صدقتني ربّي وكذبك
 وقد خلط بعضهم بايات ثابت بن قطنة .

قال الشريف المرتضي و تداخل أبياتا له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها
 لقد علمت و بعد البيتين ، هكذا جاء في أمالي السيد .

كم قد افندت و كم اتلفت من نشب
 فما أشرت على يسر و ما عرضت
 خيمي كريم و نفسي لا تحدّثني
 ولا أشرت بمالي قطّ مكرمة
 ولا دعيت إلى مجد و محمّدة
 لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي
 إنّي سيعرفني من لست اعرفه
 فغطّني جاهداً و اجهد عليّ إذا

قال السيد و لى أبيات في معنى بعض ابياتهما وهي من جملة قصيدة قديمة .

تعاقبني بؤس الزمان و خفضه
 وقد علم المغرور بالدهر انه
 و ما المرء الا نهب يوم و ليلة
 يعلّله برد الحياة يمسه
 و كان بعيداً عن منازعة الردى
 و أدبني حرب الزمان و سلمه
 وراء سرور المرء في الدهر غمه
 تخبّ به شهب الفناء و دهمه
 و يغتره روح النسيم يشمه
 فالقته في كفّ المنية امه

ألا ان خير الزاد ما سدَّ فاقة
و ان الطوى بالعزَّ أحسن بالفتى
و أنى لانهى النفس عن كل لذَّة
و خير تلاديّ الذي لا أجمه
إذا كان من كسب المذلَّة طعمه
إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه

محمد بن بقیمة الوزير كان من أكابر الوزراء وأعيان الكرماء و ان الشماع حكى

بيغداد قال سلنا عند دخول عضد الدولة بن بويه و هو ابن عم عز الدولة إلى بغداد لما ملكها بعد قتل عز الدولة عن وظيفة الشمع الموقد بين يدي عز الدولة فقلنا كانت وظيفة وزيره أبي الطاهر نصير الدولة محمد بن بقیمة ألف من في كل شهر فإذا كان هذا رأيت الشمع خاصة مع قلة الحاجة إليه فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه و كان في أول أمره قد يوصل إلى ان صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ثم انتقل إلى غيرها من الخدم و حسنت حاله عند عز الدولة و كان فيه توصل وسعة صدر و تقدم إلى أن استوزره عز الدولة ثم انه قبض عليه لسبب اقتضي ذلك حاصله انه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقى على الاهواز و كسر عز الدولة فنسب ذلك إلى رأيه و مشورته و فيه يقول أبوغسان الطبيب .

أقام على الاهواز خمسين ليلة
فدبر أمراً كان اوله عمى
يدبر أمر الملك حتى تدّ مرا
و اوسطه بلوى و آخره خرا

و كان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست و ستين و ثلثمأة بمدينة واسط و سمل عينيه و لزم بيته و كان في مدّة وزارته يبلغ عضد الدولة بن بويه عنه أمور يسوءه سماعها . منها انه كان يسميه أبابكر العذرى تشبيهاً له برجل أشقر أزرق يسمى أبابكر كان يبيع العذرة برسم البساتين بيغداد و كان عضد الدولة بهذه الحلية و كان الوزير يفعل ذلك تقرّباً إلى مخدومه و كان بينه و ابن عمه منافسات في الممالك ادّت إلى التنازع و افضت إلى التنازع و المبارزة حتى قتل عز الدولة في المصاف و عمره ستاً و ثلاثين سنة و حمل رأسه في طست و وضع بين يدي عضد الدولة فلما راه وضع منديله على عينيه و بكى و طلب ابن بقیمة و القاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة

البيمارستان العضىدى ببغداد وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع و ستين وثلاثمائة .

وقال ابن الهمداني في كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة بختيار بن بويه بعد ابن بقيّة المذكور بعد ان كان يتولّى أمر المطبخ قال الناس من الغضارة إلى الوزارة و ستركرمه عيوبه و خلع في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة قال أبو اسحق الصّابي رأيتُه وهو يشرب في بعض الليالي و كلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على ما أتى خلعة وهو أول وزير لقب بلقبين فان المطيع لله لقبه بالناصح ولقبه والده الطائع بنصير الدولة ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمّه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه و سمله و حمله إلى عضد الدولة مسمولاً فشهّره عضد الدولة و على راسه برنس ثم طرحه للفيلة ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف و خمسون سنة و ملاصب رثاءه بوالحسن محمد بن عمران يعقوب الأنبارى بقوله :

لحق أنت احدى المعجزات
وفود نداك ايام الصلّات
و كلهم قيام للصلاة
كمدّهما إليهم باليهات
يضمّ علاك من بعد الملمات
عن الاكفان نسبح السافيات
بحفاظ و حراس ثقات
كذلك كنت ايام الحيات
علاها في السنين الماضيات
يباعد عنك تعبير العداة
تمكّن من عناق المكرمات
فانت قتيل نار النائبات
فعاد مطالباً لك بالترات

علو في الحياة و في الملمات
كأن الناس حولك حين قاموا
كأنك قائم فيهم خطيباً
مددت يديك نحوهم احتفالا
و لما ضاق بطن الارض من أن
اصاروا الجو قبرك واستنابوا
لعظمتك في النفوس تبيت ترعى
وتشعل عندك النيران ليلاً
ركبت مطيّة من قبل زيد
و تلك فضيلة فيها تأس
ولم ارقبل جذعك قطّ جزعا
أسات إلى النوائب فاستثارت
و كنت تجير من صرف الليالي

وسير دهرك الاحسان فيه
و كنت لمعشر سعداً فلما
غليل باطن لك في فؤادي
ولو انى قدرت على قيام
ملاأت الارض من نظم القوافي
ولكننى أصبر عنك نفسي
وما لك تربة فاقول تسقى
عليك تحية الرحمن ترى

ولم يزل ابن بقيّة مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة فانزل عن الخشبة ودفن فقال

فيه الابنارى :

لم يلحقوا بك عاراً ان صلبت بلى
و أيقنوا انهم في فعلهم غلطوا
فاسترجعوك وواروا منك طودعلاً
لئن بليت فلا يبلى بذاك ولا
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما

قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها
ورماها بشوارع بغداد فنداوتها الادباء إلى أن وصل الخبر إلى عضد الدولة فلما أنشئت
بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب دونه فقال عليّ بهذا الرجل فطلب سنة كاملة و
اتصل الخبر بصاحب بن عباد وهو بالريّ فكتب له الامان فلما سمع أبو الحسن بن
الابنارى بذكر الامان قصد حضرته فقال له انت القائل هذه الايات قال نعم قال انشدنيها
من فيك فلما أنشدها ووصل إلى هذا البيت .

ولم ار قبل جذعك قط جزعاً
قام إليه صاحب وعانقه وقبل فاه وأنفذه الى عضد الدولة فلما مثل بين يديه قال
ما الذي حملك على مرثية عدوئى فقال حقوق سلفت و ايدامضت فجاش الحزن في قلبى

فرثيته فقال هل يحضرك شيء في الشموع و الشموع تزهو بين يديه فانشأ يقول :

كان الشموع وقد أظهرت من النار في كل رأس سنانا
اصابع اعدائك الخائفين تضرع تطلب منك الامانا

فلما سمعها خلع عليه و اعطاه فرساً و بدرة . وما وصف مصلوب أحسن من هذا
ولا بأس ان تأتي بقصيدة قالها الاديب الحكيم و العالم العظيم السيد احمد المعروف
ببيشاوري في رثاء المرحوم شيخ فضل الله النوري : فانّه كان قائداً و هادياً لحكومة
قانون في إيران أوّل من دعا إلى الحرية و لما رأهم يقولون مالا يفعلون خالفهم و هاجرهم
و اعتزلهم وما يعبدون من دون الله و صابرو جاهد حتى قتل و صلب .

لا زال من فضل الاله و جوده جود يفيض على ثراك همولا
روى عظامك و ابل من سيبه يعتاد لحدك بكرة و اصيلا
تلكم عظام كدن ان يأخذن من جوّ إلى عرش الاله سبيلا
همت عظامك ان تشايح روحها يوم الزّماع إلى الجنان رحىلا
فتصدت معه قليلاً ثمّ ما وجدت لسنة ربها تديلاً
فالروح راق و العظام تنزلت كالآية اليوحى بها تنزيلا
آمنت ازحادوا بربّ محمد و صبرت في ذات الاله جميلا
فعل الذين بربّ موسى آمنوا و رأوا تمتّع ذي الحياة قليلا
رفضوا الحيوة و آثروا عنها الردى و علوا جذوعاً سبقاً و نخيلا
و الفعل يبقي في الزمان حديثه إن أذهب الدهر الغشوم فعولا
و رأيت فضل الله دين محمد و سواء زندقة الغواة فضولا
حنقوك لا حنقا عليك و إنّما حنقوك كيما يحنقوا التهليلا
مسكت بالدين القويم و لم تمل بك زيغة كالمارقين مميلا
و اظلم يوم الابتلاء فلم تكن في الدين متهمها ولا مدخولا
كالمشرفيّة جردت عن غمدها تهتمز في ايدى الكماتة صقيلا

فلو أنَّهُم فلقوا بها رضوى لما
 ما كان في حكم القضاء مدلهاً
 ثبت الخطاب وللحتوف هزاهز
 هل ينفع البرّ التقى بيانه
 ذو مرّة لم يضطرب احشاؤه
 أيقنت أنّ نكالهم بك نازل
 وكذاك من كان الا له معاذه
 صلى الله عليك من متصّلب

وجدوا عليها نبوةً و فلولا
 منك الفواد ولا اللسان كليلاً
 حوليك مائلة إليك مثولاً
 في معشر نطقوا السفاهة قبالاً
 و الموت ينسج مبرما و سحبالاً
 فشربت صاب مصابهم معسولاً
 و الحق معتصماً له و وكيلاً
 متخشّع صعب القياد ذلولاً^(۱)

هذا إلى أنّه كان للفرس شعر كثير وأمثال كثيرة وضع تحت أعين العرب بمنظار
 مكبر قال أبو هلال العسكري في رسالته التفضيل بين بلاغتي العرب و العجم ! للفرس
 اشعار لاتضبظ كثيرة و لليونانيين أشعار دون الفرس و يقول سمعت أبا بكر بن دريد
 يقول اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس ألف مثل للعرب و ألف مثل للعجم وقد ترجم
 بعضها إلى العربية مثل عفو الملك أبقى للملك خاطر من استغنى برأيه . الاسد يقترس
 الارنب إذا أعياه العير . الفرار في وقته ظفر . امنع أخاك من أكل الخبيث فان أبي
 فاعطه ملعقة . من أوقد نار الفتنة احترق بها . لاتستبعد غداً وما بعده . هو يطلب الثمر
 بلا شوس كفّ بخت خير من كرم علم . قطع الورايد و لا قطع العوائد شييء خير من
 لاشييء قلبي على ولدي انفطر و قلب ولدي على حجير .
 و كانت هذه المعاني الفارسية تؤخذ و تسرق و تنظم او تحتذى و قد نقلنا شرطاً منها

ای عجب لا إله إلا الله	(۱) کفر دیدی چه کرد با اسلام
بود بر تخت علم شاهنشاه	اعلم عصر و ازهد دوران
گشت اسلام خوار و علم تباہ	کفر شد آشکار و دین پنهان
آنکه حق گفت و شد زحق آگاه	رفت منصور وار بر سر دار
آه از انتقام فردا آه	داد از خواب غفلت امروز
گفته شد (الشهيد فضل الله)	ولی تاریخ دیده مطیع گریست

أخذت القطعة من مجموعة كانت في مكتبة المجلس ولم اعرف القائل .

في اثناء الكتاب و هذه الأمثال والحكم نتایج أفكار الاقوام و الامم و على ماقال المرحوم مصطفى لطفی الكاتب القدير الشهير هي خلاصة الافكار الفلسفيّة و نقاوة الأَبكار العلميّة تلتقط مجنّاناً و لا يلتفت إليها أحياناً ولكن ادباء الممالك العربيّة يقدرونها تقديراً و إليك شطر آخر :

إذا دخل غريب مدينة تنبجه كلابها - الناس مبصرون ولكن عن قيمة الوقت
عميان ، للحيوان حياة و للانسان حياتان فانظر أيّ الاثنين أنت . الأهل الحمق أعداء
في صورة أحبباء الحب فخر و المذلة في العهر العمر قصير ترتيب الاوقات يطيله
إسألوا عن الهناء في مقاصير الكبراء . ما بال هؤلاء الوقوف لا ينشدوه في الكهوف
آفة الحب كثرة العتاب و مفتاح البغض الغيرة - القلنسوة مرزوقة ولو على رأس عصا
الماضي لا يعود فالام تأسف عليه و الآتي غير مضمون فعلام تتكل عليه و الحاضر كنزك
فحتام تقفل عليه ، كلب جوآل خير من أسد رابض - فتش ديوجين عن الناس بفانوس .
لوفتس عن التيوس لأطفاه و وفرالزيت بين الفرنسيس و الالمان صارت مراکش كان
ماكان - الليالي في الشرق جبالي لاتلد الأعفاريات .

قال : رأيت صحافياً في بار و آخر في مجالس العار قلت اسكت هذان
يتسوقان الأخبار ، لسان من زطب و يد من حطب .

قال : رأيت صاحب مجلة يلعب بالقمار تحت ابطه كتاب و في يده شراب . قلت
هذا كيميأوى يحوّل الذهب إلى تراب - عجبت لمن لا يقوّم مسلكه و يجلس على
منصة المصلحين و لا يستحي ، مهما سعوا بتحسين المدارس فالزمان أحسن منها و ان
لم يقم مقامها ، ان لم تقتل الغم فالغم يقتلك فاما أنت و أما هو . تجالس المرأة الحمقاء
زوجها أقلّ مما تجالس المرأة ، ليس النائحة الثكلى كالمستأجرة .

العقل والقلب فرسارهان يتباريان في مضمار الزمان فان سبق الاول عاش الثاني
وان سبق الثاني مات الأوّل ، صديقان متلازمان أحدهما طماع و الآخر خداع كل منهما
يسخر بالآخر و الصواب يبكي على الاثنين ، العروس عند الخيطة و العريس عند الصائغ
ما بال الناس في ضجة ، من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً . حبلى متصل بحبله

بدوي ، أقبل على عنترة بن شداد ، وقال له لقد نهبت جمالي يا ابا الفوارس ،
وانا داخل في زمامك .

عنترة و كيف دخلت في زمامي وانا لاعلم لي بذلك . البدوي ، البارح مررت على
البئر الفلانية فرأيت راعيكم يحاول نشل الماء فلم يتمكن لقصر حبله فعدت حبلتي بحبله
فبلغ الدلو الماء وهكذا تهيأ لنا أن نسقي جمالنا فعدت حبلتي بحبل راعيكم اعده عهداً
بينني وبينك فقال له عنترة ، صدقت يا أخا العرب فسر معي ودلني على ناهبي جمالك لا آخذن
لك حقك ، فذهب به البدوي إلى القبيلة التي سطت عليه فتهدهم عنترة برد الجمال وإلا
أصابهم الشر والوبال ، فقال زعماءهم نحن إنما أخذنا جمال هذا البدوي بقانون الغزو
المعروف عند العرب فقال عنترة ، و لكن الرجل داخل في عهدي وذمتي .

الزعماء ومتى دخل في عهدك يا ابا الفوارس .

عنترة بالامس عقد حبله بحبل راعي وانتشلا ماء من البئر فاصبح داخلاً في زمامي
الزعماء ولكن عقد الحبل بالحبل لا يعد زماماً وها قاضي العرب (فلان) فاذا أردت
تتحاكم أمامه فاذا قال قولك أرجعنا الجمال فتوجهوا إلى القاضي ولما بلغوا المكان ترجلوا
عن خيولهم احتراماً للقاضي إلا عنترة فانهطل راكبا على جواده الابجر معتقلاً الاسمر
متقلداً الابتر فسألوه وما بالك يا ابا الفوارس لا تترجل كما فعلنا .

فاجاب لا ، بل سأطل راكبا حتى اسمع حكم القاضي فاذا حكم بأن ربط الحبل
بالحبل سنة عهد مشروعة ترجلت واحترمته و الافانتي بصارمي و سنان رمحي اجعلها
سنة عند العرب ، فلما سمعوا مقاله ردوا الجمال و استغنوا عن التحكيم لان الحق
للقوة و أنا أقول إذا كانت القوة وتكون عند صاحبها المروة فهو دليل القوة رب بما
انعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين فهذا من اصحاب الجوانب القويّة الذين قال
فيهم أمير المؤمنين عليه السلام أقيلوا ذوي الأروءات عثراتهم و سعادة المسلمين في أن
تكون لهم قوة و فتوة و هذا معنى قول السيّد جمال الدين أن الشرق لا يصلح إلا
بمستبد عادل . من فخر عنترة

و دعاء عبس في الوغى و محلل

لما سمعت دعاء مرّة إن دعا

ناديت عبساً فاستجابوا بالقنا
 حتّى استباحوا آل عون عنوةً
 إننى امرؤ من خير عبس منصباً
 ان يلحقوا أكرروا يستلحموا
 حين النزول يكون غاية مثلنا
 ولقد ابيت على الطوى وأظلمه
 وإذا الكتيبة اجمعت وتلاحظت
 والخيل تعلم والفوارس أننى
 إن لا أبادر في المضيق فوارسى
 بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
 فاجبتها : ان المنيّة منهل
 فاقنى حياك لا أبالك واعلمى
 أن المنيّة لا تمثل ، مُثلت
 والخيل ساهمة الوجود كأنما
 وإذا حملت على الكريهة لم أقل

و بكل ايض صارم لم يُفلل
 بالمشرفى و بالوشيح الذبيل
 شطرى وأحمى سائرى بالمنصل
 أشدد وان يلفوا بضنك أنزل
 و يفرّ كل مضلل مستوهل
 حتّى أنال به كريم المأكل
 ألفيت خيراً من معم مخول
 فرقّت جمعهم بضربة فيصل
 أولاً أو كل بالرعيل الأوّل
 اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
 لا بد أن أسقى بكاس المنهل
 انى امرؤ سأموت ان لم أقتل
 مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل
 تسقى فوارسها نقيع الحنظل
 بعد الكريهة ليتنى لم أفعل

و كان سعد بن ابي وقاص قد حبس أبا محجن الثقفي و قيده في قصره فلما اشتد القتال صعد إلى سعد يستعفيه و يستقبله و يسأله تسريحه للغز و مع المسلمين فزجره وردّه فنزل حتّى أتى سلمى ، فقال : يا سلمى ، هل لك إلى خير ؟ قالت و ما ذاك ؟ قال تخليّن عني و تعيرينى البلقاء ، فله عليّ أن سلّمني الله أن أرجع إليك حتّى رجلى في قيدي . فقالت . و ما انا و ذاك ! فرجع يرسف في قيوده و يقول .

و اترك مشدوداً عليّ و ثاقباً
 مصاريع دونى قد تصمّ المناديا
 فقد تركونى واحداً لا أخاليا
 لئن فرجت ألاّ أزور الحوانيا

كفى حزنا ان تردى الخيل بالقنا
 إذا قتت عنّاني الحديد و أغلقت
 وقد كنت ذا مال كثير و إخوة
 ولله عهد لا اخيس بعده

فقال سلمى : إنى استخرت الله ورضيت بعهدك ، و اطلقته و قالت أما الفرس فلا أعيرها و رجعت إلى بيتها ، فاقتادها وأخرجها من باب القصر و ركبها ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه و سلاحه بين الصّفين . و كان يقصف الأعداء بسيفه قصفا منكرأ و تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه . و جعل سعد يقول و هو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا ابو محجن و هذه البلقاء ! وقال بعض الناس إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر و قال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر القتال لقلنا ملك ثم حاجز اهل فارس و تراجع المسلمون و أقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج و وضع عن نفسه و دابته و أعاد رجله في قيديه و قال :

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن اكرمهم سيوفا
و أكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
فان احبس فذلكم بلائى و ان اترك أذيقهم الحتوفا

فقال له سلمى : يا ابا محجن ، في اي شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، و لكننى كنت صاحب شراب في الجاهليّة وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي احيانا فيساء لذلك ثنائى ولذلك حبسنى حين قلت :

إذا مت فادفننى إلى اصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى أخاف إذا مامت ان لا أذوقها

و كانت سلمى مغاضبة لسعد عشيّة اغواث ، فصالحته وأخبرته خبرها و خبر أبي محجن . فدعا به و أطلقه وقال له : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله . قال والله لا اجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً .

ابراهيم بن المدبر قال جاءنى يوماً محمد بن صالح الحسنى العلوى بعد أن اطلق من الحبس فقال لى انى اريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبشك من امرى شيئاً لا يصلح ان يسمعها غيرنا فقلت افعل فصرفت من كان بحضرتى و خلوت معه و امرت برد دابته

و أخذ ثيابه فلما اطمأنّ و اكلنا و اضطجعنا قال لي اعلمك إنّني خرجت في سنة كذا و كذا و معي أصحابي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهز مناهم و ملكنا القافلة فبينما أنا أحوزها و انيخ الجمال إذ طلعت عليّ امرأة من العمارية ما رأيت قطّ احسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً فقالت يا فتى ان رأيت أن تدعولي بالشريف المتوّلى أمر هذا الجيش فقلت قد رأيتّه و سمع كلامك فقالت سألتك بحق الله و حق رسوله ﷺ أنت هو فقلت نعم و حق الله و رسوله إنّني لهو فقالت أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ابن أبي خالد و لأبي محلّ من سلطانه و لنا نعمة إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت و أن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري و والله لا استأثرت عنك بشيء أملكه لك بذلك عهد الله و ميثاقه عليّ و ما أسألك إلا أن تصونني و تسترني و هذه ألف دينار معي لنفقتي فخذها حالاً و هذا حلّي عليّ من خمسمائة دينار فخذها وضمنني ما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة و أهل الموسم فليس منهم أحد يمنعني شيئاً اطلبه و ادفع عني و احمني من أصحابك و من عار يلحقني فوق قولها من قلبي موقعاً عظيماً فقلت لها قد وهب الله لك مالك و جاهك و حالك و وهب لك القافلة بجميع ما فيها ثم خرجت فنادت في أصحابي فاجتمعوا فنادت فيهم اني قد اجرت هذه القافلة و أهلها و خفرتها و حميتها و لها زمة الله و زمة رسوله و زمتي فمن أخذ منها خيلاً أو عقلاً فقد آذنته بحرب فانصرفوا معي و انصرفت فلما اخذت و حبست بينا انا ذات يوم في مجلسي إذ جاءني السجنان و قال لي أن بالباب امرأتين تزعمان أنّهما من أهلك و قد حضر عليّ أن يدخل عليك أحد إلا أنّهما اعطتاني دملج ذهب و جعلتاه لي إن أوصلتهما إليك و قد أذنت لهما وهما في الدهليز فاخرج إليهما أن شئت ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد و أنا به غريب لا أعرف أحداً ثم قلت لعلّهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي فخرجت إليهما فاذا بصاحبتني فلما رأتنني بكت لمارأت من تعيّر خلقي و ثقل حديدي فاقبلت عليها الاخرى فقالت أهو هو فقالت أي والله أنه لهو هو ثم اقبلت عليّ فقالت فداك أبي و أمي والله لو استطعت ان افيك ممّا انت فيه بنفسى و أهلي لفعلت و كنت بذلك منسى حقيقاً و والله لا تركت المعاونة لك و السعي في حاجتك و خلاصك بكل حيلة و مال و شفاعة

وهذه دنانير و ثياب و طيب فاستعن بها على موضعك و رسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرج الله عنك ثم أخرجت إلي كسوة و طيباً و مأتى دينار و كان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف و يتواصل برّها بالسجّان فلا يمتنع من كل شي اريده فمن الله بخلاصي ثم راسلتها فخطبتها فقالت أمّا من جهتي فانالك متابعة و مطيعة و الامر إلى أبي فاتيته فخطبتها إليه فردني و قال ما كنت لاحقق عليها ماقد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرت تفضيحة فقامت من عنده منكسّاً مستحياً و قلت له في ذلك :

رموني وأياها بشغاءهم بها أحق ادال الله منهم فعجلا

بامر تركناه و رب نحل عيانا فإمّا عفة أو تجملا

فقلت له أن عيسى صنيعة أخي و هولي مطيع و أنا أكفيك أمره فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله و قلت له قد جئتك في حاجة لي فقال مقضية ولو كنت استعملت ما أحبه لامرني فجئتك و كان آسر إلي فقلت له قد جئتك خاطباً إليك ابنتك فقال هي لك امة وانا لك عبد وقد اجبتك فقلت انني خطبتها علي من هو خير مني أباً و أمّاً و أشرف لك صبراً و متصلاً محمد بن صالح العلوي فقال لي يا سيدي هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنة ، و قبلت فينا أقوال فقلت أفليست باطلة قال بلي و الحمد لله قلت فكأنها لم تقل و إذا وقع النكاح زال كل قول و تشنيع و لم ازل أرفق به حتى أجاب و بعثت إلي محمد بن صالح فاحضرته و ما برحت حتى زوجته و سقت الصداق عنه قال ابو الفرج وقد مدح محمد بن صالح ابراهيم بن المدير مدايح كثيرة لما والاه من هذا الفعل و لصداقة كانت بينهما فمن جيد ما قاله فيه .

وقد ينبى إذا سئل الخبير

تعاقبها الشمائل و الدبور

تسدي من مقالك ما تسير

مع الركبان ينجد او يغور

وقد خذل الاقارب و النصير

وضن بنفسه الرجل الصبور

أتخبر عنهم الدمن الدثور

و كيف تبين الأبناء دار

فهلا في الذي أولاك عرفا

ثناءً غير مختلق و مدحاً

أخ و اساك في كلب الليالي

حفاظاً حين أسلمك الموالي

فان تشكر فقد أولى جميلاً وان تكفر فانك للكفور
وما في آل خاقان اعتصام إذا ما عمم الخطب الكبير
لثام الناس إثراءً و فقراً وأعجزهم إذا همي القدير
لثام لايزوجهم كريم ولا تسني لنسوتهم مهور
وانما ذكر آل خاقان ههنا لان عبيدالله بن يحيى قصده و تحامل عليه وكان يقوى
مايكره ويؤكد ما يوجب حبسه وكان فيه وفي ولده نصب شديد .

قال أبو عبد الله الجهمي دخلت على محمد بن صالح الحسنى في حبس المتوكل
فانشدني لنفسه بهجو أبا الساج .

ألم يحزنك يانلفاء أنى سكنت مساكن الأموات حياً
وأن حمائلي و نجاد سيفي علون مجدعا أشراً سنياً
فقصرهن لما طلن حتى استو ين عليه لا أمسي سوياً
أما و الراقصات بذات عرق تريد البيت تحسبها قسيماً
لو أمكنني غداتئذ جلاذ لالفوني به سمحاً سخياً

الصدافة و الصديق الاب رب والأخ فخر و العم غم و الخال و بال والولد
كمد والاقارب عقارب وانما المرء بصديقه .

اعتمد الناس على الصداقة من قديم الدهر وتوكلوا على المودة منذ نشأ اجتماعهم
وحدث ائتلافهم و ذلك لان الانسان على ما اختص به من التصرف والكفاء الذاتية يعد
ضعيفاً بمفرده ولا بد له من الاستعانة بسواء ان لم يكن من أجل الاستزادة من القوة فمن
أجل الائتناس والتسلي - ولقد جلت هذه الصداقة بين الناس حتى لقد فضلوا على القربى
القريبة والنسب الواشيج و من أجل هذا قال أحد الحكماء حين سئل . أتجب أخاك أكثر
أم صديقك، فاجاب إنما أحب أخي إذا كان صديقي و قال المسيح ان أخي من يسمع
وصاياي وفي القرآن الشريف ، ان ولي محمد من أطاع الله من تبعني فانه منى ومن عصاني
فليس منى . وعلى الجملة فان الناس قد اجتمعوا على أن الصداقة هي النسب الذاتي والقربى
النافعة وان الانسان بدونها يكون معذباً كما قالوا في أمثالهم ان الجنة بلاناس لاتداس

ولقد تعرض أحد الباحثين إلى هذا الشأن فقال ان هذا الزمن الحاضر قد نفي الصداقة التامة بين الناس وانها كانت من قبل اشد مما هي الآن وذلك لان الاعتماد على المال مجرداً قد زاد في التماسه بما قلل من التماسها ولقد اقر رأيه على أن الصداقة بين الناس آخذة بالتناقص و بالتالي أن مسراتهم غير مقسومة بينهم على السواء و كذلك احزانهم وانها كما هي بين الجموع كذلك هي بين الافراد واشد ما يكون ظهور ذلك بين الرجل و الرجل و المرأة و المرأة و أمّا اذا اختلف الشأن فقد يكون الحب أو تكون الصداقة التامة ولكنها ليست الصداقة التي ينتفع بها الانسان بمجموعه حقيقة الانتفاع وليس ذلك إلا لان نسق المعاييش الجديد قد اضعفها وهو آخذ في إضعافها على التوالي حتى لقد يصبح الانسان كالذئب اذا رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله او قد تغدوا الصداقة بعمومها وهي كالمناجزة التي يشير إليها البحترى أو النفاق الذي يصرح به المتنبى بقولهما

و كنت إذا الصديق رأيت وصالي
متاجرة رجعت إلى الصدود
ومن نكد الدين على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بد

أمّا السبب الذي يدعو الصداقة إلى الضعف في كل زمان فهو كونها مما يقتضى المخاطرة و تحمل الأذى و الغرم إن بدون ذلك لا تكون صداقة حقيقية ولهذا يقولون الصداقة غالية جدا وهي لا تشتري الا بالنفيس او بتوطين النفس على الدوام لتحمل كل أذى يلزم بالصديق وبالاستعداد والحذر لكل مكروه يحق به وهي متى كانت كذلك فاحر بها أن تكون ضعيفة في كل زمان ولا سيما في هذا الزمن الذي لا صديق للانسان فيه الا نفسه ودرهمه ومما سمعت في الدرس من المرحوم الأديب النيسابورى .

قد قال فيما مضى حكيم
ما المرء إلا باصغريه
فقلت قول امرئ نبيه
ما المرء الا بدر هميه
من لم يكن معه درهماه
يبول سنوره عليه

الا ان السبب الذي زاد الان على ذلك السبب حتى زاد في ضعف الصداقة هو وجود المدن الحافلة بالسكان فانها على كونها مما يدعو الى الائتلاف وكثرة الائتناس في الظاهر هي في الحقيقة مما يدعو الى عكس ذلك من جهة الافئدة . لان صلة الجوار فيها ضعيفة ولذلك ترى الانسان فيها يقطن في حارة ملاءى بالسكان أو في بيت ذي منازل كثيرة

ولكنه لا يصادق احداً من جيرانه أولاً يراهم أصلاً مع انه لو كان في قرية عدد أهلها يربو كثيراً على عدد الساكنين في تلك المنازل فانه يعرفهم جميعهم و يكون له مع بعضهم صداقة اكيدة و ذلك لما تقتضيه القرية التفرغ و تجريد النفس عن الاشتغال الخارجى الكثير وما تقتضيه المدينة من الكدّ و السعى و هو ما يبدو من صحة السفينة فان المسافرين حين يجتمعون فيها يتعرف بعضهم ببعضهم سريعاً و تغدوا الصحبة صحبة دفاع و حذر و إشفاق و تضامن من الواحد للآخر و ذلك لانه لاشيء يلهيهم عن المودة و لانهم قد تساوا لدى فعل الطبيعة و تاثيرها ولكنهم حين يصلون إلى المدينة يرجع إليهم في الحال طبعهم القديم فلا تعود الصداقة فيما بينهم الا تحيةً يومين أو ثلاثة ثم تنقطع حتى كأنهم لم يجتمعوا قطّ و لهذا يقول العرب عن الصحبة المتهمة انها صحبة سفينة . ثم انه من جملة الاسباب التي تدعو إلى عدم الصداقة التامة في المدن هو عدم وجود الوقت الكافي لها و لذلك تكثر معرفة الجموع بالجموع بها و تكثر تحياتهم و بشاشتهم و اما صداقتهم فتضعف لانه لا وقت كاف لاختبار الصديق و معرفة مقدار الايثار عليه و هذا لان الوقت المخصص لتحصيل المال و انفاقه في لهو المدينة قد أخذ كثيراً من حظّ الوقت الذي كان يجب أن يخصّ للاختبار و التجربة أو أخذ جانباً كبيراً من مكان القلب فلم يعد الباقي بكاف لاحتمال الصداقة التامة و المودة الاكيدة و هذا هو نفس الشأن الحاصل في غير الصداقة فان ضيق الاوقات في المدن قد منع الانسان أن يكون ممتازاً بشيء فهو لا وقت له يكفي لان يركب فيكون فارساً و يمشى فيكون متحملاً للتعب و يتفرّج فيكون مترّياً حسن الصحبة بل أن وقته القصير مقسّم بين كل هذا و سواه شيء كثير و لهذا تراه و هو ليس بندى نظر سليم أو ذوق صحيح أو شمّ صادق أو لمس أكيد أو سمع بعيد و عدا هذا فان التساوى هو الذي يوجب الصداقة الاكيدة و هذا ما قاله أرسطو : وهذا التساوى نادر جداً في المدن و غير ممكن أن يوجد فيها كما يوجد في السفينة و القرية لان كثرة الاشتغال قد منعت الثبوت من تلك المساواة و معرفة مبلغها لان العشرة لم تتم بوجودها و لهذا يصح القول بان الصداقة الصحيحة آخذة بالتناقص كلما اخذت المدينة بالازدياد و أنه

إذا كان قد نسب إلى آدم هذا البيت

تغيّرت البلاد و من عليها

فوجه الأرض مغبرّ قبيح

وإذا كان لمبيد يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم و بقيت في خلف كجلد الاجرب
و أبو تمام يقول :

و لقد نكون ولا كريم نناله حتى نخوض إليه ألف ليم

وإذا كان الألو ف من الشعراء والحكماء يقولون عن الانسان مثل هذه الاقوال من قديم الدهر فما نقول في هذا العهد واعلم أن تخالف الناس في شجون الكلام لاختلاف الصور في خيالاتهم غيبة و حضوراً و خفاءً و ظهوراً و ائتلافاً و اختلافاً لتباين مذاهبهم و مشاربهم و لهذا ترى الشعراء من العرب الجاهلي قلماً يتجاوزون ذكر النوق و الجمال و الاودية و الجبال و البطايح و الرمال و الدمن و الاطلال و يلوح من اشعارهم آثار الجذب و الجموح و حوش الضب و اليربوع و استيطان المفاوز و البرارى و الاستيناس بالوحوش الضواري لكن الله تعالى لين لهم الحديد و هوون عليهم الشديد فترى كلامهم أسهل من الماء مع أنه اجزل من الصخرة الصماء و تخاله مع صعوبة اسلوبه و وعورة شعبه أرق من دمع المستهام و ادق من حد الصمصام .

و أما المولودون فلما نشوا في الحضارة و سكنوا العمارة و نادموا أولى الأيمارة ذاقوا حلاوة العيشة و شاهدوا زهرة الحياة الدنيا و زخرفها و شحوا عباراتهم بالدور و الجواهر و ضمخوا استعاراتهم بالمسك و العطر و زانوا حدائق اشعارهم بالانوار و الازهار و لذا راجت بضاعتهم و ربحت تجاراتهم في سوق الامراء و الولاة فشروها بكل غال و أحلّوهم اطلاق العال فاكثروا القيل و القال و اسموها العلم و البيان قال بعضهم إذا تعلمت فتأدّب و إذا تأدّبت فتعلم فان فقر العلم إلى البيان فقر الخطيب إلى اللسان أو الكاتب إلى البنان و إن حاجة البيان إلى العلم حاجة القلم إلى الأنامل أو اليد إلى محرك من الحسّ عامل علم لا ادب معه عود بلا و تروسحاب ليس فيه مطر و ريحان غير نضر ولا عطر و ادب لا علم معه قالب و لاسبائك و منوال و لاحائك .

ولما كان الشعراء عظم مؤثر في النفوس و اقوى عامل في الانفعالات النفسانية و قد وصل به اهله إلى درجة لا تقبل عن درجة الملوك فصار الشاعر به عروس المجلس و فريدة عقد

المجتمع و في مجلّة الملاحي العباسيّة أنه بعد أن انتهت الثورة العرابيّة أراد مجده باشا توفيق أن يشهر سيف الانتقام من جميع من له يد في تلك الثورة فخاطبه شاعره المرحوم

الشيخ على الليثي بما افهمه سوء العقبي في قول له اعظم الاثر فقال

كل حال لصدّه يتحوّل
فألزم الصبر إن عليه المعوّل
أن تدقق تدق كل رؤوس
و مئين من الالوف تقتل
و الرعايا تضيع بين عدو
و مليك له المقام المؤثّل

و رجع باشا عن تصميمه و عزمه فأغضى عينه وعفا .

على أن الشعر محبوب في نفوس الناس أيّاً كانوا حتّى في نفوس الانبياء فقد كان

نبينا ﷺ تستنشد الشعراء رجالاً و إناثاً قيل إنّه كان يستنشد الخنساء فاذا رأى منها بعض الفتور قال إيه يا خنّاس! وقد اثناب على الشعر مراراً كثيرة و سنّ الاجازة عليه فعدّ هذا الفنّ الجميل من الصناعة الخاصة الرفيعة بل من الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتى خيراً كثيراً قال ﷺ ان من الشعر لحكمة وقال ﷺ أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء من بني آدم على قلوب اليونان و على أيدي أهل الصين و على ألسنة العرب قال الجاحظ لما شتم المشركون الجاهلون النبيّ الأعظم فقال ﷺ لحسان اهجمهم و روح القدس معك و ائت ابا بكر فيعلمك مساوى القوم والله أن هجاك لاشدّ عليهم من وقع السهام في غلس الظلام فاخرج حسان لسانه ف ضرب به طرف انفه فقال يا رسول الله ما يسرّني به مقول من معد والله اني لو وضعت على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه قال فلا ينبغي أن يقول حسان إلا حقاً و كيف يقول باطلاً و النبيّ يأمره و جبريل يسدّده و الصديق يعلمه والله يوفّقه (١) .

اتسع صدر الناس للشعر و نظروا إليه نظر تهيم إلى الطفل المدلّل فابتسموا له كلّمّا أساء واستهانوا بوخزه و ان أدمى فالطفل لا يميز بين اللعب و الضرب فاذا ضربك على أحد خديك تحوّل له الثاني و لا تغضب لكلمة نايبة خرجت من فمه أو حركة تضرّ بك

خاصة وتضحك مع الضاحكين إذا تندر بك أو جعلك سخرية للهو والفكاهة وكأنما كانت محاباة الفنون و مجاملتها عزيزة من غرائز الفطرة فقد اجتمعت الامم عامّة على غض الطرف عن الشاعر و ارخاء العنان له و تركه و يهيم به حيث شاء في اودية التصوير و الخيال دون أن يقف في طريقه حائل . انّ الطفل الباكي يهدأ للترنيم والبائس الشاكي يستريح للشعر و الغناء و الابل الناصبة تنسى نصبها بالحداء وكان الشعر حبیباً إلى قلوب النساء ، على شرط أن يصف بحق أو بغير حق مالمهن من رشاقة و جمال . فما رأّت فتاة عربيّة من باس في أن يكشف شعر عن محاسنها في القبائل أو يصوّر شاعر حولها قصة خياليّة وكان الشعراء يرحلون الى مكة في موسم الحج ليتلقّى وفود الحجاج مقبلة من الشام و فيها الهوادج المطرّزة بالذهب يحملن الكواعب الحسان و الجوارى الفاتنات والغيد الساحرات كما كان يفعل عمرو بن أبي ربيعة ووضّاح اليمن وعبد الرحمن بن حسان و ابو دهب و غيرهم من فتيان الشعراء و كان النساء يتعرضن في هذا الموسم للشعراء و يغرينهم على التشبيب بهن و ينصبن لهم اشراك القننة وكان الشعراء في هذا العهد أشبه بالملصوقين في عصرنا الحاضر تتعرض لهم القننة المدلّلة بجماها لترى صورتها في المجلات السائرة بعد يوم أو يومين .

مهما يكن من شيء فللكل امّة فنّ جميل برعت فيه و تميّزت فالشعر فنّ العرب الجميل فيه برعوا و به تميّزوا ولئن كانت حياة الفنون الجميلة في تاريخ أكثر الامم قصيرة الامه سرت في عصر من عصورها ثمّ خبت و انطفأت و صارت فصلاً من فصولها في تاريخها و أحوالها فالشعر في تاريخ العرب طويل العمر متّصل الحياة صحبهم منذ ان ظهرت آثارهم و اغراض الشعر العربي كثيرة من اشهرها و اقدمها الغزل و هو في اللغة محادثة النساء و في الاصطلاح محادثتهنّ بما يعجبهنّ و الحديث عنهن و وصف محاسنهنّ وقد تأخّر ظهور الغزل في شعر أكثر الامم . طوال العصور التي لم ينظر فيها الرجل إلى المرأة نظر الانسان إلى الانسان والندالى الندبل نظرة الانسان إلى الضداو الى ما دون الانسان او السيّد للعبد الرقيق يقول استندال الكاتب الفرنسي المشهور في كتابه عن الحب : كان مولد أظهر ألوان الحب و الغزل في خيام العرب الجاهلية السمرات حيث

الطهارة في التربة والجوّ والصفاء في السماء وهل اعذب من هذه الالفاظ وارشق من هذه الايات واعلق في الخاطر وأسرى في السمع و مثلها تخف رواجح الاوزان و على مثلها يسهر و اقد الاجفان وعن مثلها يتأخّر السوابق عند الرّهان . ولم أجرها بلساني يوماً من الايام ألا تذكرت قول أبي الطيب :

إذا شاء أن يلهو بلحية احمق
أراه غبارى ثم قلت له الحق

ومن ذا الذي يستطيع أن يسلك هذا الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة و هذا ابو العتاهية كان في غرة الدولة العباسية و شعراء العرب إن ذاك كثيرون و اذا تأملت شعره وجدته كالماء الجارى في رقّة الالفاظ و لطافة السبك و كذلك ابونواس ثم قال و من اشعار ابى العتاهية الرقيقة قوله في قصيدة يمدح بها المهدي و شبّب بجاريته عتب و كان أبو العتاهية يهواها :

ألا ما لسيدتي مالها
لقد أتعب الله قلبي بها
تدلّ فاحمل إدلالها
و اتعب في اللوم عذّالها
كأنى بعيني في حيث ما
سلكت من الارض تمثالها

ومنها في المديح قوله :

أته الخلافة منقادة
فلم تك تصلح إلا له
إليه تجرّر أنيالها
ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامه أحد غيره
لزلت الأرض زلزالها

و يحكي أن بشار كان حاضراً عند انشاد أبي العتاهية هذه الايات فقال انظروا إلى الخليفة هل طار عن كرسيه و لعمري إن الأمر كما قال بشار وان هذه الايات من رقيق الشعر غزلا و مديحاً و قد انعن لها شعراء ذلك العصر و ناهيك بهم ومع هذا تراها من السلاسة و اللطافة في أقصى الغايات و هذا هو الكلام الذي يسمّى السهل الممتنع فتراه يطبعك و إذا أردت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب و هكذا ينبغي أن يكون الكلام فان خير الكلام ما دخل في الاذن بغير اذن و أمّا البداوة والتوعر في الالفاظ فتلك أمة قد دخلت ومع ذلك فقد عيب على مستعمليها في ذلك الوقت أيضاً و حيث ينظر البدوى

إلى البدوية نظرة الكف الشريف للكفاء الحبيب .

كان الغزل في حياة الجاهليين حاجة نفسية كان يبذل بندا الرطيب قلوبهم التي جففتها شمس الصحراء و يخلق لهم في طرقاتهم المحرقة بعض الظلال الوارقة يأوون إليها ويبعث في قلوبهم الأمل والنشاط ، كلما هدتهم وعورة المسالك وقسوة الحيات في الصحراء كانوا بانغماسهم العذبة يحدون إبلهم الصابرة وقوافلهم . وكانوا بذكري الأحمبة يحدون قلوبهم الخافقة وآمالهم . ولم يكن العربي يحس الكمال إلا إذا جمع بين النفس العاشقة والقلب الشجاع وبين ذل الهوى وعز السطوة والشأن .

و كان الغزل في الجاهلية حاجة اجتماعية فيه أيضاً كان مقدمة يقدمها الشاعر بين يدي أغراضه الأخرى فلا يبدأ مديحة ولا فخر ولا هجاء حتى يهز العواطف بذكري الاحباب و يلين القلوب بصورة العشق والهوى ويطرب النفوس بتصوير محاسن النساء ولعل تلك الدواعي النفسية الاجتماعية هي التي صيرت الغزل الجاهلي اميل إلى الذكرى و إلى بعث الماضي السعيد و دفعت الشاعر إلى الحديث عن قلبه المعذب و وصف وجده ولوعته وشغلته عن الاطناب في تصوير جمال المحبوب الحسي و هو يتشنى في بروده و عطوره وزينته و لو ان حديثاً غير الشعر خاض في هذه المجالات لاشتعلت الفتنه و المعارك و سلّت السيوف من أعمادها و لو صدق عمرو بن أبي ربيعة حين يقول :

قالت لها اختها تعاتبها لنفسدن الطواف في عمر

قومي تصدي له ليبصرنا ثم اغمزيه يا اخت في خفر

قالت لها قد غمزه فأبى ثم اسبطرت تشد في أثرى

لو صدق في هذا لعدنا غايات مكة ابرع في الاغراء و ألعب بألباب الرجال من فائنات العصر الجديد و دلت اللغة العربية نفسها الشعر فأجازت فيه ما لم تجزه في غيره أجازت فيه مد القصور و قصر الممدود و تنوين ما لا ينصرف و منع صرف ما يصرف و تسكين المتحرك من الابنية و تحريك الساكن إلى غير ذلك مما يجوز في الشعر ما لا يجوز في غيره و دلل الملوك الشعراً باحوا للشاعر وحده أن يخاطبهم مخاطبة الند وأن يناديهم

باسمائهم عارية من القاب التمجيد و التعظيم وأن يجرو عليهم بالنقد و الخوض في شؤون الدولة في صراحة و جهرارة و استساغوا من الشاعر صوراً لا يستسيغونها من الناثر ولا يجدون في أنفسهم حرجاً من أن يستمعوا إلى شاعر غزل يتجاوز حد الغزل العفيف أو شاعر يقذف بالفاظ يخجل منه وجه الحياء أو شاعر معربد يصف الخمر و مجلسها و نشوتها ثم يقول خرجت أجر الذيل تيهاً كأننى عليك امير (١) ... امير

و خير ما يميز الغزل الجاهلي المصارحة في بث الصباغة و عناية الشاعر بالتعبير الصادق و اطلاق النفس على سجيئتها وضعف رغبته في اظهار البراعة للسامعين و إثراء عجابهم بالتلفيق و المبالغة و العبث باهوائهم و إحساسهم كما يفعل شعراء العصور المتأخر .
و لما جاء الاسلام و شق طريقة للبلاغة الرائعة اعز منالاً و أشرف مآلاً ينتظر المجتمع الاسلامي شعراً من طراز جديد ينهض بالقلوب إلى الطهر و الفضيلة و يسمو بها إلى آفاق الحياة الفكرية و امثل العالمية فالغزل العذرى اذن أن لم يولد و هذا الشعر لم يوجد و اقام أكثر الشعراء على جاهليتهم الاولى و انحرف المجتمع الاسلامي بعد وفاة النبي ﷺ باغراء الحزب الأموي الذي يديرها أبو سفيان بن حرب و يروجون الفساد في تاريخ بغداد (٢) لما خرج على بن أبي طالب إلى صفين مر بخراب المدائن فتمثل رجل من أصحابه فقال :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
و إذا النعيم و كل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلي و نفاق
فقال على عليه السلام لا تقل هكذا و لكن قل كما قال الله تعالى كم تركوا من جنات
و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أو رثناها قوماً آخرين .
إن هؤلاء القوم كانوا وارثين فاصبحوا موروثين و أن هؤلاء القوم استحلوا الحرم فحلت
بهم النقم فلا تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم .

قال الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى من الشعر غير قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى و قصيدته في وصف البركة لكان اشعر الناس في

(١) المؤمنون كثيراً ما ترى مثل هذا وذلك انه لايجرى على قلمي هذا اللقب لغير على (ع)

(٢) ج ١ ض ١٣٢

زمانه . ليس في العرب سينيةٌ مثلها أخذناها من تاريخ بغداد :

صنت نفسي عما يدنس نفسي و ترفعت عن جد اكل جبس
وكأنّ الايوان من عجب الصنع ————— ة جوب في جنب ارعن جلس
يتظنني من الكآبة اذبي ————— بدو لعيني مصبح أو ممسى
مزعجاً بالفراق عن أنس إلف عزاً أو مرهقاً بتطبيق عرس
عكست حظّه الليلي و بات المشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلداً و عليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى
لم يعبه أن بز من بسط الديبا ج و استل من ستور الد مقس
مشمخر تعلوله شرفات رفعت في رؤوس رضوى و قدس
لابسات من البياض فما تبصر منها الاسبايح برس
ليس يدري أصنع إنس لجن سكنوه ام صنع جن لا إنس
غير أني أراه يشهد أن لم يك بانيه في الملوك بنكس

المراد بالشعر العصرى الذي يوافق روح هذا العصر بلفظه و اسلوبه و معناه كما يراد بسائر عوامل التمدن الحديث على أن لكل تمدن و لكل عصر روحاً عامة تتجلى في كل اجزائه فاذا قرأت اخبار الامم قديماً و حديثاً رأيت لتمدن كل منها شكلاً خاصاً يختلف باختلاف العصور و يبدو اثر ذلك الاختلاف في كل ظاهرة من ظواهر ذلك التمدن ادبية كانت أو مادية . و الشعر أولى تلك المظاهر بتمثيل أحوال التمدن لانه ديوان الامة و معرض آدابها و مرآة عواطفها و انموذج اخلاقها و عاداتها . و لذلك رأيت خلق كل امة مطبوعاً على أشعارها فشعر المتكسبين يمازجه الذل و الانكسار و شعر أهل البادية هماسي فخري و شعر أهل البدخ و الترف مخنث و قس على ذلك بل الامة الواحدة يختلف اسلوب شعرها و معناه من هذا القبيل باختلاف عصورها من البداوة و الحضارة من العز و الذل من العلم و الجهل و يكون في كل حال صورة من صور ذلك العصر .

تلك هي القاعدة العامة و إذا كانت لا تنطبق انطباقاً تاماً على بعض الامم فلان هذه الامة تكلفت في شعرها ما يخالف المجارى الطبيعية فقيدت قرائح شعرها بالتقاليد

القديمة وملتهم على تحدّي القدماء في اساليب النظم و سبك المعاني - كذلك فعل الافرنج في الاجيال المظلمة فقد كانوا ينشئون وينظمون على اسلوب خاص يعرف بالطريقة المدرسية هو اسلوب اليونان و الرومان القدماء ولم يتخلصوا من قيوده إلا في الاجيال الاخيرة بعد نضج تمدّنهم . وكذلك كان العرب في اوائل عهد تمدّنهم ولا يزالون إلى الآن و الطريقة المدرسية عندهم تحدّي شعراء الجاهلية و صدر الاسلام في الاسلوب و المعنى فكانهم يغالبون الطبيعة ويقاومون تيارها . فهي تطلب التغيير بتغيير الاحوال وهو الارتقاء السائد في عالم الاحياء وهم يريدون بقاء القديم على قدمه كأن القرائح قدت من جماد مع ان الجماد نفسه خاضع لناموس الارتقاء و لذلك فمع ماتوخاه الاسلاف من المحافظة على اسلوب القديم والمعاني القديمة فالطبيعة غلبت على إرادتهم لانك إذا تدبّرت الشعر القديم والحديث رأيتَه يختلف باختلاف ادوار التمدن الاسلامي وما قبله .
وهي ستة ادوار او اعصر يتفاوت الفرق بينها بتفاوت أحوال تلك الاعصر وهي العصر الجاهلي و العصر الاموي و العصر العباسي الاول و العصر العباسي الثاني و العصر الانحطاط : والنهضة الاخيرة .

العصر الجاهلي - يمتاز الشعر العربي في هذا العصر بسذاجة اسلوبه وقربه من الطبيعة وبعده عن الزخرفة في الكلام و تنميق العبارة شأن البداوة في سائر أحوالها فالشعر الجاهلي بدوي سانج لانه يعبر عن عواطف البدو ويمثل أحوالهم . وإذا احتاجوا إلى تشبيه عمدوا إلى ما الفوه من السهول و الجبال و الماشية و الخيل و السلاح و نحوه فاستعاروها وكنوا بها و البدواهل ضيافة ووفاء و غزو و فروسية فاذا اقتخروا انما يفتخرون بهذه الامور و كانوا مع ذلك أهل نفوس حساسة يحبون و يبغضون و ينقمون و يثأرون فعبّروا عن ذلك كله بالشعر الجاهلي البدوي البعيد عن التنيق و الزخرفة . فالشاعر الجاهلي يصوّر الحقيقه كما وقعت في نفسه تماما فاذا وصف واقعة صورها كما تراءت له بلا مبالغة ولا برقشة فقصيدة بشر بن عوانة التي نظمها في قتل الاسد مثال ناطق لهذا الشعر ومثل ذلك اذا نظموا معركة او حادثه أو وصفوا فرساً أو ناقة . و في اشعارهم أمثلة كثيرة من هذا القبيل فلقد كان همّ الشعراء في الجاهلية أن ينقلبوا لك صورة مما يرون

فمازلنا منذ العصر الجاهلي نقرأ شعراً في الطبيعة لأمراء القيس و ذى الرمة والبحترى وابن الرومي وابن المعتز وابن خفاجة لكنهم يختلفون في مدى استجابتهم لدعاء الطبيعة ومدى احساسهم بها وشعورهم بمجاليتها ومعتمدتهم في الشعرا الطبيعي على التشبيه والتمثيل اكثر من معتمدتهم على إثارة الشعور وايقاظ الروح وتنبئها إلى ما وراء المشهد المنظور من الوجود المعنوي الذي يفوق الوصف الواقعي و يزيد عليه لما فيه من سمو بالخيال وارتفاع بالفكر إلى ما وراء المحسوس قال سيدنا ميرالمؤمنين عليه السلام وكل شيء في الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء في الآخرة عيانه اعظم من سماعه .

ولما كان الشعراء النهضة خرجوا في العالم الجديد وقرأوا ثمرات الافكار واطلوعوا على أرض الله وسمائها في اربوا وامريكا أخذوا طريقاً قديماً فبعضهم استسمن ذاورم واستسبع (١) فاستغرب وصار لا يرى إلا من عيونهم ولا يسمع إلا باسماعهم ولا يعشق إلا ما أرادوا ! ولا يقول إلا بما قالوا كان عربياً و صار غربياً رأهم يصفون الشمس لانهم لا يرونها إلا قليلاً ولا يصبحون الا و السماء بغيومها و السحاب المسخر بينها و بتعبير الدارج أتت بملحفتها وغطت الارض يحق لهم أن يغتنموا الفرصة في يوم يرون الشمس وضحاها فالكتاب أو الشاعر الغربي يقول ويطول وصفها وضحوتها ولكن الشرقي فهو ابن الشمس وبيدتها فلا ينبغي له ان يقلد الغربي تقليد الأعمى بل هو يطلب الظل الممدود والظليل الموعود ألم يقرأ القرآن الشريف يقول الله تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل في قوم سبا يقول وبد لناهم بجننتهم جننتين ذواتي اكل خمط وشيء من سدر قليل .

و أما التشبيب و نسيبهم في دور التمدن مثل نصيبهم في الجاهلية الأولى يصف الشاعر الخليل هنا جماعة من المستحتمات على شاطئ البحر يحمر منه وجه الانسانية :

افدى الحمامم باكرت حمامها	في شاطئء فرش العيون أمامها
مستعرض فوق الرمال هيامنا	مستعرض فوق المياها هيامها
الكسيات العاريات تؤمه	بغلائل ما غلقت أجسامها
تركت إلى عبث النسيم شفوفها	فنضا النسيم عن النجوم غمامها
تغرى ولا تعطى الذي تغرى به	لو انصفت ما نصفت إحرامها

(١) وهذا الاصطلاح معروف ومشهور في بلادنا لكل مقهور ذليل فهو مستسبع .

وأما نسيبهم فلا تكلف فيه وإنما يعبرون به مما يجيش في نفوسهم فاذا أحبوا وصفوا عواطفهم كما هي تماماً فقصيدة النابغة التي يصف بها المتجرّدة مثال للوصف الجاهلي الطبيعي و ان كانت عاملة لقتله كانت ما يوافق ويوافق العادات والآداب في هذا العصر وكذلك معلّقة امرئ القيس ونحوها من أشعار فحول الجاهليّة فإنهم يصفون الطبيعة كما تظهر لهم تماماً ولم ينقطع حسّ الشعراء وشعورهم بالطبيعة .

و يقال نحو ذلك في ما قالوه من الحكم فعبروا به عن احساسهم ونتيجة اختبارهم

كقصيدة زهير التي يقول فيها :

و مهما تكن عند امرئ من خليفة	و ان خالها تخفى على الناس تعلم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم	ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يوخر فيوضع في كتاب فيدخر	ليوم الحساب أو يعجل فينقم
واعلم ما في اليوم و الامس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عمى
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب	تمته و من تخطى يعمر فيهرم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفره و من لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فييخل بفضله	على قومه يستغن عنه و يذمم
و من يوف لا يذمم و من يهد قلبه	إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه	وان يرق اسباب السماء بسلم
و من يجعل المعروف في غير اهله	يكن حمده زماً عليه و يندم
و من لم يذد عن حوضه بسلاحه	يهدم و من لا يظلم الناس يظلم
و من يعترب يحسب عدو صديقه	و من لا يكرم نفسه لا يكرم
و من يعص أطراف الزجاج فانه	يطيع العوالي ركبت كل لهزم
و من لا يصانع في امور كثيرة	يضرس بأنياب و يوطأ بمنسم
و كان ترى من صامت لك معجب	زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف و نصف فؤاده	فلم تبق إلا صورة اللحم و الدم

كان بشر بن عوانة العبدى صلوكا فاغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوج بها
و قال ما رأيت كالليوم فقالت :

اعجب بشراً حور في عيني و ساعد ابيض كاللجين
و دونه مسرح طرف العين خمصانة ترفل في حجلين
احسن من يمشى على رجلين لو ضمَّ بشر بينها و بينى
ادام هجرى و أطال بينى ولو يقيس زينها بزيني
لأ سفر الصبح لذى عينين

قال بشر و يحك من عنيت فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهي من الحسن بحيث
وصفت قالت و أزيد و أكثر فانشأ يقول :

و يحك يا ذات الثنا يا البيض ما خلتنى منك بمستعيض
فالآن إن لوحت بالتعريض خلوت جواً فاصفري و بيضى
لا ضم جفناى على تغميض مالم اشل عرضى من الحضيض
فقالت :

كم خاطب في أمرها ألحاً و هي إليك ابنة عمِّ لحاً

ثم أرسل إلى عمه يخطب ابنته و منعه العم امنيته فألى أن لا يرعى على أحد
منهم ان لم يزوجه ابنته ثم كثرت مضراته فيهم و اتصلت معرأته إليهم فاجتمع رجال
الحي إلى عمه و قالوا كف عننا مجنونك فقال لا تلبسونى عارا و أمهلوني حتى أهلكه
ببعض الحيل فقالوا أنت و ذلك ثم قال له عمه إنني آليت أن لا أزوج ابنتى هذه إلا
ممن يسوق إليها ألف ناقة مهراً و لا ارضاها إلا من نوق خزاعة و كان غرض العم أن يسلك
بشر الطريق بينه و بين خزاعة فيقتربه الاسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك
الطريق و كان فيه اسد يسمي (داذاً) وحيته تدعى شجاعاً يقول فيهما قائلهم :

افتك من داذا و من شجاع ان يك داذا سيد السباع

فانها سيده الافاعي

ثم ان بشراً سلك ذلك الطريق فما نصفه حتى لقي الاسد و قمص مهره فنزل

وعقره ثمّ اخترط سيفه إلى الأسد و اعترضه و قطعه ثمّ كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمّه .

أفاطم لو شهدت بطن خبت
 إنأ لرأيت ليثاً زار ليثاً
 تبهنس ثم احجم عنه مهري
 انل قدمي ظهر الارض اني
 وقلت له وقد ابدى نصالا
 يكفكف غيلة أحدى يديه
 يدل بمخلب و بعد ناب
 وفي يمناي ماضى الحد ابقى
 ألم يبلغك ما فعلت طباه
 و قلبي مثل قلبك ليس يخشى
 و أنت تروم للاشبال قوتاً
 فقيم تسوم مثلى أن يولى
 نصحتك فالتمس ياليت غيرى
 فلما ظن أن العش نصحي
 مشى و مشيت من اسدين راما
 هزرت له الحسام فخلت اني
 وجدت له بجائشة ارته
 و اطلقت اطهنند من يميني
 فخر مجدلاً بدم كائى
 و قلت له يعز علي اني
 ولكن رمت شيئاً لم يرمه
 تحاول ان تعلمنى فرارا

وقد لاقى الهزبراً خاك بشرا
 هزبرا أغلباً لاقى هزبرا
 محاذرةً فقلت عقرت مهرا
 رأيت الارض أثبت منك ظهرا
 محددة و وجهها مكفهرا
 و يبسط للوثوب علي اخرى
 و باللحظات تحسبن جمرا
 بمضر به قراع الموت اثرا
 بكاظمة غداة لقيت عمرا
 مصولة فكيف يخاف زعرا
 و أطلب لابنة الاعمام مهرا
 و يجعل في يدك النفس قسرا
 طعاما إن لحمى كان مرأ
 و خالفنى كاني قلت هجرا
 مراما كان ان طلباه و عرا
 سللت به لدى الظلماء فجرا
 بان كذبتيه ما منته غدرا
 فقد له من الاضلاع عشرا
 هدمت به بناء مشمخرا
 قتلت مناسبى جلدأ و فخرأ
 سواك فلم اطق ياليت صبرا
 لعمر ابيك قدحا ولت نكرأ

فلا تجزع فقد لاقيت حراً
 فلما بلغت الايات عمه ندم على ما منعه من تزويجها وخشى أن تغتاله الحيّة فقام
 في أثره وبلغه وقد ملكته سورة الحية فلما رأى عمه اخذته حمية الجاهلية فجعل يده في
 فم الحيّة وحكم سيفه فيها فقال :

بشر إلى المجد بعيد هممه	لما رآه بالعراء عمه
قد ثكلته نفسه و أمه	جاشت به جائشة تهمه
قام إلى ابن الفلا يؤمه	فغاب فيه يده و كومه

و نفسه نفسي و سمي سمة

فلما قتل الحية قال عمه اني عرضتكم طمعاً في امر قد نئى الله عناني عنه فارجع
 لزوجك إبنتي فلما رجع جعل بشر بملء فمه فخراً حتى طلع أمرد كشق القمر على
 فرسه مدججاً في سلاحه فقال بشر يا عم اني أسمع حس صيد و خرج فانا بسلام على قيد
 فقال ثكلتك أمك يا بشر أن قتلت دودة و بهيمة تملأ ما ضعيفك فخراً أنت في أمان ان
 سلّمت عمك فقال بشر من أنت لأم لك قال اليوم الاسود و الموت الاحمر فقال بشر ثكلتك
 من سلحتك فقال يا بشر ومن سلحتك و كر كل واحد منهما على صاحبه فلم يتمكن بشر
 منه و امكن الغلام بشر و طعنة في كلية بشر كلّم مسه شبا السنان حماء عن بدنه ابقاء
 عليه - ثم قال يا بشر كيف ترى أليس لو أردت لا طعمتك أنياب الرمح ثم ألقى رمحه
 و استل سيفه ف ضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف و لم يتمكن بشر من واحدة ثم
 قال يا بشر سلّم عمك و أذهب في أمان قال نعم و لكن على شريطة ان تقول لي من أنت
 قال أنا ابن المرأة التي دلّتك على ابنة عمك فقال بشر

تلك العصا من هذه العصية هل تلد الحيّة إلا الحيّة

و حلف ان لا يركب حصانا ولا تزوج حصانا ثم زوج ابنة عمه لابنه .

ختم يتألف خلق الانسان أو طبعه من مزيج عواطف يتوارثها عن اسلافه و فرق عظيم بين وظيفة العقل و الخلق في حياة الانسان فبالأول يفهم و يفكر و بالثاني يسلك ويعمل فالاخلاق هي العامل الاول في حياة الافراد و الشعوب .

و لما كانت عواطف الإنسان لا تخضع لارادته قلما يستطيع تحوير خلقه الذي هو مزيج عواطفه المتوارثة كما قيل أن الخلق كالخلق لا يتحوّلان ولا يتبدّلان و قال النبي ﷺ إذ سمعتم أن جبلاً ازال عن مكانه فصدقوه و إذا سمعتم برجل تغيّر عن خلقه فلا تصدقوه ! و يكفي أن نلقى نظرة على الحياة اليومية لنوقن عجز العقل عن التأثير في العواطف و الاخلاق بل يكفي أن ننظر إلى هذا الحرب لنرى كيف أن احكام العقل و استنباطاته لم تكف ليوقف الاهواء البشريّة عند حدّها و ما ذلك إلا لأنّ احكام العقل غير العواطف و انه لمن العبث ان نحارب عاطفة بالجدال و البرهان و انما السهل الميسور أن نحاربها بعاطفة اخرى اقوى منها .

وليست هي إلا العاطفة الدينيّة و لذا كان القرآن ليس تعليماً فقط بل يحرك العواطف فهو شيء كاستهواء لا يكاد يطيف بالاذن حتى يجعل فيه قلباً سمعاً ثمّ يتمدّد القلب بما تمدّد فيه من الفكر الجديد حتى يعود الانسان قلباً فقط أو خلقاً أكبر ما فيه قلبه و لذا قال ﷺ ان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ . و اذا فسدت فسد الجسد كلّهُ ألا و هي القلب فالقرآن من شأنه ان يصنع القلوب لانها صلة بين الغيب و الشهود و يحاول القرآن أن يجعل في الطبيعة فكرة و في المادة روحاً و يوازن المعقول و المحسوس بحيث لا يعيش الانسان منه في حياة ملكيّة خاصة او مادّيّة بحتة بل في مستوى الانسانيّة لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم هذه الآية قد تقرّر بأن الكمال العضوي استوى في الإنسان فلا منقلب له اسمى من بنائه المشاهد و كيانه الموجود و ليس يؤتى الانسان من قبل النقص الخلقى و انما يؤتى من قبل فساد الفطرة فالايمان قد اقام على كل مسلم جندياً يكون دائماً منه بمراى و مسمع و جمع للمسلم قلبه و عقله ليعملا معاً و لا يفترقان أبداً هذا في العاطفة و هذا في الفكرة .

هذا بحث نفيس و مطلب عزيز ساقنى إليه نظر في نفسى و تفكر في شخصى . و دعاني إليه أمر لا يعنى غيرى فحدا بى تسلسل الفكر و اطراء النظر إلى أن خرجت من مضايق الشخصيات إلى باحات الكليات و جاوزت ما يهمنى إلى ما يههم غيرى و طرت با جنحة الفكر في الهواء و ضربت في الأرض و ارض الله واسعة الفضاء حتى اهتديت إلى حلقة من العلم كانت مفقودة و ظفرت بضالّة كانت منشودة و تذكرت أمر اسحق نيوتن إذ وقعت عليه تفاحة من شجرة باسقة فألم لشدة وقعها مع صغر حجمها و عجب لثقلها مع خفة وزنها فما زال النظر يهبط به و يرفعه و يعلوبه و يضعه حتى وصل إلى تحقيق أمر الجذب العام و أخرج للناس مبحثاً ناضجاً كان من أكبر الوسائط لحلّ غوامض المباحث الطبيعيّة و غوامض المطالب الفلكيّة و لا يمتنعنى من حمد الله بعد ما بين الدرجتين وسعة الفرق بين المبحثين فالله يعطى النعم على حسب الهمم و على قدر أهل العزم تأتي العزائم فالجاذبة في الطبيعيات كالجاذبيّة في الإلهيات بالمعنى الأعم و الجذبة في الإلهيات بالمعنى الأخصّ فعلم النفس التطبيقيّ ينصرفه إلى ان للشخصيّة صفات كماليّة أهمّها الجاذبيّة و لقد غالى بعض العلماء فجعل منزلتها من الشخصيّة منزلة الحقيقة او الجنس و انما سائر العناصر قوى فقط وهذا له وجهه فان أعظم ما يسترعى إهتمام التاريخ في الحديث عن الشخصيات هو هذا الجانب فانّ للجاذبيّة فعلاً أسرياً و بعبارة فنيّة عملاً قسرياً يحول بين المرء و نفسه ، و يستولى على مناطق الشعور منه بحيث لا يشعر بشيء على الاستقلال بل يجعله كأنما هو موجهة إلى أيّ جهة يريدّها أولاً فهي سلطان قاهر يطيف بالنفوس و يبعث فيها خدراً عميقاً يتركها بلا حول و ارادة قال جوستا لوبون في كتاب روح الاجتماع أن نابليون كان يدخل مجلس الامة و كثير من رجاله معنفون عليه فماهو إلا أن يدخل حتى ينقلب أشدّهم عنفاً و تطرفاً في الاتقاد أكثرهم اقتناعاً وقد كان يقول أحدهم يخيّل إليّ لو ان هذا الرجل أخذ باذني فاخرجني ما اختلفت عليه ومع أن الجاذبيّة شائعة الوجود في أفراد من الناس . لم تظهر على تفسيرها الصحيح ولا تزال تشرح وصفاً ولفظاً ولو أظهرنا على سرّها لكان لعلم النفس أن يتحكم في الجاذبيّة طغياناً و نضوباً و الحق أن الجاذبيّة من أسرار النفس العليا لا يمكن النفاذ إليها بسهولة

ولقد عبّر عنها بعض العرفاء بادقّ تعبير واعمقه ، جذبة من جذبات الحق توأزى عمل الثقلين ، فهي مغناطيس حيّة تفعل في النفوس كما تفعل بالحديد و العجب أن السرّ الجاذبيّة في المرتبة الجماديّة لم تفسّر إلى الآن فكيف في مرتبة الاحياء فان من المدهش هذا التأثير الجذري الذي لا يملك الانسان له دفعاً و منه مناصاً فهو ينزل بالشخص المستقلّ الارادة التام التركيب الشديد القوى القويّ العزل فيفقدّه إرادته و استقلاله و يجعله بعضاً من شيء غيره بعد أن كان شيئاً لنفسه فالجاذبيّة قوة ساحقة تفعل في الجماهير كما تفعل في الأفراد .

يقول العارفون بعلم النفس و علم الاجتماع البشري أن استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن أن يكون ارتقاؤهم فيها متصلاً و مستمراً و يعرف هذا من قارن و قابل بين اولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحارى أفريقيّة و جبالها و في بعض جزائر المحيط و بين هؤلاء الذين يسافرون إلى القمر و يتمتّعون من ثمرات العلوم و نتایج افكارهم و إذا سافرت إلى امريكا ترى في زوايا هذه القارّة الأمريكيّين القدماء أو الأصيلين على حدّ قولهم فهم الآن على ما كان آباءهم قبل المسيح في كلّ الشؤون الحياتيّة من العقائد و العوائد .

وما وصل أهل المدينة العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إلاّ باطلاق العنان لحياد العقول في ميادين العلوم و الفنون و مساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج الكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرّية و حماية العدل نعم إن انتشار العلم يقلّل الشرور ولكنه لا يمكنها بالكلية لان السلام العام هو الكمال الحقيقي والانسان ضعيف طبعاً و خلقاً و مفطور على الطمع وهما أصل الشرور فلو كان الانسان ملكاً لاستغنى عن الرغيف ولو كان حيواناً لاكتفى بالرغيف ولكنه انسان رجله في التراب ورأسه في السحاب و كما هو مختلف اللون فالإنسان في الشرق غير الانسان في الغرب و الاسود غير الابيض و الاحمر و الأصفر كذلك مختلفون في الافكار و الاميال و العواطف و لايزالون مختلفين إلاّ مارحمر بيّ قال نيكلاد حدّاد .

لم يحدث الانقلاب العثماني و خلع السلطان عبد الحميد ، كنت في داخلية الولايات

المتحدة و قصد إلي حينئذ صحافي يريدان أحداثه عن تركيا لينشر الحديث في جريدته وقد فهمت أنه ومحرري جريدته وقرأها لا يعلمون شيئاً عن تركيا ، ولا كانوا يسمعون بذكرها أكثر مما نسمع عن جبال هيماليا مثلاً . و ما اهتموا بامر الانقلاب الذي حدث فيها إلا لما طنظنت به الجرايد الكبرى كثيراً . و كان هذا الصحافي يسألني عن سبب الثورة فكنت أبسط له استبداد السلطان عبد الحميد و عسفه في ثلاثين مليون نسمة . فلم يكن الرجل ليفهم كيف يستطيع فردان يستبد بثلاثين مليوناً . وقد تعبت كثيراً أن أفهمه أن للرجل جواسيس و أعوانا يغدق عليهم اطال فيعينونه على عسفه و استبداده ، و مع ذلك استحال عليه أن يفهم أو ان يتصور ذلك . و أخيراً لما عجزت عن تفهيمه قلت له : لقد فهمت أنا الآن كيف أنني لم أزل استغرب منذ جئت إلى بلادكم حتى الآن أن مئة مليون نسمة تستطيع ان تعيش في نظام تام من غير سلطان ولا ملك ولا امبراطور فانت ألفت الحكم الذاتي ، فاستهجنتم الحكم المطلق ، و أنا بالعكس ألفت الحكم الاستبدادي فاستهجن الحكم الذاتي الحرّ فالألفة والعادة يسودان في العامة والسادة .

نلاحظ ان كل انسان يشعر ان الديانة التي ربي فيها هي الديانة الصحيحة ، حتى ولو لم يفهم شيئاً من تعاليمها ولا تشرّب مبادئها ، ويشعر ان خروجه منها للدخول في غيرها معرفة او كانه فسق - العبد الذي تعود العبودية إذا اطلقت سراحه وقلت له أنت حرّ استهجن الامر جداً وشعر ان حرّيته أمر غريب عنه لا تترتاح اليه نفسه ترى مثل هذا حتى في الحيوانات . ففي الحشرات نوع يقال له بقر النمل وهو يفرز مادة يغتذي بها النمل وقد تعود نوع من النمل أن يدغغه لكي يفرز هذه المادة فيمتصها منه وقد تعودت تلك الحشرات أن لا تفرز مادتها هذه إلا إذا دغغها النمل .

وحاول دارون مرة أن يستخرج منها مادة بدغغه بطونها بشعرة فلم تفرز وطاوضع بينها نملة وصل إلى النتيجة حالا .

الجماهير كالاطفال لا يقودها الفكر بل تحركها العواطف .

روح الامة والجماعات التي ينتسب إليها الفرد فان أحكام العقل البشري في الاجتماع مخالفة لاحكامه في الافراد ، عقايد الدينية وما يجري مجريها كالعقائد السياسية التي

تسلّط أحياناً وتحدث أعظم الانقلابات ولذا قالوا وتر الدين حسّاس .
 فلكل أحكام خاصّة إلا أن العلماء ظلّوا إلى مدّة قريبة يولّهون أحكام العقل
 زاعمين أنّها القياس الأمثل للحياة أمّا اليوم فالآراء تتحوّل عن هذا النظر بعد ثبوت
 خطوات العوامل الأخرى في حياة الشعوب فللعواطف مثلاً سنن و أحكام تسيّر بمقتضاها
 كما يسيّر العقل بمقتضى أحكام المنطق فالحبّ و البغض ليسا موقوفين على البرهان و
 للعواطف منطقاً خاصاً بها كذلك أحوال الجماعات النفسيّة فان مداركها و عواطفها
 تختلف كثيرأ عن مدارك أفرادها و عواطفهم ومثلها العقائد الدينيّة والسياسيّة فان قبولها
 ليس بموقوف على أحكام العقل بل على قواعد أخرى بعيدة عنه كالعدوي والإرث
 و المزاج .

نعم أنّه بفضل أحكام المنطق العقلي يستكشف العالم الحقائق العلميّة و لكنّها
 قلّما يؤثّر في العقائد الدينيّة و السياسيّة و الفرق بين تأثير الحقائق و تأثير العقائد
 انّ الحقيقة العلميّة بارادة جافة لاسلطة لها على الانسان أو أحواله الاجتماعيّة وذلك
 عكس العقيدة فانّها تبعث فيه حرارة تجعله يقوم بأعظم الأعمال و يتعرّض لأجسام
 الاخطار وعليهذا يصحّ القول بوجود منطق عاطفي و منطق جماعي و منطق حيويّ و منطق
 روحاني فضلاً عن القياس المنطقي كثيراً ما ترد كلمة الرأي العام أو الأفكار العموميّة في
 معرض الكلام عن حركات الجماهير والحال أن في اطلاق هذه الكلمة كثيراً من التجوّز
 فان هذا الذي تصدر عن الجمهور ليس بالفكر أو الرأي العام وذلك لانّ الرأي
 لا يكون الاتقليب النظر و اعمال الرويّة في الوقايح الحادثة وهو ما يتّسع له عقله ولا
 تسمح به طاقة الذهن و مستوى التعليم عند العامّة ثمّ ان المفكرين مهمّا يكتن اجتماعهم
 على جملة الرأي فان لهم مذاهب شتى و عقايد مختلفة فالتفكير مؤادّه التميز الفردي في
 الاصول أو الفروع و أمّا الذي يؤلّف الألوف من الجماهير فهو الشعور الواحد يعمّها
 و يملك عليه مشاعرهما . و الجماهير يسهل تحريكها على من يعرف مخاطبتها باللغة التي
 تفهمها و تؤثر فيها . وهي لغة حاجاتها و رغباتها و أمانيتها و أحياناً لغة مطاعمها و شهواتها

و مشارات إعجابها أو أحقادها وهو بتهديجه ما فيها من هذه العواطف الطيبة أو الخبيثة عواطف الايثار أو الاستيثار ، يذهلها عن عقلها ويستولى على قيادها الابطال الذين فيهم مظاهر القوة مهما اختلف نوعهاهم الذين يستطيعون أن يستميلوا عواطف الجمهور و يقودونه كما يشاؤون و يطبعونه على غرارهم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة .

قال نيكلا حداد في كتابه علم الاجتماع الا انسان لا يتنبه لكل منبه ولا يحاكي كل منابه ، فلا بد أن يكون في المنابه مزية تستنبهه أو تدعو لانتباهه ، و تثير عجبه أو اعجابيه ، و توجب دهشته و تخبل قوة التعقل فيه حتى تحمله على المحاكاة و المطاوعة قبل صدور الحكم العقلي و أمر الإرادة فهذه المزاي التي يختص بها المنابه و يؤثر بها على المحاكي تختلف باختلاف الاحوال والأشخاص . مثال ذلك الطفل أو الغلام لا يعجب إن كان أبوه النجار يصنع أجمل وأفضل متاع من امتعة البيت لانه ألف رؤية أيه نجاراً . ولكنه يعجب إذا رآه قد رمي ببندقية عصفوراً طائراً فيتمنى أن يفعل فعله ، و يحاول ذلك فهو لا يعجب ولا يندهش إلا للعمل الجديد الذي يستحبه وغيره يعمله أفضل منه فمحور المزية التي تعجبه ، المقدره أو القوه بل ان القوه هي نواة كل مزية تقريباً ولو بالتأويل و التخريج لذلك ترى الأحداث يشتهون أن يلبسوا الملابس العسكرية ، لأنهم يعجبون بقوة الجنود . بل ان البالغين يتوقون إلى التشبه بالأشخاص الأقوياء في أبدانهم و في أجسامهم و أشكالهم و ما لهم و في نفوسهم . فالغلام يتوق وهو صغير أن يركب الجواد ليكون فارساً و جندياً رفيعاً لانه طالب القدرة و القتي يتوق أن يكون غنياً فإذا اغتنى حتى يستطيع حسب انه بلغ غاية الغايات لأنه يقدر أن يقتني ما تقتنيه الأغنياء و غناه يرفعه إلى مرتبة اسمى او سياسياً عظيماً أو مندوباً حتى يكون ذا سودد و سيطرة و السبب في ذلك كله نقص التربية وهي علة انحطاط الشرقي و هيات أن تجد من يتمنى أن يكون مثل باستور أو سقراط أو أرسطو أم ولتر و ويكتور هوجو أو مثل اسبنسر مثلاً . تجد كثيرين عندنا يشتاقون و يتمنون الوزارة ولا يريدون ولا يتوقون أن يكونوا مثل صدر المتألهين الشيرازي أو ملاهادي السبزواري أو آقا بزرج الشهيدى و ميرزا محمد طاهر التنكابني وقلما يتفق أن تجد من

يتمنى ان يكون مثل السيد أبو الحسن أو آقا حسين البروجردي ولا أن يكون مثل جمال الدين أو الشيخ محمد عبده و الحال اننا مع هذه الشرائط و الأحوال في حاجة إلى معلمين أكثر من حاجتنا إلى المدارس والبرنامج المذهبي و انتقاء المعلمين أمر زوال قلما يقدره الناس حتى الخواص كثيراً ما سمعت رجال الدين و صالح المؤمنين يسألون الوزارة أن تقم برنامج الدين و الشرعيّات كما يسمونه ، في المدارس و ربما سمعنا أن المعلم نفسه كان مخالفاً للدين و قد زاد الطين بلة فان اختيار المعلم في المدارس التي تنشأ على نفقة الحكومات انما يجرى فيها بطريقة ميكانيكية على رسوم معلومة شأن ساير مشروعات الحكومات بخلاف المشروعات التي يتولّى شؤونها أفراد من نوابغ الأمة الذين يجدون لذّة في العمل و خصوصاً المدارس فان المعلم الذي يشتغل بالتعليم ملجود رغبته في التعيش و لا يجد لذّة في هذه الصناعة لا يكتسب التلميذ منه غير مبادي العلم و هذا اذا كان المعلم عالماً بما يدرس و كان ما تولى تدريسه من تخصصه و أمّا إذا كان الاستاذ و المعلم ضعيف المبادئ و ساقط الهمة و فاسد الاخلاق فسدت أخلاق التلاميذ لان القدوة بالمعاشرة و بالاختصاص معاشرة الاساتذة و التلامذة و هم ينظرون إليهم نظرهم إلى مثال كامل فيقلدونهم بحركاتهم و سكناتهم فسائت أخلاق التلامذة و ساءت حالهم بل ساءت حال الأمة بجمليتها و إذا كانت الاساتذة زواهمم عالية و آداب صحيحة نشأ التلامذة على تلك السجايا و كانوا قدوة حسنة لاصدقائهم فيعلو شأن الأمة و ترتقى آدابها و قد يكون الاستاذ الواحد علّة في انتشار الأمة من حضيض الخمول إلى أعلى مدارج الارتقاء بما يخرسه في تلامذته من المبادي الصحيحة و يبثه في نفوسهم من روح الحرية و الاستقلال بالرأي و الإقدام و الاعتماد على النفس و حب الوطن و الخير العام و انى أعرف بجامعة طهران رجالاً علماء بهذه الصفة و قال الصادق عليه السلام كونوا دعاة لنا بأعمالكم .

ولا بدّ من أن يبدء الاستاذ بنفسه ليقصدوا به و قد لا يرى ذلك الاستاذ حاجة إلى إلقاء تلك المبادئ شفاهاً و في العمل بها و سيرته عليها أعظم مؤثراً و أكبر معلّم .

و قال سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام من نصب نفسه للناس اماماً فليبدء بتعليم نفسه قبل تعليم غيره و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه و معلّم نفسه و مؤدّبها

أحق بالاجلال من معلم الناس و مؤدبهم .

و لقد سمعت من بعض أساتذة لبنان أنه كان مستر فاند يك هو المؤسس لكليّة الطبّ في بيروت لم يكن الاستاذ دكتور فاندريك فرداً بعلمه الواسع فربما كان من طبقته في العلم في سوريا و لبنان غير واحد و لعلّ بعضهم كان اوسع منه علماً في بعض الفروع و لكنه كان فرداً باخلاقه كان قدوة لتلامذته بحريّة الضمير وعلو الهمة و حسن الخلق و الثبات فغرس في نفوسهم همة و نشاطاً فينبغ منهم الكتاب و المؤلفون و انشأت الجمعيات و المدارس .

وما كان المرحوم السيد جمال الدين الاسدآ بادى فرداً في علمه وفضله و بين معاصريه و سابقيه نخبة من فطاحل العلماء يشار إليهم بالبنان و لكن الأَبصار كانت شاخصة إليه و القلوب حائمة حوله فكان تلامذته و مریدوه يقلّدونه في كل حركة أو عمل و قول فاحدث في مصر نشأة جديدة فتسابق شبانها إلى الخطابة و الكتابة و تكاثفوا على انشاء الجمعيات و اكبوا على المطالعة و من تلامذته نخبة زعماء العصر و اشهرهم في مصر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لقد اصابه ما يصيب استازة و كل مصلح من أهل زمانه و عاش غريباً في وطنه كما قال النبي ﷺ العلماء غرباء معدّ با بين قومه منكوراً من مواطنيه رموه بالاحاد تارة و سموه صنيع الاجنبي اخرى و قاومت الهيئة الحاكمة اصلاحاته و تبعتهم العامة قطعوا اياديها و احسان اليهم و الخدمة عليهم و قبلوا اياد كانوا يقطعون رؤسهم و تلطم و جوههم و ليس لذلك سبب سوى ضيق في عقولهم و عجزهم عن معرفة الصديق من العدو . بعد اللتيا و التي فالانظر أنه حالت الظروف دون ان يستطيع من اصلاح الازهر و تحقيق رغائب استازة الاعظم معلّم الشرق الاكبر السيد جمال الدين الحسيني رغم جهوده و صموده للثورة التي اتخذوها و ابتدعوها و غرّوا الناس بظواهرهم فتنفّس الصعداء و انشأ قصيده الغراء و انشد نشيده الخالدة على فراش الموت :

و لست اُبالي أن يقال محم	أبلّ ام اكتظت عليه المآتم
و لكنّه دين اردت صلاحه	أحاذر ان تقضى عليه العمائم
و للناس آمال يرجون نيلها	إذا مت ماتت واضمحلت عزائم

فبارب أن قدرت رجعي قريية
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
إلى عالم الارواح وانفض خاتم
رشيداً يضيء النهج والليل قائم
يماثلني نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه مني السيف والسيف صارم
وهذا ما أردنا بيانه في الجزء الاول من الحكمة و الادب في الفرس و العرب
للناشئة و فتیان الاسلام عموماً و للطلاب في جوامع المسلمين خصوصاً و لإخواني من
شبان ايران بالاخص و يتلوه الجزء الثاني ان شاء الله واوله الشعر ديوان العرب.
في شهر ذي الحجة ١٣٨٤

لمّا أعجبني قصة عنتره و الحبل بطولها و المثل الدائر في عرضه فصار سائراً في
الافواه حتى أتى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما نقلوه من خط الشيخ بهاء الدين
العاملي رحمه الله عليه احببت ان آتي به في المقام وزيلاً للكلام والمسك خير ختام .
دخل امير المؤمنين عليه السلام على الحارث الهمداني و كان مريضاً قد اشرف على الموت
فلما أراد الانصراف تعلق الحارث بأذياله وقال يا امير المؤمنين اخبرني عن الروح قال
نعم انها من لطايف الباري عز وجل اخرجها من ملكه واسكنها في ملكه وقد جعل له
سبحانه عندك شيئاً وجعل لك عنده شيئاً فاما الذي لك عنده فهو الرزق واما الذي له
عندك فهو الروح فاذا نفذ مالك عنده أخذ ماله عندك قال يا مولاي اني في اول يوم من
من ايام الآخرة و آخر يوم من ايام الدنيا وانني أخاف من الفزع الاكبر ولا أدري ما
يفعل بي فأنشد عليه السلام :

يا حار همدان من يمت يرنى	من مؤمن او منافق قبلا
يعرفني طرفه و اعرفه	بنعته و اسمه وما فعلا
وانت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عشرة ولا زللا
اسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
اقول للنار حين توقف للعرض	دعيه لا . لاتقربى الرجلا
ذريه لاتقريبه ان له	حبلا بحبل الوصي متصلا

الحق أن التصحيح المطبعى عمل فنّي وما هو فنّي فعلى الرغم من الحرص الشديد على صحّة الاخراج وقعت اغلاط مطبعية لا بد لنا من الاستدراك مع أنّها ممّا لا تخفى عن بال القارى والمجال لا يساعدني على تصحيح النقاط والتشديدات في الاغلاط . وما هو إلاّ الاصلاح ما استطعت

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
١٣	١١	فلا اعتداد	١٤٢	١٩	لأسراً
٢٣	١٥	تقتضى	١١٤	٢٠	متقدّتين
٢٧	٢	فلما لم يقم	١١٥	٢٢	وثيقه
٢٧	١٧	العلم	١١٩	٥	تزعزع
٨١	١٤	يمنية	١٢٧	١١	نستطيع
١٠٥	١٦	انّها	١٢٨	٤	الشعاعة
١١١	٢٠	يوماً	١٦٠	١٦	حتى
١١٢	١٠	ياقوت	١٦١	١٢	الشرقيين
١١٣	٤	برهان	١٧٦	٢٢	يصيب
١١٤	١	نبت	٢٨٨		الشعر الفارسي بي
١٢٦	٢١	عشرين عاماً			

Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 074498831

